



فيلسوف القلب

الحياة القلقة لسورين كيركغارد



ترجمة: علي عبدالأمير صالح

كلير كارلايل

فيلسوف القلب

الحياة القلِقة لسورين كيركغارد

ترجمة

علي عبدالأمير صالح



كلير كارلايل

فيلسوف القلب

الحياة القلِقة لسورين كيركغارد

الكتاب: فيلسوف القلب، الحياة القلِقة لسورين كيركغارد
تأليف: كلير كارلايل
ترجمة: علي عبدالأمير صالح
عدد الصفحات: 400 صفحة
الترقيم الدولي: 978-614-472-214-5
الترقيم الدولي: 978-9938-941-78-4
رقم الناشر: 183-317/ 22
الطبعة الأولى: 2022

هذه ترجمة مرخصة لكتاب:

PHILOSOPHER OF THE HEART
The Restless Life of Søren Kierkegaard
The Art and Science of Creating Good Luck
by Clare Carlisle

الناشر

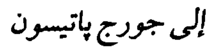
دار التنوير للطباعة والنشر

تونس: 16 الهادي خفشة - عمارة شهرزاد - المنزه 1 - تونس
هاتف وفاكس: 0021670315690
بريد إلكتروني: tunis@dar-altanweer.com
مصر: القاهرة 2- شارع السرايا الكبرى (فؤاد سراج الدين سابقا) - جاردن سيتي
هاتف: 002022795557
بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com

بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com
موقع إلكتروني: www.daraltanweer.com

عندما يلتفتُ يُباغتُه الشعور،
ويبتسمُ عندما يمشي الطريق.
أيامي كلُّها، مليئةٌ بالمعنى،
إنما يتعيّن عليّ أيضًا أن أفهم الشيفرة جيِّدًا.

ساندي دِيني، «المتفائل»


إلى جورج پاتيسون

المحتويات

المقدّمة

«العلاقة الغرامية [1] تكون على الدوام ثيمة تعليمية تتعلّق بمسألة ماذا يعني أن تُوجَد»، كتب سورين كيركغارد، بعد أن انتهت علاقته الغرامية الوحيدة بفسخ الخطوبة. مارس كيركغارد التفلسف من خلال النظر إلى الحياة من الداخل، وأكثر من أيّ فيلسوف آخر أحضر حياته الخاصّة إلى عمله. أزمته الرومانسية أسفرت عن تبصّرات في الحرية الإنسانية والهوية جعلته يكتسب سمعةً ثابتة بوصفه «أب الوجودية». أبدع أسلوبًا فلسفيًا جديدًا، ضرب جذوره في الدراما الباطنية في مسألة أن يكون المرء إنسانًا. مع أنه كان شخصًا صعب المراس - وربما خطيرًا كقدوة - كان مُوحيًا في استعداده لأن يكون شاهد عيان على الحالة الإنسانية. أصبح خبيرًا في الحب والمعاناة، في روح الفكاهة والقلق، في اليأس والشجاعة؛ جعل قضايا القلب الموضوع الرئيس لفلسفته، ووصلت كتاباتُه إلى أفئدة أجيال من القراء.

عندما زارت الكاتبة السويدية فريدريكا بريمير كوبنهاغن في العام 1849 كي تؤرخ الحياة الثقافية في الدنمارك، كان كيركغارد قد أصبح مشهورًا منذ بضعة أعوام في مسقط رأسه. بريمير لم تقابله - رفضت دعواتها في إجراء حوار - مع أنها سمعت كثيرًا من القيل والقال عن عاداته المُقلِقة: «خلال النهار يراه المرء يمشي [2] وسط الجموع، ذهابًا وإيابًا في أكثر شوارع كوبنهاغن ازدحامًا على مدى ساعات في كلّ مرة. وفي الليل كان مقر إقامته المنعزل يُقال إنه يتوهّج بالضوء». ربما على نحو لا يُثير الدهشة، فَهِمته باعتباره شخصيةً «صعبة المنال»، نظرتُها «ثابتة من دون انقطاع على نقطة واحدة». «إنه يضع مجهره على هذه النقطة»، كتبت بريمير، «يتحرى بعناية أصغر الذرات، الحركات سريعة الزوال، أعمق التغييرات. وهو حول هذه النقطة يتكلّم ويكتب ملفات لا نهائية.

بالنسبة له، كلّ شيء من المؤمل أن يُوجد في هذه النقطة. غير أنّ هذه النقطة هي - القلب البشري». أشارت هي إلى أنّ أعماله كانت تحظى بإعجاب خاص من لدن القارئات. «فلسفة القلب ينبغي أن تكون مهمة بالنسبة لهنّ». برهنت على كونها مهمةً للرجال، أيضًا، كما نرى من خلال نظرةٍ إلى أجيال متلاحقة من قرّاء كيركغارد، من بينهم بعض المفكرين والفنانين المؤثّرين جدًا في القرن المنصرم.

بطبيعة الحال، لم يكن كيركغارد أول مَن اجتهد لإدراك كونه إنسانًا. إذ تصارع مع التقليد الفكري المروِّع لأوروبا، استوعب الميتافيزيقا الإغريقية الغابرة، العهدين القديم والجديد، آباء الكنيسة والرهبان القروسطيين، لوثر والتُقَوية(*) اللوثرية، الفلسفات الرائدة بالتسلسل لديكارت، وسـپينوزا، وليبنتز، وكانط، وشيلنغ وهيغل، والأدب الرومانسي. في أثناء ثلاثة عقود خصبة وصاخبة من القرن التاسع عشر نقل تلك التيارات الفكرية إلى وجوده هو، وأحسَّ بضغوطها ومفارقاتها تتحرّك من خلاله. وفي الوقت عينه كان قلبه قد مُزِّق، ومُلئ، ومُدِّد وسُحِق من قبل سلسلة من علاقات الحب العميقة، كلّ حبّ منها - ربما باستثناء الأول - فيه تناقض عميق: حب أمّه آن، أبيه ميخائيل بيدرسِن، خطيبته ريجينه؛ مدينته، عمله الأدبي، ربّه.

سوف نلتقي كيركغارد حالًا فيما هو يؤوب إلى كوبنهاغن من برلين في مايو 1843، مسافرًا بواسطة قطار، ومركبة عمومية تجرّها الأحصنة وباخرة. سوف نرى على الفور أنه كاتب - الآن، في عامه الثلاثين، منطلقًا في التأليف الذي جعله ذائع الصيت. كتب بسلاسة استثنائية، ناقلًا روحه إلى لغته الدنماركية الحبيبة، وحتى في الترجمة باستطاعتنا أن نستشعر إيقاع نثره، وشِعر تفكيره.

ما سمّاه كيركغارد لاحقًا «نشاطه كمؤلف» ملأ معظم حياته، واستنفد

(*) التُقَوية pietism: حركة دينية نشأت في ألمانيا إبان القرن السابع عشر وأكدّت على دراسة «الكتاب المقدس» وعلى الخبرة الصوفية - ملاحظة: الهوامش الموجودة في أسفل الصفحات هي توضيحات من المترجم. أما هوامش النص فموجودة في أخر الكتاب).

طاقاته ونقوده. كي نقول إنه كاتب ليس فقط كي نُشير إلى أنه أنتج كتبًا عظيمة بمعدل مُدهش، وملأ دفاتر يوميات ودفاتر ملحوظات عديدة. باتت الكتابة نسيج وجود كيركغارد، الحب الحيوي جدًا في حياته - ذلك أنّ كلّ ضروب حبّه الأخرى تدفّقت في هذا الحب، وتضخمت كالبحر الذي يرتطم بلا هوادة بأرض بلاده. كان هذا حبًّا إجباريًا، مُستنزِفًا: حين كان شابًا وجد أنه من الصعب أن يكتب، لكنه ما إن بدأ حتى لم يعد باستطاعته أن يتوقّف. كان مستغرقًا في مسائل التأليف والسلطة، التمزق الأبدي بين مباهج الكتابة وآلام النشر، مفتونًا بالجنس الأدبي، وكثير التدقيق في مسائل الطباعة وتجليد الكتب.

كَتَبَ كفيلسوف وباحث روحيّ. في الحكاية الرمزية المتعلّقة بالكهف في كتاب *الجمهورية* لأفلاطون، يهربُ شخصٌ متوحّد من العالَم الاعتيادي، المخدوع سعيًا وراء الحقيقة، ومن ثم يعود كي يتقاسم معرفته مع الجماهير غير المُدرِكة - وهذا النموذج الأصلي من الفلاسفة يُحدّدُ علاقة كيركغارد بعالَمه، عالَم القرن التاسع عشر. وبالمثل، في قصة «العهد القديم» المتعلّقة برحلة النبي إبراهيم الشاقّة صعودًا إلى «جبل المروه» ونزولًا منه، أدرك كيركغارد الحركات الدينية - الاشتياق العميق للرب، النضال القلِق من أجل فهم مهمته، البحث عن درب روحي أصيل - شكّل حياتَه الباطنية. دينُه تحدّى العُرف مرةً بعد مرة، مع أنّ معتقداته لم تكن غير تقليدية.

هذا الكتاب يسافر جنبًا إلى جنب مع كيركغارد وهو يسعى وراء «قضية الوجود» التي نشّطته وضايقته معًا، جرّته إلى الوراء ودفعته إلى الأمام: كيف يكون إنسانًا في العالَم؟ انتقد تجريدات الفلسفة الحديثة، وأصرّ على أننا ينبغي أن نفهم مَن نحن، وكيف نعيش، تحديدًا في وسط الحياة ذاتها، بمستقبل مفتوح أمامنا. ومثلما نحن غير قادرين على الترجّل من القطار فيما هو يتحرّك، نحن لا نستطيع أن نبتعد عن الحياة كي نُفكّر في معناها. وبنحو مشابه، هذه السيرة الذاتية الغيرية لا تتطرّق إلى حياة كيركغارد من منظور بعيد، مُطّلع، بل تلتحق به في رحلته وتواجه شكوكها معه.

حين تحدّثتُ أولَ مرة مع مُحرّري عن تخطيطي لكتابة هذا الكتاب،

أوحى إليّ أنني أتخيّل سيرة ذاتية غيريّة كيركغاردية لكيركغارد. كان على حق، وملحوظته أرشدتني وأربكتني طوال هذه الصفحات. في كثير من الأحيان لم أكن متيقنة كيف أبدأ؛ وفيما أنا ألتفت بأفكاري إلى شيء ماضٍ، أرى أنّ ذلك يعني تعقّب الخطوط الضبابية، المرنة بين حياة كيركغارد وكتابته، والسماح للقضايا الفلسفية والروحية في تنشيط الحوادث، القرارات واللقاءات غير المتوقّعة التي تؤلّف حقائق الحياة. هذا الكتاب يتخذ شكله من السؤال الكيركغاردي المتعلّق بكيف يكون المرء إنسانًا في العالَم. في بداية «القسم الأول»، «رحلة العودة»، نلتقي كيركغارد في منتصف كتابة خوف ورعشة، حيث يُعطي جوابًا مُفعَمًا بالأمل وجميلًا إلى حدّ ما عن هذا السؤال. في «القسم الثاني»، «الحياة تُفهم إلى الوراء»، نجده في العام 1848، بعد مضي خمسة أعوام، يستذكر حياته وتأليفه، ويُجيب عن سؤاله المتعلّق بالوجود على نحو مختلف. كان كيركغارد دائمًا مفرط الوعي بفنائه، إلا أنّ تنبوءَه بالموت الوشيك تغيّر في أثناء تلك الأعوام الخمسة: حيث كان الموعد الأخير لذروة كتابته في العام 1843، وهو ما أضفى صفة الاستعجال على عمله فيما هو يُسرِع كي يُخرِج كُتبَه ويأتي بها إلى العالَم، لكن بحلول العام 1848 رأى الموت بوصفه عملًا سوف يُنهي تأليفه. في «القسم الثالث»، «الحياة تُعاش إلى الأمام»، نتعقّب كيركغارد في المعركة مع العالَم التي سوف تنتهي، بطريقة أو بأخرى، بموته.

كيركغارد ليس رفيق سفر سهلًا، مع أنه وفقًا لحسابات كثيرة رجلٌ ساحر ومُضحك وحنون بالإضافة إلى كون رفقته ممتعة إلى حدٍ بعيدٍ. «هذا المساء كان لي حوارٌ مع الماجستير(*) سورين كيركغارد»[3] كتب أحد معارفه في يومياته في الأول من سبتمبر 1843، «وعلى الرغم من الحقيقة القائلة إنه ليس على وجه الدقّة الشخص الذي يجد معه المرءُ الطمأنينة، حصل الأمر هكذا - كما يحصل في كثير من الأحيان - ذلك أنّ كلماته أوضحت لي بالضبط ما

(*) كلمة كانت تستخدم قديمًا في توصيف الباحث والدارس الذي يحوز على شهادة الماجستير.

الذي كنتُ أفكرُ فيه مؤخرًا». والدا كيركغارد منحاه اسمًا معناه «قاسٍ»، وأصبح أكثر فأكثر صادقًا مع اسمه عندما أصبح أكبر سنًا. في *حاشية ختامية غير علمية*، المكتوب في عامه الثالث والثلاثين، ناقش كيركغارد بأنه كي يُصبح الشخص متدينًا ينبغي له أن «يفهم سرّ المعاناة[4] باعتباره شكلًا لأرقى حياة، أرقى من الحظ الجيّد بكلّ معنى الكلمة... لأنّ هذه هي قسوة الديني، ذلك أنه يبدأ بأن يجعل كلّ شيء أقسى». وبعد صفحات قليلة، على أي حال، وصف شخصًا متدينًا يستمتع بنزهة إلى «متنزّه الغزلان» في كوبنهاغن - «لأنّ أكثر تعابير العلاقة بالرب تواضعًا[5] هو أن يعترف المرء بإنسانيته، ولأنه شيءٌ إنساني أن يُمتّع المرء نفسه». وبحسبه فإن السعادة الحقيقية تكمن على الدوام في الجانب البعيد من المعاناة.

وبالفعل سعادة أن تكون إنسانًا لم تكن شيئًا سهلًا بالنسبة إلى كيركغارد. في بداية أربعينيات القرن التاسع عشر، كان شابًا غنيًا، موهوبًا، حسَن العشرة، أحبته بعاطفة متأججة امرأةٌ جميلة، ذكية - وعلى الرغم من ذلك فقد جعل الحياة صعبةً بنحو استثنائي على نفسه. هذه الحقيقة العميقة والغامضة المتعلّقة بسيكولوجية كيركغارد كانت ملازمة لموقفه الفلسفي تجاه العالَم. ربما كان أول فيلسوف عظيم ينصرف إلى تجربة العيش في عالَم حديث بشكل قابل للتميز، عالَم الصحف، القطارات، التفرّج على البضائع في واجهات المتاجر، متنزّهات اللهو، المستودعات الكبيرة للمعرفة والمعلومات. مع أنّ الحياة كانت تغدو من الناحية المادية أسهل وأكثر راحة بالنسبة لأشخاص أثرياء من مثله، حفّزت أيضًا ضروبَ قلقٍ جديدة تتعلّق بمسألة مَن يكون وكيف يكون مظهره. تعرّض للرأي العام ليس فقط في كتبه المنشورة بل في شوارع كوبنهاغن عبر نوافذ المقاهي المُسايرة للموضة في «ستروغيت»، وفي صفحات جرائد مدينته، أحسَّ كيركغارد بعيون الناس الآخرين عليه - وتألّم بسبب ما شاهدوه.

في *حاشية ختامية غير علمية* وصف فيلسوفًا في مطلع ثلاثينياته - شخص يُحب نفسه حبًا جمًا- يجلس خارج مقهى في «حدائق فريدريكسبيرغ»، يدخّن سيجارًا ويفكّر مليًا بمنزلته في العالَم: «إنك تتقدّم في السن، حدّثتُ نفسي[6]،

وتغدو رجلًا مُسنًا من دون أيّ شيء... ومن ناحية أخرى، أينما تنظر من حولك في الأدب أو في الحياة، ترى أسماء وشخصيات المشاهير، المُثمَّنون والمُصفَّق لهم، يحقّقون حضورهم أو يتحدّث الجمهور عنهم، المُحسِنون الكثيرون في العصر الذين يعرفون كيف يجعلون الحياة سهلةً أكثر فأكثر، بعضهم بالقطارات، وآخرون بالحافلات والبواخر، آخرون بالتلغراف، آخرون عبر الدراسات والتقارير الموجَزة يسيرة الفهم في كلّ ما يستحق المعرفة».

الحياة الروحية أيضًا أصبحت أسهل، تفكّرَ، بواسطة الفلاسفة الذين شرحت أنظمتهم العقيدة المسيحية وعرضت حقيقتها، وعقلانيتها، وقيمتها الأخلاقية للمجتمع. «وماذا تفعل الآن؟»، سأل نفسه. «هنا مناجاتي انقطعت، لأنّ سيجاري انتهى وينبغي إشعال سيجار جديد. لذا دخّنتُ من جديد، وبعدها على حين غرّة هذه الفكرة ومضت عبر عقلي: يتعيّن عليكَ أن تفعل شيئًا ما، لكن بما أنه بقدراتك المحدودة سيكون مستحيلًا أن تجعل أيّ شيء أسهل مما أصبح عليه، ينبغي لك، بالحماسة الإنسانية نفسها كالآخرين، أن تأخذ على عاتقك أن تجعل شيئًا ما أصعب. هذه الفكرة أسعدتني بعمق، وفي الوقت ذاته دفعتني بتملّق كي أفكر أني سأكون محبوبًا ومحترَمًا على هذا المجهود من قبل المجتمع بأسره».

هذه الكلمات الخالية من الهَمّ، مُثقلةٌ بالسخرية: في الوقت الذي كتبها فيه كيركغارد كان مُحبطًا بشدة بسبب إحجام أنداده عن تقدير عمله. كان التزامه بأن يركّز ويعمّق صعوبة أن يكون إنسانًا قد أسفر عن سلسلة مراوغة، مبهمة بنحو لا نهائي من الكتابات، مقاومة بعناد للتلخيص وإعادة الصياغة، بما أنّ ما ضُغِط بين سطورها كان كثيرًا جدًا. في ثنايا كثير من هذه النصوص، أصوات سردية مختلفة تخلق الرؤى المُتعلّقة بالحياة، من دون حلّ واضح؛ إنها تُظهِر الأخطاء وحالات سوء الفهم مثلما تفسّرُ الحقائقَ في كثير من الأحيان. يستطيع المرء أن يجابه طوال عقود - كما فعلتُ - تعقيداتِها الأدبية والفلسفية، ومع ذلك لن يصل إلى عمقها. بالنسبة لكيركغارد، عملُ الفلسفة ليس تجارةً سريعة بأفكار جاهزة، بل إنتاج تأثيرات روحية عميقة كان يأمل أن تخترق أفئدة القراء،

وتُغيّرهم. كان كثيرون من معاصريه مُتزعزعين بواسطة هذا العمل، أو ببساطة حائرين ومرتبكين؛ مع أنهم لَمِحوا موهبته، إلا أنه كان أسهلُ عليهم السخرية من عيوبِه الشخصية وخواصِه من أن يفهموا كتبه.

بالطبع، كانت آمال كيركغارد في التميّز وحالات القلق المتعلّقة بصورته العلنية قد اعتمدت بمعنىً من المعاني على كونه معروضًا، مرئيًا ومحكومًا عليه، وهو شيء يقع في صميم تجربة أن يكون إنسانًا في العالَم. وقلّما نستطيع أن نحكم على الأشخاص الآخرين: نحن نقيّمهم حالما نلتقي بهم، وباستمرار نعدّل قياساتنا لمّا يكشفون أنفسهم. فيما أنا أعيش بصورة غير مريحة قريبًا جدًا من كيركغارد، وجدتُ نفسي أحيانًا أكرهه - وهو إحساسٌ مُوجع، أشبه بوجع اكتشاف عيب في شخص أحبه. كتبه تمنح قراءه آمالًا عريضة؛ خطاباته الدينية الغنائية تصف مُثُلًا عليا باهرة، مثل كيف يعكس القلب البشري الطاهر صلاح الله بصدق مثلما يعكس البحرُ الهادئ، الساكن، السماء. مع ذلك، في يومياته روى تعريفاته الصغيرة، غِيرتَه من نجاح أنداده، غضبَه المرير من أولئك الذين يستخفّون به، كبرياءَه الآخذ في الضعف. كان من دأبه أن يشعر بالشفقة على نفسه، يُبرر أفعاله، يلوم الآخرين على إحباطاته.

هل يجعل هذا منه منافقًا يُبشّر بشيء لم يمارسه أو يختبره؟ على العكس: قدرة كيركغارد الاستثنائية في استدعاء الخير، والنقاء، والطمأنينة التي تاق إليها لم تكن منفصلةً عن العواصف التي احتدمت وتلوّت في روحه - ارتبطت على وجه الدقة بواسطة هذا التوق لما كان يعرف أنه يفتقره. فلسفته معروفة جيدًا بمفارقاتها، ورغبة كيركغارد المتواصلة بالراحة، والطمأنينة، والسكون، هي مفارقة -وحقيقة- كان يعيشها يوميًا. وحالُه حال أيّ إنسان، كانت حياته مزيجًا من عناصر ثانوية وعميقة في آن، بوسعها أن تفرض بالتساوي متطلّبات فعّالة عليه؛ كافح كي يركّبها، مع أنها كانت تتصادم في ومضات من السخف الكوميدي أو التراجيدي. بوصفه «شاعر الديني» عَمِل بجهد كبير كي يُبقي الآراء الروحية مُتحرّرة من التسويات وحالات الفساد التي تتسرّب، كما كان يعرفُ هو مباشرةً، كلّما يحاول أيّ شخص أن يقضي حياته وفقًا لها.

التفكير في ردود أفعالي المُستنكَرة تجاه أفكار ومشاعر كيركغارد الإنسانية بكلّ معنى الكلمة قادني إلى أن أفكر أيضًا في الحقيقة القائلة إن كاتبة السيرة الذاتية الغيرية ربما يُتوقّع منها أن تُقيّم حياة موضوعها - أن تُقيّم نجاحها، أصالتها، وجودتها. باعتباري كاتبة سيرة كيركغاردية أودّ أن أقاوم الرغبة المُلحّة في أن أفرض أو أستدعي هذه الأحكام. هذا ليس بسبب أنّ كيركغارد، على وجه الخصوص، شخصٌ لا يميل إلى إصدار الأحكام على الآخرين مع أنه نادرًا ما يُفسِّر انطلاقًا من الأخلاق أو يعتقد أنه أقومَ أخلاقًا من الآخرين. ولا حتى لأنه بوصفه تلميذ سقراط ثمّن معرفة الذات كونها أرقى بكثير من أيّ نوع آخر من الفلسفة، وشجّع قرّاءه على أن يُديروا أحكامهم إلى أنفسهم. بالأحرى، بسبب أنه فهم بأنّ ثمة حرية من المؤمل أن تُوجَد في أن نتجاوز الطرائق المألوفة، الدنيوية، في قياس حياة الإنسان، أيّ إنسان.

في المحصّلة، لم يكن لدى كيركغارد زوجة كي يتكلّم معها، وبدلًا من ذلك دوّن غضبه، ورثاءه لذاته في نثر رائق، مفصّل بنحو رائع. هذا شيء غير اعتيادي، إلا أن أحاسيسه لم تكن كذلك: حين نطالع يومياته نتعرّف إلى عواطفه الوضيعة لأننا كنا نعرفها أصلًا بحميمية. في فلسفته استنطق كيركغارد العادة الإنسانية في الحُكم على الآخرين، المتأصّلة عميقًا في تفكيرنا الشخصي وثقافتنا الجمعية بحيث إنها تكاد تكون لا مفرّ منها، وكان يُسمّي هذا «الحقل الأخلاقي» أو ببساطة «العالَم الأخلاقي»، لأنه «على غرار كهف أفلاطون» يُطوّقنا ويُسوّرنا. لكن مع أنّ أحكام الآخرين على غرار أحكامنا يصعبُ تفاديها، كان كيركغارد يؤمن بأنّ ما من حُكمٍ من هذه الأحكام الإنسانية هو حُكمٌ مُطلق أو نهائي. من الممكن دائمًا، اقترح هو، أن يحتل مكانًا مختلفًا - لأنّ كلّ فرد ينتمي إلى حقل ذي عمق غير محدود، كان يسمّيه «الجوهر»، «العلاقة مع الله»، «الخلود»، «الحقل الديني»، أو ببساطة «السكون»[7]. كتابته تفتحُ هذا الحقل، في قلب الحياة تحديدًا، وتومئ للقارئ بأن يدخل فيه.

القسم الأول

مايو 1843: رحلة العودة

كي تكون قادرًا على السقوط بطريقة ما[1] *وتبدو كما لو أنك شخصٌ واقفٌ وسائرٌ على قدميه، كي تُحوّل وثبةَ الحياة إلى سلوك - هذا ما لا يستطيع القيام به سوى فارس الإيمان.*

الفصل الأول

أن تعيش سؤال الوجود

لم يحصل من قبل أن تحرّكَ بسرعة شديدة! ومع ذلك هو يجلس ساكنًا، ليس بصورة غير مُريحة -بل مستكين - في «كرسي عجيب ذي مسندين»[1].

الحقول تمرُّ سريعًا، ولا يزال هناك الاخضرار الساطع جدًا لفصل الربيع. لا توجد ريحٌ ساحرة في أشرعته تُسرِّع رحلته. هذا نوعٌ جديد من الأعجوبة: اندماج خيميائي للبخار والفولاذ، الابتكار والطموح، جعل السكة الحديد تخترق العالَم المسيحي[2]. وهذا النوع من الحركة يمنح رجلًا مثله وقتًا للراحة والسكون. مركبة الدرجة الأولى هادئة، وكدأبه يسافرُ وحيدًا. المنظر الطبيعي المنزلق يجعله يفكّر في الزمن الذي مرّ، في كلّ الأشياء التي تغيّرت. إنه يتذكّر حماسة الأيام القليلة الفائتة، أزمات الشهور المنصرمة، وقبل ذلك ركود الأعوام الكثيرة جدًّا في الجامعة. ربما توجد الآن فرصةٌ للتحرّر من هذا كلّه؟ وهو يُسرع بعيدًا عن برلين نحو «بحر البلطيق» بسرعة أربعين ميلًا في الساعة، أيّ شيء يبدو ممكنًا. في أقل من يومين سوف يعود سورين كيركغارد إلى كوبنهاغن[3].

إنه يومٌ من أيام أواخر مايو 1843، وكيركغارد بلغ توًا سن الثلاثين. قبل ثلاثة شهور خلت كان قد نشر *إما/ أو*، وهو عملٌ فلسفي ضخم، استثنائي سرعان ما أصبح حَدَثًا مُثيرًا. كتب معظم ذلك الكتاب في برلين في أثناء شتاء 1841، وهي الحقبة الزمنية المُنتِجة جدًّا في حياته حتى الآن. وفي هذا الشهر رجع إلى برلين في زيارة أقصر، متمنيًا أن يفعل الشيء نفسه ثانيةً - وعلى نحو مؤكّد بما يكفي، ركب متن القطار اليوم ولديه مخطوطتان في حقيبته. كان قد انتهى من تأليف *التكرار*، وهو قصة رجل، على غرار كيركغارد، يخطب شابة إلا أنها تُغيِّرُ

عقلَه وتُوقفه فجأة. هذه القصة تُروى على لسان شخص آخر -وهو على غرار كيركغارد أيضًا- يسافر إلى برلين مرة ثانية، ويعود إلى مَسكنه القديم الواقع في «جيندَرمين ماركت»، يشاهد المسرحية نفسها في المسرح ذاته. قسمٌ منه رواية قصيرة وقسمه الآخر بيان رسمي يتضمن وجهات نظر، هذا الكتاب الصغير الغريب يقترحُ ضربًا جديدًا من الفلسفة، لا يُمكن معرفة الواقع فيها، ومع ذلك يجب أن يعيشه المرء بشكلٍ من الأشكال.

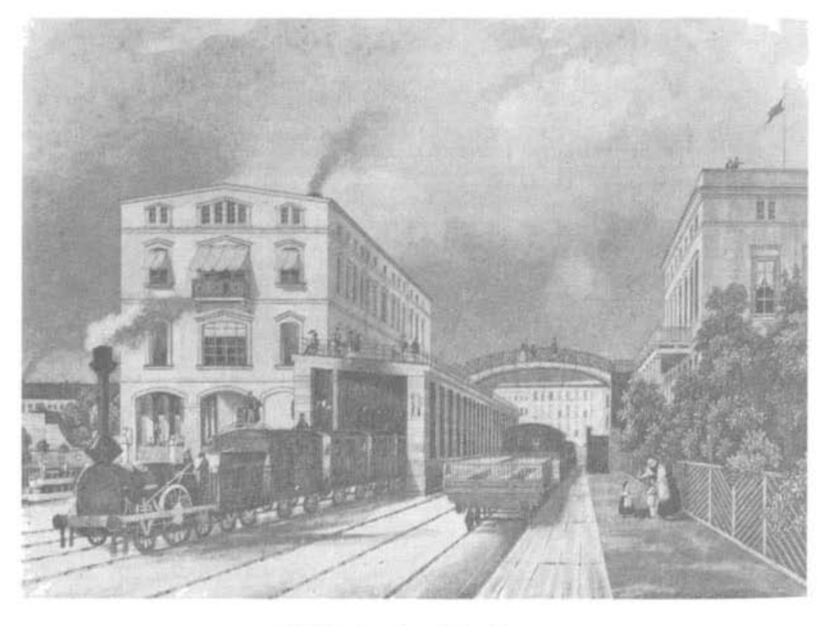
أما الكتاب الآخر فلا يزال ناقصًا، وعنوانه خوف ورعشة. يتناول قصة إبراهيم وإسحق التي رُويت في الفصل 22 من «سِفر التكوين». أمر الرب إبراهيم أن يذبح إسحق(*)، لذا سار الأب والابن طوال ثلاثة أيام كي يصلا إلى «جبل المروه»، حيث قيّد إبراهيم يديْ وقدميْ إسحق ورفع السكين كي يذبحه - إلا أنه في تلك اللحظة ظهر مَلاك، وأخبره بأن يذبح خروفًا بدلًا من ابنه. سار إبراهيم وإسحق ثانية عائدَيْن إلى مسكنهما، على مدى ثلاثة أيام أخرى. ماذا سيقول الشيخ لزوجته، سارة، حين سألته أين كانا طوال هذه المدة الزمنية؟ ماذا كان يُفكّر وقتئذ؟ نحن لا نعرف: الرواية الإنجيلية لا تقول شيئًا عن أفكار إبراهيم، مشاعره، نواياه، التي لا يُمكننا سوى أن نتخيّلها. وفيما هو يكتب هذا الكتاب، يُعيد كيركغارد بنحو خلّاق بناء حياة إبراهيم الباطنية.

قد يزعم بعضهم قائلًا إن هذا التفكير الشاعري لا مكانَ له في الفلسفة، إلا أنّ كيركغارد يستنتج دروسًا فلسفية كبرى من الرحلة إلى جبل المروه. وهو مفتون بالسرِّ الغامض لدى إبراهيم؛ وربما أيضًا يستمتع بالفكرة القائلة إن حياته هو تحمل سرًا مُشابهًا، قد يتصوّره الآخرون، يفسّرونه، يُعيدون بناءه في يوم من الأيام: «الشخص الذي يُفسّر أحجية إبراهيم[4] فَسّر حياتي - لكن مَن من

(*) في الإصحاح 22، من «سفر التكوين»، نبي الله إبراهيم أخذ ابنه إسحق، ابن سارة، زوجته الأولى، إلى «جبل المروة» في فلسطين ليذبحه، وهذه الرواية تختلف عن تلك المذكورة في «القرآن الكريم»، إذ ورد أنه أخذ ابنه إسماعيل، ابن هاجر، زوجته الثانية ليذبحه، وهنا نود أن نُشير إلى هذا الاختلاف الواضح بين الروايتين.

مُعاصريَّ فهم هذا الأمر؟». إنه يأمل أن يضمن له كتابه خوف ورعشة شهرتَه ككاتب، بحيث يُترجم إلى لغات مختلفة، وتدرسُه أجيالٌ من الباحثين.

«لم يسبق لي أن عملتُ بدأب كبير مثلما عملتُ الآن»، كتب من برلين إلى إميل بويسين، أعز أصدقائه، مباشرةً قبل أن يبدأ هذه الرحلة إلى الديار. «صباحًا أخرجُ لوقتٍ قصير[5]، وبعدها أرجع إلى المنزل وأجلس في حجرتي من دون مقاطعة إلى الساعة الثالثة تقريبًا. عيناي قلّما تستطيعان أن تُبصرا. ومن ثم أنسَلّ ومعي عصا المشي إلى المطعم، إلا أنني ضعيف للغاية بحيث إذا نادى شخصٌ ما باسمي أعتقد بأني سأجثو على ركبتيّ وأموت. وعقب ذلك أمضي صوب المنزل وأبدأ من جديد».



محطة سكك برلين في 1843

على الرغم من حالته الجسدية، كان يُحذّر صديقه قائلًا: «سوف تجدني أسعد من أيّ وقت مضى»؛ حتى لو أنه يدخل «أزمة جديدة» فهو سعيد في أن يحوّل ماضيه إلى كلمات. «هذه الشهور الأخيرة التي أمضيتُها في كسلي

استعملتُ مضخّة واغتسلت جيدًا بالدش والآن سحبتُ الحبل والأفكار تنزل عليّ كالشلال: أطفالٌ أصحاء، سعداء، مُزدهِرون، مُبتهجون، مُباركون، وُلدوا مع الراحة ومع ذلك كلّهم يتقاسمون وحمة شخصيتي».

من خلال العمل بهذه الطريقة في برلين، والقهوةُ السكرية التي زوّدته بالوقود وأنهكته، أحسّ كيركغارد بأنه هو نفسه إلى حدّ كبير - ومع ذلك نشّطته قوةٌ ليست من صنعه هو كلّيًا. خضع لدورةٍ من اليأس والفرح فهمها هو باعتبارها تربيةً روحية. في يومياته وصف المرحلة البائسة للدورة، حين «وُضعتُ في داخل حفرة داكنة حيث رحتُ أزحف هنا وهناك في عذاب ووجع، لا أرى شيئًا، ما من طريق إلى الخارج». هذه المعاناة بدت ضرورية لما حصل لاحقًا، على غرار أوجاع الولادة التي تكابدها امرأةٌ تلد طفلًا: «بعدها فجأةً تنشَط فكرةٌ[6] في بالي، فكرةٌ حيوية جدًا، كما لو أنه لم يسبق لي أن أمتلكتها من قبل مع أنها لم تكن غير مألوفة بالنسبة لي... ولمّا استحوذت في داخلي دُلّلتُ قليلًا، أُخذتُ في الأحضان. ومن ثم أنا، الذي انكمشتُ مثل الجندب، أنمو من جديد، سليمًا، مزدهرًا، سعيدًا، دافئًا، مفعمًا بالحيوية مثل طفل حديث الولادة. عندئذ يبدو كما لو أنه يتحتّم عليّ أن أعطي كلمتي بأني سأتبع هذه الفكرة إلى النهاية؛ أنا أُرهِن حياتي، وأنا الآن مُثبّت باللجام. لا يسعني أن أتوقّف وطاقاتي صمدت. ومن ثم أنتهي، وكلّ شيء يبدأ ثانية». إبداعه قد يكون نعمة أو لعنة، إلا أنه يبدو شيئًا لا يمكن التهرّب منه في كلتا الحالتين. تتدفّق الأفكار من خلاله بحياة خاصّة بها.

على غرار معظم المسافرين المتّجهين صوب الديار، كيركغارد ليس هو الشخص نفسه تمامًا الذي كان عليه لمّا بدأ رحلته. حتى في هذه الأيام المبكرة من «هوس سكك الحديد» لا يقدر أن يكون أول إنسان يجلس وحيدًا في القطار، يتفكّر في حياة يتركها وراءه ويتخيّل المقصَد الذي أمامه. الوسواس والخرافة تآمرا كي يُقنعاه بأنه سوف يفارق الحياة في بحر أربعة أعوام، إلا أنّ مستقبله الموجز يضيء ببهاء أكثر من أيّ وقت مضى بفعل المخطوطات في حقيبته. إنه يراها الآن، مُقيَّدة بورق أزرق ثخين في مخزن كتب «ريتزل»، ترمي

شررًا في المقاعد الجافّة للعالَم المسيحي. قد يحسُّ بأنه حُرّ أكثر، أقوى في داخل نفسه، غير أنه أيضًا خائف يفكر في ما - ومَن - ينتظره هناك في بلده.

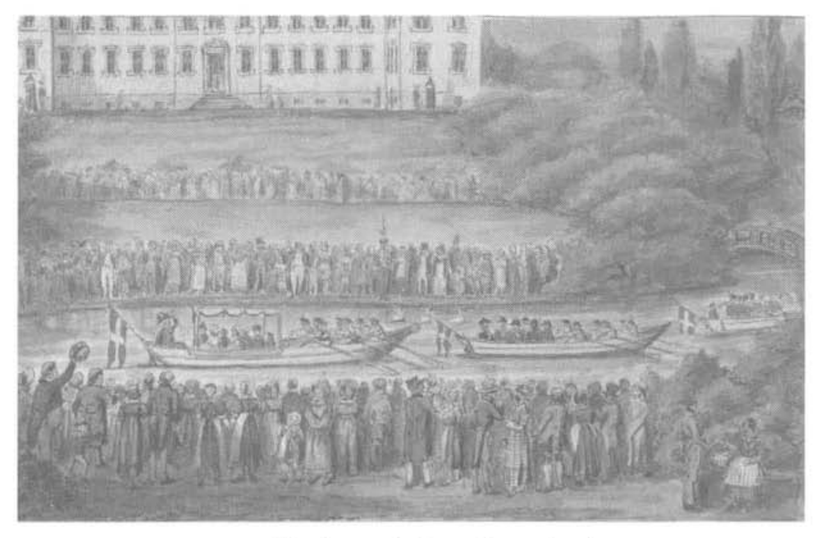
أولَ مرة زار فيها برلين كان يترك ريجينه أولسِن وراءه: عمرُه ثمانية وعشرون عامًا وحاصل حديثًا على «ماجستير اللاهوت»، لم يكن قد باشر في مسيرته الأكاديمية الباهرة بل يهرب من عواقب خطوبته المفسوخة. عام ونصف مضى منذ ذلك الحين؛ ريجينه تبقى في منزل أسرتها في كوبنهاغن، وهو لا يزال يكتب عن «ها» في يومياته. في برلين هذه المرة الثانية، ذكريات انفصالهما المؤلم تترصّده في كلّ منعطف، وتوصّل إلى إدراك مفاده: «لو كان لديّ إيمان لبقيتُ مع ريجينه»[7]. الآن، أيضًا، كيركغارد يضع حياته في اتجاه مختلف. إنه يعرف أنه لن يتزوج. حين يرى ريجينه في الكنيسة أو في الشارع -وهو يراها في كثير من الأحيان- لم يكن بوسعه أن يتحدّث معها. صورة وجهها وصدى كلماتها الأخيرة المستميتة التي وجهتها إليه تغمر روحه بمشاعر مُرتبكة، مُتضاربة؛ كلّ أفكاره المتعلّقة بها مُتشابكة مع جهوده من أجل أن يفهم نفسه.

مهما يكن من أمر، ثمة سعادةٌ غامرة في المجيء إلى الديار. سوف يتنزّه تحت أشجار الكستناء والليمون في «ممر الفيلسوف» و«زقاق الكرز»، المماشي التي بمحاذاة الأسوار القروسطية العالية [8] التي تطوّق مدينته الحبيبة مثل تاج مخضوضر، تتفتح في كلّ ربيع. إنه يتطلّع إلى للذهاب إلى «حدائق فريدريكسبيرغ» ما بعد ظهيرة الأحد، حيث يجلس في الظل، يدخن سيجارًا، ويراقب الخادمات وهن يستمتعن بيومهنّ في الخارج. سيكون شيئًا محببًا إلى القلب حيث الآن الجو أكثر دفئًا، والفتيات لن يكنّ محزومات في شالاتهن.

سوف يؤوب إلى شقته الكبيرة في «نورغيد»(*) القريبة من الجامعة و«كنيسة سيدتنا»(**). من هناك سوف ينطلق صباح كلّ يوم كي يغطس نفسه في حياة المدينة، يمشي عبر كلّ أحيائها السكنية، ويصعد على الأسوار، ويسير على طول

(*) نورغيد Nørregade: شارع في مركز كوبنهاغن. معنى «نورغيد»: الشارع الشمالي.
(**) كنيسة سيدتنا Church of Our Lady: المقصود هنا «كنيسة مريم العذراء».

البحيرات، مُعرّضًا جزمتيه للاستهلاك. في هذه المسيرات اليومية الراجلة يقابل معارف في كلّ شارع، وكثيرون منهم سوف يمشون جنبًا إلى جنب معه، ذراعًا في ذراع، كي يتحاوروا معه برهةً من الوقت. كيركغارد يكون هو المتحدّث في أكثر الأحيان، بالطبع - وما من شخص محاور يتدفق ويقفز برشاقة أكثر منه، ما من فطنة حادة أكثر من فطنته. إنه يُلقي ظلًا غريبًا بقبعة رسمية فيما هو ينحرف عبر الشارع كي يتحاشى نور الشمس، إلا أنّ رفاقه يتحمّلون مشيته المائلة العسيرة والإيماءات الصارخة ليده الحرة، التي تمسك بنحو متواصل عصا المشي أو مظلة ملفوفة. المارة يستوقفون نظرته الثاقبة بالاهتمام وبقليل من الخوف، لأنه يبدو كأنه يقيس كلّ شخص يقابلُه، يقيسه جسمًا وروحًا، في نظرةٍ من عين زرقاء براقة.



حدائق فريدريكسبيرغ: كريستيان كالستروب

ومنذ كتابه المعنون *أما/أو* الذي ظهر في فبراير، مزيدٌ من الأشخاص باتوا يميزونه ويودون التحدّث إليه. كيركغارد فضولي في ما يتّصل بالبشر الآخرين، إلا أنه أيضًا يحتاج إلى أن يكون وحيدًا بعض الوقت - يحتاج إلى

وقتٍ للكتابة! حين يعود إلى منزله من «التجمعات البشرية» التي كان يلتقي بها، يواصل المشي، يذرع المكان جيئة وذهابًا حول شقته التي غمرها الظلام فيما هو يؤلف جملته التالية، عندئذ يرجع إلى طاولة الكتابة المرتفعة العائدة له؛ يقضي ساعات في الذهاب والإياب، مالئًا الصفحات بأفكاره.

على الرغم من السرعة غير المسبوقة للقاطرة البخارية، لا تزال هنالك ساعة كي يذهب قبل أن يصل القطار إلى «أنامينده»(*). حين يُغمض عينيه يرى النبي إبراهيم، في طريقه إلى المنزل قادمًا من جبل المروه. أصبح مَن هو، كونه جهّز نارًا، ربط ابنه، رفع سكينه؟ ماذا قال لإسحق فيما هما يسيران صوب المنزل؟ لو كان قد اقترب أكثر من الله في قمة ذلك الجبل البعيد، كيف يستطيع أن يشرح لسارة أنّ حياة طفله بدت ثمنًا يستحق الدفع؟

بالطبع، كيركغارد كان قد زار برلين، التي تختلف كثيرًا عن العالَم الدنماركي المَديني الذي تركه وراءه في وقت أبكر من هذا الشهر. وهو لا يحتاج، مثل إبراهيم، إلى سكين في رحلته - بل يحتاج فقط إلى قلم حبر ودفاتر ملحوظاته. على الرغم من ذلك، إنه يشعر أنه ضحّى بحياة مع ريجينه، ومعها ضحّى بشرفه وبالسمعة الطيبة لأسرته. من أجل شيء يصعب شرحه. نكث بوعده في الزواج من الشابة التي أُغرمت به، كسر فؤادها، أهانها. سائر الناس في كوبنهاغن يعرفون عن هذا الموضوع؛ إنهم جميعًا يتفقون على أنه مخطئ. والآن، وهو آتٍ إلى المنزل، دفاتر الملحوظات في حقيبته مليئة بالآراء التي تتحدّى كثيرًا ما يعتقدُ سكان مدينته أنهم يعرفونه. كيركغارد لا يجلب فلسفةً جديدة أخرى من ألمانيا، بل يشك في ما إذا كان العملُ بالفلسفة هو الطريقُ الصحيح للبحث عن الحقيقة، ما إذا كان التعميد يجعل الناس مسيحيين، ما إذا كان كونك إنسان هو شيءٌ مُسَلّم به.

سائر الفلاسفة يطرحون الأسئلة، غير أنّ هذه أسئلة من طراز خاص. إنها من ضرب الأسئلة التي أثارها سقراط، فيلسوفه الأثير، الأسئلة التي كان مُخططًا

(*) أنامينده Angermünde: مدينة ألمانية، نحو 69 كم شمال شرقي برلين.

لها أن تُحدِث إرباكًا بدلًا من أن تُسفِر عن أجوبة - ذلك أنّ الإرباك هو تُربة خصبة قد تنمو فيها الحكمة. بينما كان سائر الناس الآخرين في أثينا الغابرة «متيقّنين تمامًا من إنسانيتهم، متيقّنين من كونهم يعرفون ماذا يعني أن يكون المرء إنسانًا»، كرّس سقراط نفسه للسؤال القائل [9]، *ماذا يعني أن يكون المرء إنسانًا؟* - ومن هذا السؤال تدفقت أسئلةٌ أخرى: *ما العدالة؟ ما الشجاعة؟ من أين أتت معرفتنا؟* المثقفون في أثينا كانت بحوزتهم أصلًا أجوبة هذه الأسئلة، غير أنّ أسئلة سقراط استمرت إلى أن تقوّضت رؤاها وتحوّلت إلى عدم ترابط أو مفارقة. هذا الفيلسوف التائه، الذي بدا كأنه يبحث عن المعرفة، كان يحتال عليها! ومع ذلك كان سقراط يبحث عن المعرفة فعلًا، وأسئلة سقراط كانت أسئلةً صادقة بقدر ما كانت مراوِغةً: هذه الأسئلة أفضت إلى اتجاه جديد، بعيد عما ميّزه العالَمُ باعتباره حكمةً، ونحو حقيقةٍ أسمى.



«مجاز أفلاطون المتعلّق بالكهف»: يان سانريدام، 1604

في «جمهورية» أفلاطون يُقدّم سقراط حكايةً رمزية ذات مغزى أخلاقي يتعلّق بصعود الجبل والرجوع منه، تكرّرُ رحلة النبي إبراهيم حين صعد جبل المروه ونزل منه. «تصوّر كهفًا»، يقول سقراط[10] يُوثَق فيه أشخاصٌ بالسلاسل، في مواجهة حائط؛ وراءهم، غير مرئي، نارٌ وعرض دُمى لا نهاية له، وظلال الدُمى المعروضة على الحائط هي كلّ ما يعرفونه. أحد هؤلاء السجناء فيلسوف

-عاشق الحكمة- يهرب إلى أشعة الشمس الباهرة أعلى الكهف. إنه يتشمّسُ في هذا النور، متعجبًا أشد التعجّب، رؤيته تغيّرت؛ وبعدها يهبط من جديد، عائدًا إلى المكان الذي أتى منه.

سقراط روى هذه القصة كي يُشجّع طلابَه الشبّان، طلاب الفلسفة، كي يفكّروا في مخاطر السكن في عالَم كانوا قد باشروا ذات مرة في انتقاد أعمق مُسلّماته. الكهف بإضاءته الضعيفة حيث أُسِر الأشخاص، عميان عن الآليات التي تنتج الظلال التي حَسِبوا أنها حقيقية، هي صورة للحالة الإنسانية: هؤلاء السجناء يشبهوننا كلّنا، كما يشرح سقراط. الكهف قد يكون العقل البشري، أفكاره مُثبتة بواسطة دراما تتعلّق بالمظاهر الوهمية. وقد يكون العالَم الاجتماعي، لأنّ ثقافةً بأكملها قد نشأت حول مسرحية الظلّ هذه: السجناء يختبر كلّ واحد منهم الآخر في معرفته بالظلال (أو الأطياف)، ويتنافسون كي يتوقّعوا حركاتها. غير أنّ الحكاية الرمزية تُظهِر أيضًا أنّ عقولنا تستطيع أن تتوسّع وراء حدودها الاعتيادية، وأنّ هناك شيئًا آخر وراء هذا العالَم، مثلما يوجد هنالك ضوءٌ مختلف تمام الاختلاف ومنظرٌ طبيعي فوق الكهف. إن مهمة الفيلسوف الأولى هي أن ينتزع نفسه من الأوهام، يستدير، ويشاهد كيف تُنتَج مسرحية الظل: ومن ثم، يتعيّن عليه أن يرتقي خارج الظلام، يشاهد الشمس، ويفهم الأشياء بوضوح في نورها. هذه الرحلة هي رحلة تحرير، تنوير. و، قد نتصوّرها، تجربةً مُذهلة. إلا أنّ سقراط أصرّ على أنّ الفيلسوف يجب أن يعود إلى الكهف الضيّق جالبًا تبصّره معه. هل يكون قادرًا على تغيير عالَم السجناء؟ أم إنهم سوف ينقلبون عليه، يسخرون منه، يرفضون أن يُشكّك في طريقة حياتهم؟

سقراط حرّض مواطنيه إلى أن اتهموه أخيرًا بإفساد طلابه وحمّلوه جريمة «كلام ينمّ عن عدم توقير» - فشل في إظهار التقوى اللائقة تجاه الحكام الأقوياء في مدينته. في محاكمته رفض أن يُغيّر طرائقه، مُعلنًا أنه «طالما أنا على قيد الحياة، لن أتخلّى عن الفلسفة[11] أو أتوقّف عن تحذيركم والإشارة إلى الحقيقة لأيّ واحد منكم أقابله، قائلًا بطريقتي المعتادة: 'أنتَ رجل ممتاز إلى

أقصى حد، أنتَ مواطن أثينا، أعظم المدن وأشهرها في الحكمة والسلطة، ألا تخجل من كونكَ تهتم بحيازة الثروة وتهتم بالسمعة والشرف، حين لا تهتمّ ولا تفكر بالحكمة والحقيقة وكمال روحك؟'». وبحسب سقراط كانت أسئلته المتلاحقة «هي ما يحتاج إليه الحاكم القويّ، وأنا أعتقد بأن لا شيءَ حدث لهذه المدينة أفضل من حماستي في تنفيذ هذا الأمر». قارن نفسه بشخص مُزعج أُرسِل كي يُربِك سكان أثينا من أجل منفعتهم: «أمضي هنا وهناك أُوقظُ، وأحث وأوبّخ كلّ واحد منكم، باستمرار أجدكم مصادفةً في كلّ مكان طوال ساعات اليوم... لكنكم، غالب الظن، قد تكونون غاضبين، مثل أشخاص أوقظوا من قيلولة، وربما يصفعونني على وجهي، وببساطة يقتلونني؛ ومن ثم تقضون بقية حيواتكم في سبات، ما لم يرسل الله، في عنايته بكم، شخصًا آخر كي يلدغكم». بعد أن سمعت هيئة محلّفين كبيرة مؤلفة من مواطنين أثينيين دفاع سقراط، حكمت عليه بعقوبة الموت.

قبل عامين، بينما كان مخطوبًا إلى ريجينه، كتب كيركغارد بحثَ تخرّجه في «مفهوم السخرية مع إشارة مستمرة إلى سقراط». السخرية هي أسلوب تواصل غير مباشر مميَّز، يطرح أسئلة سرّية ويُعبّر عما لا يُمكن قوله بصورة مباشرة. أيّ كلام ساخر يشكك في نفسه[12] من خلال نقل شيء ما إلى وراء ما يقوله حرفيًا، من مثل أن نقول شيئًا ساذجًا أو أحمق بنحو متعمّد كي نُظهِر أنكَ على علم. كان سقراط أستاذ السخرية، وجعل منها أسلوبًا فلسفيًا، وحتى طريقة حياة. وجّه أسئلة قادت طلابه إلى أن يعرفوا أنهم يعيشون كالسجناء في كهف - مُتحجّرين بواسطة ظلال وهمية، تُطوّقهم أسوار عالية داكنة من خلالها ربما يتمكّنون من تحرير أنفسهم. سخرية سقراط غيّرت علاقتهم بهذا العالَم، عالَمَ الأوهام الضيّق، القائم بذاته.

يتحرّك كيركغارد في الأوساط الفكرية، وبات شيئًا مُسايرًا للموضة أن يتكلّم المرء عن السخرية. إنه خيارٌ ذكي بالنسبة لموضوع أطروحة في العام 1840،

ويُعطيه فرصة كي يقتبس من فيخته وهيغل، أن يناقش رواية «لوسينده»(*) لفريدريش ڤون شليغل(**) أن ينتقد الشعراء الألمان الحديثين. كانت السخرية في قلب رؤية شليغل لـ«الأدب الرومانسي»: السخرية الرومانسية، شرح قائلًا: «تستقصي كلّ شيء وترتفع بشكل لا نهائي فوق[13] كلّ التحديدات، وحتى فوق فنها، فضيلتها أو عبقريتها». الشعر الجديد لن يمثل واقعًا مستقرًا، بل يجدّد كلّ شيء - والشاعر سوف يأتي بنفسه إلى الوجود بالإضافة إلى أعماله.

في أطروحته ناقش كيركغارد أنّ هذه السخرية الحديثة ليس لها مُرتكز. نحن نعلو فوق العالَم، نسأل عن معناه، نكشف احتماله - لماذا؟ أصبحت السخرية مسألة صَرعة: شكلًا أدبيًا، حالةً متحذلقة، موقفًا متمرّدًا. ربما تبدو أنها تحتوي على الصدق؛ ربما يتطلّب الأمرُ الشجاعة كي تتخلّى عن الإيمان الساذج بالأهداف والقيم التي تعزوها ثقافتكَ إلى العالَم. إلا أنّ هذه السخرية تفرّغ كل شيء: إنها تُفرّغ (أو تنزح) النبلَ من الواقع، تنزحُ الفضيلةَ من الشجاعة، إلى أن لن يعود هنالك أيّ سبب كي يكون المرء صادقًا أو جريئًا.

سخرية سقراط لم تكن هكذا، لأنّ خداعه خداع جاد إلى حدّ كبير. في حين أنّ السخرية الحديثة، الرومانسية تبتهج في جعل المعنى كلّه غير مستقر. سقراط يُزعزع الآراء والقيَم كي يقبض عليها ثانيةً بمزيد من الثبات. كان يُشكك في ثقافته ليس انطلاقًا من العَدَمية أو الكلبية أو الذكاء حصرًا، بل انطلاقًا من تكريس عميق، جاد لـ«شيء أرقى». لم يكن بوسعه أن يقول ما هذا الشيء، لأنه غير موجود حتى الآن في عالَمه. مع ذلك كان يتوق إليه، يسعى وراءه بلا رحمة، يجعل بحثه عنه يجدّدُ حياتَه كلّها وحتى يأخذه إلى حتفه. لمّا مارس سقراط السخرية، كان يمجّد إلهه. وشأنه شأن الأشخاص الآخرين في أثينا، مضى

(*) لوسينده Lucinde: رواية للكاتب والشاعر الألماني فريدريش ڤون شليغل، كلمة «لوسينده» ذات أصل لاتيني، تعني «ضوء»، وهو اسم يُطلق على الأنثى. وهو تنويع على اسم «لوسيا».

(**) فريدريش ڤون شليغل Friedrich von Schlegel (1772 - 1829): كاتب وشاعر ألماني.

سقراط إلى المعبد وقدّم الأضاحي - إلا أنه فعل هذه الأشياء بصورة مختلفة: من دون يقين، من دون حتى إيمان وأمل، إنما ببساطة انطلاقًا من التَّوق، في روح ارتيابها أبدي.

لئن كان سقراط أستاذ السخرية، فكيركغارد هو المبتدئ الذي بمنزلة تلميذه. في أطروحته كتب قائلًا: «لا يُمكن أن تكون هنالك حياة إنسانية أصيلة من دون سخرية»[14] - لأنّ كلّ روح بشرية تتوق بقلق إلى الحقيقة، تشتاق إلى معرفة مصدر حياتها، وتشعر بهذا الشوق باعتباره أعمق احتياجاتها، وفرحتها، ووجعها. الآن تَلمذتُه انتهت، وقد آن الأوان بالنسبة له كي يُصبح هو نفسه «إنسانًا أصيلًا» - كي يطرح أسئلته الخاصة في عالمه هو، كي يمجّد إلهه. قبل بضعة أعوام خلت، لمّا كان يتخبّط وغير متيقّن ماذا يفعل بحياته، كان يود أن يجد «نقطة أرخميدسيّة»(*)، حيث يستطيع أن يقف فيها ويُحرّك العالَم، «فكرةً بوسعي أن أعيش وأموت من أجلها». بالطبع، كان سخيفًا أن يعتقد بأن تنقذه فكرةٌ ما. إلا أنه الآن اكتشف شيئًا يعيش من أجله -وشيئًا يكتب عنه- ويغدو في الواقع مركز الجاذبية العائد له، يُثبت حياته وعمله. إنها ليست فكرة، بل قضية، إثارة، بأسلوب سقراطي حقيقي: *كيف يُمكنني أن أكون إنسانًا في العالَم؟*

هذا السؤال، بسيط وغريب في آن، يواجُهه باستمرار، وسوف يشغل باله طوال بقية حياته. إنه ينتظره في كلّ كتاب ينشره، في كلّ قرار يتخذه، في كلّ لقاء غير متوقّع في شوارع كوبنهاغن. إنه ما تعنيه ريجينه بالنسبة له - ما لا تزال تعنيه له الآن. بطبيعة الحال، إنه يكرّر تساؤل سقراط المتعلّق بـ«أن يكون إنسانًا»، أو تعلّم ماذا يعني «أن يكون إنسانًا»، مع ذلك، إنه يتابع أيضًا تاريخًا طويلًا من المفكّرين المسيحيين الذي ارتابوا في العالَم، سألوا ما إذا كانت حياتنا في هذا العالَم تساعد أم تعيق البحث عن الله.

(*) نقطة أرخميدسيّة Archimedan point: وجهة نظر افتراضية يُمكن من خلالها إدراك حقائق موضوعية معينة، أو بمعنى آخر نقطة بداية مُعوّل عليها قد يستطيع المرء بالتفكير أو الجدال بدءًا منها.

سؤال كيركغارد المتّصل بكيفية أن يكون المرء إنسانًا في العالَم هو سؤال مُقلِق - ألسنا كلّنا بشرًا، سواء شئنا أم أبينا، ويقينًا لا نملك سوى أن نكون في العالَم؟ إن السؤال المتعلّق بكيفية عمل شيء كنا نعتقد أننا نفعله أصلًا يجعله سؤالًا مُريبًا لأول وهلة، ويُؤجّج الرغبة في معرفته. وأن تكون إنسانًا في العالَم هو الشيء الأساسي جدًا، الكونيّ جدًا الذي نفعله؛ أن يسأل هذا السؤال يعني أن يسأل الوجود نفسه، أن يقحم الشك، عدم الاستقرار، معنىً يتعذّر التعبير عنه بالكلام للنقص والتعجب في كلّ إيماءة من الإيماءات، في كلّ فعل من الأفعال - *هل يعرف أيّ شخص ماذا يعني أن يكون إنسانًا، ماذا يعني أن يكون في العالَم*؟ مع أنّ السؤال لا يدّعي، لا يقترح فرضيةً ما، بوسعه (أي السؤال) أن ينقل كلّ شيء.



«مرفأ كوبنهاغن في ضوء القمر»، 1846

سؤال الوجود هذا هو سؤالٌ خالد، جاهز لأن ينطلق في أيّ لحظة، إلا أنه أيضًا يتغير باستمرار. كلّ مرة يُسأل فيها، يتعلّق بشخص مُحدّد في لحظة مُحدّدة من حياته، في زمان ومكان مُحدَّدين. كيركغارد لا يُقيم في العالَم الذي أقام فيه سقراط، مع أنّ كوبنهاغن، على غرار أثينا، لديها ميناء، وسوق، وبنايات مُكرّسة للعبادة. إنه يسكن في عالَم مسيحي، وهو عالَم كوّنته ثمانية عشر قرنًا من «العقيدة المسيحية»: على خلاف الطوائف المتنوّعة لليونان الغابرة، دينُها هو دين زُهدي، يمتاز بالتضحية بالذات من أجل الآخرين، وذو علاقة بالكتاب

المقدّس - نوعٌ من حياة أعاد تشكيلها مارتن لوثر قبل ثلاثة قرون خلت. في الدنمارك الكنائس لوثرية، العهدان القديم والجديد لوثريان، المدارس لوثرية. لوثر لم يكن يثق بالفلاسفة، لكن الآن حتى الفلسفة لوثرية.

كيركغارد متضارب بشدّة تجاه «العقيدة المسيحية»، وهو ينشر مصطلح «العالَم المسيحي» باستخفاف. هذه الكلمة عتيقة الطراز باتت صفته للتضليل الحديث، الذي يشبه الكهف الذي وصفه سقراط في كتاب *الجمهورية* لأرسطو. ذلك أنّ السواد الأعظم من معاصريه، أن يكون المرء فردًا في هذا العالَم يعني أن يكون مسيحيًا في «العالَم المسيحي»: إنهم يحسبون أنفسهم مسيحيين طالما أنهم يحسبون أنفسهم بشرًا، من دون أن يفكّروا في هذا الموضوع البتة. إنهم لا يعرفون أنه كي يُصبح المرء مسيحيًا هي مسؤولية - مسؤولية طوال عُمر كامل! - على غرار أن يكون المرء إنسانًا، كما اكتشف سقراط، هي مسؤولية تستغرق عمرًا بأكمله. لقد نسوا الكفاح الروحي للوثر، كفاح القديس أوغسطين، كفاح يسوع المسيح نفسه. في نهاية القرن الرابع، بدأ القديس أوغسطين كتابه *اعترافات* مع صلاة تتعلّق بالبحث عن الله: «قلوبنا، إلهي، قلِقة إلى أن تجد راحتها فيك». لوثر، الذي أمضى سنوات طويلة بوصفه راهبًا أوغسطينيًا قبل أن ينفصل عن «الكنيسة الرومانية»، بدأ يؤمن في أن يكون «شيئًا حيًّا، قلِقًا»[15]، مع أنّ الديانة اللوثرية الآن لم تعد قوة مُخلّة بالنظام بل كنيسة مستقرة، راسخة، حاجتُها الملحّة الأصلية استوطنت رضًا هادئًا عن النفس، أو حتى عدم اكتراث. شخصٌ مُزعج سقراطي مطلوب كي يهيّج ويُثير أفئدة «المسيحيين الدنماركيين»، كي يجعلهم قلِقين مرةً أخرى - كي يوقِظ حاجتهم إلى الله. أسئلة كيركغارد سوف تطنّ هنا وهناك بإلحاح: أين يُمكننا أن نجد «العقيدة المسيحية» في «العالَم المسيحي»؟ هل يوجد هنالك مسيحيون في الكنائس؟ في اجتماعات الأخوان المورافيين؟(*) في كلية «اللاهوت» بـجامعة كوبنهاغن؟

(*) المورافيون Moravians: أقدم طائفة بروتستانتية. يعود هذا الاسم إلى أتباعها الذين يتحدّرون من «مورافيا»، جنوب شرقي جمهورية التشيك.

كيركغارد يرى أيضًا أن الرضا الذاتي للعالَم المسيحي الدنماركي هو، مثل راحة مركبة الدرجة الأولى، استرخاء ظاهري التناقض. إنه يعتقد بأنّ المسيحية -طقوسها، مفاهيمها، مُثُلها العليا- أصبحت عادية جدًا، تؤخذ بوصفها مُسلّمًا بها بشكل تام، وأنه من المحتمل أن تختفي حالًا تحت الأفق. من الناحية الثانية، العالَم يتغيّر بنحو أسرع من أيّ وقت مضى. سكك الحديد هذه هي مجرّد جزء واحد منه، إلا أنّ الحركة العجيبة للحقول، الأشجار، المزارع وأبراج الكنائس التي تمرّ مسرعةً عبر شبابيك القطار تُعلن اندفاع عصره في المستقبل. طريقة الحياة التي عَرِفها أبواه تصل إلى نهايتها، اقتصاد الدنمارك كان في أزمة؛ ثمة ثورة سياسية في طريقها لأن تحدث. كافة الأشخاص في الجامعة يتحدّثون في التاريخ، التقدّم، التدهور، مُنظّرين كيف أنّ القديم يفسح الطريق للجديد. كيركغارد لم يكن الشخص الوحيد في كوبنهاغن الذي لديه إحساسٌ بأنه عالقٌ بين عصرين.

الفصل الثاني

«ريجينتي!»

لو أنه يجلس ووجهه إلى الخلف ويسحب الستارة الصغيرة من النافذة، فسيرى الأميال المقطوعة تتراجع، يراقبُ رحلته وهي تتجلّى للعيان تدريجيًا. لا يستطيع أن يرى أين يمضي القطار: فهو يرى المنظر الطبيعي أمامه فقط عندما يمر أمامه. توصّل إلى الاعتقاد بأنّ الحياة ذاتها على هذا النحو. لدينا بعض المعرفة في ما يتصل بالماضي، لكننا لا نعرف شيئًا عن المستقبل – وفي ما يتعلّق بالحاضر، إنه يتحرّك باستمرار، يتملّص دائمًا من قبضتنا. «إنه شيء صحيح بكلّ معنى الكلمة ما تقوله الفلسفة[1]، إنّ الحياة يجب أن تُفهَم إلى الوراء. إلا أن المرء ينسى المبدأ الآخر: أنه ينبغي أن *تُعاش إلى الأمام*. هذا المبدأ، كلّما يُمعن فيه المرء أكثر، ينتهي على وجه الدقّة بحياة مؤقتة من دون أن يكون قادرًا على فهمها كما ينبغي، على وجه الدقّة، لأنني لا أستطيع في أية لحظة أن أجد راحةً تامّة كي أتخذ الوضع: إلى الوراء».

إنه يضع خاتم الخطوبة الذي أعطاه إلى ريجينه أولسِن في العام 1840. بعد أن أعادته إليه جدّده، جاعلًا الألماسات على شكل صليب صغير، والآن الخاتم يُعبّر عما تُكافح وتنبسطُ من أجله كلماتُه: مفارقة أن يبقى صادقًا مع حبه. غير كيركغارد رأيه وخان وعده، إلا أنّ حبه لريجينه محفوظ في هذا الرمز، رمز حبٍ أبديّ يشمل كلّ ضروب الحب الناقصة، والمحدودة، ويَعدُ بأن يجعلها كاملة. هذا الخاتم المصاغ نتيجة أزمة هو ذكرى آماله وأخطائه؛ لن يَدعه ينسى دموع خطيبته؛ إنه يجسّد تغيّر قلبه. مهما يكن من أمر إنه شعار قلبٍ وحيدٍ كرّس نفسه، أولًا لمستقبلٍ مشكوكٍ فيه، ومن ثم لمستقبلٍ آخر – لحياة مع ريجينه، وبعدها لحياة من دونها.

يتمدّد ماضي كيركغارد أمامه وهو ينظر إلى الوراء من هذا الموقع الغريب للحركة الصاخبة والسكون، خارج الزمن بنحو غريب. وعلى غرار مستقبله، إنه ينتظره دائمًا. من هذه المسافة تظهر للعيان قصة خطوبته من ريجينه كاملةً: بدايتُها المرتبكة، أَجلُها القلِق، نهايتُها المشحونة، نتيجتُها المُهينة.



خاتم كيركغارد

منذ البداية، كانت هذه العلاقة مشحونة بضروب القلق في ما يتصل بعلاقته مع العالَم: هل يتعيّن عليه أن يضع نفسه بعيدًا عن العالَم كالناسك أو الراهب، أم يغطس فيه - يسعى وراء النجاح، الثروة، النساء؛ يُطالب بأرض صُلبة لمهنة، ومنزل، وأسرة؟ ربما الآن بات الأمر أوضح أنّ صوغ طريقة للعيش في العالَم هي القضية التي تقع في صُلب فلسفته وحياته. بالنسبة لكيركغارد، هذه القضية ليست ببساطة قضية فكرية أو براغماتية: إنها على الدوام مهمة روحية، لا تنفصل عن قضية كيف يعيش ما يتعلّق بالله. كان لديه أصلًا شعور بهذا الأمر لمّا قابل ريجينه أولَ مرة، قبل ستة أعوام، في منزل صديقه بيتر روردام. بيتر، زميله الذي درسَ معه اللاهوت، كانت له ثلاث شقيقات جميلات؛ كان كيركغارد يحب بوليت، وقد زار الأسرة وفي باله أن يراها. ولمّا يتّقد حواره ويشعّ ذكاؤه، يكون باستطاعته أن يشعر بقدرته على أسر شقيقات روردام وصديقتهنّ الشابة ريجينه

أولسِن. في ذلك اليوم تحديدًا فكّر في تحذير يسوع المسيح، في إنجيل مرقس، بخصوص مسألة ماذا ينفع المرء إذا ما كسِبَ العالَم وخسِرَ نفسَه. تلك الليلة كتب الشعر في دفتر يومياته. رأى نفسه «عائدًا إلى العالَم» بعد أن «خُلِع عن العرش» في «مملكته الداخلية»: بدا ذلك أشبه بنوع معيّن من السقوط، مع أنه سواء أكان سقوطًا من النعمة أم من كبريائه لم تكن معرفة ذلك بالشيء السهل. هل إنّ انسحابه من العالَم هو غوايةٌ من المفترض أن تُقاوَم، أم إنه مَثَلٌ أعلى من المفترَض أن يكافحَ من أجله؟ كان ذلك في مايو 1837، بعد عيد ميلاده الرابع والعشرين مباشرة. كانت ريجينه فتاة يافعة لم تبلغ ربيعها السادس عشر، ولم يتم تثبيت تعميدها بعدُ.



ريجينه أولسِن في 1840

في وقتٍ لاحق من ذلك العام سجّل في يومياته أنه على الرغم من صحّته الهشة -كان يعاني من مشكلات في الهضم ويكابد أوجاعًا في المعدة، بالإضافة إلى الكآبة والوسواس- كان «قد تمكّن من الوصول إلى ر--»[2]. الوحدة، والقلق بخصوص رأي الناس فيه، وخيبة أمله من نفسه، سفحها على الورق. «إلهي، لماذا يجب أن تستيقظ هذه الأحاسيس الآن تحديدًا[3]. يا للوحدة التي أحسّ بها! أوه، اللعنة على ذلك الرضا المتعجّرف عن الذات المتعلّق بأن يقف المرء مستقلًا من دون أن يعتمد على الآخرين -الآن الجميع يحتقرونني - آه، لكن، يا إلهي لا تدعني وشأني - دعني أعيش وأحسّن نفسي!». منذ ذلك الحين كان يحسّ عادةً بهذا التوتّر في داخله، هذا التأرجح، في ما يتصل بعلاقته بريجينه. وحتى الآن، بعد مضي ستة أعوام، حين يبدو أن كلّ شيء تم تقريره، قلبه مُعلّق، من دون حلّ. لا يزال يمتلك هذه الرغبات المتضاربة، هذه الأمنية المستحيلة نفسها. لا يزال يبدو مهمًا أن يكون مُخلصًا لها.

بعد لقائه الأول ذاك في منزل بيتر روردام، مرّت ثلاثة أعوام قبل أن يطلب كيركغارد من ريجينه أن تتزوج منه. في ذلك الوقت توفّى والده، وفي الختام أنهى دراسة البكالوريوس في اللاهوت. كان يهمّ في البدء ببحثه في الماجستير، ووصل إلى معنى أوضح لمشروع فلسفي جديد. في العقود الأخيرة دفع كانط، وشيلنغ، وهيغل العقلانية إلى حدودها؛ أصبح التفكير النظري وكأنه غير قادر على أن يذهب أبعد من ذلك. مع ذلك هذه الحدود أثارت اهتمام كيركغارد. أين صادف حدود الفهم في داخل نفسه، وإلى أين يستطيع أن يمضي من هناك؟ كان قد تعلّم من أفلاطون أنّ البشر يبحثون عن الحقيقة لأنهم لا يمتلكونها حتى الآن؛ لكن إذا كانت تنقصهم المعرفة، كيف يعرفون كيف يجدونها؟

حين سُئل سقراط هذا السؤال[4] -كيف نستطيع أن نتعلّم أيّ شيء على الإطلاق؟ شرح قائلًا: إن كلّ فرد له روحٌ خالدة، تعرف حقائق خالدة. ولمّا تدخل الروح الجسم تنسى معرفتها، وتحتاج إلى أن تُعلَّم أن تتذكّرها. كوننا منفصلين عن الحقيقة، يتعيّن علينا أن نقضي سنواتنا في العالَم نبحث عميقًا في داخل ذواتنا كي نكتشف ثانيةً ما فقدناه. فكّر كيركغارد في هذه الفكرة إبّان

صيف 1840، قبل أن يطلب يد ريجينه بمدة ليست طويلة. في يوليو ذاك، كتب في يومياته أنّ مبدأ أفلاطون المتعلّق بالتذكّر هو مبدأ «جميل بقدر ما هو عميق وصحيح» - لأنه «كم سيكون شيئًا حزينًا لو أنّ البشر لا يستطيعون أن يجدوا الطمأنينة إلا في ما يوجد خارج ذواتهم»[5]. في الواقع مُدن العالَم المسيحي تحركت ونشطت في جهودٍ لجمع معرفة العالَم بواسطة التجربة العلمية، البحث التاريخي وإعداد التقارير الأخبارية، لكن هل كانت هذه التحرّيات متنافرة النغمات تُغطي على الأصوات الأهدأ، الأعمق الداعية إلى فهم الذات، إلى السلام الداخلي؟

رؤية أفلاطون المُتعلّقة بالأرواح التي تستذكر معرفتها الضائعة أفضت إلى أسئلة تتعلّق بالكيفية التي يحدث فيها هذا التذكّر: أيّ نوع من التعليم يُقرّب الشبيبة من الحقيقة؟ مع أنّ فلسفة هيغل -بكل الجلبة التي أحدثتها في الدنمارك بالإضافة إلى ألمانيا- كانت تطمح أيضًا إلى أن تكشف النقاب وتوضّح حقيقةً كامنة أصلًا، إلا أن كيركغارد وجد طرائقها نظريةً للغاية، أهدافها دنيوية للغاية: الهيغليون كانوا يطمحون إلى معرفة موسوعية بالتاريخ الكوني، بالعلوم الطبيعية، بالثقافات الإنسانية المختلفة. كانت فلسفة أفلاطون «ورعة أكثر»، «وحتى صوفيّة نوعًا ما»، وأدت إلى نشوء «هجوم جدلي عنيف على العالَم». كانت تسعى إلى «تخفيف معرفة العالَم الخارجي من أجل أن تؤدّي إلى السكون الذي تُصبح فيه هذه الاستذكارات مسموعة».

لذا من المحتمل أن نجد الحقيقة من خلال الانسحاب من العالَم. فكّر كيركغارد في مسألة البحث عن سكون الدير؛ الرهبنة الفرنسيسكانية في الدنمارك أُذيبت على يد الإصلاحيين في العام 1530، إلا أنه كان بوسعه في الأقل أن يتخلّى عن الثرثرة العقيمة للجامعة، التي بدت بالنسبة له مجرّد أسلوب آخر للقيل والقال الآتي من السوق، هي فقط مُضلّلة أكثر في تطلّعاتها المتغطرسة. هل كانت جهوده الفلسفية أيّ شيء أكثر من كونها عرضًا للإنجاز الفكري سعيًا وراء المنزلة الدنيوية والإطراء؟ هل كانت تلك المكاسب في العالَم تعني خسائر في روحه، كما يُشير إليه الشعر في «إنجيل مرقس»؟

إنّ الطموح الأكاديمي هو مجرّد طريقة في الإمساك بما يجب أن يُقدّمه العالَم. في ذلك الحين كان كيركغارد مهووسًا بـدون جيوڤاني لموزارت [6]: شاهد هذه الأوبرا وهي تؤدَّى على المسرح مرارًا، ودون جوان، الغاوي الرائع، استحوذ على خياله. كتب في دفتر يومياته أن الأوبرا «قبضت عليّ بقوة وبطريقة شيطانية، بحيث لا يُمكنني أن أنساها ثانيةً - هذه المسرحية بالذات هي التي أخرجتني من الليل الهادئ في الدير». لو كان يرغب في العودة إلى السكون والعزلة بعد هذه الإغراءات كلّها -النجاح، الموسيقى، الحب- سيكون من الصعب أن يفعل هذا.

لكن في تدوين آخر في يومياته يعود إلى يوليو 1840، وضع تخطيطًا لفكرة مناقضة، أنّ البشر لا يصلون إلى إنجازهم من خلال ترك العالم وراءهم. ماذا لو وجدنا أنفسنا في ما يتعلّق بالله وفي ما يتعلّق بالعالَم في وقت واحد، في الحركة نفسها؟ هنا كيركغارد جرّب الفكرة القائلة إن الظروف الدنيوية، التي جمعها في كلمة «محدودية»، هي قوام الحياة الدينية: «أصبح واعيًا بشرعيتي الأبدية، وضرورتي المقدّسة، وفي محدوديتي المُمكنة (إني هذا الكيان الخاصّ، المولود في هذا البلد، في هذا الزمن، تحت التأثير متعدّد الجوانب لكلّ هذه البيئات المتغيّرة)». إنّ «الحياة الحقيقية» للإنسان[7]، اقترح قائلًا، هي «تمجيد» للمحدودية. هذا الإنجاز هو تسامٍ روحي، إلا أنه «لا يعني التسلّل من المحدودية كي يُصبح مُتبخّرًا في طريقه إلى السماء، بل يعني بالأحرى أنّ المقدّس يسكن المحدود ويجد طريقه فيه».

هذا الوصف للحياة الروحية هي طريقة واحدة لتفسير التعاليم المسيحية المتعلّقة بمسألة كيف يستطيع البشر أن يتحرّكوا نحو حقيقة أبدية. بينما وجد كيركغارد في فلسفة أفلاطون «هجومًا جدليًا عنيفًا على العالَم»، الكتب المقدّسة المسيحية علّمته أنّ الحقيقة المقدّسة يُمكن أن تتجسّد في داخل العالَم، في جَسم بشري. وفقًا لـ«العهد الجديد»، يسوع هو المسيح، «ابن» الله، الذي كشف القدرة العميقة، المُبهَمة لـ«أبيه» من خلال «الإقامة في المحدودية»، السكن في العالَم.

مع ذلك ورث كيركغارد تقليدًا دينيًا متناقضًا بشدة تجاه العالَم. جودة خلق الله هي مبدأ جوهري في العقيدة المسيحية: «سِفر التكوين» يصف كيف صنع الله العالَم، ورأى أنه جيد؛ «العهد الجديد» يُعلِن «الأخبار السارّة» بأنّ «كلمة الله» أصبحت جسمًا؛ الكنيسة الكاثوليكية غرست إيمانًا في المقدّسات المادية - الخبز والنبيذ، الجسم والدم - كونها ناقلة للنعمة الإلهية؛ لوثر جلب الروحانية إلى الحياة الاعتيادية بشهوانيته الدنيوية وإصلاحاته التي سمحت للرهبان أن يتزوّجوا. بالإضافة إلى هذه الرؤية الإيجابية للحياة المتجسِّدة أصرّ على نفحة أفلاطونية، رُسّخت باللاهوت المسيحي من قبل أوغسطين، الذي دمجه مع مبدأ القديس بولس المتعلّق بالخطيئة، للتأكيد على سقوط العالَم. وفقًا لأوغسطين، البشر عالقون في زمن كئيب، مُزعج بين المجد الأول للخلق والأضواء الساطعة للفداء النهائي. نحن ندور وننعطف في هذه الظلال، نميل نحو الشرّ حتى ونحن نتوق بنحو غامض إلى أرقى الأشياء الجيدة.

هذه الازدواجية «أو التناقض» ليست فقط ازدواجية نظرية، بل هي ازدواجيةٌ وجودية: إنها مسألة تتعلّق بكيف نعيش، ماذا نفعل، مَن نكون. كان يتعيّن على كيركغارد أن يكبر في نطاق عالَم - وفي نطاق جسم - شكّلته ولوّنته التفسيرات المتضاربة. إذا كان اللاهوت المسيحي المتعلّق بالتجسيد قد أظهر أنّ الجانبين الروحي والمادي للحياة ينتميان إلى بعضهما، كيف يتعيّن عليه أن يضع هذا موضع التطبيق؟ كيف، على سبيل المثال، يستطيع هو أن يُخبرنا بالاختلاف بين أشواق الغواية والنداء الباطني؟ قد يكون قادرًا على اتخاذ هذا القرار بأثر رجعي، مع فائدة الإدراك المتأخر - لكن ماذا يتعيّن عليه أن يفعل حين يشعر بأنّ رغباته تدعوه، وينبغي له أن يختار أيًّا منها التي يتبعها؟ على أية حال، مع أنّ الحياة ربما تُفهم إلى الوراء، يجب أن تُعاش إلى الأمام.

خلال هذه التأمّلات خفق السؤال الآتي، *كيف يستطيع المرء أن يكون إنسانًا في العالَم*؟ الجانبان الشخصيّ والفلسفيّ من هذا السؤال أصبحا مجدولين ومُتشابكَيْن. أين ينسجم حب شخص آخر صادفته هي في محدوديتها، مع هذه الحركات في داخل العالَم وخارجه، ذهابًا وإيابًا بين عُزلة الدير وثرثرة النقاشات

الأكاديمية أو الصالونات الأدبية؟ هل ينتمي الحب الرومانسي للروح، أم ينتمي للعالَم؟ لئن كانت الحقيقة الإلهية تسكن العالَم المتقلّب للظروف الإنسانية، إذًا من الجائز أن تكون هذه معضلةً كاذبة - لأنه من الجائز أنّ الروح بوسعها أن تجد الحب الحقيقي بالإضافة إلى المعرفة الحقيقية في نطاق وجودها المحدود، المُتجسِّد. إذًا الحياة الدنيوية لا تحتاج لأن تكون غير روحية: ربما الروح لا تضيّع نفسها في العالَم، بل تجد نفسها هناك.

هل إنّ الزواج من ريجينه هو طريقة بالنسبة لكيركغارد كي يُدرك هذا المَثَل الأعلى الديني - أن يعيشه فعلًا؟ ربما بدا الأمر كذلك، في أواخر صيف 1840، عندما «اقترب منها أكثر». كان قد اجتاز امتحاناته الجامعية، سافر خارجًا إلى الساحل الغربي من «يوتلاند»[8] كي يزور القرية التي ترعرع فيها أبوه، ثم عاد إلى كوبنهاغن في أغسطس. بعد بضعة أسابيع طلب يد ريجينه للزواج، مُمزَقًا بين العاطفة المُتقطعة، غير المنتظَمة، والانعزال الخجول.

في 8 سبتمبر غادرتُ المنزل(9) بعزم ثابت على تسوية كلّ شيء. تقابلنا في الشارع خارج منزلهم تحديدًا. قالت إنه لا يوجد أحد في المنزل. كنتُ متعجّلًا بما يكفي كي أعتبر هذا بمثابة الدعوة التي كنتُ أحتاجها. دخلتُ المنزل معها. وقفنا هناك، نحن الاثنين وحدنا في حجرة المعيشة. كانت مرتبكة قليلًا. طلبتُ منها أن تعزف لي شيئًا ما كما كانت تفعل دائمًا. فعلت ذلك إلا أنني لم أتمكّن من أن أقول أيّ شيء. ثم، بغتةً، أمسكتُ بالمُدوّنة الموسيقية وأغلقتها، ليس من دون حماسة معينة، رميتُها على البيانو وبادرتُ قائلًا: «أوه، ما أبالي به ليس الموسيقى، أنا أُريدكِ أنتِ، كنتُ أُريدك على مدى عامين». ظلّت صامتة. وكما يحدث دائمًا، لم أتّخذ أيّ خطوات كي أُقنعها، وحتى إني حذّرتُها مني، من كآبتي. وحين ذكرت علاقة مع شليغل، قلتُ: «لتكن تلك العلاقة جملة اعتراضية لأنّ لديّ أسبقية أولى». ظلت صامتة في أكثر الأحيان. وفي النهاية غادرتُ لأني كنتُ قلقًا من احتمال أن يأتي

أحد ويرانا نحن الاثنين، وهي مرتبكة غاية الارتباك. مضيتُ مباشرةً إلى أبيها. كنتُ خائفًا بشدة من كوني أتيتُ مندفعًا بقوة، وكذلك من أنّ زيارتي قد تُفضي إلى سوء فهم، وحتى قد أُضرَّ بسمعتِها. لم يقل والدها نعم ولا لا، إلا أنه من السهل رؤية أنه كان ميالًا بما يكفي. طلبتُ موعدًا وحصلتُ عليه في ما بعد ظهر العاشر من الشهر نفسه. لم أتفوّه بكلمة واحدة كي أقنعها - قالت نعم.

إلا أنّ «نعم» ريجينه لم تُبدّد شكوك كيركغارد الروحية. في حقيقة الأمر، بدت كأنها فاقمتها. بعد بضعة أيام لا غير تقابلا مصادفة في الشارع، ولم تتعرّف ريجينه إلى خطيبها في أول الأمر: كان قد أُصيب بـ«كآبة» عميقة جدًا بحيث إنّ مظهره تغيّر تغيرًا تامًا. ولمّا كانا يمضيان الوقت معًا بعد خطوبتهما كان يبكي في كثير من الأحيان، «كان يحسّ بغضب مشوب بالحزن[10] واتهام الذات». كان والد ريجينه يعاني من الكآبة، لذا فإن حالة كيركغارد كانت مألوفة بالنسبة لها. كانت تأمل أن تساعده في التغلّب عليها؛ فتستمع إليه فيما هو يصف حزنه على رحيل والده، «الذي كان يُحبه حبًا جمًّا»[11]، وشقاؤه لأنه لم يكن الابن البارّ.

مع ذلك كآبة كيركغارد كانت ممتزجة مع -ربما حتى بسبب- القلق بأنّ خطوبته كانت غلطة. ربما كان يتأمّل الحزن الفائت المتعلّق بأبيه كي يلهي نفسه، أو يُلهي ريجينه، أو كليهما، عن الحزن الذي ينتظرهما. مباشرةً بعد أن طلب يد ريجينه للزواج بدأ يكتب بحثه الأكاديمي عن سقراط والسخرية الرومانسية. صديقه إميل بويسين، الذي درس اللاهوت معه، رأى أنه بدأ يفهم بنحو أوضح «ما كان هو نفسه يُريد أن يفعله[12] وما هي قدراته».

واعيًا على الدوام كيف كان الآخرون يفهمونه، عرف كيركغارد أنّ الزواج من ريجينه سيكون أكثر من التزام بأن يُحبها، ويُشرّفها وأن يحميها. الزواج فعلٌ علنيّ يستلزم منه أن يشغِل أدوارًا اجتماعية مُحدّدة -زوج، وأب، ورب أسرة- وأن يضطلع بمهنة. كونه خريج اللاهوت، سوف يُصبح كيركغارد قسًا أو لاهوتيًا أكاديميًا: مدرِّسًا دينيًا تقليديًا، وموظفًا بأجر في «كنيسة الدولة». حياته

ستكون مفهومة -ستكون مُقاسة ومُقدّرة- بحسب طريقة راسخة في أن يكون في العالَم، صاغته تشكيلةٌ دقيقة من الواجبات، الطقوس، والآمال.

كيركغارد لم يستخف بهذه الأشياء. على العكس، تساءل ما إذا كان أهلًا لها، وكان يتخوّف من حميمية الزواج. وفيما كانت الشهور تمضي رأى نوعًا آخر من الحياة ينفتح أمامه: باستطاعته أن يُصبح كاتبًا بدلًا من أن يُصبح زوجًا. بوسعه أن يعيش على ميراثه من أبيه، يندفع وراء المَهمّة الفلسفية التي تتشكّل في داخله، يجعل الكتابة تملأ وجوده. بمستطاعه أن يقف بجلاء على حافات المجتمع، يجعل نفسه في خصام معه، يرتاب في مسلّماته، ويسمح لإحساسه الدؤوب بأن يكون دخيلًا كي يُعبّر عن نفسه «أيّ الإحساس» في العالَم. باستطاعته أن يكون سقراط «العالَم المسيحي»! ولا يستطيع أن يُخضِع ريجينه إلى عواقب هذا كلّه.

Min Regine.

رسالة من كيركغارد إلى ريجينه، من دون تاريخ، أُرسلت مع وشاح.

كانا مخطوبَيْن منذ مدة تزيد على العام بقليل. كان يرى أحدهما الآخر في كثير من الأحيان، وكانا يتبادلان الرسائل مرارًا. كان كيركغارد يبعث إلى ريجينه ملاحظات بواسطة رسول، يرتّب للقيام بزيارتها في المنزل، أو يعرض عليها أن يلتقيها بعد درس الموسيقى الذي كانت تحضره، كتب لها رسائل طويلة، رسائل شاعرية مشبوبة العاطفة، مُوجّهة دائمًا إلى «ريجينتي!» وموقّعة بـ«المخلص لك س.ك.»، أو «المخلص لك أبدًا س.ك.». عادةً كانت ترافق هذه الرسائل هدية

صغيرة: وردة، نبتة بنفسجية «رقيب الشمس (القرطاسيا)»، وشاح، منديل. ذات مرة أرسل إليها قنينة زنبق من كولونيا الوادي[13] - كان يُحبّ هذا الزنبق الأبيض الرقيق، رمز البراءة التي «تخفي نفسها بنحو حلو للغاية في داخل ورقتها الكبيرة»، وزهرة مايو، شهر ولادته. بعثت ريجينه إلى كيركغارد أزهارًا برية، مظروفًا مُزركشًا، وعلبة مزخرفة. طمأنها قائلًا: «إنه غير متعوّد على التبغ[14]، إلا أنّ هذا الصندوق بالأحرى يخدم بصفة نوع من أرشيف معبد». في عيد ميلاد ريجينه التاسع عشر، في يناير 1841، بعث إليها شمعتين ووعد بأن يزورها في وقت لاحق من ذلك اليوم بهدية عيد ميلاد جديدة.

كلّ أسبوع يقرأ كيركغارد بصوتٍ عالٍ لريجينه[15] المواعظَ الدينية للأسقف مينستر، واعظ وقس الدنمارك الأكثر تأثيرًا. كانت تحاول أن تُسعده بأن تعزف له على البيانو: «مع أنّ عزفكِ قد لا يكون مثاليًا[16] بالمعنى الفني»، كتب لها: «في هذا الشيء، مهما يكن، سوف تنجحين. ديفيد كان قادرًا على أن يتخلّص من مزاج سول الكئيب، ومع ذلك لم يسبق لي أن سمعتُ أنه فنان عظيم على نحو بارز. أتصوّر أنّ روحه الفتية، المُبتهجة، النضرة هي التي ساعدته كثيرًا جدًا، وأنتِ تمتلكين شيئًا أكثر - حبًا ما من شيء مستحيل بالنسبة له».

في واحدة من رسائله أخبر كيركغارد ريجينه أنّ حبها «أنقذه» و«حرّره»:

> أعرف أنكِ كلّما تكرّرين أنكِ مُغرمةٌ بي[17] من أعمق أعماق روحكِ، يبدو كما لو أني أسمع هذا لأول مرة، وعلى وجه الدقّة مثل إنسان يمتلك العالَم بأسره يحتاج إلى عمر كي يُلقي نظرة شاملة على بهائه، أنا أيضًا أبدو كأني أحتاج إلى عمر كي أتأمّل كلّ ثراء غرامكِ. أعرف أنه في كلّ مرة تطمئنينني بوقارٍ بأنكِ دائمًا تُحبينني بالقدْر نفسه، حين أكون سعيدًا وحين أكون حزينًا على السواء - في الغالب لمّا أكون حزينًا - لأنكِ تعرفين أنّ الحزن هو حنين مَرَضي ساحر، وأنّ كلّ شيء جيد في الإنسان هو وليدُ الحزن والحسرة - أعرف أنكِ حينها تُنقذين روحًا من «المَطهَر».

رسالةٌ أخرى إلى ريجينه كان قد استوحاها من قراءته كتاب أرسطو المعنون *الندوة*(*)، الذي وصف العشاق بكونهم يشتهون باستمرار، وبقلق، عشيقاتهم. الحب لا يقول: «أنا الآن آمن، الآن سوف أستقر»[18]، كتب كيركغارد، «بل يستمر في الركض إلى الأبد... وماذا تكون النعمة الإلهية من دون رغبة؟». اقتبس من الشاعر الرومانسي جوزيف ڤون إيشندورف(**)، رسالة بطرس للرومان، إنجيل متّى، وأنهى الرسالة بتصريح مُبالَغ فيه، مع أنه افتراضي: «إذا تجرأتُ على أن أتمنّى، إذًا أنا أعرف يقينًا ماذا أتمنّى. وتلك الأمنية مطابقة لأعمق قناعاتي: أنه ليس الموت، ولا الحياة، لا «الحكام»، لا «السلطات»، لا «الحاضر»، لا ما سيأتي، لا «الرفيع»، لا «العميق»، لا أيّ مخلوق من الجائز أن ينتزعني منكِ، أو ينتزعكِ مني».

مع ذلك كان كيركغارد ينتزع نفسه بعيدًا عن ريجينه. بحلول صيف 1841 كان قد قرّر أن يُبطل خطوبتهما؛ حاول في أغسطس، إلا أنها توّسلت إليه أن يبقى معها. وصف هذا الزمن بكونه «موجِعًا بنحو مُروِّع - أن يكون قاسيًا للغاية معها، ويُحبّها كما فعلتُ أنا». أصبحت العلاقة الغرامية ميدان معركة، وأصبح العاشقان خصمين. وفي أواخر الصيف عندما أعتمت وتحوّلت إلى خريف، غيّر كيركغارد تكتيكاته وتظاهر بعدم الاكتراث كي يدفع ريجينه لأن تُنهي الخطوبة، لكنها «قاتلت كاللبوة: لو لم أعتقد بأنّ هنالك معارضة إلهية للخطوبة كانت ستفوز». وبعدها أخبر ريجينه بشكل مباشر أنها يجب أن تقطع علاقة الخطوبة، كي يتحمّل هو الإهانة؛ «لم تكن تشعر بشيء منها، أجابت بأنها إذا كان في وسعها أن تتحمّل البقية فربما بوسعها أن تتحمّل تلك الإهانة أيضًا».

(*) الندوة Symposium: نص فلسفي بقلم أفلاطون يعود تاريخه إلى ما بين العامين 385 - 370 ق. م.، وهو يتعلّق بنشأة الحب وغايته وطبيعته، ويعبّر «بحسب التفسيرات اللاحقة» عن أصل مفهوم الحب الأفلاطوني.

(**) جوزيف ڤون إيشندورف Josef von Eichendorff (1788 - 1857): كاتب وشاعر ألماني. درس الحقوق في برلين وفيينا حيث تعرّف هناك إلى فريدريش شليغل.

ابنة أخت كيركغارد هنرييته لوند، التي كانت يومذاك في سن الثانية عشرة تقريبًا، زارت ريجينه في صيف 1841 ذاك. أحست هنرييته بـ«شعور بنذير شؤمّ»[19] حين غادرت منزل آل أولسِن: «كانت ريجينه محبوبة كشأنها دائمًا إلا أنه بدا لي أني لاحظتُ غيومًا في السماوات التي كانت سابقًا مشرقة جدًا. عندما ودّعنا كلّ واحدة منا الأخرى، تبعتني عبر الفناء خارجًا إلى ضفة «سلوتشولمن»(*)، حيث لم تكن القناة قد امتلأت بعدُ في ذلك الحين، وأتذكّر كم كنتُ مندهشة عند خروجي من الظلّ إلى الضوء الباهر، حيث كانت الشمس تعزف على اليمّ. هنا مرةً أخرى قلنا وداعًا، وعلى مدى زمن طويل بعدها كان باستطاعتي أن أشاهدها في البقعة ذاتها في أشعة الشمس الصافية ويدها على عينيها، تومئ بآخر تحية لي - كيف تيقنًا أنّ تلك التحية كانت «الأخيرة»، لم نكن نعرف ذلك وقتها. ورجعتُ إلى المنزل بشعور بشيء حزين في الجو».

في 11 أكتوبر ألغى كيركغارد أخيرًا الخطوبة. ومع ذلك كان ينبغي له أن يكافح: طلب منه والد ريجينه أن يُفكّر ثانية في الموضوع، لأنها «في حالة يأس شديد بكلّ معنى الكلمة». أحسّ كيركغارد بالتأثّر من الذل الذي توسّل به هذا الرجل المغرور، «مستشار الدولة»، إليه في سبيل ابنته، إلا أنه رفض أن يغيّر رأيه. زار ريجينه في اليوم التالي وحاول مجدّدًا أن يشرح موقفه. «أخرجت مذكرةً صغيرةً فيها شيءٌ كتبتُه أنا تعوَّدَت أن تحملَه في صدرها؛ أخرجت المذكّرة وبهدوء مزّقتها إلى قصاصات صغيرة، وانبرت قائلة: 'إذًا، على أية حال، لقد لعبتَ لعبةً رهيبة معي'»[20].

بعد بضعة أيام ذهبت هنرييته لوند مع أشقائها كي تزور الخال سورين، الذي كان يُقيم في منزل أسرة كيركغارد - منزل كبير town house من أربعة طوابق في مركز كوبنهاغن، حيث كان شقيقه پيتر كريستيان يسكن حينها مع زوجته

(*) سلوتشولمن Slotscholmen: جزيرة في ميناء كوبنهاغن. يعني اسمها «جزيرة القصر».

الجديدة. حين وصلنا نحن الأطفال من ساحة «غَميلتورڤ»(*) إلى هناك ذلك المساء، تتذكّر هنرييته:

وصل الخال سورين حالًا[21] كي يأخذنا إلى شقّته. بدا متأثّرًا كثيرًا، وبدلًا من مزاحه المعهود طبع قبلةً على شعري برقّة شديدة بحيث إني تأثّرتُ بشدّة. وبعد لحظة أراد أن يتكلّم معنا، إلا أنه بدلًا من ذلك انفجر في نوبة بكاء عنيفة، ومن دون أن يعرف فعلًا لماذا كان يبكي -على الأقل هكذا كان الحال بالنسبة لي- إنما ببساطة جرفته معاناته، وانخرطنا كلّنا بالبكاء كما لو كنا نرزح تحت عبء حزن ثقيل. استرد الخال سورين رباطة جأشه بسرعة، وأخبرنا أنه في يوم قريب سوف يغادر إلى برلين، ربما كي يمكث بعيدًا فترة من الزمن. لذا علينا أن نعده بأن نكتب إليه مرارًا، لأنه سيكون مشتاقًا لسماع كيف حال أيّ واحد أو واحدة منا. بدموع غزيرة، وعدناه أن نفعل ذلك.

إنّ قطع علاقة، كالخطوبة، سرعان ما يُصبح قضية علنية. وبالنسبة للاثنين كيركغارد وريجينه وجع الانفصال عمّقه الكبرياء الجريح. ريجينه هَوَت من عروس مُتوقّعة إلى عشيقة مرفوضة - ربما قَدَرُها أن تكون عانسًا، لأنه مَن ذا الذي يرغب بالزواج منها الآن؟ بدا كيركغارد إما نذلًا ضلّل بلا مبالاة امرأة شابة، أو أحمقَ ضعيفًا، متردّدًا، مع أنه في سن الثامنة والعشرين وحائز على شهادة الماجستير في اللاهوت، لكنه لا يزال لا يعرف وجهة نظره. «إنه قطعُ علاقة مُهين»[22]، كتب ابن شقيقته ترويلس فريدريك لوند: «لم يُحدِث فقط فضولًا وقيل وقال بل أيضًا تطلّب بشكل مطلق أنّ يتّخذ أي شخص محترم جانِبَ الطرف المتضرر... هنا في المنزل كانت القرارات القاسية يُصوّت

(*) غَميلتورڤ Gammeltorv: أهم ساحة في كوبنهاغن على مدى قرون، تعود إلى القرن الثالث عشر. معنى اسمها: «الساحة القديمة».

عليها بالإجماع ضده. حالات رفض، وغضب، وعار كانت قويةً جدًا بين تلك الأقرب إليه.

في 25 أكتوبر، بعد أسبوعين من انتهاء الخطوبة، ركب كيركغارد متن سفينة بريد بروسية إلى ميناء «كيل» الألماني وسافر من هناك إلى برلين - أرض ميعاد الفلسفة، العاصمة الفكرية لـ«العالَم المسيحي». كان هيغل يشغل «كرسي الفلسفة» في «جامعة برلين» طوال عشرينيات القرن التاسع عشر، في عِقده الأخير، والآن منافس هيغل القديم شيلنغ كان هناك، يُلقي محاضرات على جماهير من جميع أنحاء أوروبا. في تلك الزيارة الأولى مكث كيركغارد في برلين طوال خمسة شهور تقريبًا، واصل دراسته في مجال الفلسفة، داوى كرامته المحطّمة، وكتب بضع مئات الصفحات من كتابه المعنون *إما/ أو*.

رجع إلى كوبنهاغن في ربيع 1842 واستمر في الكتابة. الكتاب المكتمل هو مجموعة ضخمة من النصوص المتفاوتة - رسائل، مقالات، موعظة دينية، و«يوميات مُغوي» مطوّلة - منسوبة إلى أربعة مؤلفين مُتخيّلين في الأقل، تدور حول ثيمة الحب الرومانسي والزواج. الصوت الفاضح جدًا هو صوت المُغوِي، يوهانس، الذي يسجل بتفصيل دقيق ونثر أنيق سعيه وراء فتاة يافعة، كورديليا - ينبغي ألا نخلط بينها وبين شقيقة ريجينه كورنيليا. قصة يوهانِس تبدأ بالتبختر الموسوَس عبر شوارع وأزقة كوبنهاغن، ومن ثم يتطوّر إلى تودّد معقّد، يدوي، وينتهي بالنهاية الغامضة للعلاقة الغرامية. «في هجومي، أبدأ بالدنو منها شيئًا فشيئًا[23] كي يتحوّل هذا إلى هجوم مباشر أكثر»، يسجّل خلال المرحلة المبكرة من غوايته: «لو تعيّن عليّ أن أُظهِر هذا التغيير على خارطتي العسكرية للأسرة، سأقول: لقد أدرتُ كرسيَّ بحيث إنني الآن استدرتُ جانبيًا تجاهها. أنا متوّرط معها أكثر؛ أخاطبها، أنتزع جوابها. روحها تمتلك شغفًا، قوة، ومن دون أن تُجلَب إلى نقطة الغرابة بواسطة ذكريات تافهة وسخيفة، كانت تحتاج إلى ما هو غير اعتيادي. كانت سخريتي من سخافة الناس، هزئي من جُبنهم، من خدرهم الفاتر، قد سحرها». بعدها بقليل، يتذكّر «إنني أودّ كثيرًا أن أتدّبر الأشياء[24] بطريقة ما بحيث إنها هي نفسها التي قطعت علاقة الخطوبة... كي

تُضفي الشاعرية على تقرّبك من فتاة فهو فن؛ أما أن تضفي الشاعرية من أجل الابتعاد عنها فهي ضربةُ معلّم... أنا ثمل بالفكرة القائلة إنها تحت سلطتي. الأنوثة الخالصة، البريئة، شفافة كالبحر، ومع ذلك هي عميقةٌ جدًا، من دون فكرة تتعلّق بالحب! لكنها الآن سوف تعرف أيّ قوة فعالة هو الحب». يومياته تحتوي على رسائل أليمة من فتاة يافعة، مكتوبة بعد أن تحطّم فؤادها:

> لن أُسميكَ «يوهانِسي» بعد الآن، لأني أعرف يقينًا أنكَ لم تكن يوهانِس ذاك[25]، وقد عوقبتُ بقسوة كافية لأني فرحتُ في روحي على هذه الفكرة، ومع ذلك أُسميكَ فعلًا «مِلكي»: مُغريني، مُخادِعي، عدوّي، قاتلي، مصدر تعاستي، ضريح فرحي، هاوية شقائي. أُسمّيكَ «مِلكي»، وأسمّي نفسي «مِلكك»، ومثلما امتدحتُ أُذنكَ مرةً، كنتُ ميّالة بزهو إلى افتتاني، إذًا هل يبدو الآن مثل لعنةٍ عليكَ، لعنة طوال الأبدية كلّها... إني مِلككَ، مِلككَ، مِلككَ، لعنتكَ.

لا يزال كيركغارد يرى هذا الكتاب بوصفه، جزئيًا، استمرارًا لمحاولته في التظاهر بعدم المبالاة القاسية تجاه ريجينه، كي يُقنعها أنه من الأفضل أن تكون من دونه. لم يكن باستطاعته أن يعترف، بالطبع، أنّ سلسلتها «أيّ المحاولة» المسرحية من الأقنعة والذرائع قد جُمعت من حُطام كبريائه، وأنّ التبجح البيروني -نسبة إلى بيرون- للمُغوِي، على غرار مناقشاته الفلسفية الجريئة والحاذقة، تؤكّد على رجولته أكثر من أن تواسي ريجينه.

في فبراير1843 نشر كارل أندرياس ريتزل كتاب كيركغارد *إما/ أو*، وكارل نفسه هو الذي باع كتب بعض كتّاب كوبنهاغن البارزين جدًا – هانز كريستيان أندرسن، يوهان لودڤيغ هيبيرغ، فريدريك كريستيان سيبيرن، والمؤلف مجهول الاسم لكتاب *قصة حياة عادية*. ومع ذلك كيركغارد لم يضع نفسه وسط هؤلاء المؤلفين البارزين: ظهر كتاب *إما/ أو* في مخازن كتب ريتزل يحمل اسم مُحرّر مُتخيّل، ڤيكتور إرميتا. بدا اختيار اسم مُستعار -«الناسك الغالِب» أو «الظافر المُنعزل»- كأنه يحتفي بالعودة إلى الدير، إلا إنّ كيركغارد يبقى متناقضًا حيال

«الحركة الرهبانية» المتعلّقة بالابتعاد عن العالَم. أدرك أن الإيمان الحقيقي ليس الإخلاص للرب ببساطة، بل الإيمان بالعالَم باعتباره هدية الله. هذه الفكرة كانت قد شغلت باله في برلين في أثناء زيارته الثانية قصيرة الأمد. لو كان لديه *هذا* الإيمان - إذًا كان سيتزوج من ريجينه.

في أثناء مدة فسخ خطوبتهما، قالت في «ألمها» إنها ستشكره طوال سنوات حياتها لو أنها تمكث معه في خزانة صغيرة في منزله. في تذكّر تلك الكلمات، كانت بحوزته كابينة مرتفعة مصنوعة من خشب الورد[26] بحسب تصميمه، خالية من الرفوف، مثل تابوت عمودي. هذه الخزانة لا تحتوي، يا للسعادة، ريجينه - بل تحتوي على غيابها. في داخلها يحتفظ بعناية بـ«كل شيء يُذكّره بها»، بما فيها نسختان من *إما/ أو*، مطبوعتان بنحو خاص على الرّق «واحدة لها وواحدة لي»[27].

استُدعي من ذكرياته لمّا أفسحت الغابات الواقعة شمال بلدة «إيبرسڤالده» المجال لأرض مفتوحة: من نافذة عربته يرى فجأةً، في جهة الشرق، تاجًا من الأشواك يرتفع من أحد الحقول[28]. إنها بُركة كبيرة مُطوّقة بأشجار حادّة، ناقصة النمو، خالية من الورق. يميل إلى الأمام، تختفي في لحظة، وبعدها تلمع بحيرة في نور الشمس. والآن القطار يقلّل سرعته والقمم المعتدلة لـمدينة «أنامينده» الألمانية تأتي إلى المَشهد. كيركغارد يجب أن يُسلّم عزلته إلى الركاب الآخرين الذين ينزلون هنا، وأولئك الذين ينتظرونهم على الرصيف. مرةً أخرى هو في العالَم: يغدو من جديد هذا الشكل البشري الهزيل، المنكفئ، يعرج قليلًا فيما هو يمشي، قامته استطالت بضع بوصات بفعل الشَّعر الذي رُفع فوق جبهته. بالنسبة لأولئك الذين ينظرون عن كثب يُصبح هو ثانيةً وجهًا ذكيًّا شاحبًا، فوق كلّ تلك العيون الزرق اللافتة، «العميقة وشديدة العاطفة»[29]، تشعّ بـ«خليط من الطبيعة الحَسَنة والخُبث»[30]. يعتمر قبعته، يرفع عكازه، يمسك بحقيبته، ويواصل رحلته نحو المنزل.

الفصل الثالث

في تحدّي الفلاسفة المُزيّفين

بعد راحة وانعزال عربة الدرجة الأولى في القطار، تبدو عربة الخيل العمومية كئيبة. وهو ركوب طويل، مُطقطِق: كيركغارد سيكون في هذه العربة الضيّقة طوال الطريق المؤدّي إلى ميناء «سترالسوند» الألماني، بعد أكثر من مائة ميل شمالًا. في القطار كانت أفكاره هي الوحيدة التي يتبارز معها؛ الآن جسمه أيضًا يستعد لحرب ما.

كان قد حلّل مصيبة عربة الجياد العمومية في كتابه *التكرار*، المخطوطة المنتهية في حقيبته: «ثمة اختلاف في الرأي وسط المُتعلّمين في ما يتعلّق بأيّ مقعد في عربة الجياد العمومية هو المريح أكثر[1]. رأيي هو ما يلي: المقاعد كلّها مروِّعة بالتساوي». راوي *التكرار* قسطنطين قسطنطينوس يتذكّر أنه في رحلته الأولى إلى برلين كان له «أحد المقاعد الخارجية الأقرب إلى مقدّمة العربة (هذا يُعَدّ من قبل كثيرين ضربةَ موفّقةَ كبيرة غير متوّقعة) وعلى مدى ست وثلاثين ساعة، مع تلك المقاعد القريبة مني، كانت تندفع بعنف شديد هنا وهناك بحيث إني كدتُ أفقد ليس عقلي فحسب، بل رِجليّ أيضًا. نحن الأشخاص الستة الجالسون في المركبة عملنا معًا طوال هذه الساعات الست والثلاثين، بحيث إننا أصبحنا جسدًا واحدًا، غير قادرين على أن نميّز أيًا من الأرجل هي أرجلنا». حين يؤوب قسطنطين إلى برلين في زيارته الثانية، يختار مقعدًا في عربة مقفلة بأربع عجلات. مهما يكن من أمر، «كلّ شيء كرّر نفسه. الحوذي نفخ في البوق، أغمضتُ عينيّ، استسلمتُ لليأس، وفكّرتُ، كما تعوّدتُ أن أفعل في مثل هذه المناسبات: الله يعرف ما إذا تكون قادرًا على تحمّل هذا، سواء أنكَ

ستصل فعلًا إلى برلين، وإذا حصل هذا، سواء أنكَ تكون إنسانًا من جديد، قادرًا على أن تحرّر نفسك في تفرّد العزلة، أو ما إذا ستحملُ إلى الأبد هذه الذكرى بأنكَ عضوٌ في جسد هائل».

وعلى غرار *إما/ أو*، يُقدّم *التكرار* فلسفةً رائدة عن الحرية والمسؤولية الإنسانيتين، تنقلها شخصيات غارقة في الكفاح الرومانسي وتتصارع مع قضايا تتعلّق بالوفاء والزواج. كلا الكتابين يسألان كيف يستطيع الإنسان أن يحيا مع الآخرين، أن يفي بوعوده، وأن يعمل وفقًا لتوقّعات اجتماعية، بينما يبقى صادقًا مع نفسه. وكلاهما يمزج الفلسفة بالسيرة الذاتية التي تكتبها الشخصية بقلمها: *التكرار* يحمل رسالة جديدة إلى ريجينه، تُسمى فقط بـ«ذلك الشخص الوحيد»، كاشفًا استراتيجية كيركغارد السابقة في ما يتصل بالخداع الرومانسي ومقدّمًا مُبرّرات مختلفة لماذا لا يستطيع الزواج منها.

أن يكتب في أعقاب علاقته الغرامية المنقطعة وأن يسعى، بصورة غير مباشرةٍ، من أجل أن يشرح تغيّر قلبه تجاه ريجينه، كيركغارد وجد طريقة جديدة لصنع الفلسفة. في مخاطبة شخص مُحدَّد في وضع منفرد، استفاد من شيء كوني - لأنّ الفكرة القائلة إنّ «كلّ إنسان هو شخص منفرد» يُصبح فعالًا أكثر فأكثر في عمله. إنه يُبدع فلسفةً مُرتكزة على التجربة، في تلك القضايا التي أمست حيوية بفعل شكوك وقرارات الحياة؛ مفاهيمه وحججه تنبثق من الدراما الفاتنة بأن يكون إنسانًا؛ الدراما التي تتكشّف في داخل كلّ فرد. بعد مضي قرنٍ، تبصّره في الأهمية الفلسفية المتعلّقة بـ«الشخص المنفرد» سوف تُلهِم جيلًا كاملًا من «الوجوديين» كي يناقشوا بأنّ الطبيعة الإنسانية ليست جوهرًا ثابتًا، خالدًا، ولا ضرورةً بيولوجية، بل هي مَهمّة خلّاقة لكلّ حياة فردية.

محشورًا في مركبة خيل عمومية مكتظة، يتخيّل كيركغارد نفسه وهو يرتفع فوق أنداده - على غرار سمعون ستايلايتس، قديس القرن الخامس الميلادي، سوريّ المنبت، الذي أقام على قمة عمود، مُكرّسًا نفسه بشكل واضح للصلاة، على مدى أكثر من ثلاثة عقود. تساءل الناس ما إذا فعل هو ذلك انطلاقًا من الذلّ أم من الكبرياء: هل كان يخفض بصره ناظرًا إليهم مثل المسيح على

صليبه، مرفوعًا عاليًا في هشاشته كلّها، يرغب بأن يُسخَرَ منه وأن يُحتقَر؟ سميون ستايلايتس، الناسك الشهير[2]: المفارقة لا تُقاوَم؛ ربما هذا الاسم ينبغي أن يكون اسمه المستعار التالي؟

آخر مرة سافر فيها إلى الديار من برلين، شرفه لا يزال مشكوكًا فيه عقب الخطوبة المفسوخة، و*إما/ أو* مكتوبٌ نصفه فقط، لم يكن قد أثبت نفسه بعدُ. الآن ذلك الكتاب ظهر للنور، وهو في طريقه إلى الشهرة الأدبية، مؤلّف ذائع الصيت، مواهبُه سوف تبزّ مواهب الكتّاب والباحثين المحترمين في مسقط رأسه. إنه أصلًا شخصية مشهورة نوعًا ما: في هذه الشهور الثلاثة الفائتة. *إما/ أو* كُتبت عنه مراجعات، جرت مناقشات حوله، ودارت أقاويل بشأنه في الأمكنة كلّها. «الصحافة كلّها، من «*داجِن*» إلى «*برلينغكسي*» إلى «*إنتليجينسبليد*»، أطلقت صرخة دهشة، قالت كلمات قليلة حوله، بالطبع، إلا أنها بدأت وانتهت بالقول: يا إلهي، يا له من كتاب سميك»[3]، كتب مير هارون غولدشميت في جريدته الأسبوعية الساخرة *القرصان*. هيبيرغ نفسه كتب مراجعة عن *إما/ أو* في جريدته «*إنتليجينسبليد*» - سمّاه «الكتاب المسخ»، بشكل رئيس في مقالة في صفحاتها الـ838 قَطْع الثُمْن المطبوعة منذ عهد قريب، إلا أنه أيضًا بسبب «أنّ المرء يشمئزّ، المرء يتقيأ، يثور»، من «يوميات المُغوِي».

يوهان لودڤيغ هيبيرغ[4] - وهو كاتب مسرحي، ناقد، مُحرّر، متخصّص في علم الجمال، كان شغفه بغوته وهيغل قد أنعَش المَشهد الأدبي في كوبنهاغن - على مدى أعوام ظلّ هو أكثر شخص كان كيركغارد يُريد أن يؤثّر فيه. إنه لا يزال يُريد أن يؤثّر فيه، بالطبع، مع أنه الآن يزدري رأيه. إنه يعرف عن ظهر قلب تلك المراجعة لـ*إما/ أو*: هيبيرغ وجد في الكتاب «صواعق من برق فكريّ، أظهرت فجأةً حقولًا كاملة من الوجود»، إلا أنه تحسّر لأنّ «الذكاء الاستثنائي للمؤلّف، وتعلّمه، وحذلقته الأسلوبية لم تلتحم بقدرة نظامية من شأنها أن تسمح للأفكار بأن تظهر ذات تكوين مناسب». على مدى أيام تاليًا كتب كيركغارد مسوَّدة بعد أخرى، هذه المسوَّدات احتوت ردودًا ساخرة. كتب بوصفه ڤيكتور إريمتا،

ونشر مفكرة «شكرًا لك» مفعمة بالازدراء في الجريدة «ذه فاذرلاند». «الله يُبارك دخولك، بروفيسور هيبيرغ! سأتعهّد يقينًا بخروجك»، كتب في صحيفته.



يوهان لودفيج هيبيرغ

بينما كان قرّاء *إما/أو* مصدومين ومسحورين بتهتّك المُغوِي، قليلون أدركوا المعنى الفلسفي الأعمق للكتاب، أو فهموا مسألة بُنيته المُعقّدة. مع ذلك جلب الكتاب الانتباه إلى كيركغارد الذي كان يتوق إليه، الإطراء بالإضافة إلى سوء السمعة؛ أعطاه الكتابُ جمهورًا متوقّعًا - والآن، هوذا يعود من برلين مرة ثانية، وقد آن الأوان كي يُرسّخ مكانته كمؤلّف. بعد النجاح الفاضح لـ*إما/أو* يتعيّن عليه أن يُبرهن على أنه ليس حصرًا الكاتب الذي يتميّز ببراعة الأسلوب والموهوب، والكاتب الماهر الذي عدّه كثيرون متهوّرًا. في اليوم الذي سبق مِغادرته برلين هذه المرة، كتب كيركغارد إلى إميل بويسين المقيم هناك في كوبنهاغن، يُخبره أنه انتهى من *التكرار*، وباشر في تأليف كتاب جديد، خوف ورعشة. لم يذكر في رسالته أنّ هذين العملين الجديدين كتبهما وريجينه في باله. بدلًا من ذلك ركّز على تأثيرهما الجدلي: «لن أنسى أبدًا أن أوظِّف الولع

بالتهكّم[5] في تحدٍّ مُبرَّر للفلاسفة المُزيَّفين غير الإنسانيين الذين لا يفهمون هذا ولا ذاك، والذين تتكوّن مهاراتهم كلّها من خربشة مختصر ألماني، وفي تشويه ما له أصلٌ أكثر قيمة من خلال التحدّث بكلام فارغ عنه».

إميل يعرف على وجه الدقة مَن هم «الفلاسفة المزيَّفون» الذين يتحدّث عنهم صاحبه، ذلك أنه كان يستمع عادةً إلى كيركغارد وهو يصب ازدراءه الذي لا يُضاهى على هانس لاسين مارتينسِن - و، منذ وقت حديث جدًا، على هيبيرغ. مع أنه لم يكن يكبر كيركغارد إلا بخمسة أعوام تمامًا، مارتينسِن هو حاليًا بروفيسور في اللاهوت بـ«جامعة كوبنهاغن». إنه يتحدّر من «شيلسڤيج»، الواقعة على الحدود بين الدنمارك وألمانيا؛ في مطلع ثلاثينيات القرن التاسع عشر، بعد أن درس اللاهوت في كوبنهاغن وعُيّن في «الكنيسة الدنماركية»، قضى الوقت في برلين وميونيخ، صادقَ كلّ المفكّرين المُهمّين الذين تسنى له أن يقابلهم، ورجع إلى الدنمارك خبيرًا في فلسفات جديدة تعود لشلايرماخر، شيلنغ وهيغل.

هؤلاء المفكّرون الألمان كانوا أصلًا مُسايرين للموضة في كوبنهاغن بفضل هيبيرغ، الذي مضى إلى برلين في عشرينيات القرن التاسع عشر، قابل هيغل، وحاور فعلًا الرجل العظيم. متوقّفًا في هامبورغ في طريقه إلى الديار، كان هيبيرغ يمتلك تبصّرًا روحيًا عميقًا في الحياة، فهم فجأةً نظام هيغل الفلسفي بأكمله: «حين كان هيغل على طاولتي وفي عقلي[6]، قبضت عليّ رؤيةٌ داخلية مؤقّتة، كما لو أنها وميض برق أضاء المنطقة كلّها بالنسبة لي، وأوقظ فيَّ الفكرة الأساسية الخفية حتى الآن. منذ هذه اللحظة أصبح النظام في خطه الخارجي العريض واضحًا بالنسبة لي، وكنتُ مقتنعًا بأني فهمتُه في أعمق نقطة من صميمه... بوسعي القول، في الحقيقة، إنّ هذه اللحظة الغريبة كانت هي أهم مَفصِلٍ في حياتي، لأنها منحتني الطمأنينة، الأمان، الثقة بالنفس التي لم أعرفها من قبل». في الأعوام التي أعقبت هذا التحوّل الفلسفي، أعطى هيبيرغ محاضرات في فلسفة هيغل في «جامعة كوبنهاغن». وبينما كان مارتينسِن في جولة دراسته الأوروبية في منتصف ثلاثينيات القرن التاسع عشر، ونجمه

يصعد، قابل هيبيرغ في باريس ورعى صداقة مع الكاتب البارز ومع زوجته الشابة الفاتنة يوهانه لويزه، الممثلة الدنماركية ذائعة الصيت.



هانس لاسين مارتينسِن

كيركغارد اتخذ مارتينسِن مدرّسًا خصوصيًا في العام 1834، طوال أربعة أعوام من دراسته البكالوريوس في اللاهوت، وقرآ شلايرماخر معًا. بعد مضي ثلاثة أعوام على ذلك، وهو لا يزال طالبًا جامعيًا، تابع محاضرات مارتينسِن المؤثّرة في اللاهوت وتاريخ الفلسفة[7]. المُحاضِر الشاب اللامع حثّ جمهوره على أن ينظروا إلى الفلاسفة الألمان الحديثين - كانط، وفيشته وياكوبي، إلّا أن أعظم الجميع هيغل - كي يُوجّهوا فهمهم للعقيدة المسيحية.

طوال أعوام عدّة حتى الآن كان كيركغارد يكره مارتينسِن، يستخفّ بطموحاته الفلسفية، ويمتعض من نجاحه. ومنذ تلك المراجَعة المتفضّلة عليه(*) لـ*إما/ أو* في «*إنتليجينسبليد*»، هيبيرغ أيضًا أصبح خصمًا. كلا الرجلين نالا وجاهة من خلال جلب المثالية الألمانية إلى الدنمارك، وتنعّما بالمجد المُورَث لمنجزات

(*) المتفضّلة عليه patronizing: أيّ عاملته بتنازل، انطلاقًا من الشعور بالاستعلاء.

هيغل العميقة. غير أنّ كتب كيركغارد الجديدة سوف تسخر من جهودهما في مقارعة الانحطاط الروحي للعصر الحالي بفلسفةٍ هيغلية مُستعمَلة. كانت طموحاته هو كمؤلف قد اتخذت شكلها في معارضته مارتينسِن، والمؤسسة الأكاديمية والكَنَسية التي تسانده. بالنسبة لكيركغارد، هذا اللاهوتي المهني ذو الارتباطات الجيّدة يمثّل ليس فقط مكانة فكرية، بل وضعٌ وجوديٌّ: مارتينسِن هو نموذج مؤثّر لما يعني أن تكون مسيحيًا مثقّفًا، تأمّليًا في «العالَم المسيحي» إبان القرن التاسع عشر.

تعهّده بأن يتحدّى «الفلاسفة المزيّفين اللاإنسانيين» بسخريته الانفعالية التي تكرّر معارضة سقراط المدمِّرة للسفسطائيين. وصف أفلاطون معلمي الفلسفة الذين يتقاضون أجورًا بكونهم باعة متجوّلين لمناقشات ذكية إنما ضحلة، جاعلًا إياهم مفشّلي نزعة السخرية الوجودية لدى سقراط. بالنسبة للأخير، تعليم الفلسفة يعني تعليم الناس كيف يكونوا إنسانيين - وبدأ هو يرتاب في مسألة ما الإنسان. وبالمثل، كيركغارد سعى إلى أن يفضح مارتينسِن بوصفه معلّمًا مُزيّفًا: إنه يُريد أن يُميط اللثام عن خواء عمله، كي يتفوّق على مهارته الفلسفية بموهبته هو، كي يُقوّض مؤسسة اللاهوت كلّها التي صعد فيها ندّه بسرعة بالغة. مع ذلك، وفي الوقت نفسه، يُريد أن يتغلّب على مارتينسِن في لعبته هو.

لئن كانت هذه الرحلة الثانية إلى برلين قد كرّرت رحلة كيركغارد الأولى، بدأت بعد القطع النهائي للعلاقة مع ريجينه بأيام معدودة، تلك الرحلة كرّرت استطلاع مارتينسِن الفلسفي في ثلاثينيات القرن التاسع عشر - الذي اقتفى بدوره أثر هيبيرغ، الذي تبع خطوات المستوردين الدنماركيين الشجعان للرومانسية في مطلع القرن. في الوقت الذي وصل فيه كيركغارد إلى برلين في 1841، مات هيغل، غير أنه حضر محاضرات شيلنغ. بينما رجع الاثنان، هيبيرغ ومارتينسِن، إلى كوبنهاغن مُزوَّدَين بمعرفةٍ بالمثالية الألمانية، وهي معرفة حسّنت مسيرتهم، جلب كيركغارد إلى الديار من تلك الزيارة الأولى خيبةَ أملٍ حادة من الفلسفة الأكاديمية. «عزيزي بيتر، شيلنغ يتكلّم هُراءً لا يُحتمَل

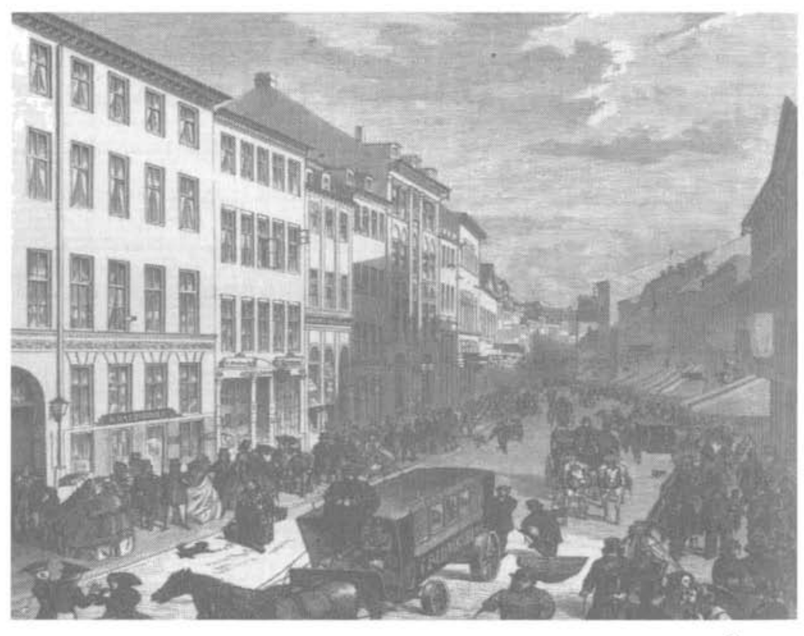
على الإطلاق»[8]، كتب لشقيقه من برلين في شباط 1842: «أنا أكبر سنًا من أن أحضر المحاضرات، وبالقدر نفسه شيلنغ أكبر سنًا من أن يُعطيها. كلّ مبدأه عن الرجولة يكشف أعلى درجات العُقم».

على الرغم من أنّ شيلنغ يتحدّث بصورة مُعذِّبة عن «الواقع»، فإنّ كيركغارد رأى المشروع الأكاديمي بأسره بوصفه هَرَبًا متملّصًا من الوجود الحقيقي. ربط هذا الانسلاخ الفكري مع التتجير(*) الساخر للمعرفة: أكاديميون بدرجة بروفيسور في جامعات حديثة تاجروا بالأفكار كأنهم تجارٌ يتاجرون بالسلع - إنما بطريقة مراوِغة أكثر، لأنّ أفكارهم المجرّدة، المعبّأة بأناقة، لم تكن تحتوي على حكمة أصيلة. «ماذا يقول الفلاسفة عن الواقع»[9]، كتب في *إما/أو*، «هو عادةً شيءٌ مُحبِط مثلما يقرأ المرء لافتة في مخزن للسلع المُستعمَلة: «كَيّ الملابس يُنجز هنا». إذا أراد شخص أن يجلب ملابسه كي تُكوى، سوف يُخدع، لأنّ اللافتة هي للبيع حصرًا».

في *التكرار* وخوف ورعشة، كيركغارد لم يكن فقط يُقدّم للجمهور نسخةً جديدة من مسرحية خطوبته، بالإضافة إلى إعدادٍ حديثٍ للقصّة الكتابية «الإنجيلية» المتعلّقة بالنبي إبراهيم. إنه يُقدّم للجمهور ثانيةً إبداعه في مجال التأليف، واضعًا نفسه - أو بالأحرى أسماءه المستعارة - قبالة هيبيرغ ومارتينسِن في مَشهد كوبنهاغن الأدبي. إنه يُظهِر أنه كاتب مسرحي أفضل من هيبيرغ، وأنه لاهوتي وواعظ أفضل من مارتينسِن، ومفكر ذو أصالة فلسفية وتبصّرٍ روحي أعمق من أيّ منهما. وعلى خلاف ندَّيْهِ، كيركغارد لم يكن لديه منبر للوعظ في كنيسة أو رعايا كنيسة، ليس لديه منضدة لتلاوة «الكتاب المقدس» أو طلبة، لا مسرح ولا جمهور. إنه يكتب، إنه يُريد أن يقول، «من دون تفويض»: ببساطة كوني كائنًا بشريًا، شبه مجهول الاسم، من دون بدلة لمنصب رسمي أو موقع في مؤسسة اجتماعية. كتابته سوف تُنتِج تفويضها الخاص بها، كي تطالب بحقّها عبر القوة الخالصة لحجّتها وأسلوبها. إنه يتّخذ موقفًا حاسمًا كما مارتن لوثر،

(*) التتجير commercialization: إضفاء صفة تجارية على شيء ما.

بحسب ما تقول الأسطورة، الراهب الجدلي ثبّتَ بالمسامير بيانَه المسيحي على باب الكنيسة الواقعة في مدينة ڤيتنبيرغ الألمانية - مع أنّ كيركغارد يفعل هذا بصورة غير مباشرة، وتحت غطاء.



أوسترغيد، كوبنهاغن، 1860: عربة الخيل العمومية إلى فريدريكسبيرغ

من دون أن يُسمّي مارتينسِن، خوف ورعشة يرمي اللاهوتي الهيغلي باعتباره سفسطائيًا ينتمي إلى القرن التاسع عشر يستغل المشاريع البيداغوجية الملتبسة. مزوِّدًا القارئ بسلسلة من الاستعارات الاستهلاكية، هذا العمل الجديد يبدأ من خلال الإعلان بأنه «في عالَم الأفكار، كما هو الحال في عالَم التجارة، عصرنا يُقدّم للجمهور تخفيضات حقيقية من أجل التصفية». هذه هي أزمة القيمة الروحية التي يتكلّم عنها أصلًا هيبيرغ، مارتنسِن وأتباعهما - غير أنّ كيركغارد يرى أنداده بوصفهم أعراضًا، وليسوا منقذين، للأزمة. إنه يُقارن عربتهما الفلسفية مع الحافلات العمومية الكبيرة في كوبنهاغن، التي تُقدّم بديلًا

رخيصًا للرحلات بواسطة العربات: في العام 1841 كانت أولى الحافلات التي تجرّها الأحصنة «هيستيومنيبوسر» تقعقع عبر شوارع المدينة، يُديرها مقاولٌ محلّيّ ألْهمَته مغامراتٌ مماثلة في برلين، مانشستر، وباريس. في خوف ورعشة كيركغارد يُشبّه الطلبة الذين ركبوا موجة الهيغلية بالغوغاء في هذه العربات العمومية؛ سوف يُضفي بنحو ساخر»النِعَم كلّها على [النظام]، وعلى المساهمين الدنماركيين في هذه الحافلات العمومية الكبيرة». [النظام] الذي نحن بصدده هو نظام هيغل الفلسفي، و«الحافلة العمومية الكبيرة» تستحضر الميتافيزيقا فضلًا عن وسائل المواصلات، لأنه في محاضراته في تاريخ الفلسفة كان مارتينسِن يكرّر عادةً مبدأ ديكارت الأساسي بأنّ كلّ شيء يجب أن يُشكَّ فيه: *De omnibus dubitandum est*(*).

هذه الأقوال الساخرة على مارتينسِن وهيبيرغ سوف تُهيئ هجومًا فكريًا خطيرًا. أعوام كيركغارد التي أمضاها في الدراسة علّمته كيف ينبثق المنهج الفلسفي التقليدي بواسطة صنع الاختلافات بين المفاهيم -المظهر والواقع، الإيمان والمعرفة، الضرورة والحرية- والآن بدأ يحوّر هذا المنهج، مُطبّقًا إياه على الحياة نفسها. إنه يطوّر نوعًا جديدًا من التفكير كي يكشف السؤال الذي يقبع على الدوام مختفيًا، لم يُسأَل عنه، في كلّ سعيّ وراء المعرفة: كيف تكون *إنسانًا*؟ منهجه يكتشف الاختلافات لا بين المفاهيم، بل بين «حقول الوجود»: طرائق مختلفة في أن تكون إنسانًا في العالَم. عاليًا جدًا هو الحقل الديني، يدور بنحو سرمدي على محور العلاقة بالله، لا نهائيًا في آفاقه وأعماقه. حقول وجود أخرى تكون أصغر، محدودة أكثر: حدودها تُقيّد الإمكانات الروحية لأولئك الأشخاص الذين تعيش في داخلهم.

هذه الطريقة الجديدة في نحت المنطقة الفلسفية لها حافة حرجة حادّة. إنها تُتيح له أن يُظهِر كيف يُقصَر الناس، تُقصَر المؤسسات الاجتماعية، وحتى ثقافات بأكملها عن القيم التي يدَّعي الناس أنهم يجسّدونها، أو تدّعي المؤسسات

(*) ورد مصطلح: De omnibus dubitandum est باللاتينية في النص الإنكليزي، ويعني «كلّ شيء يجب أن يُشَك فيه».

الاجتماعية أو الثقافات أنها تجسدها. إنه يُعيّن فلسفة حديثة عمومًا - وهيبيرغ ومارتينسِن بالأخص - في أدنى حقل من الوجود، وفي أكثرها محدودية، الذي يُسميه باستخفاف الحقل «الجمالي». هذا المصطلح يتضمن المظاهر الخارجية،، الإختلاف، والتجرّد. في *إما/ أو* يصف الحقل الجمالي، مُجسَّدًا من خلال المؤلف الشاب الذكي، الخليع لـ«يوميات مُغوي»، بكونه حقلًا غير ناضج وجوديًا: (المُغوِي) لم يكن قادرًا بعدُ على الاستمرارية والمسؤولية التي يتطلبها الحقل الأخلاقي، ناهيكَ عن العمق الروحي لحياة ورعة بنحو حقيقي. هذه الشخصية سيئة الشكل تشبه مارتينسِن، كما يراه كيركغارد - إنه يتباهى بمشروعه الفكري، لكن في ما يتصل بكونه إنسانًا فهو لا يُعتبر مبتدئًا بعد.

مع أنّ خوف ورعشة لا يُشير إلى مارتينسِن بالاسم، هذا الكتاب يكشف مشروعه الفكري باعتباره غطرسةً وسخافة معًا - وكونه مشروعًا رخيصًا شأنه شأن المركبات العمومية الكبيرة. يزعم مارتينسِن أنّ فلسفة هيغل تشرح حقيقة التعاليم المسيحية، وتشمل طموح هيغل في كشف مسألة كيف أنّ هذه الحقيقة قد ظهرت للعيان على مرّ القرون، عبر تقدّم التاريخ. إلا أنّ كيركغارد سوف يناقش هذا قائلًا إنه يحطّ من قيمة الإيمان، وإنّ الحقيقة الأساسية جدًا تتكشّف في داخل كلّ قلب بشري طوال زمن الحياة - لأنّ المحبّة، جوهر الله والاشتياق إلى كلّ روح، هذه كلّها أعمق حقيقة من حقائق المسيحية. إن تعلّم الحب هو مسؤولية جديدة لكلّ فرد: «ما من شيء يتعلّمه جيلٌ من جيل آخر، ما من جيل يتعلّم الإنساني بنحوٍ أصيلٍ من جيلٍ سابقٍ. ما من جيل تعلَّمَ أن يحب من جيلٍ آخر؛ ما من جيل باستطاعته أن يبدأ من أيّ نقطة أخرى باستثناء نقطة البداية، ما من جيل لاحق لديه مهمة أقصر من المهمّة السابقة، وإذا كان شخصٌ ما هنا غير راغب في أن يبقى مع الحب على غرار تلك الأجيال السابقة بل يرغب في أن يمضي أبعد، إذًا هذا مجرّد كلام سخيف وعقيم».

كيركغارد يعرف أنّ قرّاءه المثقفين سوف يرون في هذه المناقشة هجومًا على مارتينسِن. مع ذلك بينما كان كيركغارد يسخر من طموح ندّه المتّسم بالمبالغة الحمقاء في «أن يمضي أبعد» من هيغل في أسئلته الفلسفية، يقوم

هو بمناشدته الكبيرة فوق رؤوس أبناء هذا الجيل، وراء الموضات الفكرية لهذا المَشهد الريفي. في التجرؤ على الكتابة عن إبراهيم، يُطالب هو بفرصة ملائمة في التقليد اللاهوتي: تفسيره للإصحاح 22 يتبع تاريخ القراءات الجدلية للنصوص الكتابية «الإنجيلية». هذا التاريخ أثبتَ أصلًا القدرة الثورية للتفسير الديني، وكيركغارد يُريد أن يُغيّر اللعبة ثانية.

عنوان كتابه عن النبي إبراهيم يأتي من «الرسالة الأولى» للقديس بولس إلى الكورنثيين، الذين ضلّلتهم «الحكمة الإنسانية» للفلاسفة. «حين أتيتُ إليكم»، كتب بولس إلى مسيحيْ كورنثوس العنيدين، «لم أحضر بكلمات متغطرسة أو بحكمة إنسانية[10] صوفيا مثلما أظهرتُ إليكم سرّ الله. ذلك أنني قررتُ ألا أعرف شيئًا من الدنيا باستثناء يسوع المسيح، وهو مصلوب. وقد أتيتُ إليكم وأنا في حالة ضعف وكثير من الخوف والرعشة». بولس عرض إيمانه هو، الذي دعمته «الروح وهي من الله»، باعتبارها بديلًا جذريًا عن الفلسفات المختلفة المُتَّبعة في كورنثوس، وقد حثّ الجالية المسيحية هناك على أن يُسندوا إيمانهم «ليس إلى الحكمة الإنسانية بل إلى قدرة الله».

ومثل لوثر، الذي أعطى محاضرات في «سِفر التكوين» قبل ثلاثة قرون خلت، كيركغارد يستعمل قصة إبراهيم كي يكشف تحديدات العقل الإنساني وينتقد عجرفة الفلسفة المعاصرة. ومثلما هاجم القديس بولس الفلاسفة اليونانيين، رفض لوثر أيضًا الطرائق المدرسية «السيكولائية» التي شكّلت تطوّره الفكري: ناقش قائلًا إن لاهوتيي القرن السادس عشر اعتمدوا كثيرًا على فلسفة أرسطوطاليس الوثنية، وإنّ «كلمة الله» التي ظهرت للعيان في الكتب السماوية هي مصدر للحقيقة معصوم من الخطأ. كيركغارد لم يشاطر الأصولية الإنجيلية للوثر، ويعتمد بحرّية على الفكر اليوناني القديم كمصدر: في خوف ورعشة يُقدّم نفسه كاتبًا غنائيًا، شاعرًا فلسفيًا، يتخيّل من جديد النبي إبراهيم للأَجيال الجديدة من القراء – مثلما نقل أفلاطون بنحو خلّاق تعاليم سقراط. مع ذلك يكرّر تفسير لوثر لإبراهيم بأن ناقش أنّ مارتينسِن، على غرار هيغل، بالغَ في تقدير قدرة التفكير العقلاني على إدراك حقيقة الديانة المسيحية.

في محاضرته في الإصحاح 22 من «سِفر التكوين» أصرّ لوثر على أنّ التناقض بين وعد الله بأن يجعله الأب لأمة ما وأمره بأن يقتل إسحق لا يُمكن أن يُحَل -أيّ التناقض- فكريًا. وناقش أنه شيءٌ مستحيل أن نفهم إيمان إبراهيم - وهذا الأمر يكشف أنّ العقل يجب أن يستسلم أمام الإيمان، مُدرِكًا سلطته الأعلى ومطالبته الأعمق بالقلب البشري لأنه من استحقاقه. خوف ورعشة يقرّ حجة مماثلة. لكن بينما لوثر يمدح إيمان النبي إبراهيم المطلق في رب متناقض، تفسير كيركغارد للنص الإنجيلي متضارب أكثر بكثير: «بينما يُثير إبراهيم إعجابي، إلا أنه يُرعبني أيضًا».

كان إبراهيم يُريد أن يذبح ابنه، وكيركغارد يعتقد بأنّ هذه الفضيحة الأخلاقية لا يُمكن أن تؤخذ باستخفاف أو تُفسَّر. من خلال استجواب أخلاق القصّة الإنجيلية، خوف ورعشة سوف يرد على قراءة عمانوئيل كانط لـ*الإصحاح 22* من[*سِفر التكوين*][11] في أواخر القرن المنصرم. أصرَّ كانط على أننا ننجزُ واجبنا تجاه الرب ببساطة من خلال إنجاز واجبنا الأخلاقي بأن يحترم أحدنا الآخر: في *صراع المَلَكات*(*)، المنشور في العام 1797 بعد مدة وجيزة من تحرّره من منع الكتابة حول الدين، كتب أنه «بصرف النظر عن السلوك الحياتي الجيد، كلّ ما يعتقد الإنسان أنّ بوسعه أن يقوم به كي يُصبح مُرضِيًا للرب هو ببساطة تضليل ديني أو خدمة كاذبة للرب». هنا يناقش كانط قائلًا إنّ إبراهيم كان مُخطئًا في إطاعة الأمر بأن يقتل إسحق: بدلًا من ذلك، كان ينبغي عليه أن يُفكّر أنّ الأمر مناقض للقانون الأخلاقي، وبناءً على ذلك لا يُمكن أن يكون الأمر فعلًا من الربّ، بل يجب أن يكون إما حيلة من الشيطان أو تضليلًا.

بينما يستنبط لوثر من قصة إبراهيم تحدّيًا للميول العقلانية في زمانه، كانط -يكتب في نهاية قرنين طويلين من الاضطهاد الديني في جميع أنحاء العالَم

(*) صراع المَلَكات The conflict of faculties: كتب كانط هذا الكتاب وعمره أربعة وسبعين عامًا، وكان آخر ما كتبه ونشره باسمه بنفسه. يتّضح فيه إخلاص كانط للمبادئ العامة للفلسفة النقدية التي ظلّ طوال حياته يؤسسها.

المسيحي بعد الإصلاح- استدعى القصة ذاتها كي يستهجن الولاءَ الأعمى لما يُسمى حقائق مكشوفة. مع أنه لوثري، آمن كانط بأنّ الكرامة الإنسانية تكمن في القرارات الأخلاقية، المستقلّة، العقلانية. وعلى غرار مفكّري «التنوير» الآخرين، كان يسعى إلى أن يجلب النظام والسلام إلى مجتمع غير مستقر. القادة الكاثوليك، اللوثريون والكالڤينيون استحضروا بكلّ معنى الكلمة إرادة الله - فسّروها وفقًا للاهوت الخاص بكلّ واحد منهم - كي يبيحوا العنف ضد المنشقّين؛ حجج كانط شديدة التدقيق قدّمت نقدًا أخلاقيًا للدوغمائية الدينية[12] التي كان قد بوشر بها أصلًا ضد الكنائس من قبل المفكّرين الراديكاليين من مثل سـپينوزا وڤولتير.

بعد مرور نصف قرن على ذلك، ينكبّ كيركغارد على مسألة مختلفة: إنه يعتقد بأنّ المجتمع المسيحي أصبح مستقرًّا للغاية، راضيًا جدًّا عن نفسه. إن حصر الدين في إطار الحياة الأخلاقية يجلب مخاطر جديدة، لأنّ علاقة الفرد بالله - جوهر الروحانية اللوثري - قد يتقلّص إلى شيء إنساني بكلّ معنى الكلمة، دنيوي بكلّ معنى الكلمة. مقابل كانط، ناقش هيغل أنّ العقلانية ليست لا تاريخية وثابتة، إنما مطمورة في داخل ثقافة محدّدة؛ القانون الأخلاقي ليس حقيقة مُتعالية، بل مؤسسة مَدَنية. هذا التفسير الجديد للحياة الأخلاقية، حين يلتحم بتأكيد كانط على أنّ الدين يكون مقتصرًا على حقل السلوك الأخلاقي المنطقي، يقترح أنّ المسيحيين يُنجزون مهمة الإيمان العائدة لهم من خلال الإنجاز الواعي لواجباتهم المهنية، وواجباتهم الاجتماعية والأُسرية. إلا أنّ كيركغارد يعتقد بأنّ العالَم المسيحي الحديث قد أفسد التعاليم الراديكالية، المُشينة لـ«العهد الجديد» من خلال دمج العلاقة مع الله بالقيم البورجوازية.

خوف ورعشة يحذّر من أنّ الرب ما إن يُستوعَب في الحقل الأخلاقي سوف يُصبح غير ضروري ويختفي نهائيًا بكلّ معنى الكلمة. مع أنّ النظريات الأخلاقية العائدة لكانط وهيغل قد أعطت بوفاء للرب أعلى المراتب، إلا أنها علمانية ضمنيًا: أن نختصر الرب بالحياة الأخلاقية هذا الأمر يجعل الأنظمة الإنسانية، والقوانين والأحكام عظمى - ومن ثم، يجادل كيركغارد قائلًا: «كلّ

وجود الجنس البشري مُكتمل بنفسه، في عالَم مثالي، والعالَم الأخلاقي هو في الوقت نفسه حدّه واكتماله. الرب يُصبح نقطةً متلاشية غير مرئية، فكرةً عقيمة، قوّته تكون فقط في العالَم الأخلاقي».

من دون الله، البشر سوف يُترَكون وحدهم في العالَم من دون نظام إلهي، من دون عدالة كونية[13]. ومن ثم الفضيلة نفسها سوف تنهار، والحياة ستفقد معناها: «إن لم يكن هنالك وعي خالد لدى الإنسان[14]، إن كان أساسُ كلّ شيء فقط قوةً جامحة، مختمرة تتلوّى في العواطف الغامضة التي انتجت كلّ عظيم وتافه، إذا ما كَمِن خواءٌ سحيق، شرِه تحت كلّ شيء، هل ستكون الحياة شيئًا باستثناء اليأس؟ إن لم تكن هنالك آصرة مقدّسة تربط الجنس البشري معًا، إذا ما نهض جيلٌ بعد آخر مثل أوراق في الغابة، إذا ما أعقب جيلٌ جيلًا آخر مثل غناء الطيور في الغابة، إذا مرّ الجنس البشري عبر العالَم مثل سفينة تمخر عباب البحر، وكما تمر الريح عبر الصحراء، نشاطٌ أحمق وعقيم، إذا كان هنالك نسيانٌ أبديّ يترصّد بجوع على الدوام في انتظار فريسته ولا توجد طاقةٌ قوية بما يكفي كي تختطفها بقوة - إذًا كم ستكون الحياة فارغة وميؤوسًا منها!».

من خلال التأكيد على رعب قصة إبراهيم، يُريد كيركغارد أن يُهزّ قرّاءَه ويوقظِهم من نومهم، أن يقول لهم *انظروا*، *اسمعوا*، هذا ما تتضمّنه علاقة الله، *هذا* ما يتطلّبه الإيمان -ربما يُفسِد الوجود كلّه، يَقلِبُ إدراكك لما هو صحيح وخاطئ، يجعلك مُجرمًا في عيون العالم- والآن هل تدّعون أنكم تملكون الإيمان؟ أتباع يسوع المسيح خرقوا قوانين مجتمعهم، جلبوا العار على عائلاتهم، من دون ضمان بأن إطاعة معلّمهم المُخرِّب، المثير للمتاعب سوف تجلب المكافآت الروحية التي يتمنّونها. لو أنّ الإيمان، بعد ثمانية عشر قرنًا، يعني الآن أن يحيا الإنسان حياةً مستقيمة، أن يفعل المرء ما يوافق عليه الجميع بأنه الشيء الصحيح، إذًا الأخلاق والدين يجب أن يُفصَلا ثانيةً كي نُظهِر أنه من المحتمل أن تكون هنالك ثغرةٌ بينهما - وبعدها مرةً أخرى يغدو ممكنًا أن نسأل ما إذا يستعد أيّ شخص لاجتيازها.

خوف ورعشة يطرح هذا السؤال على القرّاء، يُخاطب كلّ واحد منهم بوصفه

«شخصًا منفصلًا». كيركغارد يستعمل قصة إبراهيم كي يُلخِّص الأزمة الروحية لقرنه، كي يضع علامة على مفترق طرق في تاريخ الإيمان ويُظهِر ما أنجزته الفلسفة حتى الآن. «العالَم المسيحي» يصل نهايته. هنالك دربان واضحان أمامهم: إما أن يَدَعوا الإيمان يذوب في الإنسانية العقلانية، الأخلاقية، أو أن يبدأوا رسالة الإيمان من جديد. كلا الدربين لا يُمكن أن نعرفهما مُسبقًا؛ كلاهما يُطالب أولئك الذين يسمّون أنفسهم مسيحيين بأن يتعلّموا كيف يعيشون في عالَمهم الجديد. وهذه الرسالة أو المَهمة تتطلّب معلّمًا جديدًا، فيلسوفًا جديدًا، سقراطًا جديدًا. بطريقة أو بأخرى العالَم موجود هناك على الدوام، يُقدّم مطالباته ويُقدّم إغراءاته، لكنه «أيّ العالَم» الآن تحديدًا يتغير بنحو ملموس - والفلسفة يتعيّن عليها أن تتغيّر أيضًا.

إنه يتحرّق شوقًا للوصول إلى المنزل ودخول مكتبته كي يكون باستطاعته أن يُنهي خوف ورعشة. يتعيّن عليه أن يُخرِج هذين الكتابين الجديدين - وبعدها سوف يُري مارتينسِن وهيبيرغ والبقية إلى أيّ مدى بعيد وصل هو، وإلى أيّ مدى يستطيع أن يتفوّق عليهم كلّهم...

الأميال تبدو بلا نهاية في مركبة الجياد العمومية التعيسة هذه - فقط إبراهيم يستطيع أن يفكّر بخلاف ذلك! - ورفاق سفر كيركغارد يبدون بائسين مثلما يشعر هو بذلك. لكن مَن يعرف، ربما كلّ واحد منهم هو، في هذه اللحظة بالذات، يشكر الله في صلاة صامتة - لأننا لا نستطيع أن نشاهد المخاض الباطني لشخصٍ آخر، ولا نعرف سائر الأفراح والأحزان التي تعتمل في نفس أخرى. كيركغارد، من ناحيته، مُتيبّس، مُتقرّح، مُهشّم، يُصلّي فقط كي تصل مركبة الجياد حالًا إلى «سترالسوند».

الفصل الرابع

اتِّباع إبراهيم صوب المنزل

أمنية كيركغارد في الوصول إلى الميناء تحقّقت أخيرًا، وبعد ليلةٍ أَرِقة في أحد الفنادق ها هوجاهزٌ للجزء الأخير من رحلة عودته صوب الديار. المراكب في ميناء سترالسوند ورائحة البحر تجعل دعوة الدنمارك حيويةً ومُلحّةً أكثر. ركب متن الباخرة *سفينسكا ليجونيت*، التي سوف تبحر ليلًا إلى كوبنهاغن. هو مُرهَق، إلا أنه سعيد كونه انتهى من مركبة الجياد العمومية: الآفاق تبدو الآن أرحب، رؤيته باتت واضحة.

في برلين سكب طاقاته في *التكرار*، صانعًا من نضاله من أجل الإخلاص فلسفةً جديدة للحياة. على مدى قرون تعامل الفلاسفة مع الحقيقة بوصفها فكرةً تُفهم عقليًا، إلا أنه في *التكرار* بحث عن حقيقة القلوب البشرية، التي لا توجد في المعرفة بل في الحب. إن الاعتماد على هذه النقلة الفلسفية المفاجئة، المخطوطة الأخرى في حقيبته تلخّص إيمان النبي إبراهيم في جواب بسيط عن سؤال مُحيّر: «ماذا أنجز إبراهيم؟[1] ظلّ صادقًا مع حبه».

إنه يعرف مثلما يعرف أيّ شخص أنّ هذا الصدق لا يأتي بسهولة إلى البشر - ذلك أنه كي تعيش يعني أن تتغير، أن تلتقي الآخرين الذين يتغيّرون هم أيضًا، أن تتعلّم كيف تسكن عالمًا متغيّرًا. فيما نحن نُوجد في هذا العالَم نحن باستمرار ننسى ونكتشف مجدّدًا مَن نحن. كيركغارد وعد بأن يتزوّج من ريجينه، مع ذلك في إعطاء هذا الوعد بالذات كسبَ تبصُّرًا جديدًا في نفسه، هذا التبصّر جعل وعدَه موضع تساؤل. هو الآن يكتب عن النبي إبراهيم، الأب العظيم والرهيب للإيمان - ويا لها من قصة للانغماس فيها! طوال سنوات

عدّة فكّر في إيمان إبراهيم الاستثنائي، والآن رحلة الأب العجوز إلى «المروه» تُظهِر تردّده وشكوكه في راحة حادّة، كلّ خطوة في أعلى الجبل تقيس إلى أيّ مدى إخلاصه وشجاعته لم يبلغا مستوى إخلاص إبراهيم وشجاعته. إنه يتمنّى بشكل من الأشكال أن يبقى صادقًا مع ريجينه على الرغم من فسخ الخطوبة. قد يبدو هذا مستحيلًا، إلا أنّ إيمان إبراهيم بدا مستحيلًا [2] أيضًا.

إنه يرى إبراهيم باعتباره «نجمًا هاديًا[3] ينقذ المُعذَّبين» لأنه كشف أنّ الإيمان ممكن، حتى ولو أن كيف فَعَل ذلك يبقى سرًّا. نجم إبراهيم، عميقٌ ولا يُسبر غوره، سَحَب إلى مداره سائر الأشياء التي تهمّه كثيرًا الآن، في العام 1843: علاقته مع الله، مُثُله الروحية، قطع علاقته مع ريجينه؛ نقائص الفلسفة الحديثة، الرضا الذاتي للعصر، تهديد العَدَمية التي تتسلّل إلى عصره.

التأمّل في الإصحاح 22 من «سِفر التكوين» يُتيح لكيركغارد أن يستكشف معضلة وجوده هو: كيف يكون مُخلِصًا لله - ولفؤاده هو - في داخل العالَم. معظم حياته، شأنه شأن أيّ شخص آخر، احتلتها همومٌ ثانوية وأفكارٌ ضيّقة، وإنه لشيءٌ مُغرٍ أن يفكّر كونه روحانيًا معناه أن يعتبر هذه الأشياء كلّها غير مهمة. مع ذلك، «العهد الجديد» يُقدّم لمحة عن إله موجود في أصغر التفاصيل مثلما هو موجود في أكبر الحوادث - هذا الإله يُحصي كلّ عصفور، كلّ شعرة في رأس الإنسان. «الشيء المهم»، كتب مؤخرًا في دفتر يومياته، «هو أن يكون قادرًا على أن يؤمن بالله في ما يتعلق بأشياء أصغر[5]؛ بخلاف ذلك لا يقف المرء في علاقة مناسبة مع جلالته... كما أنه شيءٌ مهم أن نسحب الله إلى واقع هذا العالَم، حيث يوجد هو يقينًا بأية حال. لمّا ركب بولس السفينة التي كانت على وشك أن تنقلب، لم يُصلِّ فقط من أجل خلاصه الأبدي، بل من أجل خلاصه المؤقت أيضًا».

كتب كيركغارد مُسوّدة موعظة دينية قصيرة عن الإصحاح 22 من «سِفر التكوين» في خريف 1840، بعد خطوبته مباشرةً، فيما كان يتدّرب في «المعهد

الرعوي(*) المَلَكي» في كوبنهاغن. استعمل رحلة إبراهيم إلى «المروه» كي يزعزع الإطلاع الزائد لجماعته المتخيّلة على مهمة الإيمان: «نحن كلّنا نعرف نتيجة القصّة. لعلها لم تعد تُدهشنا لأننا عرفناها منذ سنوات طفولتنا المبكرة جدًا؛ لكن بعدها، في الحقيقة، الخطأ لا يكمن في القصة بل في أنفسنا، لأننا فاترون جدًّا كي نتعاطف مع إبراهيم، كي نعاني معه». في وسط قلقه ومحنته استمع إبراهيم لـ«الصوت الإلهي الآتي من السماء في قلبه»، وحفظ «ثقته في المستقبل». مع ذلك الشيء الاستثنائي جدًّا المتعلّق بإبراهيم، اقترَحَ هو عودته السعيدة إلى الحياة الطبيعية: «توجّه إلى المنزل بسرور، بابتهاج، وبالثقة في الله[5]؛ لأنه لم يتردّد، ولم يكن يملك شيئًا يلوم نفسه عليه». في ذلك الحين، مع توقّع الزواج الذي يولّد حالات قلق جديدة، ربما حسد كيركغارد ثقةَ إبراهيم في مستقبله. وبعودته إلى إبراهيم الآن، بعد مضي عامين ونصف، هو واعٍ أكثر بالاختلاف بين الإيمان المخلص للأب وبين ارتيابه وازدواجيته هو، بين صفاء الأب المُسنّ وبين غضبه المرير هو.

خوف ورعشة سوف يكشف أكثر كيف أنّ علاقة إبراهيم بالرب لم تسحبه بعيدًا عن العالَم، بل ثبّتته في داخله، مناقشًا أنّ إيمان إبراهيم يكمن أقل في تنازله المُذعِن عن إسحق مما هو في استرداد إسحق بعد أن تنازل عنه. كان إبراهيم قد تلقّى أصلًا هدية استثنائية لمّا أوفى الرب بوعده بأنّ سارة، زوجته الأكبر سنًا، سوف تحبل بابن. هذا الطفل مَثّلَ مستقبل إبراهيم، آماله كلّها، مطالبته بالعظمة: إسحق عَنى له العالَم بأسره. وبعدها، بعد مرور أعوام، طُلِب منه أن يذبح الصبي، ومعه المعنى الكامل لوجوده هو. فعل ذلك بطواعية بالغة، من دون أن يفقد ثقته بوعد الله في ما يتعلّق بالسعادة الدنيوية. وهكذا تجدّدت الهدية الإلهية: إبراهيم «لديه إيمانٌ بهذه الحياة»، و«تلقّى ابنًا للمرة الثانية، على عكس التوقّع».

(*) الرَّعاوي pastoral: هنا المقصود ما يخص رعاية الكاهن لأبناء أبرشيته. والمقصود بالمعهد :seminary معهد لاهوتي لإعداد رجال الدين.

في استنباط هذه المُثُل الروحية من قصة إبراهيم، كيركغارد يصوغ جوابًا للسؤال الذي صدمه قبل ستة أعوام خلت، لمّا قابل ريجينه في منزل پيتر روردام: كيف يعيش بصورة دينية في العالَم. هذا السؤال لاحقه عبر أواخر ثلاثينيات القرن التاسع عشر، فيما كان يقرأ أفلاطون، يستمع إلى موتسارت، يُكمل دراسة البكالوريوس في اللاهوت، ويزور ريجينه. في العام 1840، مباشرةً قبل أن يطلب يدها للزواج، كان قد تساءل ما إذا بوسعه أن يُعبّر عن حياته الروحية عبر أشياء دنيوية، كي «يسكُن السماويّ المحدودَ، ويجد طريقه فيه». لكنه ما إن خطب، فإنّ العالَم وروحه هو بدا كأنهما ينسحبان إلى اتجاهين متناقضين وأحسّ أنه مُجبر على أن يختار بينهما.

الآن قصة إبراهيم تكشف له، بنحو أوضح من أيّ وقت مضى، التباين بين نوعين من الحياة الدينية، يتميزان بموقفين مختلفين تمامًا تجاه العالَم. الجزء القرباني من حركة إبراهيم - جُرَّ خارجًا في الرحلة الشّاقّة وصعد «جبل المروه» ووصل الذروة في الفعل الذي لا يتصورّه عقلُ المتمثّل بربط إسحق، لمعان نصل السكين الذي يُوقِف القلب - قد أدركها بعض الأشخاص بكونها ذروة العلاقة مع الله. كيركغارد يُبدي إعجابه بـ«الحركة الرهبانية» للانسحاب من العالَم، التي نادرًا ما يحاول القيام بها أحد في هذا العصر الحديث، حيث العاطفة الدينية لم تُعَد تُقيّم كما تعوّدت أن تكون. إنه يدعو أولئك الذين يعيشون هكذا بوصفهم «فرسان الاعتزال»، مقارنة مع الشخصيات الناجحة في الحياة العامة الدنماركية الذين عيّنهم الملك «فرسان نظام دانينبورغ». فيما كان هؤلاء الفرسان الدنيويون يستمتعون بالامتياز العلماني، فرسان الاعتزال أو الخضوع منعزلين عن العالَم، مرتقين روحيًا وبعيدين.

مع ذلك ثمة شيء أعلى يكمن وراءهم، قمة تناقضية «بارادوكسية» لا يُمكن بلوغها إلا بالهبوط. إبراهيم الذي تخلّى عن كلّ شيء في سبيل الله، قام بحركة أبعد ألا وهي الرجوع إلى العالَم، معانقًا المحدودية، والعيش برضا مع عطاياه الدنيوية. وفيما هو ينزل الجبل مع ابنه اسحق بجانبه، لم يكن فقط فارس استسلام، بل «فارس إيمان». بالنسبة لكيركغارد، يُمثل إبراهيم طريقةً في

أن تكون إنسانًا في العالَم، لا أن ينسحب كالناسك أو الراهب، ولا يُطيع القيم البورجوازية التقليدية. «النجم الهادي» لإبراهيم ينتمي إلى كوكبة تناقضية: إيمان يُعاش في العالَم، ومع ذلك يتحدّى الآمال الدنيوية.

كيركغارد يتخيّل حركات هذا الإيمان كالقفزات الخفيفة، الرشيقة لراقصة باليه - تتكرّر المرة تلو المرة، في كلّ مرة مختلفة قليلًا، وبقدر ما يكون تنفيذها شاقًّا من المُبهِج أن يشاهدها المرء. رقصة الروح تُعبّر عن توقها إلى الله، إلى الخلود، إلى لا محدودية مجهولة. السواد الأعظم من الناس هم «أزهار جدران»(*) لا يُساهمون في هذه الرقصة؛ فرسان الاعتزال، «هم راقصون، ويمتلكون الرقيّ» - إلا أنهم حين يحطون على اليابسة، يترنّحون، كاشفين أنهم لا يستطيعون أن يرتاحوا في العالَم.

فارس الإيمان، على أية حال، يهبط على الأرض بالسهولة نفسها التي يقفز فيها، «محوّلًا وثبة الحياة إلى سلوك». إنه يجعل الوجود يبدو سهلًا جدًّا بحيث إنه لا يوجد شيء نُخبره به، باستثناء الشخص غير التأمّلي إلى حدّ كبير، عديم الروح الذي، غاطسًا في الشؤون اليومية، لا يرى أهميةً في الحياة ما وراء قناعاتها وإحباطاتها المباشرة. علاقة فارس الإيمان بالله هي علاقة باطنية تمامًا، مخفية عن المَشهد العلني. رافقت النعمة الإلهية كلّ خطوة من رحلته عبر العالَم، ولكنه يستلم هذه الهدية سرًّا، بصمت[6].

في خوف ورعشة يصف كيركغارد فارس إيمان يبدو إنسانًا عاديًا كرجل بيروقراطي - كجامع الضرائب:

> **أتفحّص شخصيته من الرأس إلى القدم[7] كي أرى ما إذا يُحتمل ألا يُوجد صَدع يطلّ من خلاله اللانهائي. لا! إنه صَلبٌ بكلّ معنى الكلمة. مواطئه؟ إنها ثابتة، تعود كليًا إلى التناهي. ما من مواطن مرتدٍ ثيابه يخرج عصر يوم أحد إلى فريدريكسبيرغ يدوس الأرض بمزيد من الصلابة. إنه ينتمي كلّيًا للعالَم؛ ما من ماديّ بورجوازي**

(*) زهرة الجدار wallflower: شخص «رجلاً كان أم امرأة»، يقنعُ بمشاهدة الرقص فقط، إما حياءً وإما لأن أحدًا لم يَدْعه إلى الرقص معه.

بوسعه أن ينتمي إليه بعد الآن. ما من شيء قابل للاكتشاف يتعلّق بتلك الطبيعة الغريبة والنبيلة يُمكن بواسطته تمييز فارس الاعتزالالأبدي. إنه يستمتع بكلّ شيء ويُساهم في كلّ شيء، وكلّ ما يراه المرء يشترك في شيء خاص، إنه يُنجَز بإصرار يُميّز الفرد الدنيوي الذي يكون فؤاده متعلّقًا بأشياء من هذا الطراز. لمّا يراه المرء يعتقد بأنه كاتبٌ بالأجرة فَقَدَ نفسه في عالَم المحاسبة، وهو دقيق للغاية. يأخذ إجازة في أيام الآحاد. إنه يستمر في عمله. يذهب إلى الكنيسة. ما من شكل سماويّ أو علامة سماوية عائدة لما هو غير متناسب تخدعُه. إن لم يكن المرء يعرفه، سيكون من المستحيل أن تُميّزه عن بقية الجمهور.

في داخل هذا الشكل البشري غير المُمَيّز توجد روحٌ استثنائية. تحت سلوكه الخالي من الهمّ يكدح في مهمة بشرية صعبة للغاية - مثل خفّة راقصة البالية التي لا تأتي إلا بعد سنوات من التدريب الشاق. فارس الإيمان «يشتري كلّ لحظة يعيشها بأغلى الأثمان: إنه يُفرِغ الحزن العميق لوجوده، لقد أحس بألم التخلّي عن كلّ شيء، أعز شيء يمتلكه في العالَم، لكن المحدود يتذوّق كلّ شيء صغير باعتباره جيدًا له مثلما هو لأيّ شخص لا يعرف شيئًا أسمى».

تمييز كيركغارد بين «فرسان الاعتزال» و«فرسان الإيمان» يُقدّم جوابًا جديدًا لمسألة فلسفية تقليدية. على مدى قرون كافح اللاهوتيون كي يشرحوا كيف استطاع إله مُحب أن يخلق هذا العالَم، بكلّ عذاباته ومظالمه الواضحة بالفعل؛ على الرغم من كلّ حجة حاذقة لتبديد التناقض بين طيبة الله وشرور خلقِه، هذا التناقض يبقى بالنسبة لأناس كثيرين أكبر حَجَر عثرة أمام الإيمان. على الرغم من ذلك يعرف كيركغارد، حاله حال أيّ شخص، أنّ المعاناة ليست حصرًا مسألة فلسفية - لأن مهمة الإيمان ليست شرح المعاناة، بل العيش معها. أسئلتنا الوجودية المُلحّة جدًا ليست *لماذا نعاني*؟ بل *كيف يتعيّن علينا أن نعاني*؟ مثله مثلَ كثيرين من الأشخاص المتدينين، قد يتساءل كيركغارد، في أزمنة الأزمة، عن أسباب معاناته، لكنه في غضون ذلك ينبغي له أن يجد طريقة حتى يعيش يوميًا مع التناقض بين آماله وتجربته، بين الإيمان بالله ومعرفته الكئيبة بالعالَم.

من مخطوطة خوف ورعشة

إنه يعتقد بأنّ محاولات القيام بمواساة دينية سهلة، تنطلق بسرعة بالغة كي تعطي وعدًا بنهاية سعيدة، هي أشبه بالخُدع الميتافيزيقية المشعوذة للاهوتيين الذين يجادلون قائلين إنّ الشر لا يمتلك وجودًا حقيقيًا لأنه مجرّد غياب الصلاح. لاحظ لدى معاصريه هذا الميل إلى تخفيف أوجاع العيش في العالَم: خوف ورعشة يصف رعايا كنيسة نعسانين أراحتهم موعظةٌ دينية تُطمئنهم بأنّ طقس إبراهيم الروحي قد تبيّن أنه جيد في النهاية، كي «يغادروا الأسى، والقلق، والتناقض» في داخل الإيمان. إنه ينتقد سرًا الأسقف مينستر، مرشد [كنيسة الدولة الدنماركية] «وفارس عَلَم الدنمارك القومي»، لأنه «منح العزاء من خلال قول أشياء ربما تقوم بانعطافة نحو الأحسن، أنّ الأيام الأسعد آتية، إلخ». بالنسبة لكيركغارد، ردّ مينستر على القلق والأسى يُقدّم «حكمة دنيوية»، وليس «عزاءً دينيًا أصيلًا»[8].

بالمقارنة، تفسيره الخاص لإبراهيم يكشف أنه «فقط الشخص الذي في حالة قلق يجد الراحة، فقط الشخص الذي يستل السكين يحصل على إسحق». إنّ ثمن الإيمان ثمنٌ مرتفع دائمًا: أنظر إلى أم يسوع المسيح، مريم، كما تُوصَف

في بداية «إنجيل لوقا»، لمّا يزورها الملاك جبرائيل وتحبل بطفل إلهي. التاريخ حوّلها تاليًا إلى ملكة مقدّسة، مع ذلك في هذه اللحظة هي مجرد فتاة غامضة، غير متزوجة وحبلى بصورة مُبهَمة؛ ما من أحد آخر رأى الملاك، و«ما من أحد يستطيع أن يفهمها» - «أليس صحيحًا أيضًا هنا أنّ الشخص الذي يُباركه الله يلعنه في النَفَس ذاته؟[9]. مريم لا تحتاج إلى إعجاب دنيويّ، وهي على غرار إبراهيم قلّما تحتاج إلى الدموع، لأنها ليست بطلة، وهو ليس بطلًا، إلا أن الاثنين أصبحا أعظم من هذين، ليس من خلال كونهما معفيين من المحنة والعذاب والمفارقة، بل من خلال هذه الأشياء».

فرسان الاعتزال والإيمان الذين تخيلهم كيركغارد هم شخصيات نبيلة يدخلون بجسارة معركة الوجود ويواجهون محاكماته. إنه لا يدّعي بأنه واحدٌ من هؤلاء الفرسان هو نفسه: إنه يكتب خوف ورعشة بقناع مؤلّف باسم مُستعار بمستطاعه أن يتصوّر أنه يقوم بحركات نكران الذات، إلا أنه يجد الإيمان مستحيلًا. «نظرتُ مباشرةً في عين المُرعِب؛ إني لا أهرب منه بجبن لكني أعرف تمام المعرفة أنه حتى إذا ما دنوتُ منه بشجاعة، جرأتي مع ذلك ليست جرأة إيمان وهي لا شيء إذا ما قورنت بذلك»، يعترف بهذا سميون ستايلايتس الذي عاش في القرن التاسع عشر.

يصر كيركغارد على أنّ الإيمان الديني يتطلّب «جرأة متناقضة ومتواضعة»، فضيلة مختلفة تمام الاختلاف عن البطولة القُربانية المُلتبسة التي تاق إليها في ما يتصل بريجينه. خبير القلق، يعرف أنّ الخوف هو العدو الكبير في الحياة الروحية - وأنّ الجرأة مطلوبة للتغلّب عليه. «لا تخف»، كان يسوع المسيح يقول باستمرار لحوارييه: رأى كيف أنّ الخوف قلّص أفئدتهم، ومنعهم من الحب أو تلقّي الحب؛ كيف جعلهم يفرّون من الفقدان الذي يتبع الحب الإنساني كالظل. الجرأة تُفهم تقليديًا بوصفها قوة القلب - على غرار بسالة جَندي يواجه أخطار المعركة - إنما في ميدان معركة الوجود، يجب أن تكون القلوب مفتوحة وقوية أيضًا إذا ما أرادت أن تكون إنسانيةً تمامًا، ولهذا السبب مريم العذراء والنبي إبراهيم هما من بين النماذج الروحية العظمى. كيركغارد

يُسمّي انفتاح قلبيهما «جرأة متواضعة»، وهو يفهم بصورة جيدة جدًا كم هو صعب أن يُنجِز هذا: «إنه شيءٌ أصعب أن تتلقّى الحب من أن تمنحه»، يعترف هو في خوف ورعشة.

في أثناء هذه الزيارة الثانية الموجزة لبرلين، وطّد حجرَ زاوية فلسفته: ثمة شيء متناقض في ما يتعلّق بكونه إنسانًا في العالَم. علاقاته الاجتماعية تشكّل حياته وتصوغ وعيه الذاتي، إلا أنّ الطريقة التي يظهر فيها للآخرين لا تُضاهي حقيقته الداخلية. هو واضحٌ للعيان، مرئي ومحكوم عليه، ومع ذلك عجزه عن كشف نفسه يجعله يشعر بأنه وحيد. الوجود الإنساني هو في آنٍ وجودٌ علنيّ بنحو لا مَفرّ منه ووجود خاص بعمق. وكلّما كانت الحياة الداخلية للمرء أعمق، يُصبح هذا التناقض أعمق. شكوك كيركغارد بأنّ أيّ إنسان بمستطاعه أن يُدرك الحياة الدينية لشخص آخر، ناهيك عن أن يصدر حُكمًا عليها، لأنّ «أول شيء تفعله الحياة الدينية هو أنها تغلق بابها وتتكلّم سرًّا»[10]، كما تحدّث الله مع إبراهيم وكما تحدّث الملاك مع مريم. بطبيعة الحال، الأشخاص المتدينون عليهم أن يعيشوا بنحو واضح في العالَم حالهم حال أيّ شخص آخر، مع أنهم يأوون «سرًّا» وهو سرٌّ مخفي ليس بمحض إرادتهم، لكن من المستحيل التعبير عنه: «الجوهر غير متناسب مع المظهر[11]، وما من شخص حتى الصريح، يتمكّن من أن يقول كلّ شيء».

كلّ يوم في غرفته البرلينية المستأجرة المألوفة المُطلّة على «جيندَرمين ماركت»، كان كيركغارد يقضي الوقت في التأمل، يتواصل مع جوهره ويغوص بنحو أعمق فيه: «أجلسُ وأرهف السمع إلى الأصوات في كياني الداخلي[12]، وتلك التلميحات السعيدة للموسيقى والجِدّ العميق للأُرغن. إنّ مزجها في وحدة كاملة هي مهمة ليست مخصصة لمؤلف موسيقي بل لـ *إنسان* هو، في غياب وضع متطلّبات أضخم على الحياة، يحدّدُ نفسه بالمسؤولية البسيطة المتعلّقة بالرغبة بأن يفهم نفسه». الكتابة لا تنفصل عن هذا المجهود المتعلّق بفهم النفس: من خلال الكلمات فضلًا عن من خلال الصمت يجلب هو التماسك إلى تحرّكات روحه. ومع ذلك بالنسبة لكيركغارد يكون هذا على

الدوام تمرينًا متناقضًا ظاهريًا، يكشفُ ويُخفي في الوقت ذاته - على غرار أن تُخبر شخصًا ما أنكَ تمتلك سرًا لا يُمكنكَ أن تُفشيه. الكتابة تُعطي أفكاره المحتجبة للغاية جانبًا علنيًا، تُظهِر هي التناقض بين الحياة الداخلية والخارجية، تجلب سرّيته أو احتجابه إلى الهواء الطلق. وبنحو مراوغ يُقدّم للعالَم صورةً لنفسه، يمضي إلى امتدادات كبيرة كي يشرح أنه لا يُمكن فهمَه.

في خوف ورعشة يُفشي كيركغارد شيئًا يتعلّق بطبيعة الإيمان، ويُصرّ على القول، لا يُمكن إفشاؤه. ويومياته في هذا الشأن ليست ذات تناقض ظاهري أقل من كتاباته المنشورة: إنه يتوقّع أن يقرأها الآخرون، ربما تتم معاملتها باعتبارها تسجيلًا حقيقيًّا لداخله. «بعد وفاتي»، كتب في يومياته هذا العام، «لن يجد أحدٌ في أوراقي[13] -هذا عزائي- أقل معلومة عمّا ملأ حياتي فعلًا، يجد *ذلك* النص المكتوب في كياني الأعمق الذي يفسِّرُ كلّ شيء، وهو عادةً، بالنسبة لي، يصنع ما يُمكن أن يُسميه العالَم أشياء تافهة في حوادث ذات أهمية بالغة، وأنا أيضًا أعدّها عديمة الأهمية ما إن أُزيل الملاحظة السرّية التي تشرحها». عندما يكتب كيركغارد شيئًا شخصيًا فعلًا، فهو يقتطعه من دفتر يومياته بسكين ويرميه في النار.

وَاسَتْه فكرةُ بقائه مخفيًا لأنه كان خائفًا جدًا من أن يُرى. ربما هذا، قبل كلّ شيء، هو الذي جعله عاجزًا عن الزواج: القلق المحض، الذي ضاعفته المُثُل العليا. إنه يعتقد بأنّ الزواج يستلزم انفتاحًا كاملًا بين الزوج والزوجة؛ «زيجات كثيرة جدًّا تُخفي تواريخ صغيرة»[14]، كتب في برلين في 17 مايو، «إلا أنني لم أشأ ذلك». هنا، في تدوين مطوّل في يومياته يتأمّل الخطوبة -اقتطعت منه صفحة واحدة- كشف هو جزئيًا عجزه عن كشف نفسه لريجينه: «لو تسنّى لي أن أبيّن أفكاري ومشاعري كان ينبغي لي أن أُلقِّنها أشياءً رهيبة، علاقتي بأبي، كآبته، الليل الأبدي الذي يتوالد في داخلي، انحرافي عن الطريق، رغباتي وإسرافاتي، وهي في نظر الله على الرغم من كلّ شيء ربما ليست فاضحة، بما أنه على أية حال القلق هو الذي جعلني أضلّ الطريق».

مع أنّ ريجينه أصغر سنًّا بكثير وأقل تعليمًا من كيركغارد، فقد رأت شيئًا من روحه على الرغم من مراوغاته كلّها. في الشهر الفائت، قبل مغادرته إلى برلين،

جعله لقاءٌ غير متوقّع صامتًا معها يُدرك أنها لم تنخدع بمحاولاته في تضليلها بعد أن انتهت خطوبتهما. مع أنه حاول أن يختفي عنها، شاهدته هي: «أحد [عيد الفصح] عند أنشودة[15] «كنيسة سيدتنا» «في أثناء موعظة مينستر الدينية» أومأت لي برأسها. لم أكن أعرف ما إذا أومأت إليّ بتوسّل أم بتسامح، إلا أنها أومأت في أية حال بمودّة. كنتُ قد اتخذتُ مقعدًا في بقعة بعيدة إلا أنها انتبهت إليّ. ليتها لم تنتبه إليّ بحق الله. الآن ضاع عامٌ ونصف من المعاناة وكلّ الآلام الفظيعة التي كابدتُها؛ هي لا تعتقد بأني مخادع، إنها تثق بي... هل يتعين عليّ في جنون محض أن أمضي قُدُمًا وأصبح حقيرًا لمجرد أن أجعلها تصدّقني - آه، لكن ما الفائدة المَرجوّة من ذلك؟ ستظلّ تعتقد بأني لم أكن [حقيرًا] في وقت أبكر».

تخلّى كيركغارد الآن عن خطته في التظاهر بعدم الاكتراث، من المفترض من أجل مصلحة ريجينه: باستطاعته أن يتخلّى عن دور المُغوِي عديم الشفقة، الذي صوّره بطريقة مسرحية في *إما/أو*. بطبيعة الحال، كونه بعيدًا عن كوبنهاغن، وضعه عند مسافة آمنة عن نظرة ريجينه الواثقة، والكتابان اللذان عَمِل عليهما خلال مكوثه الثاني هذا في برلين لا يزالان يتخلّلان أصوات الأسماء المستعارة المُتخيّلة بينه وبين قرّائه. غير أنّ كتابته ظلّت تصل إلى ريجينه، حتى وهو يحرص على أن يُبقي نفسه بعيدًا عنها.

لمّا تقرأ ريجينه خوف ورعشة، هل تتعرّف إلى كيركغاردها في إبراهيم، الذي تخلّى عن ابنه المحبوب في سبيل هدفٍ أسمى غير قابل للتفسير؟ هل ستواسيها الآن الدلالة الروحية لمعاناتها؟ هل تحسّ هي نفسها بأنها مدفوعة لأن تُصبح فارس إيمان، الذي يُسلّم تلقائيًا الهدية التي أُعطيت إليه، واثقةً من أنّ السعادة الدنيوية سوف تُعاد إليها؟ أم يتعيّن عليها أن ترى إلى أيّ مدى قصّرت عن هذا المَثَل الأعلى، وأن تُدرك حجم المعاناة التي سبّبتها له من خلال مقاومتها بكلّ إخلاصها، بكلّ دموعها، كلّ جهودِه في فسخ الخطوبة؟

وماذا بشأن كيركغارد - مَنْ سيكون عندما يصل عائدًا إلى كوبنهاغن؟ كيف سيعود إلى عالَمه؟ بماذا سينعته الجيران؟ بعد هذه الأسابيع الانعزالية في برلين، يعرف هو حق المعرفة أنه سيبدو «غريبًا في العالَم». ما إن يصل إلى الديار، هل سيبقى غريبًا وسط سائر الناس الذين يعتقدون بأنهم يعرفونه - فارس الاعتزال؟

أم إنّ باستطاعته أن يجد طريقًا كي يحط على الأرض برشاقة، على غرار إبراهيم الأب المُسنّ، على غرار مريم الأم المتوقَّعة، على غرار راقصة باليه بارعة تُعبّر عن قفزات الإيمان الداخلية؟

أوّلَ مرة رجع فيها من برلين، في العام 1842، بدت كوبنهاغن صغيرة، ضيّقة، مليئة بوجوه أليفة. إنه يعرف حق المعرفة كيف تبدو الحياة ضيقةً في داخل أسوارها القروسطية - وكم تطيرُ الأقاويل بسرعة عبر الشوارع والساحات. بالمقارنة مع برلين، أو باريس أو لندن، فإنّ عاصمة الدنمارك مدينة صغيرة يُقام فيها سوق عمومي. إلا أنها على خلاف تلك المدن الأخرى تطلّ كوبنهاغن على البحر: حتى في «غاميلتورف» الهواء الملحي والضوء النقي يُمكن أن يُهيّج الأمواج والرياح، حوريات البحر والبحارة، والسماوات الواسعة والآفاق البعيدة، وعاليًا فوق الأسوار هذا العالَم المائي العريض يأتي إلى مجال الرؤية. معارف كيركغارد المُقرّبين بمَن فيهم الرجال الذين أبحروا إلى غرينلاند، إلى أميركا الشمالية، إلى الصين، إلى البرازيل[16]؛ والده جمع ثروته من بيع السلع المشحونة بالسفن إلى كوبنهاغن من الإنديز الشرقية والإنديز الغربية. إنه لأمرٌ مدهش أنّ روحًا اسكندنافية كروحه تكرّر أصوات البحر، تستشعر إمكانات غير مرئية، تعرف اتساع وعمق المحيط؟ أم إنّ أزمة خطوبته تلك جعلته «يغور في المياه الداكنة»[17]، قرّبته من الغرق - مع أنه كان باستطاعته أن يقول لاحقًا إنّ روحه كانت بحاجة إلى هذا «التعميد»؟ «كل شيء يُزبد في داخلي[18] بحيث يبدو أنّ أحاسيسي، كالماء، سوف تكسر الجليد الذي غطيتُ به نفسي»، كتب إلى إميل بويسين في ذلك الحين، إبّان إقامته الأولى في برلين.

لمّا تغرب الشمس على «بحر البلطيق في آخر المساء، تنقلب السماءُ الرحبة ورديةً وزرقاء وذهبية». كيركغارد يعرف أنّ نجومًا لا تُعد ولا تُحصى تتوارى في رقصة نور النهار الأخيرة هذه، تنتظر هبوط الظلام. ربيع 1843 الساطع - أكثر الفصول سطوعًا حتى الآن، لأنه وُلِد بوصفه مؤلفًا، *إما/ أو* عملٌ ناجح، وَكتبٌ جديدة تتفتح أصلًا في داخله - تكاد تنتهي، والليالي الشمالية تقصر بسرعة الآن. ينبغي له أن يأخذ قسطًا من الراحة. سوف تصل الباخرة إلى مرفأ كوبنهاغن صباح الغد - وبعدها سوف يعود إلى العمل.

القسم الثاني

1813 - 1848

الحياة تُفهم إلى الوراء

خُصّصت لي من سنوات الطفولة حياةُ عذاب[1] *ربما قليلون يُمكنهم أن يتخيّلوها، غطستُ في أعمق نوعٍ من الكآبة، ومن هذه الكآبة غطستُ ثانيةً في اليأس، توصّلت إلى فهم ذاتي من خلال الكتابة.*

الفصل الخامس

تَعلُّم أن تكون إنسانًا: الدرس الأول

المنزل ساكن، وهو واقف عند النافذة المرتفعة المُطلّة على «نيتورف»، الدخان يتصاعد من غليونه. في ليلة الربيع الصافية هذه الساحةُ العريضة فضيّة وظليلة في ضوء القمر. هناك في جهة الشمال، على السطوح، باستطاعته أن يكتشف البرج المهيب لـ«كنيسة سيدتنا»، أكثر عتمة من السماء. إنها نهاية شهر آذار العام 1848، ومرّت نحو خمسة أعوام منذ عودته إلى الديار من برلين، مؤلفٌ حديث الشهرة، مفعمٌ بالأمل وطموح، يحمل *التكرار* ونصف خوف ورعشة في حقيبته. وتقريبًا انطوت خمس وثلاثون سنة منذ أن وُلِد في هذا المنزل: والداه كانا ريفيين بالولادة، ومع ذلك كسب أبوه نقودًا كافية كي يستطيع امتلاك واحد من العناوين المُستحَبّة جدًّا في كوبنهاغن. إبان سنوات صباه غالبًا ما كان كيركغارد يقف هنا، غير مرئي، يراقب المارّة في الأسفل. في حينها، كما هو الحال الآن، كان يُلقي نظرةً عامة على العالَم من موقعه الثريّ، المتمتّع بامتيازات، جُلِدَ زهوُه سرًّا بالعار الناجم عن أصولِه المُلتبِسة.

أمضى السنوات الإحدى والعشرين الأولى من حياته في هذا المنزل الكبير، الأنيق الواقع في «نيتورف»، المتاخم لقاعة المدينة ودار القضاء. هذه الحجرات الواسعة كانت بيتًا قبل أن تتشكّل ذكرياته فيها، قبل أن يعرف أسماء الأشياء، قبل أن يباشر في طرح الأسئلة - وهو مكان ما قبل التاريخ، خرافي شكّله بطرائق قد تستغرق زمن حياة كي يُسبَر غوره.

رجع كي يُقيم هنا قبل أربعة أعوام، في العام 1844: في هذه الحجرة كتب كثيرًا مما يُسمّيه الآن «تأليفه»، وكابينة خشب الورد المرتفعة تتكدّس فوقها

صفوف عالية من كُتبه - نسختان من كلّ كتاب، مطبوعة على الرّق، «نسخة لها، ونسخة لي»[1]. في أثناء تلك السنوات الأربع كان يُصمّم في كثير من الأحيان أن يتوقّف عن الكتابة ويُصبح كاهنًا في «بُعد منسيّ في بيت ريفي يعود لكاهن»[2]، حيث يُترَك في سلام وطمأنينة كي «يحزن على آثامه». بدلًا من ذلك أنتج كتابًا بعد الآخر: مجلّدات ضعيفة بخطابات دينية، وأعمال قوية قصيرة من مثل *شذرات فلسفية* و*مفهوم القلق*، ومن ثم *مراحل في طريق الحياة* و*حاشية ختامية غير علمية* الهائلين. ومع كلّ كتاب كان يُجدد نضاله كي يقرر ما إذا ينبغي أن يُنهي تأليفه؛ *حاشية ختامية غير علمية*، الذي ظهر للنور في العام 1846، أنهاه بنحو واضح، وانتهى بـ«الإعلان الأول والأخير» معترفًا بأنه هو، س. كيركغارد، كَتَبَ الأعمال التي نُسبت إلى أسمائه المستعارة المختلفة. غير أنّ كتابه *الحاشية* الضخم سرعان ما تَبِعه *عصران*، وهو كتاب يتنكّر بوصفه مراجعة كتاب، وفي السنة التالية تَبِعه *أعمال الحب*، وهو مُجلّد سميك من الخطابات. هو لا يزال لا يعرف ما إذا كانت نهايته كمؤلّف قد حصلت بالفعل أم إنها لم تأت بعد؛ على أي حال إنه يكتب بنشاط.

أنفق معظم ثروة أبيه على هذا التأليف - ليس فقط طبع عدّة مئات من النسخ لكل كتاب، والمساعدة السكرتارية لإسرائيل ليفْن، بل كلّ ما يحتاجه كي يُديم حياته ككاتب: الخدم، الطعام الجيّد، المطاعم، المقاهي، علب السيجار، الكتب وتجليد الكتب، عربات الجياد المستأجرة لمّا يتعين عليه أن يمضي خارج المدينة كي يُصفي باله. العام الفائت، 1847، باع آخر أسهمه وسنداته الملْكية الموروثة، فقد الدخل المالي الذي كانت تدرّه عليه، لذا في ديسمبر زاد النقود من خلال بيع منزل أسرته. ظلّ هنا كمستأجر[3] خلال الشهور الثلاثة الأولى من العام 1848، فيما كان الشتاء الطويل الكئيب يدفأ رويدًا رويدًا، حزم خادمه أنديرس الذي كان يُدير شؤونه المنزلية، مكتبته في صناديق خشبية، هي الآن مصطفة بعناية على طول الجدران. أوراقه ويومياته غير المنشورة حُفظت في صناديق صفيح، تحسبًا لإندلاع النار؛ كُدّست هذه على قمم الصناديق الخشبية، لأنّ أنديرس يعرف أنه يتعين عليه أن ينقذها أولًا إذا ما شبّت النار في المنزل.

عندما باع كيركغارد المنزل، خطط لأن يستعمل بعض العوائد المالية كي يسافر على مدى عامين: لقد سَئِم من كوبنهاغن، ففي هذه المدينة هو معروف جدًا ومفهوم قليلًا جدًا. كان يأمل أنّ الرحيل أخيرًا سوف يُحرّره من الدورة المُرهِقة، المُقلِقة، ومع ذلك الإجبارية من الانتاج والنشر السريعين. عندئذ أدرك أنّ السفر ربما يُحفّز إبداعه أكثر، وقد فعل ذلك خلال تلك الزيارة الأولى الحافلة، الفاتنة لبرلين، لمّا بدأت مسيرته في التأليف. لذا فقد استثمر بعض المال من بيع منزله في 2 نيتورف بسندات ملْكية، وفي نهاية يناير وقّع عقد إيجار لشقة في الطابق الأول في زاوية شارعَيْ «روزينبرغ غيد»(*) و«تورنيبوسكي غيد»، مباشرة داخل سور المدينة الشمالي، «الذي أغواني بطريقة غريبة بكلّ معنى الكلمة[4] على مدى زمن طويل، وكنتُ أُحدّث نفسي عادةً أني الشخص الوحيد الذي أستطيع أن أحبه». إنه مقر إقامة فخم، حديث: ست نوافذ من الطابق الأرضي تواجه جهة الشمال، على «تورنيبوسكي غيد»، وأربعة نوافذ تطلّ على جهة الجنوب الشرقي فوق «روزينبرغ غيد». سوف ينتقل إلى هناك في أبريل، بعد بضعة أيام من الآن. إنه يشتاق إلى مغادرة المدينة والانزواء في مكان هادئ - مع ذلك يعتقد بأنها «دعوته» للبقاء في العالَم، في المكان الذي «خصّصه» له الله: هنا في مسقط رأسه، مُعرَّضًا لعيون الآخرين.

بينما يقف كيركغارد عند نافذة الطابق الأول من 2 نيتورف، متأمّلًا مستقبله، ويدور المرة تلو المرة عائدًا إلى ماضيه، هناك مَدّ ثوري يتضخّم ويتفجر عبر العالم المسيحي. في فبراير نُشر *البيان الشيوعي* في لندن، ووُزِّع بسرعة على المدن الأوروبية؛ في باريس ملكٌ آخر أُطيح به؛ موجات الاحتجاج تعمّ الآن أنحاء الدنمارك. هنا في كوبنهاغن، تجمّعت حشود في المسارح كي يسمعوا

(*) روزينبرغ غيد Rosenborggade: تعني حرفيًا «شارع روزينبرغ»، وهو شارع في «البلدة القديمة» في كوبنهاغن. كلمة gade تعني «شارع» باللغة الدنماركية، وتوضع في آخر الكلمة على غرار كلمة strasse بالألمانية، مع أنّ هذه الكلمة تعني «طريقًا عامًا» أو «طريقًا سريعًا».

دعوات أورلا ليمان(*) ومائير هارون غولدشميت(**) من أجل حق تصويت شامل للذكور، ودستور حر، وحتى جمهورية دنماركية. المشاعر القومية تتصاعد، تتدفّق عبر القنوات البالية للعداء مع الجيران الأجانب، ومع ذلك تتّخذ أيضًا أشكالًا جديدة ولا يُمكن التنبؤ بها: فيما يتم تحدّي الحُكم المَلَكي المطلق، المحافظون، الليبراليون والريفيون يتسابقون من أجل السلطة.

في يناير توفي الملك كريستيان الثامن، خائفًا من الشيوعية وقلقًا مما يجلبه العام الجديد، كيركغارد يعرف هذا لأنّ الملك القديم، الذي كان مُعجبًا بكتابته، دعاه إلى «قصر أميلينبورغ» ثلاث مرات العام الفائت، وفي كلّ مناسبة كانا يتحدّثان في الغالب عن السياسة. في أثناء زيارته الأخيرة حاول أن يُطمئن الملك أنّ هذا «الصراع الطبقي» هو أشبه بجدال بين مستأجرين جيران، لا يحتاج لأن يُزعج صاحب مبناهم السكني، و«الحركة كلّها لن تمسّ الملوك على الإطلاق»[5]. وأضاف قائلًا إنه «لشيءٌ بائس أن يكون عبقريًا في مدينة هي سوق تجاري[6]» - ربما كان الملك كريستيان سعيد الحظ لأن لديه انتفاضة فقط.

مع ذلك تأكدت مخاوف الملك الراحل: قبل بضعة أيام، في صبيحة الحادي والعشرين من مارس 1848، تجمّع آلاف الأشخاص[7] خارج قاعة المدينة في «نيتورڤ»، تحت نافذة كيركغارد، يهتفون مطالبين بتغيير النظام. الحشود في ذلك الحين كان يقودها ل. ن. هڤيت، رئيس حكومة المدينة، إلى «قصر كريستيانزبورغ» كي يستدعوا الملك الخليع الجديد، فريدريك السابع، أكبر أبناء كريستيان الثالث. مخاطبة الشعب لـ«التاج»، التي كتبها أورلا ليمان، طالبت بدستور حرّ؛ الملك فرِيدريك ينبغي أن يوافق على صرف وزرائه من

(*) أورلا ليمان Orla Lehmann (1810 - 1870): سياسي دنماركي، لعب دورًا جوهريًا في تطوّر الحكومة الدنماركية البرلمانية.

(**) مائير هارون غولدشميت Meïr Aron Goldschmidt (1819 - 1887): ناشر، صحافي، وروائي دنماركي. وهو الصحافي المؤسس لجريدة «كورسارين» [القرصان] السياسية الساخرة.

الخدمة، وأن يتم تشكيل «وزارة مارس» مؤقتة على وجه السرعة. الآن، فيما كانت الأشجار فوق أسوار كوبنهاغن المعشوشبة تتوّج المدينة بأزهار وردية وبيضاء، تفجّر الصراع طويل الأمد بين الدنماركيين والألمان على دوقيتيْ الحدود الجنوبية «هولشتاين» و«شيلسڤيج» ونشبت حرب - لأنه كما لاحظ كيركغارد، «تحتاج الوزارة الجديدة إلى حرب كي تبقى في السلطة[8]، إنها تحتاج إلى كل هيجان ممكن للعواطف القومية».



ملك الدنمارك كريستيان الثامن في 1845

«هناك كلّ شيء مهتاج[9]؛ قضية المواطنة تشغل الجميع؛ كلّهم يتكلّمون عن التضحية بالحياة والدم، وربما يرغبون أيضًا بأن يفعلوا ذلك، إلا أنهم كانوا مدعومين بجبروت الرأي العام»، كتب في يومياته هذا الأسبوع، حين اندلع القتال في جنوب «يوتلاند». «وبينما أنا أجلس في غرفة هادئة -بلا ريب سوف أكتسب حالًا سمعة عدم الاكتراث بقضية البلد- أعرف خطرًا واحدًا لا غير، خطر التديّن».

إلا أنه يبدو أنه ما من أحد يُبالي بهذا الأمر، أو يفهمه. «حسنًا، هكذا هي حياتي. يُساء فهمها دائمًا. في الأمر الذي أعاني فيه، يُساء فهمي - وأنا مكروه». كان قد مرّ بأعوام صعبة، لا تزال تجثم على حاضره، يرزح تحت ثقلها، متأمّلًا تعاسته. الحوادث المُدمّرة للعام 1846 - شهور الإذلال العلني والسخرية اللذين عانى منهما - كانا قد غيّرا بشكل حاسم علاقته بالمدينة ورأيه في العالَم. في الأوقات التي يضع نفسه فيها تحت «ضغط هائل» كهذا، يحس بأنه ضعيف جسديًا، ويعتقد بأنه يحتضر. مع أنّ تأليفه هو عبء، فهو لا يجد الراحة إلا في الكتابة: هنا في المنزل، خاصةً في ساعات الليل الهادئة، الكلمات تتدفّق بحرّية من ريشته، أفكار سَلِسة ترقص بسعادة عبر الصفحة المفتوحة، لم تُطبَع وتُجلّد بعدُ، لم تُكشَف بعدُ للعيون العلنية غير المتوقَّعة التي لا حصرَ لها. إنه يعود عادةً إلى المنزل من مسيرته اليومية الراجلة ويمضي مباشرةً إلى طاولة الكتابة، لا يزال يعتمر قبعته ويلبس سترته، جُمل جديدة تتدفّق من يده. ويواصل المشي فيما هو يكتب، يذرع الغرفة جيئة وذهابًا، مستشعرًا إيقاع نثره. يوجد ورق، وريش وحبر في كلّ غرفة[10]: ورق كتابة فاخر، مقطّع إلى حجم الربع، مطوي، مُخيّط في كراسات بواسطة مُجلّد كتبه؛ ريّش فولاذ، أقلام رصاص للشطب؛ حبر أسود من نوع جيد. إنه يعمل حتى ساعة متأخرة من الليل، نوافذه تتوّهج في مربع مهجور.

أمضى هذه الأسابيع الأخيرة في نيتورف وهو يكتب عملًا جديدًا، *المرض حتى الموت*. هذا كرّاس تشخيصي للأرواح الضائعة؛ إنه يُقدّم فلسفة كيركغارد في الوجود الإنساني بجلاء وبنحو مباشر أكثر من أيّ واحد من كتبه السابقة. الصفحات الافتتاحية توضح أنّ الكائنات البشرية ليست فقط أجسادًا وعقولًا، بل كائنات روحية، لها صلة بسلطة أعلى. مع ذلك حيواتنا الروحية لا تُعطى لنا، جاهزة التكوّين إن لم تكن ناضجة، على غرار أجسادنا: نحن كلّنا نواجه مَهمّة أن نُصبح نحن أنفسنا. هذا يعني أنّ نعيش كلّ لحظة في ما يتعلّق بالله، باستمرار نعود ونعود مجدّدًا إلى المصدر الأبدي لكينونتنا. «ثمة كلام كثير جدًا عن تبديد الحياة[11]، إلا أنّ حياة الفرد وحدها التي تضيع حين يستمر هذا الفرد في العيش

مخدوعًا جدًا بأفراح الحياة أو أحزانها، بحيث إنه لن يُصبح واعيًا بنحو حاسم أو أبدي بوصفه روحًا، بوصفه نفسًا -أو ما يساوي الشيء ذاته، لن يعي بالمعنى الأعمق أنّ هنالك رب وأنه، هو نفسه، موجود قبل هذا الرب- وبوصفه هبةٌ لا نهائية لن تُكتسَب إلا من خلال اليأس».

نعم، اليأس هو بركة، نعمة، لأنه علامة على ارتباط الإنسان بالله، إمكانيته العليا. ومع ذلك إنه لعنة، لأنّ عمق الروح الإنسانية تُقاس بقوة معاناتها. «هل اليأس امتياز أم عيب؟[12]»، ديالكتيكيًا بكلّ معنى الكلمة هو الاثنان معًا. ليتنا نتأمل الفكرة المجرّدة لليأس، من دون أن نفكّر في أيّ شخص هو فعلًا في حالة يأس، ينبغي أن نعتبره امتيازًا متفوّقًا. كون هذا المرض ممكنًا هو تفوّق الإنسان على الحيوان، وهذا التفوّق يميّزه بطريقة مختلفة تمامًا عن مشيته العمودية، لأنه يُشير إلى استقامة لا محدودة أو سمو: إلى أنه روح... وبالتالي، أن يكون قادرًا على اليأس لهو امتياز لا حدود له، ومع ذلك أن تكون في حالة يأس ليس فقط أسوأ بلاء وبؤس - لا، إنه تحطيم.

وهذا المرض الروحي المبهم، يقترح كيركغارد، هو مرض كوني - بقدر ما يستطيع أن يجزم؛ هو لا يقدر أن يُرى إلا في روحه هو، مع أنه من الأفضل أن يعرف نفسه كلّما يتبيّن انعكاسات يأسه في الآخرين:

> بالضبط مثلما يُحتمل أن يقول الطبيب[13] إنه في الأرجح لا يوجد إنسانٌ حيّ واحد معافى تمامًا، لذا أيّ شخص يعرف فعلًا الجنس البشري قد يقول إنه لا يوجد إنسان حيّ واحد لا يقنط قليلًا، لا يأوي سرًا اضطرابًا، صراعًا داخليًا، تنافرًا، قلقًا في ما يتعلّق بشيء مجهول أو شيء لا يجرؤ حتى على محاولة معرفته، قلقًا يتعلّق باحتماليةٍ ما في الوجود أو قلقًا يتعلّق بنفسه، بحيث إنه، مثلما يتحدّث الطبيب عن حمل مَرَضٍ ما في الجسم، يمشي هنا وهناك وهو يحمل مرضًا روحيًا يُشير إلى وجوده في فواصل زمنية نادرة وعبر قلق لا يقدر أن يُفسره.

أن يكون المرء في حالة يأس هو أن يخسر ذاته الحقيقية، وأولئك الأشخاص الذين يُدركون أنهم يعانون من هذا المرض يتوقون إلى علاج. ومع ذلك معظم الناس، كما لاحظ هو، يخسرون أنفسهم في هذا العالَم حتى من دون أن يُدركوا ذلك: أكبر الأخطار كلّها، خسارة النفس[14]؛ هذه الخسارة يُمكن أن تحصل بهدوء شديد في العالَم، كما لو أنها ليست شيئًا على الإطلاق. «ما من خسارة أخرى يُمكن أن تحدث بهدوء بالغ؛ أيُّ خسارة أخرى -ذراع، رِجل، خمسة دولارات، زوجة، إلخ.- من المؤكد أن تُلاحَظ». وفي حقيقة الأمر، بالنسبة للعالَم هذه اللامبالاة الروحية تبدو مثل راحة حياة سعيدة، ناجحة: «فقط بخسارة المرء نفسه بهذه الطريقة، فقد كسب قدرةً متزايدة على التقدّم بشكل ممتاز في المهنة والحياة الاجتماعية، من أجل تحقيق نجاح كبير في العالَم. هنا لا يوجد تأخير، لا صعوبة مع نفسه وحركاتها اللامحدودة؛ هو ناعم مثل حجر دوّار، شائع مثل قطعة نقد متداولة. إنه أبعد من أن يُعَد شخصًا يائسًا ذلك أنه فقط ما يُفترَض أن يكون عليه الإنسان».

هذه الرؤية الدنيوية فاسدة، ومتناقضة، وساخرة بشكل عفوي. مهما يُحتمل أن يكون الناس تافهين ومتعجرفين -ومهما شُجّعت كثيرٌ من تلك السلوكيات في العالَم- فإنهم بواسطة هذه الدنيوية بالذات يقلّلون من شأن أنفسهم، رافضين نداءهم الروحي الأسمى. يختار كيركغارد مَجازًا مناسبًا للظروف الحالية، ويطلب من قارئه:

> تصوَّر منزلًا[15] ذا سرداب، وطابق أرضي، وطابق أول مُنَظَّم بحيث من المفترَض أن يكون ثمة فارق اجتماعي بين شاغليه بحسب الطابق. الآن، لو أنّ مسألة أن تكون إنسانًا تُقارَن مع منزل كهذا، إذًا للأسف الشديد الحقيقة الحزينة والمُضحِكة المتعلّقة بأغلبية الشعب هي أنهم في منازلهم يُفضّلون أن يُقيموا في السرداب. كلّ إنسان هو تكوين نفسي - جسدي مطلوبٌ منه أن يكون روحًا؛ هذا هو المبنى، إلا إنه يُفضّل أن يسكن في القبو، أيّ، في أصناف

حسّية، ببساطة جسد. والأكثر من ذلك، هو لا يُفضّل فقط أن يسكن في قبو - لا، إنه يُحب ذلك كثيرًا بحيث إنه يغضب إذا ما اقترح عليه أيّ شخص أن ينتقل إلى طابق أعلى بديع ينتصب خاليًا وتحت تصرفه، لأنه على أي حال، يسكن في منزله هو.

لكن كيف يصبح المرء «واعيًا على نحو أبدي بكونه روحًا»، هنا في العالم، حيث توجد أشياء كثيرة أخرى كي يقوم بها؟ كيف يستطيع أن يُعبّر عن طبيعته الروحية في كلّ هذه الأمكنة العادية - في حجرات مؤثثة هادئة، في شوارع تعجّ بالحركة والنشاط، في مقاهٍ عابقة بالدخان، في المسرح، في السوق، أو متنزّهًا في حدائق فريدريكسبيرغ؟ فقط بأن يصبح «شفّافًا مع نفسه»، ويشعر بيأسه في سائر الأشكال المعقّدة، المتغيّرة، غير المؤكّدة التي اتخذها -أي اليأس- في داخل روحه:

في كثير من الأحيان ربما تكون لدى الشخص اليائس فكرة غامضة عن حالته هو[16]، مع أنه، ومرة ثانية، الفوارق الدقيقة هنا لا تُعدّ ولا تُحصى. إلى حدّ ما، إنه يَعي كونه يائسًا، يحسّ باليأس بالطريقة التي يحسّ فيها الشخص الذي يسير هنا وهناك بمرضٍ جسديٍّ إلا أنه لا يُريد أن يعترف بصراحة بالطبيعة الحقيقية للمَرَض. في لحظة ما، يكون متيقّنًا تقريبًا أنه قانط؛ وفي اللحظة التالية، تبدو وعكته الصحية كأنّ لها سببًا آخر، شيئًا خارج ذاته، وإذا ما تبدّل هذا الشيء، لن يكون يائسًا. أو ربما يحاول أن يُبقي نفسه في الخفاء في ما يتّصل بحالته من خلال اللهو وبطرائق أخرى، على سبيل المثال من خلال العمل والانشغال، مع ذلك وبطريقة ما بحيث إنه لا يُدرك تمامًا لماذا يفعل ذلك، أيّ أن يُبقي نفسه في الخفاء. أو حتى يُدرك أنه يعمل بهذه الطريقة كي يغطس روحه في الغموض، ويفعل هذا بفطنة شديدة معيّنة ورويّة لاذعة، بتبصّر سيكولوجي؛ إلا أنه، بمعنًى أعمق، لا يعي بوضوح ما يفعله، كيف أنه هو نفسه يتصرّف بنحو يائس.

كلّ هذه الاستكانة لليأس ربما تصدِم الناس كونها مُبالغًا فيها، و«وجهة نظر كئيبة ومُحبطة». يعتقد كيركغارد بأنه ليس واحدًا من هذه الأشياء: «اليأس ليس كئيبًا، لأنه على العكس، يحاول أن يُلقي الضوء على ما تُرِك غامضًا بعض الشيء؛ إنه ليس مُحبِطًا بل على العكس هو رافع، لأنه يرى كلّ إنسان تحت مصير أعلى استحقاق مفروض عليه، أن يكون روحًا». في الحقيقة، على غرار سقراط، يعتبر كيركغارد هذه الأشياء المُحرِّضة خدمةً لبلاده. بدلًا من قتال الألمان في شيلسفيج - هولشتاين، أو القيام بحملة من أجل الإصلاح الشعبي، أو الدفاع عن المَلَكية، يحارب هو من أجل قضية روحية: «أحبُ بلادي[17] - إنه شيء صحيح أني لم أذهب إلى الحرب - لكنني أعتقد بأني خدمتُها بطريقة أخرى، وأعتقد بأني على حق في الاعتقاد بأنّ الدنمارك ينبغي أن تبحث عن قوتها في الروح والعقل. إني فخور بلغتي الأم، التي أعرف أسرارها، لغتي الأم التي أعاملها بمحبة تزيد على محبة عازف الفلوت لآلته الموسيقية».

مع ذلك مرَّ حبه للوطن من دون تقدير، واستخفَّ أبناء بلاده بجهوده العميقة. «ذلك الإنتاج الضخم، العميق جدًّا الذي يبدو لي كما لو أنه ينبغي أن يُحرّك الحجر[18]، لا أحدَ من معاصريَّ قادرٌ على منافسة حتى أجزاء منفردة من إنجازي، أو قول أي شيء عن تماميتها - ذلك النشاط الأدبي يُعتبر نوعًا من هواية مثل صيد السمك وما إلى ذلك. وأنا أُعتَبر نوعًا من رجل إنكليزي، غريب الأطوار نصف مجنون».

الصبي الصغير الذي وقف هنا مرةً أحسَّ أيضًا بنفسه خارج العالَم الذي كان يشاهده من نافذته. آل كيركغارد لم يكونوا ينتمون إلى كوبنهاغن، ولا إلى المجتمع البورجوازي الذي منحتهم ثروتُهم مَدخلًا إليه. كان سورين كيركغارد مختلفًا عن الصبيان الآخرين، الذين ضحكوا على الثياب الغريبة، عتيقة الطراز التي جعله أبوه يرتديها: سروال قصير وسترة بأذيال قصيرة من نسيج «التويد» الخشَن الداكن، وجوارب صوفية. الآن، فيما هو يتأهّب لمغادرة نيتورف إلى الأبد، يشعر بنحو أقوى أكثر من أيّ وقت مضى بثقل طفولته في المنزل، محمولًا في أعماق كيانه.

وأعمق منه منزله الأول، أمه آن. حاله حال أيّ روح إنسانية، جاء إلى الكينونة في داخل الدفء الهادئ، الداكن لجسم أمّه، وهو يتوق إلى حرم كهذا حين تصبح الأضواء الساطعة للعالَم قاسية جدًّا بالنسبة له. على الرغم من ذلك، لم يذكر كيركيغارد أمه في سائر كتاباته، المنشورة وغير المنشورة. ليس لأنه نسيها؛ إنه ذلك الصمت في حرم المقدّس، الذي أمسك به طويلًا قبل أن يعرف كيف يتكلّم.

***

في مايو 1813، لمّا وضعت آن سورينسداتر كيركغارد طفلها السابع والأخير، سورين آبي، كانت متزوجة من ميخائيل ﭘيدرسِن كيركغارد على مدى ستة عشر عامًا، والأسرة كانت قد استقرّت في المنزل الكبير في نيتورڤ. كانت آن في سن الخامسة والأربعين تقريبًا، وزوجها في السادسة والخمسين: كانا قد تجاوزا أصلًا أمل حياة مواطني كوبنهاغن، وكانا كبيري السن بما يكفي كي يكونا جدّين لأولادهما الجُدد. قبل سنوات طويلة، عملت آن خادمة في منزل ميخائيل ﭘيدرسِن وزوجته الأولى، كريستين، التي ماتت من دون أطفال في مارس 1796. تزوّجت آن من ميخائيل في أبريل في العام التالي، وابنتهما الأولى، مارين، وُلدت خلال خمسة شهور من الزفاف. كانت آن، في الواقع، من الأقارب البعيدين لميخائيل ﭘيدرسِن كيركغارد. ولمّا أصبح زوجها تاجرًا ثريًا ومواطنًا محترمًا، لم يكن باستطاعتها أن تكتب اسمها.

كانت آن كيركغارد امرأة مرحة، لطيفة، واستمتعت بالعناية بأطفالها. «كانت تشعر برضًا خاصٍّ حين تضعهم بسلام في الفراش[19]، طالما أنها في ذلك الحين كانت تستعمل سلطتها ببهجة، تدلّلهم وتحميهم مثلما تفعل الدجاجة مع فراخها»، تتذكّر حفيدتها هنرييته لوند. «شكلها البشري الضئيل المكتنز عادةً لا يظهر إلا في مدخل غرفة نوم الأطفال، والصراخ والزعيق يُفسح الطريق للصمت: الصبي اليافع المتمرّد أو الفتاة الصغيرة المتمرّدة سرعان ما ينامان بحلاوة بعد عناقها الرقيق». بالطبع، أُم كهذه كانت مهتمّة بنحو خاص بالصغير سورين آبي، أصغر أطفالها، بطبيعته الحساسة، وعينيه الكبيرتين البرّاقتين،

عموده الفقري المعوجّ وكتفيه النحيلتين. وحتى حين كان في سن الخامسة عشرة، زارت فتاةٌ أسرته وحسبته «صبيًا مُدلّلًا وسيئ السلوك[20] يتعلّق بحبال مريول أمه».

لمّا وُلِد كيركغارد، شقيقته مارين كانت في ربيعها الخامس عشر؛ وتليها نيكولين، في سن الثالثة عشرة، وبِتريا، في سن الحادية عشرة. كان شقيقه الأكبر، بيتر كريستيان، في سن الثامنة تقريبًا؛ سورين ميخائيل -المعروف باسم ميخائيل- في سن السادسة؛ وأقرب أشقائه نيلز بلغ سن الرابعة توًا. مع أنه دخل عالَمًا مليئًا بالأطفال، هو الآن يعتبر طفولته جنةً ضاعت أصلًا في الطفولة: «لم أعرف سعادة كوني طفلًا[21]، لأنّ العذاب المُفرط الذي كابدتُه عكّر الطمأنية الضرورية لأن تكون طفلًا، لأن تكون قادرًا على المثابرة، إلخ. كي يسرّ الطفل أباه، لأن القلق الذي في داخلي جعلني على الدوام، على الدوام خارجًا عن طوري».



آن كيركغارد وميخائيل پيدرسِن

كلّما يقتفي أثر جذور هذا القلق، ويصل عائدًا إلى أكثر ذكرياته غموضًا، يُصادف الشكل البشري الضخم لأبيه، الذي بدا حضوره الكئيب كأنّه يملأ المنزل الواقع في نيتورڤ. «كانت بُنيته قوية[22]، ملامحه ثابتة ومُصممة، وضعه

كلّه قوي... بالنسبة له، الطاعة هي المبدأ». كان ميخائيل پيدرسِن كيركغارد كثير المطالب، ضليعًا في كلّ شيء يفعله، ومياًلا للكآبة. حين يتذكّره كيركغارد الآن، يتذكّر هذا الشعور الكئيب، القلق الذي يربطه بنفسه السابقة، الغلام اليافع الذي كان يرنو ببصره إلى أبيه الصارم بخوف ورعشة: «آه، كم هو مُخيف حين أفكر لحظةً بالخلفية الكئيبة لحياتي[23]، بدءًا من أبكر الأيام. القلق الذي ملأ به أبي روحي، كآبته المُخيفة، الأشياء الكثيرة في هذا الخصوص التي لا يسعني حتى تدوينها».

ميخائيل پيدرسون كيركغارد نشأ في أرض زراعية بـ«سيدنغ»، وهي أبرشية صغيرة في الجانب الغربي من «يوتلاند». والده الفلاح پيدر كريستينسِن، كان يعتني بفناء كنيسة churchyard [*كيركغارد*] الأبرشية[24]، وأتخذ ذلك اسمًا له، يتم تهجئته وفقًا للنطق المحليّ. كانت أعوام ميخائيل پيدرسِن المبكرة قاسية؛ لم ينسَ قط اليوم الذي لعن فيه الله عندما كان يرعى الأغنام خارجًا في مناخ قاسٍ، وهو يشعر بالجوع والبرد. لمّا كان لا يزال صبيًا ذهب إلى كوبنهاغن كي يعمل كمبتدئ في مخزن خاله المتخصّص بالجوارب. في سن الرابعة والعشرين أصبح تاجر جوارب مجازًا في المدينة، وبعد بضعة أعوام بدأ يستورد البضائع، مثل السكر والقهوة، من المستعمرات الدنماركية في الهند الشرقية -تُسمى *دانسك أوستنديين*- والكاريبي. في نهاية القرن الثامن عشر جمع ثروة ضخمة[25] وتقاعد من مهنة التجارة. في العام 1809، تتوسّع أسرته، فيشتري المنزل الواقع في نيتورف ويسكن هناك طوال ما تبقى من حياته في رفاهية واضحة إنما مقيّدة. حطّم الانهيار المالي للعام 1813 - العام الذي وُلد فيه سورين آبي، ابنه السابع - عائلات دنماركية كثيرة، إلا أنّ ميخائيل پيدرسِن كان قد استثمر ثروته في سندات مدعومة بالذهب واجتاز الأزمة على نحو أفضل من أيّ وقت مضى.

هذا التحوّل الاستثنائي لغلام فلاح بائس إلى واحد من أغنى الرجال في كوبنهاغن ليست فقط قصّة عن الحظّ السعيد. مسيرة ميخائيل پيدرسِن كيركغارد تمثّل التغيرات الاجتماعية التي أعادت تشكيل أوروبا خلال زمن حياته: حين

تسلّلت أخلاق جديدة لتحسين النفس عبر المنظومات الإقطاعية القديمة، آلاف الأشخاص هاجروا من المناطق الريفية إلى المدن الكبيرة. الثروة لم تعد شيئًا يُسلّمه الآباء باليد إلى أبنائهم؛ بل من الممكن أن تُخلَق وتنمو عبر الابتكار. رجالٌ من مثل ميخائيل پيدرسِن كيركغارد -والده كان عبدًا في نظام رق لصاحب الأرض التي يعمل فيها- بوسعه أن يربح من عمل السخرة في مستعمرة «ساحل الذهب» الدنماركية في غرب أفريقيا، مثلما يستغل الجيل اللاحق الآن السكك الحديد الجديدة كي يُزيد الأرباح أكثر. في 1792 كان الملك الدنماركي، كريستيان السابع، أول ملك أوروبي يمنع تجارة العبيد. هذا المرسوم استغرق عقدًا من الزمن كي يصبح ساري المفعول، والرقّ نفسه استمر في المستعمرات البعيدة طوال النصف الأول من القرن التاسع عشر – وهي مدة طويلة بما يكفي كي تضمن صعود الطبقة البورجوازية. من ناحية أخرى، جمع المال من خلال التجارة اكتسب أهمية جديدة. طوال قرون عدّة شجعت الديانة المسيحية الناس على أن ينظروا إلى الرفاهية الدنيوية بارتياب؛ التجارة الآن ليست محترمة فقط، بل مستقيمة أخلاقيًا.

كما لو أنّ عرض كيف أنّ الثراء الجديد المكتسب عبر التجارة الاستعمارية دعم نمو التعليم والراحة معًا، بعد تقاعده من المهنة في عامه الأربعين، شغل ميخائيل پيدرسِن كيركغارد نفسه بالمساعي الفكرية. هكذا عرف كيركغارد أباه دائمًا[26]: إنه يقرأ كثيرًا جدًا، عادةً مواعظ دينية أو كتبًا فلسفية؛ كانت لديه آراء قوية، وشهيّة للمناقشة. أقاربهم الزائرون يجدون «أنه شيءٌ يفتن اللب أن يسمعوا الرجل العجوز يتجادل مع الأبناء[27]، من دون أن يستسلم أيّ واحد منهم، وأن يروا النشاط الهادئ للأم العجوز، وكيف ينبغي لها أن تُصغي غالبًا بإعجاب، وغالبًا تقاطعه كي تهدئ الأشياء حين يُصبح النقاش حاميًا. كانوا يتكلّمون عن السماء والأرض وكلّ شيء بينهما». رؤية كيركغارد للعالَم كميدان معركة[28] تكوّنت في صالة استقبال في نيتورف: هنا تعلّم أن يرى رجال الإيمان بوصفهم فرسانًا، والحب بوصفه رقصة على أنغام «موسيقى الزواج». كان أول خصومه هم أبوه وأشقاؤه؛ وتاليًا زملاؤه الطلبة، ومن ثم زملاؤه الكتّاب. وحتى ريجينه أصبحت عدوّته – وهي امرأة «حاربت كاللبوة»، عندما حاول أن يقطع علاقته بها.

مع أنه كثيرًا ما تجادل مع أبنائه، إلا أن ميخائيل پيدرسِن كيركغارد كان فخورًا بذكائهم. تعوّد أن يقول لزملاء سورين في المدرسة: «عندما لا أستطيع النوم، أستلقي وأتحدّث مع أولادي[29]، وما من حوارات أفضل منها هنا في كوبنهاغن». مع أنّ تاجر الجوارب المتقاعد في «يوتلاند» باستطاعته أن يشقّ طريقه عبر الأنظمة الفلسفية، كان يقوم بالتسوّق اليومي للأسرة بنفسه[30]، وكان بالمستطاع عادةً رؤيته وهو يخطو خطوات واسعة صوب المنزل عائدًا من السوق حاملًا بطة سمينة.

لمّا نشأ كيركغارد شعر بالانضباط الصارم لأبيه وبشخصيته القوية باعتبارهما قوةً طاغية كان يحتاج لمقاومتها. كان مستقلًّا بطبيعته ولا يُبالي بالقواعد الاجتماعية السائدة[31] - وأنّ إحدى طرائق حماية حريته هي أن يُخفي حياته الباطنية. وحتى وسط زملائه الطلاب، «لم يكن يكشف شخصيته بالطريقة التي يقوم بها الشبيبة عادةً» [32]. مرحًا ومكتئبًا على السواء، تعلّم أن «يُغلّف حياته بوجود خارجي من *الاستمتاع بالحياة* والابتهاج»[33]. عادة السرّية والتنكّر هذه هي آخر درس من دروس الطفولة، تعلّمها في 2 نيتورف، ظلّت تلازمه حتى العقد الرابع من حياته. هذه العادة باتت مُكمّلة لتأليفه، ولحياته ككاتب: لم يكن قد نشر فقط كثيرًا من أعماله تحت غطاء أسماء مستعارة، بل جعل نفسه جديرًا بالملاحظة في شوارع ومقاهي كوبنهاغن كي يُخفي الساعات الطويلة التي أمضاها جالسًا إلى طاولة الكتابة.

ازدواجيته لم تكن منفصلة عن الموقف العميق للتناقض الذي يُشكّل علاقته مع العالَم. إنه يشتاق إلى «نقاء القلب» الذي وعظ به يسوع المسيح أتباعه، ومع ذلك يجد نفسه مقسومًا باستمرار إلى اثنين. هذا، أيضًا، يعزوه إلى أبيه، وإلى الدين الذي جسّده: «جعل طفولتي عذابًا لا نظير له[34]، وجعلني في أعمق أعماقي، منزعجًا من الديانة المسيحية، حتى ولو انطلاقًا من الاحترام الذي أقرّ بأني لم أقل كلمةً واحدة عنها إلى أيّ فرد، وانطلاقًا من محبتي لأبي، كي أصف العقيدة المسيحية بصورة حقيقية قدر الإمكان. ومع ذلك كان أبي أبًا مُحبًّا للغاية». كان يُريد أن يُدخل السرور إلى قلب أبيه، وكان يُريد أن يتحدّاه؛ محبة

ميخائيل پيدرسِن كيركغارد لأبنائه مَحبةٌ مُربكة، لأنها لو كانت صادرة عن حسن نية، فهي مُدمّرة أيضًا. هذا الارتباك عمّق قلق كيركغارد وتناقضه: «اكتسبتُ قلقًا بالغًا حيال العقيدة المسيحية[35]، ومع ذلك أحسستُ بأني منجذبٌ إليه بقوة». في أثر رجعي، يبدو هذا ليس فقط إرثًا أبويًا، بل، أقوى من ذلك، يبدو مصيرًا – منعه، كما يعرف هو الآن، من الزواج من ريجينه. «يحدث غالبًا أنّ طفلًا في المهد يُصبح خطيبًا لفتاة ستكون ذات يوم زوجته، أو تُصبح الفتاة خطيبة رجل سيكون في يومٍ من الأيام زوجها؛ دينيًا كنتُ أصلًا، في طفولتي المبكرة – خطيبًا في وقت سابق. آ! دفعتُ ثمنًا بالغًا لأني ذات مرة أسأتُ فهم حياتي ونسيتُ أني خطيب!».

ربما كانت عاداته السرية فقط ما دفعت علاقة أبيه الصارمة، المُخيفة بالديانة المسيحية بنحو أعمق في داخله، حيث أصبحت أقوى. «سابقًا لمّا كنتُ طفلًا صغيرًا، أخبروني بأقصى جدية ممكنة أنّ 'الجمهور' بصق على يسوع المسيح، مع أنه هو الحقيقة. أبقيتُ هذا مُخبأً عميقًا في قلبي وحتى أخبئ ذلك بنحو أفضل، أخفيتُ الحقيقة التي مفادها أني خبأته عميقًا في قلبي، عميقًا في داخل روحي تحت مظهر خارجي يدل على العكس... إني أرجع باستمرار إلى هذا كما لو أنني أعود إلى رأيي الأول».

هكذا هي ازدواجيته، أيضًا، بحيث إنه حتى حافزه على الإخفاء قد تعقّبه ميلٌ مناقض لأن يكشف نفسه، من خلال الكتابة. في العام 1842، قبل أن يُباشر في تأليف *إما/ أو*، بدأ يكتب هجاءً فلسفيًا عن شخصية اسمها يوهانِس كليماكوس، وهو فيلسوف شاب أصبح تاليًا أحد أسمائه المستعارة. في ذلك العمل الناقص، شبيه السيرة الذاتية المكتوب بقلمه وصف فيه كيركغارد لعبةً مُتخيّلة تعوّد يوهانِس أن يزاولها في أثناء سنوات طفولته مع والده المُسن، «رجل صارم للغاية، وهو كما يبدو متحفّظٌ ومُملٌّ»:

> إلا أنه تحت نمط «عباءته الريفية» أخفى خيالًا متّقدًا[36] حتى عمره الكبير لا يقدر أن يجعله كليلًا. ولما تكون هنالك فرص يطلب فيها

ي. ك.(*) الإذن بالخروج، وفي معظم الحالات يُرفَض هذا الإذن؛ مع أنه مرةً في كلّ حين يقترح الأب من خلال التعويض أن ابنه ينبغي أن يأخذ يده ويمشي ذهابًا وإيابًا في أرجاء الحجرة. في الوهلة الأولى بدا هذا تعويضًا هزيلًا؛ ومع ذلك، كما هو الحال مع نمط «العباءة الريفية» ذاك، كان هنالك وراءه أكثر مما ظهر.

كان قد تم تبنّي المقترح، وي.ك. مُنِح خيارًا حرًّا بكلّ معنى الكلمة في ما يتعلّق بالمكان الذي ينبغي أن يذهبا إليه. لذا سارا على الأقدام خارج بوابة المدينة إلى قصر ريفي قريب، أو بعيدًا إلى الساحل، أو راحا يتمشيان هنا وهناك في الشوارع، أو أينما يرغب ي.ك. لأنّ كلّ شيء كان تحت سلطة الأب. وبينما هما يسيران ذهابًا وإيابًا في أنحاء الغرفة يصف الأب كلّ الأشياء التي يشاهدانها. رحّبا بالمارة؛ العربات كانت تقعقع بقربهما وتغطي على صوت الأب؛ كانت سلع المرأة ذات المؤخّرة الضخمة مُغريةً أكثر من أيّ وقت مضى... لو كانت الطريق غير مألوفة، فإنّها مألوفة بالنسبة لـِ ي. ك.، يُضيف الغلام مقترحات، بينما خيال والده الهائل كان قادرًا على تأسيس أيّ شيء، مستعملًا كلّ وهم من أوهام الطفولة باعتباره مقوّمًا في المسرحية التي تجري. بالنسبة لــ ي.ك. بدا كما لو أنّ العالَم يُخلَق فيما هما يتحاوران؛ كما لو أنّ أباه هو الله، وهو الشخص المفضّل لدى الله الذي سُمِح له بأن يقاطع أوهامه الهزيلة بمرح كما يحلو له.

بعد أن تخلّى عن كتابه المتعلّق بيوهانِس كليماكوس وعن أبيه اللاهوتي ظاهريًا، فكر كيركغارد طويلًا في كتابة رواية قصيرة بعنوان *الأسرة الغامضة*[37]، التي سوف تُعيد إنتاج «تراجيديا» طفولته. «إنها تبدأ بأسلوب أبوي – غزلي،

(*) ي. ك.: هما اختصار ليوهانيس كليماكوس. في النص الإنكليزي ج. سِ. وهما اختصار لـ(Johannes Climacus).

بحيث إنه ما من أحد يشك بأيّ شيء قبل أن ترنّ تلك الكلمة بغتةً، موفرةً تفسيرًا مُرعبًا لكلّ شيء... التفسير المُرعب، السرّي، للديني الذي كان ممنوحًا لي بحسٍّ داخلي مُخيف كان خيالي قد شكّله بواسطة مطرقة».

لم يكتب هذا الكتاب، ولا كشف سرّ أسرته. أخبره أبوه ذات مرة بسرٍّ يتعلّق بماضيه هو: إثمٌ كان كيركغارد يُلمّح إليه غالبًا في كتابته، إلا أنه لن يبوح به. «الذنب يجب أن يقع على الأسرة كلّها»[38]، كتب خلال سنوات دراسته الجامعية، حين توفي كلّ أشقائه وشقيقاته باستثناء واحدٍ؛ «عقاب الله يجب أن يكون على ذلك الإثم: من المفترض أن يختفي، أن تطمسه يد الله القوية، أن يُمسَح مثلما يُمسَح الخطأ». ومن دون أمل في مستقبل سعيد، استطرد قائلًا: «العجيب إذًا أني بيأس، ومنفردًا، وضعت يدي على الجانب الفكري من الإنسان، وتشبّثتُ بذلك الجانب، بحيث إنّ فكرة قدراتي العقلية الاستثنائية كانت هي راحتي الوحيدة، الأفكار هي سعادتي الوحيدة». في ذلك الحين كانت عادة طفولته المتعلّقة بإخفاء الذات، قد تكوّنت جزئيًا في تحدّي اهتمام والده الشديد، قد اتخذت (أيّ العادة) باعثًا متضاربًا: بسبب الولاء لوالده، لا يُمكنه أن يُفشي أسراره.

***

كان قد واصل حمل هذا التضارب أو الصراع في داخله منذ وفاة ميخائيل بيدرسين كيركغارد في العام 1838 - قبل عشرة أعوام من الآن. فيما هو يقاوم ذكرياته المُوجِعة، يتذكّر والده يوميًا في صلواته انطلاقًا من إحساسه بالواجب. في كتاب *أعمال الحب*، وهو مجموعة من الخطابات في المَثَل الأعلى المسيحي المتعلّق بحب الجيران المنشور في السنة المنصرمة، في العام 1847، اقترح أنّ حب الأموات هو أنقى أنواع الحب، لأنه لا يتوقّع شيئًا بالمقابل. مع ذلك للسبب نفسه إنه لشيءٌ مؤلم أن تكون غاضبًا مع أبٍ ميتٍ؛ غضبُه لا يتوقّع ردًّا، وليس لديه سوى نفسه الغاضبة كي يتصارع معها.

وختامًا يستدير مبتعدًا عن الشباك: حتى ولو لم يكن قادرًا على النوم، ينبغي له أن يحاول أن يرتاح. ستكون هنالك بضع ليالٍ أخرى كهذه الليلة، وهو

يخفض بصره ناظرًا إلى نيتورف، وعاليًا عبر الساحة إلى الجانب الجنوبي من برج الكنيسة. في داخل الغرفة، يُلامس ضوء القمر ريشة الفولاذ على مكتبه العالي، علب الصفيح الثمينة، علب الرزم المليئة بالكتب، كابينة خشب الورد التي تحتوي كتبه. يعتقد كيركغارد بأنّ «تعلّم الحب» هو أهم مُهمة إنسانية، وهي أيضًا أصعب مهمة - وقد بدأ هذا الدرس هنا، مع أُمٍّ وأبٍ توفيا في هذا المنزل. لقد رأى الموت والحزن عن كثب لمّا كان لا يزال طفلًا: حين كان في سن السادسة، شقيقه سورين ميخائيل مات بحادثة في ملعب المدرسة؛ بعد مرور ثلاثة أعوام، في 1822، شقيقته الكبرى مارين ماتت في سن الرابعة والعشرين بسبب صحتها الهشّة. برهن الحب على كونه مُلازمًا للقلق والفقدان. مع أنه حاول مرات لا تُعدّ ولا تُحصى أن يفلت من قلقه، أو يحرفه بدهاء دفاعي، أو يسحقه بين الريشة والورق، يعرف هو أنّ الحب صادق أكثر، إنساني أكثر بنحو تام، كي يدع نفسه يختبره - لأنّ تعلّم الحب يعني «تعلّم أن تكون قلقًا».

قبل خمسة أعوام خلت، كتب في خوف ورعشة أنّ كلّ شخص يتعيّن عليه أن ينجز مهمّة الحب مجدّدًا: بينما المعرفة العلمية تتكدّس عبر الأجيال، في الحب لا نستطيع أن نبني على مسار أسلافنا. مهما يكن من أمر، نحن نتعلّم الحب أولًا[39] -سواء بيقين أم بقلق، بصمود أم بشكلٍ متقلّب، بحرارة أم عن بُعد- من آبائنا، ونحن نحمل ميراثهم الطويل مطويًا في داخلنا. في طفولة كيركغارد، كانت أمه آن صانعة السلام هي ترياقٌ لأبيه المتجهّم، المعقّد، مثلما هو «العهد الجديد» «رب الحب» يُقال إنه يُبطل رب القانون الأقدم. بينما جسّد أبوه عقيدة مسيحية جعلته قلقًا وعلّمته القتال، جسّدت أمه الراحة العميقة التي يفتش عنها الآن في الرب. تعلّم أن يُحب أول امرأة في حياته بشغف، بعناد، بحثًا عن السلوى، بشوق، ومع ذلك هو أمينٌ على قيمته، بغطرسة طفل ذكي. أحب أول رجل في حياته بخوف، بوقار، بتحدٍّ، بغيرة، بإصرار على إدخال الفرح إلى فؤاده، إصرار طفل ذكي. بطبيعة الحال لم يفهم هو، في وقتها، أنّ تلك الأشكال الأولى من الحب هي تشكيلة، مُفعَمة بالتكرار؛ أنّ تلك الطرائق الصبيانية شقّت دربًا سوف يسلكه ثانية بعد وقتٍ طويل من مغادرته المنزل.

الفصل السادس

«تعالوا إليّ»

في العام 1848 حلّ عيد الفصح متأخرًا أكثر من المعتاد، في الأسبوع الرابع من أبريل، وفيما يسير نحو المنزل من «كنيسة سيدتنا» بعد خدمة أحد عيد الفصح، كان الهواء يبدو دافئًا تقريبًا. الشوارع مزدحمة والمعنويات عالية: الجموع تندفع بسعادة من الكنيسة في الاتجاهات كلّها، متحرّرةً أخيرًا من التزام «الصوم الكبير»(*)، مستمتعين بأشعة الشمس والتطلّع إلى الغداء. حين كان يُقيم في «نيتورف»، كانت «كنيسة سيدتنا» تبعد أقل من دقيقتين؛ الآن انتقل هو إلى روزينبرغ غيد، المسير صوب المنزل أطول قليلًا - حول الجانب الشمالي من الكنيسة، مرورًا بالجامعة، عبر الشارع المؤدّي إلى البرج المستدير الكبير لـ«كنيسة الثالوث»؛ وبعدها يسارًا إلى «كوبماغر غيد»(**)، مرورًا بمعمل الخزف الصيني، مخزن كتب «ريتزل»، ومكاتب جريدة «ذه فاذرلاند» [وطن الأسلاف]، وصعودًا عبر «كلتورڤيت»(***).

باقيًا في الجانب الظليل من الشارع، يسرع كيركغارد إلى المنزل كي يكتب. في أيامنا هذه، المواعظ الدينية التي يسمعها هي حافز جديد لخطاباته الدينية.

(*) الصوم الكبير Lenten: هو إحدى فترات الصيام بحسب الديانة المسيحية، يبدأ في يوم أربعاء الرماد بحسب الطقس اللاتيني، أما بحسب الطقس الشرقي يبدأ يوم الاثنين. وتستمر فترة الصيام المسيحية إلى نحو ستة أسابيع قبل عيد القيامة.

(**) كوبماغيرغيد Købmagergade: شارع سابلة للتسوّق، في (البلدة القديمة) في كوبنهاغن.

(***) كولتورڤيت Kultorvet: ساحة عامة في (البلدة القديمة) في كوبنهاغن.

التعليم المواسي للأسقف مينستر، الذي يقود «كنيسة الدولة الدنماركية» من مقر إقامته في «كنيسة سيدتنا»، لا بد أن جابهه إصرارٌ صارم في صعوبة الحياة المسيحية. في باله، فقرةٌ جديدة تندفع أصلًا عبر صفحتها. كونه كتب مسوّدة مجموعة من ثلاثة خطابات في «الزنابق والطيور» العائدة لـ«موعظة يسوع المسيح الدينية على الجبل»، يعمل هو الآن على كتاب آخر، تتمّة لكتاب *مرضٌ حتى الموت* الذي لم يُنشر حتى الآن. بينما شخّص ذلك العمل أنواع اليأس الذي يعاني منه البشر -كثيرٌ منهم غير واعين بمرضهم الروحي- هذه المجموعة الجديدة من الخطابات تقترح علاجًا وحيدًا: إتّباع يسوع المسيح. ينبغي له أن يُظهِر أنّ هذا مَثَل أعلى مطلوب، إن لم نقل إنه مهمة مستحيلة؛ إنّ يسوع المسيح دعا أتباعه (حوارييه) من حيواتهم المريحة، التقليدية، ووضعهم على دربٍ خطير غامض ومشكوك فيه. في هذا العمل الجديد، الذي حمل عنوانًا مؤقتًا *تعالوا إليّ* (إنجيل متّى 11:28)، كيركغارد يُعارض المؤسسة المسيحية بصورة مباشرة أكثر - مُمَثَّلةً قبل كلّ شيء بالأسقف مينستر، وبـ«كنيسة سيدتنا»، التي توفّرها كاتدرائية كوبنهاغن باعتبارها نموذجًا للعبادة المسيحية في جميع أنحاء الدنمارك.

عاش حياته كلّها في هذه الأبرشية، مع أنّ «كنيسة سيدتنا» نفسها كانت أشبه بأطلال حين وُلِد. كانت قد احترقت لمّا قصفت البحرية البريطانية المدينة في العام 1807 إبان «الحروب النابليونية». لذا في يونيو 1813 أخذه أبواه كي يُعمّداه في «كنيسة الروح القدس»، التي تبعد شوارع قليلة شرق كنيسة أبرشيتهم المُدمّرة. في ذلك اليوم أصبح سورين آبي كيركغارد عضوًا في «كنيسة الدولة الدنماركية» ومواطنًا دنماركيًا في آن - لأنّ المسيحية اللوثرية كانت مرتبطة بإحكام بالحياة المَدَنية بحيث إنّ التعميد في الكنيسة القومية هو أيضًا يمنح المواطنة. إنه شيء غير مشروع أن ننكر في الأشياء المطبوعة وجود الله، والعَقوبة هي النفي من الدنمارك. كيركغارد لم يقترب أبدًا من الكفر، مع أنّ تأليفه كلّه يتصدّى لتعميده من خلال السؤال، المرة تلو المرة، ما إذا أصبح الشخص، أيّ شخص، في هذا البلد اللوثري مسيحيًا.

مع أنّ منزله الجديد في «روزينبرغ غيد» يبعد أكثر عن «كنيسة سيدتنا»، إلا أنه يقتربُ كثيرًا من خلال كتابته - وهو انتقالٌ مُبهَم على نحو مميّز، كما لو أنّ القُرب يُقلّص فؤاده، يقوّي ازدواجيته طويلة الأمد تجاه الدين التي ورثها ليس فقط من أبيه، بل من بلاده. لعله ينتقل إلى الكنيسة كي يقصفها بالقنابل من الداخل. كتابه الجديد يُقدّم نقدًا حادًّا للأسقف مينستر، وليس فقط عبر تفسير للمسيحية ينحرف بنحو جذري أكثر عن تفسير الأسقف. كتاب الأسقف الأكثر شهرة هو عمله التعبدي الصادر في العام 1833 المعنون بـ *ملحوظات عن التعاليم المسيحية*، وكيركغارد سوف يجعل مينستر هدفه الجليّ من خلال الهجوم على الفكرة القائلة إنّ الشخص المسيحي ينبغي أن يكون «مُراقبًا» مُعجَبًا بيسوع المسيح. لا، مَهمة الشخص المسيحي هي أن يتبع يسوع المسيح، وأن يُقلّده[1] - وهذا يعني أن يعاني مثلما عانى هو.

وقد قرر أخيرًا أن ينشر كتابه الموسوم بـ*خطابات مسيحية*، وهو مجموعة من ثمانية وعشرين موعظة دينية تنافس، في الحجم على الأقل، المجلد الضخم لمواعظ مينستر الدينية التي تعوّد أن يقرأها في 2 نيتورف عندما كان صبيًا. *خطابات مسيحية*، الذي كُتب السنة الفائتة، سيكون في مخازن كتب كوبنهاغن في بحر ثلاثة أيام، في 25 أبريل 1848. قد يكون هذا كتابه الأخير؛ هنا لأول مرة، كلمة *كريستليج* [مسيحية] تظهر في عنوان عمل من تأليف س. كيركغارد. على مدى أعوام، بالطبع، تأليفه دار حول الثيمات المسيحية. منذ العام 1843، كتب عشرات «الخطابات المُنوِّرة» في الحياة الروحية، معتبرةً أشعار «العهد الجديد» نقطة بدايتها؛ في العام 1844، نشر *شذرات فلسفية*، في «التناقض الظاهري المُطلق» لـ«التجسيد»، بالإضافة إلى *مفهوم القلق*، تفسيرٌ جديد لمبدأ الخطيئة الأصلية. غير أنّ تلك الأعمال كانت مكتوبة تحت ستار مؤلِفِيْن مُتخيّلِين وجّهوا أسئلة دينية بوصفهم علماء بالمنطق أو متخصِّصِين بعلم النفس، وأَبوا أن يصفوا أنفسهم كمسيحيِّين. تحت أسماء مستعارة كهذه كان بمستطاع كيركغارد أن يُقارب الديانة المسيحية بشكل غير مباشر، أوَّلي، خفيّ. قبل بضعة شهور، في خريف 1847، وضع اسمه هو على *أعمال الحب*، وهو سلسلة من

«المشاورات المسيحية» في وصية أن «تُحب جارك كما تُحب نفسك». الآن يقترب هو بنحو مباشر من شخصية يسوع المسيح، الذي استدعاه، بثّ الخوف في نفسه، وأربكه وحيّره منذ سنوات شبابه.

أسئلته المتعلّقة بكيف يكون إنسانًا تركّزت في مهمة متابعة هذه الشخصية الآسرة، الغامضة. هل سيسحبه هذا الدرب الضيّق أكثر إلى داخل الكنيسة - أم يأخذه إلى خارجها؟ هذا شكل جديد، مُتوتّر من السؤال الذي ضايقه باستمرار: كيف يستطيع أن يغدو إنسانًا تمامًا، حقًّا في داخل الأنماط الجاهزة من الحياة التي ينبغي أن يوفّرها العالَم؟ هل إنّ الكنيسة جزءٌ من هذا العالَم، أم إنها بديلٌ عنه - ملاذٌ مقدّس، حامية روحية، حصن مقدّس؟ أين يمضي حين يذهب إلى الكنيسة؟ هل يجد حقيقة أخرى غير تلك الحقيقة التي يجدها في المسرح، أو قاعة المحاضرات، أو في السوق - أم إنّ الكنائس أضحت أقل الأمكنة صدقًا في العالَم المسيحي؟

في هذا البلد اللوثري المستقرّ، كيركغارد يجابه إرث كفاح لوثر. في عشرينيات القرن السادس عشر، فيما كان لا يزال راهبًا وكاثوليكيًا رومانيًا، ناقش لوثر قائلًا إن الكنيسة الحقيقية غير مرئية، هي مجتمع روحي كوّنه الإيمان فقط، في حين أن كلّ المباني المرئية وأساقفة «العالَم المسيحي» نُصُب تذكارية فاسدة لتشويه الإنجيل الذي تقوم به كنيسته. مع ذلك، العقيدة اللوثرية سرعان ما جعلت نفسها مرئية على حدّ سواء - في كرّاسات مطبوعة مُزينة بصور لوثر، وفي مشاعل من الكتب والقساوسة الخشبيين. المتحوّلون إلى كنيسة لوثر الروحية انتزعوا السيطرة على الكنائس المادية في جميع أنحاء أوروبا - بما فيها «كنيسة سيدتنا» في كوبنهاغن. بعد مضي ثلاثمائة سنة فإن هذه الكنيسة، بالنسبة لكيركغارد، مكانٌ غامض: إنها منزل الله، أو منزل الأوهام؟

منجذبًا بقوة شديدة إلى مهمته الروحية التي لا يستطيع أن يضع حدودًا لثقلها وإلحاحها، كيركغارد يسأل كيف يُعبّر عن حاجته الباطنية إلى الله في داخل كنيسة تُبدي استعدادها لتلبية هذه الحاجة، مع ذلك يبدو أنها عادةً تُقلّلها أو تحرّفها أو تُزيّفها. بوسعه أن يعزو هذا السؤال مباشرةً إلى يسوع المسيح، الذي

كانت تعاليمه تخترق طقوس ومنظومات مجتمعه الديني. وهو يتدفّق مثل نبض روحي عبر التقليد المسيحي، يُنشّطها ويُعطّلها معًا من الداخل. في الكنائس اللوثرية، قاد هذا السؤال التجديدات التُقَويّة التي ضغطت على حدود الدين الرسمي على مدى قرنين بعد وفاة لوثر. التُقَويّة وضعت التعبّد فوق العقيدة، اليقظة الروحية فوق الإيمان التقليدي؛ هذا هو دين القلب، يؤكّد على الشعور والسلوك الورع بدلًا من صيغ العقيدة. بينما حازت كنيستهم على السلطة السياسية وقوّت منزلتها في العالَم، تقَويّون كثيرون اعتمدوا على فروع رهبانية وغامضة من الكاثوليكية القروسطية، وتحدّثوا عن التخلّي عن أشياء دنيوية. بالنسبة للآخرين، تعاليم يسوع المسيح ألهمت مساواتية ذات تفكير تقدّمي: هؤلاء التّقَويّون كانوا معادين للرهبان واجتماعيين بنحو فاعل، ووضعوا آراءهم الراديكالية قيد التطبيق من خلال العيش في مجتمعات منفصلة، مستقلّين بنحو كبير عن الكنيسة والدولة. الحركة التُّقَوية المناهضة للأرثوذكسية اللوثرية تشابكت مع الدين الرسمي للدنمارك كي يكوّنا التنشئة المسيحية لكيركغارد، لأنّ أباه هو عضو في جماعة التُّقَويين في كوبنهاغن، فضلًا عن كونه ممَن يذهبون بانتظام إلى الكنيسة. هذه التوتّرات الدينية شكّلت روحه، مثلما شكّلت العالَم المسيحي البروتستانتي: إرثه الروحي هو ترجمة مُصغّرة جدًّا لثلاثة قرون من تاريخ الإصلاح.

***

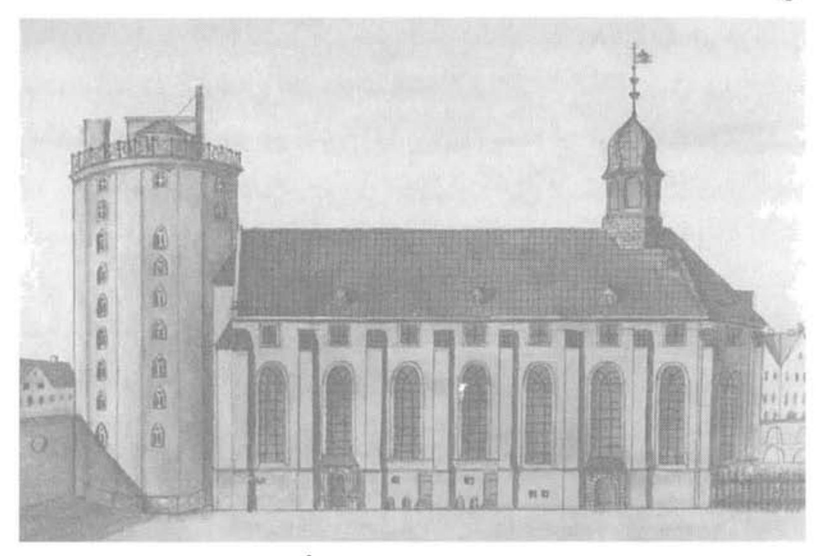
«يوتلاند الغربية»، حيث نشأ ميخائيل پيدرسِن كيركغارد، هي واحدة من مناطق الدنمارك التي ترسخت فيها التَّقَوية المورافية في القرن الثامن عشر. بعد انتقاله إلى المدينة، ظلّ ميخائيل پيدرسِن كيركغارد مخلصًا لتُقَوية أسرته المنتمية إلى «يوتلاند»، وقد غمرت تُقَويّته العقيدة المسيحية التي مرّرها إلى أولاده. وحالهم حال تُقَويين آخرين، المورافيون كانوا يطمحون إلى حياة مقدّسة تتبع مثال يسوع المسيح: كانوا يسعون إلى تقليد إيمان يسوع المسيح العميق، الداخلي في الله، وطاعته النقيّة القلب، تواضعه وفقره. بطبيعة الحال، ما من أحد يستطيع أن يقضي حياته وفقًا لقدوة كثيرة المطالب كهذه - وكلّ

مجهود من أجل القيام بهذا العمل توضّح أكثر أنّ البشر آثمون، وبحاجة إلى عفو إلهي وافتداء.

لمّا وصل ميخائيل پيدرسِن كيركغارد إلى كوبنهاغن في ستينيات القرن الثامن عشر، كان المورافيون قد استقرّوا هناك نحو ثلاثة عقود من الزمن، و«جماعة الأخوان» العائدة لهم تنمو بقوة. ولما أصبح هو رجل أعمال ناجحًا، ساعد في توجيه الشؤون المالية لـ«الجماعة»: نصحهم بأن يشتروا قاعة اجتماعات أكبر في «ستورمغيد» في 1816، ومع أنه لم يكن معروفًا عنه بكونه سخيًّا في ما يخص ثروته عُدّ واحدًا من أكثر أعضاء المجموعة إخلاصًا[2]. في أثناء أعوام طفولة كيركغارد، نجح «إخوان كوبنهاغن» تحت قيادة جِ. سِ. ريوس، الذي جاء إلى المدينة من «كريستيانس فيلد»، وهي قرية صغيرة مورافية مساواتية في شرق «يوتلاند»، نُظِمت حول كنيسة غير منمّقة وبنايات مشاعية أخرى. وعظ ريوس اجتذب جماهير واسعة: في أمسيات الأحد مئات من سكان كوبنهاغن احتشدوا في مبنى الاجتماعات الواقع في «ستورمغيد» كي يصلّوا معًا، وينشدوا الترانيم، ويسمعوا «خطابات اليقظة». أسبوعيًا، يُذكّر ريوس الحشود بهشاشتهم الأخلاقية وحاجتهم الماسّة إلى الله، ويحثّهم على اتباع يسوع المسيح: «نحن نعرف بأننا آثمون، كبيرٌ هو نقصنا وضعفنا[3]، ونحن نخطئ عادةً ومرات كثيرة بشأن... مُنقِذنا يشفق علينا، إنه يعرف قلوبنا، يعرف بارتكابنا الإثم، يعرف كم نحن بحاجة إلى المساعدة، والراحة، والقوة والتشجيع كي نعيش في تواضع، وحب، ووفقًا لعقله وقلبه. كما أنه متأهّب لأن يضمن لنا سائر نِعَمه الثمينة، ويُشبع أرواحنا المُنهَكة بهدايا نعمته. أيها الأخوة الأعزاء، يجب أن يجد قلوبنا مفتوحةً له».

أخذ ميخائيل پيدرسِن هذه الرسالة إلى المنزل حيث أسرته، وفي عشرينيات القرن التاسع عشر بدأ سورين كيركغارد يرافق أباه وأشقاءَه الأكبر منه سنًا إلى مبنى الاجتماعات المورافي. إلا أنّ ميخائيل پيدرسِن كان مواطنًا صلدًا وتاجرًا بخيلًا، بالإضافة إلى كونه رجلًا ورعًا، من غير المُرجّح أن يُضحّي بمحترميته البورجوازية صعبة المنال من أجل قضية المورافيين الأكثر راديكالية، والمناوئين

للمؤسسة. عواطفه التُقَوية لم تتوصّل إلى تسوية مع التزامه بـ«كنيسة الدولة الدنماركية»: كان يذهب إلى كنيسة الأبرشية كلّ صباح أحد، وإلى «ستورمغيد» في أمسيات الآحاد.



كنيسة الثالوث والرونديتارن (البرج المُدوّر) في 1749

فيما كان يُعاد بناء «كنيسة سيدتنا»، تباطأ ترميمها بسبب الضائقة الاقتصادية الرهيبة في الدنمارك بعد انهيار العام 1813، كان رجال الدين التابعين لها والسواد الأعظم من الأبرشيين التابعين لها يتعبّدون في «كنيسة الثالوث» القريبة. كنيسة القرن السابع عشر هذه مزجت الدين بالعلم والتعلّم: آوت «مكتبة الجامعة» في الطابق الأعلى، المدعّم بأعمدة داخلية ضخمة للكنيسة الكائنة في الأسفل، وكان «برجها المُدوّر» المتاخم لها هو نقطة المراقبة. خلال عشرينيات القرن التاسع عشر التحق والد كيركغارد بالجماعة في كنيسة الجامعة العظيمة هذه - جذبه، شأنه شأن كثيرين من جيرانه، يعقوب پيتر مينستر، راعي الأبرشية المخضرم المؤثر لأبرشية «سيدتنا». حضور مينستر «ألهم الإجلال»[4]: أولئك الذين قابلوه لم يُعجبوا فحسب بـ«دفء قلبه» وكبرياء شخصيته»، بل أحسّوا بأنفسهم مرفوعين

بالطريقة التي جسّد فيها «الحب الخالص للروح البشرية التي صُمِّمت في الميزة المقدّسة ليسوع المسيح». مضى ميخائيل بِيدرسِن كيركغارد إلى مينستر من أجل الاعتراف و«العشاء الرباني»[5]، وكان يأخذ أفراد أسرته إلى طقوس الآحاد الدينية، حيث من عادة مينستر أن يُعطي المواعظ الدينية. وهكذا مينستر هو الذي ثبّت تعميد كيركغارد في «كنيسة الثالوث»[6] في أبريل 1828، قبيل عيد ميلاده الخامس عشر، ومينستر هو الذي أشرف على «عشائه الرباني» الأول.

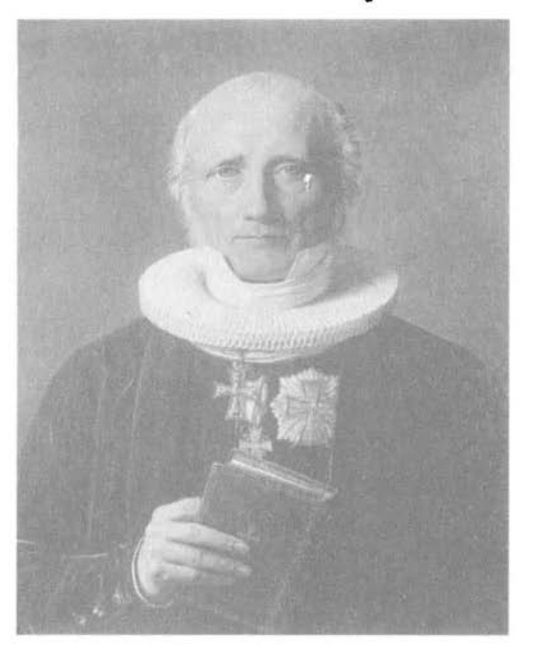
إنه ليس رسميًا فقط أنّ مينستر أدخل كيركغارد في عضوية «كنيسة الدولة الدنماركية»: طوال سنواته التكوينية هذا القس هو معلمه المسيحي ومثاله الأكثر تأثيرًا. نشأ كيركغارد على مواعظ مينستر الدينية البليغة، المُحرِّضة، التي كانت تُقرأ مرارًا في نيتورف 2 وتُسمع كذلك في «كنيسة الثالوث». ويتذكّر كيف أنّه، حين كان صبيًا، وَعَده أبوه بـ«ريكس دولار» إذا ما تمكّن من قراءة واحدة من هذه المواعظ الدينية بصوتٍ عالٍ أمامه(*)، وأربعة ريكس دولارات إذا ما كتب الموعظة الدينية التي ألقاها مينستر في الكنيسة يوم الأحد ذاك. ويتذكّر كيف أنه رفض، مع أنه كان يُريد النقود، وأخبر والده أنه ينبغي له ألا يُغويه بتلك الطريقة. كان إجلال ميخائيل بيدرسين الكبير لراعي أبرشيته قد شبّع مينستر بسلطة أبوية بديلة عن سلطة الآخرين، وألهمت هذه السلطة في داخل كيركغارد نفس الخليط الفعال من التبجيل المُخلص، والعلني والتحدّي العميق المخفي الذي استشعره تجاه أبيه.

وُلد مينستر في العام 1775، بعد ما يُناهز عشرين عامًا من ولادة ميخائيل بيدرسين. تيتم في طفولته، والمسيحية الصارمة لزوج أمه التَّقَوي جرحت حساسيته الدينية الفطرية. وحتى بعد أن أصبح قس أبرشية في جنوب «زيلند»(**)، أحسَّ مينستر بأنه غير متيقّن من كفاءته. إلا أنّ هذا الأمر تغيّر في

(*) ريكس دولار rix – dollar: قطعة نقد فضية قديمة. هذا النوع من القطع النقدية استُعملت في ألمانيا، هولندا، اسكندنافيا، إبان القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر. قيمتها أكثر من الدولار بقليل.

(**) زيلاند Zealand: أكبر جزيرة وأكثرها مأهولة بالسكان في الدنمارك الأصلية. عدد سكانها يتجاوز مليونين وثلاثمائة ألف نسمة.

1803، لمّا خبر يقظةً روحية عميقة، وشكوكه كلّها خفّت بفعل الثقة العميقة بوعيه، بصوت الرب في داخله. قرّر أن يمتثل لهذا الصوت الباطني من دون شرط، وفي الخضوع له وجد سكينةً مستدامة. ومنذ ذلك الوقت فصاعدًا، أسبوعًا بعد أسبوع، حضّ مينستر جمهوره من المصلّين كي يتبعوا ضميرهم، وطمأنهم أنّ مساعيهم الأخلاقية الجادّة سوف تُجازى بالسكينة والسعادة. بدأ ينشر مواعظه الدينية، في العام 1811 وصل إلى كوبنهاغن كي يتولّى وظيفةً في «كنيسة سيدتنا» المُدمّرة، وفي المدينة نما تأثيره، وازدادت شعبيته.



يعقوب پيتر مينستر: قسطنطين هانسِن

وعلى غرار كيركغارد، مينستر مُفكّر مُثقّف مُتحذلق وكاتب موهوب فضلًا عن كونه واعظًا استثنائيًا؛ هو أيضًا، قاوم تنشئته الدينية. مع ذلك، على خلاف كيركغارد، مينستر ميّز نفسه من خلال موهبة الاعتدال. قدرته الاستثنائية على أن يتّخذ مَسلَكًا وسطيًا لم تُحافظ فقط على فتنته الواسعة، بل مكّنته من تجسيد

نصف قرن من المسيحية الدنماركية بينما تفادى مبالغاتها. وعلى غرار عُقلاء التنوير الذين لا يزالون يُهيمنون على اللاهوت الرسمي، مينستر متفائل في ما يتّصل بالطبيعة الإنسانية: دعوته إلى الضمير تُعبّر عن إيمان راسخ بالرأي الإنساني. ومثل التُّقَويين، يُريد أن يُخاطر بالتغلغل في الأعماق العاطفية للتجربة الإنسانية وأن يعتني بالحياة الروحية. ومثل الرومانسيين، يجد تناغمًا بين الله والعالَم الطبيعي. إلا أنه يتحاشى برودة العقلانية، والميول المتحمّسة للتُّقَوية، والرومانسية غير التقليدية. نال وعظ مينستر التقدير من الأشخاص قليلي الثقافة بالإضافة إلى رفيعي الثقافة من بين جمهوره، لأنه يمزج الجدية الفكرية البالغة مع الميل للإيمان البسيط، والصادق. كان ضليعًا بالمفكّرين الألمان الحديثين الذين وضعوا فكرة الحرية في مركز فلسفاتهم - درس كانط وشيلنغ قبل أن يتولّى أول وظيفة له كراعي أبرشية - غير أنّ مواهبه متحفّظة. إنه يُؤيّد -باعتدال- النظام والعُرف، التزمّت اللاهوتي والمَلَكية المطلقة، مناقشًا أنّ هذه البُنيات الآمنة تفضي كثيرًا إلى الحرية الفردية.

لمّا أَعطى كيركغارد مناولته الأولى في العام 1828، كان مينستر في مرحلة جيدة من مراحل ترقّيه في كنيسة الدولة الدنماركية وعلى مرأى من أعلى مراتبها. إبان طفولة كيركغارد، كان مينستر قد راكم بشكل منتظم التأثير في داخل المؤسسة الكَنَسية: أصبح مدير «المعهد اللاهوتي الرَعوي» و«جمعية الكتاب المقدس الدنماركية»، ورئيس جامعة كوبنهاغن؛ جهّز نسخة جديدة من كتاب يشتمل على خلاصة للعقيدة الدينية مُفرَّغة في قالب السؤال والجواب من تأليف لوثر؛ هذا الكتاب يُستعمَل في المدارس في جميع أنحاء الدنمارك، وساعد في تنقيح الترجمة الدنماركية لـ«العهد الجديد». تزوج من ابنة أسقف «زيلاند»، قائد الكنيسة القومية. في العام 1826عُيّن بصفة واعظ للمحكمة المَلَكية، وبعد ذلك مباشرة رُقّي إلى وظيفة مهيبة، ألا وهي وظيفة قسيس في «كنيسة القصر»، «مكاَن العبادة المُطابق جدًا للطراز الحديث في كوبنهاغن»[7]. في العام 1834، عقب موت والد زوجته[8]، أصبح مينستر أسقف «زيلاند»، والمُمثّل الأبرز للكنيسة اللوثرية المرئية في الدنمارك. هذه الوظيفة الرفيعة تستلزم رداء حرير

مزوّد بواجهة مخملية. وجعله الملك «فارس النظام» لدانيبروغ، الأمر الذي يستلزم منه أن يرتدي حول رقبته صليبًا ذهبيًا صلدًا، وعلى صدره في الناحية اليسرى صليبًا أكبر مُزيّنًا بأشعة فضّية، أشبه بالنجمة.

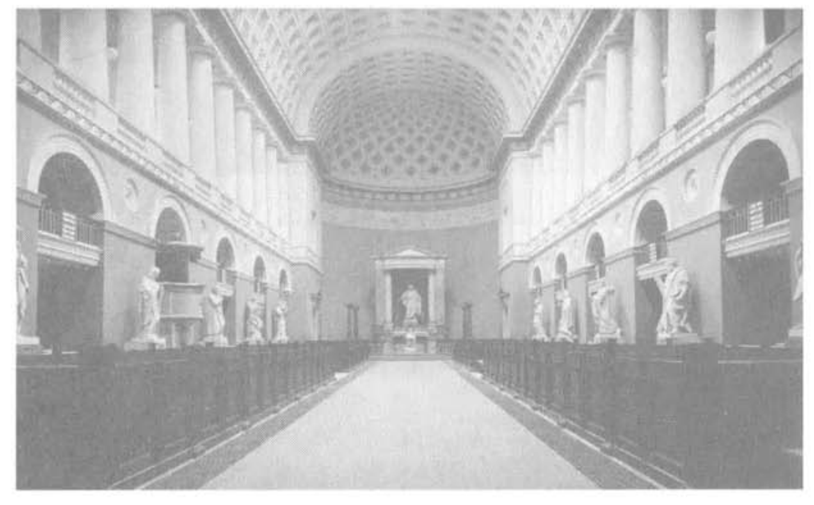


(كنيسة سيدتنا): س. ف. هانسِن



(دار العدل) و(قاعة المدينة): س. ف. هانسِن، 1850
(منزل كيركغارد الأول، 2 نيتورڤ، يُمكن رؤيته في أقصى اليمين)

غادر مينستر أبرشيته إلى المحكمة المَلَكية قبل أن تفتح «كنيسة سيدتنا» أبوابها مجدّدًا في صيف 1829. إلا أن الكنيسة الجديدة، على غرار وعظ مينستر، قدّمت لأبناء أبرشيتها نموذجًا حديثًا، متنوّرًا للمسيحية مدّ جذوره في العُرف الكتابي. كان مهندسها المعماري هو كريستيان فريدريك هانسِن، المشهور بأسلوبه الكلاسيكي الحديث: كان قد صمّم أصلًا «دار العدل» المهيب وقاعة المدينة في نيتورڤ، المتاخِمَين لمنزل أسرة كيركغارد. هانسِن أعاد بناء رواق الكنيسة بستة أعمدة حجرية، مثل الرواق المعمّد في مدخل «دار العدل». كلتا البنايتين أكدتا على المُثل العليا الإنسانية لروما الغابرة - الآن طالب بهما «العالَم المسيحي البروتستانتي» باعتبارهما الأساس الوطيد لعقلانية التنوير، قاعدةً لمبادئ أخلاقية شاملة وحياة مَدَنية مستقرّة.



داخل (كنيسة سيدتنا)، كوبنهاغن

كان كيركغارد في سن السادسة عشرة لمّا دخل «كنيسة سيدتنا» أولَ مرة، في 12 يونيو 1829، خمسة أيام بعد إعادة تخصيص الكنيسة لخدمة الله في احتفال خاصّ. في صبيحة ذلك اليوم -كان يوم جمعة- تبع أسرته عبر الأعمدة الكبيرة إلى الداخل الواسع، المُضيء، ورفع بصره ناظرًا إلى التماثيل المرتفعة

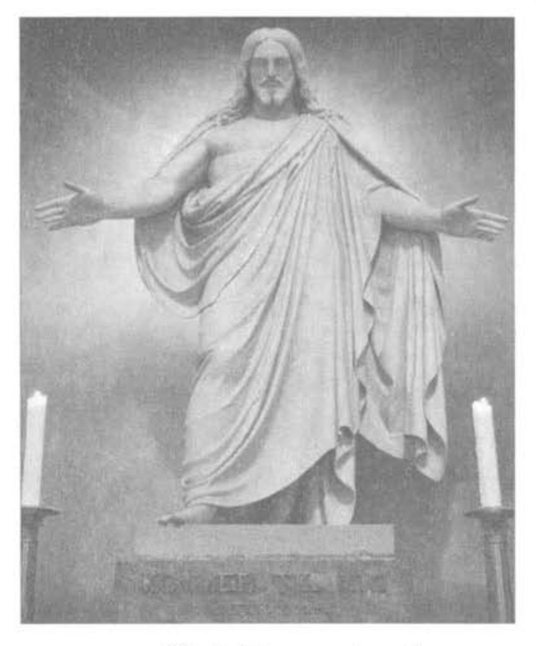
للحواريين، ستة حواريين في كلّ جانب من صحن الكنيسة. لم تكن هناك لا مريم العذراء ولا الطفل في «كنيسة سيدتنا» هذه. بيرتيل تورڤالسدين، نحّات اسكندناڤيا الأشهر، كان قد ضخّم ثيمة هانسِن الكلاسيكية من خلال قولبة اثني عشر حواريًا بعضلات نامية -أكبر من الحجم الطبيعي، حجمهم كبير جدًا بالنسبة للفجوات التي بناها لهم هانسِن في الجدران- في وضع جنرالات رومان، يلقون نظرات عامّة متعجرفة على الجمهور. على الرغم من ذلك هؤلاء الرجال ذوو الأكتاف العريضة حملوا رموزًا لاستشهادهم، مُذكّرين كيركغارد بالتحذير المروِّع ليسوع المسيح بأنّ أتباعه ربما يتعيّن عليهم أن يعانوا ويموتوا في سبيل إيمانهم.

وشاهد، قبالته مباشرةً، أعلى وخلف المذبح، الهيئة البشرية ليسوع المسيح نفسه. كان ثورڤالسدين قد صنع هذا التمثال ضخمًا، حتى أكبر حجمًا من الحواريين الاثني عشر- ومع ذلك لا يشبههم، يسوع المسيح هذا ينضح بالرقة والرشاقة. كان رأسه مُطأطأً، وكانت ذراعاه ممدودتين إلى الخارج ويداه مفتوحتين، يتّخذ وضعية من يخطو إلى الأمام كما لو أنه يلتقي أتباعه بعناقه الواسع. بشكلٍ من الأشكال هذه الإيماءات عبّرت عن سكون عميق. قدرته الهادئة مُذهِلة؛ إنه يجذبك إلى الداخل، إلا أنه أيضًا يحملك على التوقف. على قاعدة التمثال الرخامية تحت قدميه، بنقش بارز ذهبي، كانت هناك الكلمات KOMMER TIL MIG(*). كيركغارد ميّز، بطبيعة الحال، المقطع الشعري من إنجيل متّى: «تعالوا إليّ، يا جميع المُتعبين وثقيلي الأحمال، وأنا أُريحُكم».

منذ ذلك اليوم، قبل عِقدين تقريبًا من الآن، كان قد اجتاز مدخل «كنيسة سيدتنا» الفخم مرات لا حصرَ لها. وعلى وفق عادة معظم الدنماركيين الذين يقصدون الكنيسة، يحضر أسبوعيًا خدمة صباح الأحد، ويتناول «العشاء الرباني» مرةً أو مرتين في السنة - باستثناء يوم الجمعة، حين تكون الكنيسة

(*) KOMMER TIL MIG: وردت بالدنماركية في النص الإنكليزي الأصل، وتعني «تعالوا إليّ». وهو مقطع شعري ورد في إنجيل متّى 12: 28.

هادئة وجمهور المصلين قليلًا. وكلّما يدخل «كنيسة سيدتنا» ويمشي تحت الأنظار المتعالية لأولئك الحواريين الاثني عشر، مثلما فعل صباح عيد الفصح هذا، الدعوة المُلحَّة تتكرّر: «تعالوا إليّ، يا جميع المتعبين وثقيلي الأحمال، وأنا أُريحكم».



«كريستوس»: بيرتيل تورڤالسدين

هذه الكلمات تبدو مؤكّدة للغاية، واضحة للغاية: إنها تُقدّم أمرًا، وهي تُعطي وعدًا. بالنسبة للوثر، كلماتٌ كهذه عبّرت عن اليقين الواضح بالخلاص[9] للمؤمنين كافة، السمة المميزة لتفسيره الجديد ل الإنجيل. على الرغم من ذلك بالنسبة لكيركغارد فهي تضم أسئلة لا نهاية لها[10] - أي، الأسئلة ذاتها، التي تُسأَل المرة تلو المرة. لماذا يكون مجرّد الوجود مُرهِقًا، وما هو هذا العبء الثقيل الذي يستمر في حمله؟ لماذا مسألة أن يكون إنسانٌ شيئًا صعبًا للغاية بالنسبة له، في حين تكون سهلة بالنسبة للآخرين؟ أيّ نوع من الراحة هذه

التي يبحث عنها، ولماذا لا يستطيع أن يجدها لنفسه؟ ماذا يعني أن يتبعَ يسوع المسيح في نطاق هذا العالَم، حيث يبدو أنّ معظم الدروب تؤدّي بعيدًا عما هو حقيقي ومُوصِل إلى السلام؟ لماذا يبدو يسوع المسيح بعيدًا جدًّا، حتى بعد مرور ثمانية عشر قرنًا من الديانة المسيحية؟ هل قرّب هذا الوعظ كلّه، الصلاة كلّها، تشذيب العقيدة، التفسير الكتابي الإنجيلي والسياسة الكَنَسية - باختصار، هل قرّب تأسيس «العالَم المسيحي» الناس أكثر إلى الله، أم رماهم بعيدًا عنه؟ إذا كان لا بد أن يكون عسيرًا أن تتبع يسوع المسيح - وأن تنظر إلى أولئك الحواريين الذين طالت معاناتُهم! - إذًا مَن الذي يختار دربه الضيق المليء بالشوك، حين تكون هنالك طرق عيش مُريحة أكثر بكثير؟

يعتقد كيركغارد بأنّ الأسقف مينستر يُجيب عن هذه الأسئلة بسهولة بالغة، ولهذا قلّما يُجيب عنها على أية حال. بعد ما يزيد على ثلاثمائة عام، برَدَ يقين لوثر المتّقد شيئًا فشيئًا وتحوّل إلى رضا عن النفس: وعْظ مينستر يُقدّم «راحة لطيفة» تُقلل من شأن الطبقات الوفيرة، المتحوّلة من الازدواجية -مراوغة الذات، خداع الذات، تدمير الذات- التي تُكفّن فؤاد الإنسان وتُبعده بعناد عن الله. ويؤكّد مينستر: «إن الحقيقة التي مفادها أنّ الحُكم الإلهي يشمل كلّ ما يحدث على الأرض[11] والذي يُمكن أن يستوعبه كلّ فهم بشري ويحسُّه كلّ قلب بشري». الأسقف يعرف أنّ الناس، على الرغم من تأكيدات الإنجيل، بطبيعتهم مُثقلون بالقلق والشكوك في ما يتّصل بالرب -كما كان هو نفسه قبل ارتقائه الروحي- إلا أنه يعتقد بأنّ هذا الثقل أو العبء بالإمكان تخفيفه بواسطة وَعد يسوع المسيح بالصفح. موعظة مينستر الدينية عن إنجيل متّى 11:28 الواردة في مجلّده السميك الذي يضم المواعظ الدينية، بدءًا من العام 1823، التي تُقرأ في أحيان كثيرة في منزل أسرة كيركغارد، شرحت هذا بجلاء: حين يقول يسوع المسيح: «تعالوا إليّ، يا جميع المُتعبين، وثقيلي الأحمال، وسأريحُكم»، فهو يُقدّم «اليقين للشكّاك، القوّة للمُكافح، الراحة للحزين»[12]. لو كان الناس صادقين ومتواضعين، استطردت الموعظة الدينية، سوف يفهمون رسالة يسوع المسيح ويتلقّون «السعادة والبركة»[13].

كلمات مينستر المُريحة، جذّابة - مع ذلك هذه الجاذبية تجعلها زائفة بالنسبة لكيركغارد، الذي وجد المسيحية دائمًا مُربكة، مُزعِجة فضلًا عن كونها مُغرية. وهو يقينًا لا يُشارك ميل مينستر إلى الاعتدال: إنه منجذب إلى حقيقة تقع عند طرفين متناقضين في الوقت نفسه - إنّ حقيقة التجربة الإنسانية هي هكذا في كثير من الأحيان. في يوم واحد، وحتى في ساعة واحدة، الإنسان في مستطاعه أن يشعر بالمعاناة والفرح، باليأس والإيمان، بالقلق العميق والسكينة العميقة.

هكذا يجد كيركغارد الحقيقة في المسيحية: إنه لا يعتقد بأنّ التعاليم المسيحية تحتوي على حقائق، تستطيع راهنًا في العصر الحديث، أن تُثبَّت من قبل المؤرخين أو العلماء. إنه يرى في مثال يسوع المسيح أنّ الحدود القصوى المزدوجة للوجود الإنساني التي، يحسّها، تشكّل حقيقته هو الأعمق. «مع أنه كان يمتلك البركة، كان أشبه بلعنة لكلّ فرد اقترب منه[14]... مثل بلاء لسائر القلّة الذين أحبوه، حيث تعيّن عليه أن ينتزعهم خارجًا ويُخضعهم لقرارات مروّعة للغاية، حيث إنه بالنسبة لأمه ينبغي له أن يكون السيف الذي اخترق فؤادها، وأن يكون بالنسبة لحوارييه حبًا مصلوبًا»، كتب كيركغارد في أحد «خطابات البناء» التي نشرها في السنة الفائتة. يسوع المسيح مُفارقة: حثّ أتباعه على أن يكونوا مثاليين، إلا أنه أمضى وقته مع الآثمين وجامعي الضريبة؛ علّم المَثل الأعلى المتعلّق بطهارة الفؤاد الذي يتطلّب الكفاح المتواصل ويستدعي الحُكم الحازم والمتشدّد، إنما في الوقت عينه أبدى رحمةً تتقبّل الأشياء كلّها بحبٍ متساوٍ. أن تكون إنسانًا هو نعمةٌ ولعنة في الوقت ذاته، بحسب كيركغارد - ويزداد هذا كلّما اقتربنا من الله - يسوع المسيح يمثّل ذلك أكثر من أيّ فرد آخر.

إذًا طالما أنّ هنالك حكمة في مواعظ مينستر الدينية - فهم الإحساس الإنساني، والجدّية في ما يتّصل بالحياة الروحية - هذا الشيء لا يمضي بعيدًا بما يكفي. إنّ هدف كيركغارد كمؤلف الآن هو «التعميق الباطني للمسيحية». يتعين عليه أن يُعمّق حاجةَ جيرانه للرب، بحيث إنّ النعمة التي تُلبي هذه الحاجة تُصبح قويةً وفعالة أكثر بكثير: «عوملت المسيحية بغير احترام، وأصبحت بلا قوة[15]، بحيث إنّ الناس نسوا ما النعمة. كلّما تكون المسيحية صارمة أكثر، تُصبح

النعمة مُدرَكَةً أكثر بوصفها نعمةً وليست ضربًا من التعاطف الإنساني». عندما يحوّل الأسقف الإنجيل إلى مجرّد سلوى، كيركغارد يعتقد بأنه يصيّره مزوّرًا، يجعل المسيحية بسيطة للغاية، مُريحة للغاية، في حين أنّ العكس هو المطلوب في هذا العصر الراضي عن نفسه. في «كنيسة سيدتنا»، يسوع تورڤالسدين، يسوع المُرَحِّب، يكرر لاهوت مينستر: هذه الهيئة البشرية الصافية، القوية لا تحمل أيّ شَبه بيسوع الهزيل، المُعذَّب، المُضرّج بالدم؛ يسوع وَرَع العصور الوسطى الذي تبناه التُقَويون اللوثريون. ومع ذلك يسمع كيركغارد في كلماته الإصرار التقَويّ في إتباع يسوع المسيح - ذلك أنه لا يقول «أُعجبوا بي»، أو «انتبهوا إليّ»، أو حتى «بَجّلوني»، بل «تعالوا إليّ».

عندما يظهر كتابه المعنون *خطابات مسيحية*، بعد ثلاثة أيام من الآن، سوف «يستفيق» سكان كوبنهاغن من «الأمان المُريح» المتجسِّد في كاتدرائيتهم العتيدة، وفي مواعظ أسقفهم المُطمئِنة. بعض من مواعظ الكتاب الثماني والعشرين وقعت في «كنيسة سيدتنا»، وواحدة منها تتأمّل مقطعًا شعريًا من المبادئ الكَنَسية، «راقب خطوتك لمّا تذهب إلى بيت الله». إنها تبدأ بتهييج الجمود الهادئ المتجسِّد في تماثيل تورڤالسدين المنحوتة بشكل جاد، وفي المخمل المطرّز بصبر الذي يُزيّن المنبر، قبل أن يهتف قائلًا: «كم هو مهدّئ، كم هو مُريح - واحسرتاه، وكم حجم الخطر في هذا الأمان!»[16]. من الناحية الدينية، نحن كلّنا نحتاج إلى «اليقظة»، غير أنّ الوعظ في هذه الكنيسة سوف «يهدهدنا كي ننام». في حقيقة الأمر، يبدو أنه تم التخطيط بنحو مقصود لـ«التهدئة». *خطابات مسيحية* هو، بالمقارنة، «هجوم»، انقضاض على المعاني الروحية للقارئ. إن أولئك الذين يذهبون إلى يسوع المسيح سيجدون الراحة - إنما في البداية يتعيّن عليهم أن يستيقظوا، أن يتحرّكوا، أن يُغيّروا قلوبهم. ومَن يعرف أين يؤدّي الدرب الذي يتعقّب يسوع المسيح، قبل أن نجد الراحة الموعودة؟

منذ العام 1843 نشر كيركغارد بانتظام مجموعة من موعظتين دينيتين، أو ثلاث أو أربع مواعظ دينية، مع أنه يُسميها «خطابات بناء». هذه الخطابات هي

نوعٌ من الكتابة الروحية مستوحاة جزئيًا من الوعظ الموراڤي: إنها تُخاطب كلّ قارئ من القرّاء بشكلٍ خاصٍ، وتتنصّل من أيّ سلطة كَنَسية. مع ذلك من خلال تسمية مواعظه الدينية الجديدة بـ*خطابات مسيحية*، وصَفَ كثيرًا منها، بطريقة مسرحية، في داخل «كنيسة سيدتنا»، كيركغارد يتخذ خطوة جريئة نحو منطقة الأسقف مينستر. الخطابات السبعة الأخيرة في الكتاب مكتوبة كما لو لطقوس مناولة يوم الجمعة في الكنيسة، لمّا تُلقى دائمًا موعظة دينية قصيرة قبل تقديم الخبز والنبيذ. خطاب العشاء الرباني يغدو نوع كيركغارد الأثير: إنه يرجع إليه باستمرار، وفي كلّ مرة يكتب خطابًا جديدًا يدفع فيه تأليفه إلى قلب الكنيسة، مُخاطبًا المسيحيين فيما هم يتأهبون لأن يتقرّبوا من الله.

وهذا ليس ببساطة فعلًا خياليًا. في الصيف المنصرم، القى كيركغارد اثنين من خطابات العشاء الرباني في يوم الجمعة في «كنيسة سيدتنا». في المناسبة الأولى ألقى موعظة عن إنجيل متّى (11:28)[17]، المقطع الشعري منقوش أسفل تمثال تيوڤالسدين، تمثال يسوع المسيح وراء المذبح. وكما قال، لقد جذب انتباه المستمعين إلى هذه الهيئة البشرية: «أنظروا، إنه ينشر ذراعيه ويقول: تعالوا إلى هنا، تعالوا هنا إليّ، يا جميع المتعبين وثقيلي الأحمال». كانوا نحو ثلاثين فردًا يتناولون القربان المقدّس في الكنيسة ذلك الصباح، من بينهم جزّار متقاعد، وحارس ليلي، وأرملة صاحب خمّارة وابنتها. «الحِمل»، الذي يتحدّث عنه يسوع المسيح، شرح كيركغارد لهم، هو «الاشتياق للرب» الذي أتى بهم إلى الكنيسة. ومن ثم تحدّث عن مسألة كم هو صعب أن يعاني المرء من دون أن يُفهَم. وقال إن هذا أحد الأعباء الإنسانية الكبيرة، التي لا يُمكن أن يُخفّفها إلا يسوع المسيح: «لا أعرف ما الذي يُزعجكُم تحديدًا[18] أيها المستمعون؛ ربما لن أفهم حزنك حتى، أو أعرف كيف أتكلّم عنه بتبّصر. إلا أنّ يسوع خبر الحزن الإنساني كلّه بشدّة أكثر من أيّ إنسان... إنه لا يفهم فحسب كلَّ حزنكم أفضل مما تفهموه أنتم أنفسكم، لكنه يُريد أن يأخذ العبء عنكم ويُعطيكم الراحة لأرواحكم».

مع أن تلك كانت أولَ مرة ألقى فيها كيركغارد واحدًا من خطاباته لجمهور

الكنيسة، كان صوته حسن التمرين: حين يؤلف أعماله، يقرأ جُمَله بصوت مرتفع مرات كثيرة عادةً، كي يستوضح إيقاعها ولحنها. إنه يقضي ساعات على هذا المنوال، «مثل عازف ناي يُسلّي نفسه بنايه»،[19]، وخلال هذه الساعات يُغرَم بصوت اللغة - أي، عندما تضج بـ«خصوبة الفكرة». على مدى دقائق قلائل، أولئك الكوبنهاغيون الثلاثون تجمّعوا من أجل العشاء الرباني يوم الجمعة في «كنيسة سيدتنا»، وجدوا أنفسهم يدخلون إلى هذا العالَم الخاص. أحد الرجال ممَن سمع موعظة كيركغارد صُدِم بـ«صوته الضعيف بنحو متزايد إنما المُعبّر بنحو مُذهِل»[20]. لم يسبق له أن سمع صوتًا «قادرًا جدًا على أن يُعبّر بالانتقال من تعبير بطبقة صوت معينة إلى تعبير بطبقة صوت أخرى، وحتى أن يُعبّر عن أدق الفوارق»، وأحس بأنه لن ينساه البتة.

بعد مضي أسابيع قلائل، في أغسطس 1847، ألقى كيركغارد موعظة ثانية في «كنيسة سيدتنا». ومرةً أخرى تحدّث عن «الشوق النابع من القلب» للرب الذي جذب مستمعيه إلى الكنيسة؛ إنه يعتقد بأنّ الذهاب إلى القدّاس ينبغي ألا يُقلل من قيمة هذا الشوق، بل ينبغي أن يُعمّقه ويُقوّيه. في تلك الموعظة الدينية فكر طويلًا في ممارسة العشاء الرباني في يوم الجمعة، طقسه الخاص منذ أن تلقّى أولَ مرة عشاءه الرباني من مينستر في 1828. يوم الجمعة يكون على الدوام يومًا هادئًا في كوبنهاغن، يوم للصلاة، إلا أنّ الروتين العلماني كان قد تبنّى رويدًا رويدًا الطقس الديني التقليدي، وتناول العشاء الرباني في أيام الجمع، يمضي الآن ضد تدفّق الحياة في الشوارع، حيث الناس يعملون، يبيعون ويتسوّقون كما في أيام الأسبوع الأخرى. خدمات الجُمع هذه هي أصغر بكثير ومُوحية أكثر بالدفء والألفة من قدّاس الأحد، الذي يغادره كيركغارد على الدوام قبل أن يبدأ طقس القربان. لمّا يؤم الكنيسة في يوم أحد يُرافق الحشد؛ في يوم جمعة، باستطاعته أن يمضي إلى «كنيسة سيدتنا» «بنحو مكشوف أمام عيون الجميع، ومع ذلك سرًّا، مثل غريب[21] وسط سائر أولئك الأشخاص الكثيرين». وفي داخل الكنيسة، «ضوضاء النشاط اليومي للحياة هناك تبدو مسموعة تقريبًا في داخل الفضاء المعقود، حيث هذا السكون المقدّس لذلك الغرض حتى أعظم».

إنّ طريقة كيركغارد في المشاركة في المناولة - كانت في نظر الجمهور هي طريقة مختلسة مع ذلك، مثل عميل سرّي يُلخّص طريقته في أن يكون مسيحيًا. متبعًا هذا الدرب شبه المخفي، يناضل كي يُحافظ على «حاجته الباطنية» للرب من الأوامر التقليدية للطقس والواجب. أن يبقى «فردًا واحدًا» في نطاق البُنيات الدينية التي منحها العالَم، هو فعل توازن جميل ومعقّد للغاية بحيث يبدو في بعض الأحيان مستحيلًا. في السنة الماضية، فكر في إهداء مجموعة من خطابات المناولة في أيام الجمع للأسقف مينستر - «حين يكون أبي في بالي أود إلى حدّ كبير أن أفعل هذا»[22] - إنما أخيرًا، هذا الموقف تجاه الأسقف انقسم بين الاحترام والازدراء، واستنتج بأنّ «طريقي في الحياة مشكوك فيه إلى حدٍّ كبيرٍ بالنسبة لي كي أكون قادرًا على إهداء عملي إلى أيّ شخص حيّ». كان في ذلك الحين غير متيقّن ما إذا سوف «ينعم بالشرف والتقدير، أم إنه سوف يُهان وتتم مضايقته» بسبب كتاباته. و«لم يسبق له أن كان أقرب إلى التوقّف عن كونه مؤلفًا»[23] مما هو عليه الآن، في عيد فصح العام 1848، بكتابه *خطابات مسيحية*.

«دعنا نُعبِّر عن إجلالنا للأسقف مينستر»[24] كتب كيركغارد في دفتر يومياته السنة الماضية. «لم أُعجَب بأيّ شخص، لم أُعجب بشخص حيّ، باستثناء الأسقف مينستر، وإنها على الدوام سعادةٌ أن يتم تذكيري بأبي. كانت مكانته هكذا بحيث إني أرى المخالفات بصورة جيدة جدًّا، بجلاء أكثر من أيّ فرد هجم عليه... ثمة تضارب في حياته لا يمكن تفاديه، لأنّ «كنيسة الدولة» هي التضارب بعينه». بالطبع، هنالك أيضًا تضاربٌ عميق في مشاعر إعجاب كيركغارد بالأسقف، الذي ربطه بشكل كبير بينه وبين أبيه.

بينما يجد أنّ الدنيوية المُريحة لـ«الكنيسة الدنماركية» أصبحت لا تُطاق، يُصبح سؤاله المتعلّق بكيفية الإقامة في العالَم مُتشابكًا أكثر مع علاقته بهذه الكنيسة، وبمينستر. التُّقَويون الموراڤيون بحثوا عن القداسة من خلال الابتعاد عن العالَم: صنعوا فجوات في الجدران، مثل بلدة كريستيانز فيلد(*) التي لم

(*) كريستيانزفيلد Christiansfeld: بلدة في جنوب (يوتلاند) في (منطقة جنوب

تكن تختلف كثيرًا عن المرفقات الرهبانية، وكوّنوا جماهيرهم خارج «كنيسة الدولة» - مع أنّ دنماركيين كثيرين، من مثل والد كيركغارد، انتقلوا بسهولة بين مبنى الاجتماع المورافي وكنيستهم الأبرشية. سمع كيركغارد القساوسة يدافعون عن الميزة الدنيوية لكنيستهم من خلال الإشارة إلى أنّ يسوع المسيح نفسه لم يدخل أيّ دير، أو يذهب ويعيش في الصحراء. إلا أنه يعتقد بأنه بالنسبة ليسوع المسيح، أن يُصبح كاهنًا أو ناسكًا هو الإغراء بعينه[25] - لأنه أيّ راحة ستكون أن يترك الحشود كثيرة الشكوك، الجاهلة! في حين أن يكون في العالَم هو فعل استغناء أو تخلٍ. يسوع المسيح لم يمكث في العالم «كي يُصبح مستشارًا للعدالة، عضوًا من أعضاء نظام فروسي، عضوًا فخريًا لهذه الجمعية أو تلك، بل مكث كي يُعاني».

وكيركغارد يتوصّل إلى فهم حياته بهذه الطريقة أيضًا. أن يُصبح كاتبًا له معنى واحد وهو أن يعزل نفسه عن الحياة المدنية: في العام 1841 هذا الشيء بالنسبة له، البديل الواضح للزواج من ريجينه والدخول إلى مهنة ما. على الرغم من ذلك، كانت كتاباته قد جابهت العالَم وطالبت باهتمامه. كان قد جعل نفسه بارزًا في شوارع كوبنهاغن، في الصحافة المحلية، في نطاق الأوساط الأدبية والفكرية، وكان قد طوّع نفسه لأحكامها في حياته بالإضافة إلى أحكامها في عمله. أن يكون كاتبًا هذا ليس انسحابًا من العالَم؛ ولهذا السبب كان يُغرى باستمرار بالتوقّف عن الكتابة، وربما لهذا السبب يشعر هو بأنه لا يستطيع أن يتوقّف الآن. أن يصبح متنسّكًا سيكون شيئًا سهلًا للغاية، يُحدّث نفسه، فيما هو يغذ الخطى صوب المنزل، يُسرع إلى ريشته وأوراقه. هو الآن يتساءل ما إذا يتعين عليه أن يجعل نفسه بارزًا أكثر في نطاق الكنيسة، أن ينال تأثيرًا أكبر هنا، كي يُحرّضها على الصدق من الداخل.

مثلما يشعر بأنّ وجوده تمدّد بين الأطراف الأكبر من المعاناة والأداء، يجرّه

الدنمارك). أسست المدينة (الكنيسة المورافية) في العام 1773، وسُمّيت على اسم الملك الدنماركي كريستيان السابع.

تقريبًا إلى نقطة الانهيار، لذا يحاول هو أن يمدّد المسيحية في هذين الاتجاهين معًا، كي يُعمّقها. وعلى غرار واعظين موراڤيين تعوّد أن يسمع في مبنى الاجتماع في ستورمغيد، يُشدِّد على معاناة يسوع المسيح. إلا أنه يُفكّر أقل في الصلب المُضرّج بالدم مقارنةً بالعذاب الداخلي للعيش وسط أناس لا يستطيعون أن يفهموا الرجل الاستثنائي الذي حاول أن يعلّمهم اللقاء بالله. إنه يشعر أنه هو أيضًا، يعاني في عالَم يُساء فهمه فيه؛ إنه يتساءل ما إذا يُريد يسوع المسيح من أتباعه[26] «أن يُصبحوا بالضبط بائسين مثله تمامًا، قبل أن تأتي المواساة».

هو يفكّر فعلًا أنّ تلك المواساة سوف تأتي - مع أنها تأتي في النهاية البعيدة من الوجع والبلاء. إنه مقتنع بأنّ الإيمان يجب ألا يتجنب المعاناة ولا أن يغرق فيها، بل يتحرّك خلالها كي يجد السعادة. حتى في الوقت الراهن، يوم عيد الفصح المشرق هذا، بعد كلّ ما جرى له، إنه يعتبر نفسه «رجلًا تعيسًا إلى حد كبير،[27] وهو على الرغم من ذلك، بعون الله، مُبارَك بشكل لا يُوصف».

الفصل السابع

التربية الجمالية

ليلةٌ مؤرِقةٌ أُخرى في روزنبيرغ غيد: الآن شهر يوليو، انقلاب الشمس الصيفي مرَّ والليالي تطول أخيرًا، إلا أنه لا يزال ثمة وقتٌ غير طويل حتى حلول الفجر. الشقّة هادئة، الخدم نائمون؛ في الخارج، الشوارع ساكنة. في الداخل، أفكاره جيّاشة، ولا يستطيع أن ينعم بالراحة. مؤخّرًا توجد هنالك ليالٍ كثيرة كهذه الليلة: في أثناء النهار يظلّ منشغلًا، يتمشّى خارجًا مع الأصدقاء أو في المنزل يعمل على كتابه حول تقليد يسوع المسيح - مع ذلك ليلًا، لمّا يفرغ من الكتابة، ترجع أفكاره إلى «الأزمة، وأزمة في حياة ممثلة». كتب هذه المقالة قبل بضعة أشهر خلت -وهي قطعة أدبية غير مهمة، قد تبدو هكذا لقارئ سطحي- إلا أنه هذا الصيف أمضى ساعات لا حصرَ لها يقلق في مسألة ما إذا يتعين عليه أن يجعلها الفصل الأخير من مسرحيته الأدبية.

الآن انتهى كلّ شيء: اليوم سلّم المقالة إلى صديقه جينز فينسين جيودڤاد، وهو أحد محرّري ذه فاذرلاند [وطن الأجداد]، وهي صحيفة يومية ليبرالية تصدر في كوبنهاغن. سوف تُنشر المقالة حالًا (باسم مستعار هو [إنتر إت إنتر]، «بين وبين») بأربع حلقات في أربعة أعداد متتالية من الجريدة، بدءًا من 24 يوليو. هذه القطعة من الكتابة الصحافية سوف تُنهي تأليفه، مانحًا الإنتاج الأدبي كلّه تناسقًا مُثيرًا للإعجاب. بدأ في فبراير 1843 بنشر *إما/ أو*، وهو كتاب «جمالي» كبير يكتظ بتأمّلات في التراجيديا الإغريقية، والمسرحية الشكسبيرية والمسرحية الهزليّة الفرنسيّة، الذي أعقبه بعد ثلاثة شهور بمجلّد صغير الحجم من الخطابات الدينية؛ الآن في العام 1848 أعماله الكاملة تُختتم بكتاب ديني

كبير الحجم، *خطابات مسيحية*، أعقبها بعد ثلاثة شهور بقطعة أدبية «جمالية» قصيرة عن ممثلة. الأعوام الخمسة الأخيرة من الكتابة يُمكن الآن رؤيتها، في أثر رجعي، بوصفها عملًا فنيًا كاملًا - عملًا إشكاليًا ومُكثّفًا، معقدًا وعميقًا، ومع ذلك هو يُعبّر عن حقيقة وحيدة.

بعد أسابيع من الاستقصاء المُتلهّف، لا يوجد تراجع. كان يتمنّى أن قرار نشر «الأزمة، وأزمة في حياة ممثلة» في جريدة ذه *فاذرلاند* سوف يُريح باله، ويجعله ينام. إلا أنّ مسألة النشر، الحيّة منذ أمد طويل جدًّا، لا تزال تتذبذب في داخله، تجعله يمرض - «مع الأسف، كان عليّ بالأحرى أن أكتب ملفًا بدلًا من أن أنشر صفحة»[1]. وهذه المسألة، أن ينشر أو لا ينشر، مُلازِمة لمسألة مَن يكون هو، أيّ طريق يتعيّن عليه أن يسلكه عبر العالَم: أن يكون أو لا يكون مؤلّفًا؟

لا ريب سوف يُشَكّ بأنه كاتب هذه المقالة - ومع أنّ موضوعها غير مُسمّى أيضًا، كان من السهل التعرّف عليها بوصفها يوهانه لويزه هيبيرغ، أشهر ممثلة دنماركية. في تأمّله مسيرتها الفنية، تعود مقالة كيركغارد إلى ما يناهز عِقدين من الزمن، إلى بداية حياته هو ككاتب - لأنه وُلد بعد أقل من نصف سنة من ولادة لويزه هيبيرغ، ومسيرتها الفنية لها تشابهات غريبة مع مسيرته. في العام 1829، لمّا كانت في ربيعها السابع عشر، لويزه پاتجيس (لم تكن هيبيرغ بعدُ) مثّلت دور البطولة في *روميو وجولييت* في مسرح كوبنهاغن المَلَكي - وبعدها في السنة الفائتة 1847، لعبت دور جولييت ثانيةً، وهي في سن الرابعة والثلاثين. هذا التناظر يعكس بداية ونهاية تأليفه. مع أنه مُدرِك لأهمية التكرارات، كان قد اتخذ إعادة السيدة هيبيرغ دورها وهي في مقتبل العمر مناسبةً كي يسأل كيف يجب أن يقوم الفنان بالانتقال من الشباب إلى النضج؛ كيف يوفّق بين العناصر التافهة والعميقة من عمله؛ كيف يُعبّر عن خصوصية تجربته وعن الحقيقة المُشترَكة للتجربة الإنسانية في آن - وكيف يعيش هذه المسائل على المسرح مرئيًا للجمهور، تحت الأضواء الساطعة للشهرة.



يوهانه لويزه هيبرغ

خلال الأعوام بين دوريْ جولييت اللذين مثّلتهما، انتبه هو، إلى أنّ هذه الممثلة «المعبودة» فهمت أنّ شهرتها «فارغة»[2] ومجدها «مُرهِق». الآن، فيما هي تصل إلى ذروة قدراتها الفنية، «ثمة قيل وقال يدور هنا وهناك حول مسألة أنها أضحت كبيرة السن». الجمهور نَزَوي: «التفاهة المتحمّسة ذاتها تقرع من دون توقّف الطبلَ الكبير للسُخف في مديحها واحتفت بها ببلاغة على الصنوج، التفاهة نفسها الآن تسأم من فنانتها المعبودة؛ إنها تُريد أن تتخلّص منها، لا تُريد أن تراها بعد الآن - قد تشكر الفنانة الله إن لم تكن ترغب (أيّ التفاهة) أن تمحقها. التفاهة ذاتها تحوز معبودة جديدة في سن السادسة عشرة، وعلى شرفها المعبودة السابقة ينبغي لها أن تختبر الإساءة التامة للتفاهة - لأنّ الصعوبة الكبيرة مرتبطة بمسألة أن تكون معبودًا هي أنه شيء لا يُصدّق تقريبًا

أن يتمكّن المرء من تلقّي التسريح المُشرِّف من الوظيفة». إن «تفاهة» الذائقة العامة هي تفاهةٌ قاسية بالأخص بالنسبة للنساء، اللواتي يُحكَم عليهن من خلال جمالهن السطحي: «حين يتعلّق الأمر بما هو أنثوي [3]، يكون النقد الفنّي لمعظم الناس له صنوف وأنماط تفكير متّسقة بعمق مع كلّ صبي جزار، وحارسٌ شعبي بسيط وبائع في متجر، يتكلّم بحماسة عن مومس حلوة وشقيّة وسليطة اللسان بنحو شيطاني في سن الثامنة عشرة. ومن الناحية الثانية في النقطة التي يبدأ فيها الاهتمام الفعلي، من وجهة النظر الجمالية، يكون هناك الكائن الداخلي الذي يصبح بنحو جميل وبمعنى عميق جلي في التحوّلات - هناك يرتدّ الجمهور».

تناقش مقالة كيركغارد مسألة أنّ تمثيل دور جولييت مرةً ثانية سمح لموهبة السيدة هيبيرغ الحقيقية أن تتألّق: في منتصف حياتها، عبّرت عن عنفوان جولييت الفتيّ في كلّ كلمة وإيماءة. في حين أنّ فنه فنٌ مختلف -وهو بالتأكيد ليس معبودًا- هو أيضًا يواجه الأسئلة الحاسمة عن تطوره الإبداعي وصورته الجماهيرية. الآن، في العام 1848، هو أيضًا بوسعه أن ينظر للوراء إلى نفسه لمّا كان في سن السابعة عشرة، لمّا دلف إلى عالمٍ جديد - وبدأ الدرب الذي قاده إلى حياته بوصفه مؤلفًا.

***

حين قدّمت لويزه پاتيجيس أداءَها الأول بدور جولييت[4] في العام 1829، كانت حياتها تخضع لتحوّل. كانت نصف يهودية، ابنة مُهاجرَين ألمانيَّين فقيرَين، إلا أنّ نجاحها في المسرح فتح لها الأبواب على المجتمع الراقي. في العام 1831 تزوّجت من الكاتب يوهان لودڤيغ هيبيرغ كثير الارتباطات، الذي كان في ضعف سنّها. لم تكن قد بلغت سن العشرين بعدُ، مدام هيبيرغ وجدت نفسها مُحاطة بنخبة كوبنهاغن الثقافية. كيركغارد لم يدخل عالَم الارستقراطيين والفنانين بسهولة بالغة - في حقيقة الأمر، لم يتمكّن من الدخول إلى حاشية هيَبيرغ. على الرغم من ذلك، لمّا أصبح طالبًا في جامعة كوبنهاغن العام 1830، فُتحت أمامه فجأةً آفاقٌ جديدة.

باستطاعته الآن أن يقضي أيامه يطوف بين قاعات المحاضرات والمقاهي

على طول ستروول(*) مسار أربعة شوارع مزدحمة تمتد من الشرق إلى الغرب عبر مركز المدينة. على خلاف الحانات قديمة الطراز، هذه المقاهي الحديثة لها واجهات زجاجية كبيرة: تعرّض روادها للمارة ولبعضهم بعضًا أيضًا. كان الطلبة الجامعيون والأكاديميون يجتمعون في غرف شاي أنيقة ذات أسماء إيطالية، أو في مخزن معجنات پلاش، أو في ميني، أرقى المقاهي في كوبنهاغن. كانوا يتكدّسون عادةً في «جمعية الطلبة» بالجامعة، حيث يجدون هناك شيئًا من الحرية في مدينتهم ذات الرقابة الصارمة بالقراءات الأدبية، الخطابات الفلسفية والنقاشات السياسية.

قفز كيركغارد بلهفة وبحيوية بالغة إلى أحضان مدينته الجديدة المكشوفة، بينما اضطلع والده بالفواتير: كان يتعشّى في الخارج، يشرب كميات كبيرة من القهوة، يُدخّن السيجار الغالي، يشتري ملابس جديدة، يخالط الآخرين بحماسة. أضحى شخصية مألوفة في مخزن كتب ريتزل[5] في كومباغر غيد، الذي يتردّد عليه أشهر الكتّاب الدنماركيين، وأخذ كتبه الجديدة بأغلفتها الورقية الخالية من الزخرفة[6] مباشرةً إلى معمل تجليد الكُتُب ن. س. مولر -أفضل محلّ تجليد في البلدة - كي تُجلّد بالجلد المُزيّن بنقوش ذهبية بارزة. كان من دأبه أن يمضي في مسيرات مسائية راجلة مع إميل بويسين، صديق طفولته، الذي كان والده مستشارًا عَدليًا وعلى غرار ميخائيل پيدرسِن كيركغارد، شخصية ذات مقام رفيع في الجالية الموراڤية. ولكنه الآن وجد أن شوارع كوبنهاغن مليئة بالشبان المستعدّين للحوار معه عن كلّ ما سمعوه توًا في محاضراتهم أو قرأوه في الجرائد. مع أنه لم يكن يأتمن مشاعره إلا عند إميل - وحتى في ذلك الوقت بعد أن فرض قواعده المتعلّقة بالرقابة على المطبوعات - كان يودّ أن يُشارك آراءه مع الجميع.

(*) ستروجيت Strøget: منطقة للسابلة وللتسوّق خالية من السيارات في كوبنهاغن. هذا المكان الجاذب للسيّاح في مركز البلدة هو واحد من أطول شوارع تسوّق السابلة في أوروبا.

الأشخاص الجُدد الذين صادفهم في الجامعة، وكذلك الأفكار الجديدة التي صادفها هناك، أدخلوه إلى وجهات نظر في الحياة مختلفة تمامًا عن تلك التي عرفها في المنزل في نيتورف، حيث كانت عاداته الأسرية الريفية المقتصِدة قد اختلطت باحتراس مع أعراف الأشخاص المحترمين البورجوازيين. بطبيعة الحال، في ذلك الوقت كان أصلًا مثقّفًا أكثر من والده: في عمر الثامنة كان قد اتبع أشقاءه الأكبر سنًا منه إلى «مدرسة الفضيلة المَدَنية»، حيث تمرّن على اللغتين اللاتينية واليونانية. كان معلمه الرئيس هناك، ميخائيل نيلسِن، انضباطيًا حازمًا، وجد كيركغارد الأصغر سنًا، «صبيانيًا جدًّا وخاليًا كليًّا من الجدّية، مع ميل إلى الحرية والاستقلال، ومنعه هذا من التغلغل عميقًا جدًا في أيّ موضوع». غير أنّ نيلسِن كان قد تأثّر بعقل كيركغارد الذكي والمتفتح وميله الكبير للغات، وشخصيته المفعمة بالحيوية، «لا يزال متفتحًا وغير مُدلّلَ» في السابعة عشرة. ترك كيركغارد المدرسة كونه قرأ هوراس، ڤيرجيل، شيشرون، هوميروس، أفلاطون وهيرودوت، وكتاب كزينوفان المعنون *حياة سقراط*. كان بوسعه أن يترجم سفر التكوين من العِبرية، وإنجيل يوحنا من اليونانية.

تلكم الأعوام في «مدرسة الفضيلة المَدَنية» هيّأته جيّدًا لنيل البكالوريوس في اللاهوت الذي بدأ في دراسته في خريف 1830. ومرة أخرى كان يتّبع شقيقه الأكبر پيتر، الذي كان يومئذ قد تخرّج في اللاهوت من جامعة كوبنهاغن وكان الأول على دُفعته، إذ درس عامًا في برلين، ودافع عن أطروحته لنيل الدكتوراه في غوتنجِن - حيث نال شهرةً باعتباره «المُناقش الداهية من [الشمال]»[7] - ووجد نفسه في باريس في ثورة منتصف يوليو. إلا أنه على خلاف شقيقه الطموح، كيركغارد لم يكن طالبًا مجتهدًا جدًا في اللاهوت. العقيدة المسيحية، والتفسير الكتابي وتاريخ الكنيسة هذه كلّها أثارت اهتمامه أقل بكثير من الأنواع الجِديدة للأدب التي اكتشفها في الجامعة.

في انعطافة القرن التاسع عشر، كسر الجيل الأول من الرومانسيين الألمان في جينا وبرلين القواعد القديمة للفن، والدّين، والفضيلة، والفلسفة والعلم: أصبح الإبداع الإنساني في عهدهم، أقل تقييدًا وأكثر تقديرًا من أيّ وقت

مضى. هؤلاء الكتاب الشبان استحضروا عالَمًا، مُتحوّلًا، مرنًا قدّم نفسه كي يتمّ تحويله، ليس فقط من قبل المُثل العليا الجمالية الجديدة بل من قبل طرائق حياتية جديدة. غوته، الموهبة الشاعرية للعصر التي بلا منازع - كان يُنظَر إليها بوصفها أسمى قدوة إنسانية- غير أنّ كلّ إنسان «يجب أن يكون فنانًا»[8] كما قال الشاعر نوڤاليس في العام 1798. أسئلة طارئة تقبع في انتظار كيركغارد لمّا دخل هذا العالم: هل بمقدوره أن يُصبح شاعرًا؟ كيف يكون الحال لمّا يعيش المرء بصورة شاعرية؟ كيف يستطيع أن يصنع من حياته عملًا فنيًا؟

الأفكار تدفقت بسرعة من المدن الألمانية إلى كوبنهاغن، وفي مطلع القرن الجديد ألهمت «المدرسة الرومانسية» جيلًا صاعدًا من المثقفين الدنماركيين. في العام 1802 عاد هنريك ستيفنز إلى كوبنهاغن بعد دراسته الجيولوجيا في ألمانيا، حيث أصبح تابعًا للفيلسوف الشاب اللامع فريدريش ڤيلهيلم ڤون شيلنغ. متمنّيًا نيل الأستاذية في الفلسفة بـ«جامعة كوبنهاغن»، ألقى ستيفنز سلسلة من المحاضرات العلنية لجمهور غفير من الأكاديميين، والطلبة الجامعيين، ومثقفين آخرين. الحياة الحديثة باتت «مُملّة» و«لا دينَ لها»[9] كما قال لهم، وتحتاج لأن تُنشّط ثانيةً بواسطة الموهبة الإنسانية: «تلك الموجودة في داخلنا وهي مقدّسة؛ تلك التي تكون مع كلّ شيء، جوهرُنا الحقيقي». النثر ينبغي أن يُفسح المجال للشعر - إنها ببساطة ليست مسألة نظم الشعر، بل السعي وراء «بصمة السرمدي» في نطاق العالَم المحدود. «سأفتح مزيدًا من الرؤية الجوهرية للحياة والوجود أكثر من تلك الرؤية التي يقودنا إليها الوجود العادي والحياة اليومية، المُحدّدة كما هي بواسطة حاجات محدودة»، وعد ستيفنز مستمعيه، حين وضع فلسفة قائلة بوحدة الوجود مُثيرة للجدل تعلّمها في ألمانيا.

في بلدة جينا الجامعية، صادف حلقة من المثقفين الشبان تجمّعوا حول شقيقين، أوغست ڤيلهلم وفريدريش ڤون شليغل - وزوجة أوغست ڤيلهلم كارولين، التي ألهمت في داخل معظم هؤلاء الرجال شغفًا شهوانيًا دَعَم إبداعهم. هذه الحلقة الموهوبة، الاستثنائية، الأليفة ضمّت فريدريك ڤون

هاردينبيرغ (الذي يكتب تحت الاسم المستعار نوڤاليس)، اللاهوتي فريدريش شلايرماخر، وشيلنغ، الذي تزوّج مؤخّرًا من كارولين بعد أن طلّقت أوغست ڤيلهلم. كانوا قد تعرّفوا عن كثب إلى غوته، وشيللر، وفيشته. الفجر الجديد الذي يعقب الثورة الفرنسية لا يزال يبدو مشرقًا، والمجموعة تقاسمت آمالًا عريضة من أجل التحرّر الروحي والسياسي.

في العام 1798 أسس آل شليغل دورية حجرة *المطالعة*، التي صاغوا فيها بالاشتراك مع أصدقائهم أدبًا رومانسيًا متميزًا، مستوحى من كتاب شيللر *رسائل في التربية الجمالية للإنسان* والمنشور في العام 1795. ناقش فيه شيللر أنّ «تطوير قابلية الإنسان على الإحساس[10] هي الحاجة المُلحّة جدًا للعصر»، وناقش أننا نغدو «إنسانيين تمامًا» عندما نتأمل الأعمال الفنية الجميلة، التي تقدّم تجربة «الرفاهية المطلقة والقلق الشديد». الأدب الرومانسي الجديد، شرح فريدريش ڤون شليغل، سوف يجذب مصادرَ واسعةً من الخيال الإنساني كي يُنتج «شعورًا ليس شهوانيًا، بل روحانيٌّ[11] الحب مصدر وروح هذا الشعور، وروح الحب يجب أن تنتشر عبر الشعر الرومانسي في الأمكنة كلّها، بصورة مرئية وغير مرئية». شليغل اعتبر الإبداع الإنساني ملازمًا للقُدرات اللامحدودة للطبيعة: مكررًا فلسفة شيلنغ الجديدة في الطبيعة - التي أثّرت في النظريات العلمية، فضلًا عن الميتافيزيقية المتعلّقة بالحياة - وصف «الشِّعر غير الواعي الذي يتحرّك في النبات[12]، الذي يتدفق خارجًا في النور، الذي يضحك في الطفل، الذي يومض في بُرعم الشباب، الذي يتوهّج في الأثداء العاشقة للنساء». هذا الشِّعر هو كلمة الله الحقيقية، التي يتردد صداها في جميع أنحاء الطبيعة.

في ذلك الزمن كان فريدريش ڤون شليغل يُقيم مع شلايرماخر في برلين: شجعه صديقه على الكتابة، شلايرماخر ساهم بعشرات الشذرات في *غرفة المطالعة*، ومن ثم نشر في *الدين: أحاديث للمثقفين وسط مُحتقري الثقافة* في 1799. هذا الدفاع غير التقليدي عن المسيحية في الكتاب كان مُوجّهًا إلى أولئك الذين، على غرار شيللر وشليغل، عبدوا الفلسفة والفن وحدهما. شلايرماخر حثّ هؤلاء القراء على أن ينظروا في دواخل نفوسهم فضلًا عن

النظر إلى الكون، كي يُوقظوا «شعورًا بتلك الكينونة الأبدية والمقدّسة[13]، التي تقبع بعيدًا في الجانب الآخر من العالَم». وَصَف مشاعر الطاعة والتفسّخ التي تنشأ حين تُفهم الطبيعة بالبداهة، ويُنظر إليها باعتبارها كُلًّا لا نهائيًا إنما مُنظمًا: وبعدها بوسع المرء أن يختبر «الاختفاء الهادئ لوجود المرء التام في اللامحدود»[14]، في مُناشدةٍ مباشرةٍ لأصحابه الرومانسيين، يعتبر شلايرماخر الفن «مقدّسًا» والشعراء «أرقى الكهنوتيين الذين ينقلون الأسرار الروحية الأعمق، ويتكلّمون من مملكة الرب». الفنانون والشعراء، كَتَب: «يجاهدون كي يُوقظوا البذرة الهاجعة الخاصّة ببشرية أفضل [15]، كي يُلهِبوا حبًا لأشياء أسمى، كي يحوّلوا حياةً عادية إلى حياة أسمى».

كان شلايرماخر قد تلقّى تعليمه في مدرسة «موراڤية» ومعهد لاهوتي؛ شيلنغ وأوغست وفريدريش شليغل كانوا أبناء كهنة لوثريين؛ وكان والد هاردنبيرغ تُقَويًا «موراڤيًا» صارمًا. خاب ظنهم من دين آبائهم، كان هؤلاء الرجال متعطّشين إلى روحانية بديلة. مع ذلك كان شعرهم الفلسفي وفلسفاتهم الشعرية قد ضربت جذورها في إرثهم المسيحي المُشترَك، بينما كانوا يتدفّقون خارجين من قيوده. وعلى غرار التُقَويين، ابتعدوا عن التيارات المُعقلَنة للقرن الثامن عشر، وسعوا إلى «يقظة» روحية لأنفسهم أولًا وكذلك لأفراد المجتمع - عبر الشعور، في داخل قلب الإنسان. وهم أيضًا عادوا إلى التقاليد القروسطية التي تركتها وراءها حركة التنوير: مثلما جدّد التُقَويون الأدب الصوفي والتعبّدي لما قبل «الإصلاح»، لذا هؤلاء الرومانسيون المبكرون نظروا للوراء إلى عصر الفروسية والسحر، وأعادوا قراءة حكايات الغرام والمغامرة القروسطية. في المساعي العجيبة الموصوفة في هذه الحكايات الغرامية اللطيفة والحكايات الشعبية، وجدوا أساليبَ جديدة للرحلة الداخلية، الروحية لاكتشاف الذات وتطوير الذات التي كانت أصلًا دربًا تُقَويًا تردّد عليه ركابٌ كثيرون.

لكن بينما كان التُقَويون يبحثون عن ذواتهم الحقيقية فقط في تلك العواطف والتجارب التي سوف تقرّبهم من القداسة المتكاملة، كشف الرومانسيون المدى الكامل للإحساس الإنساني، غير المُقيّد بالفضيلة أو الأصولية الدينية.

كانوا كلّهم قد قرأوا سبينوزا، فيلسوف القرن السابع عشر الذي أكّد في تحفته، «الأخلاق»، أنّ كلّ شيء «موجود في الله»[16]. اعتنقوا لاهوت سبينوزا المؤمن بوحدة الوجود، الذي لا يزال مُدانًا على نطاق واسع بوصفه هرطقيًا، وجمع هذه العقيدة مع آراء أحدث تتعلّق بالفن والإبداع. بالنسبة للرومانسيين، الإيمان بأحادية الوجود يعني حرية غير مسبوقة: إن لم يكن هنالك شيء خارج الله، إذًا لا شيءَ خارج الحدود. بينما حاول التُّقويون أن يشجعوا الإذلال والطاعة، الرومانسيون عبدوا القدرة الواسعة للخيال الإنساني. لم يكن مَثَلهم الأعلى -أو في الأقل ليس هو الوحيد- يسوع المسيح، بل أيّ عبقرية فنية حفرت أخدودًا في القدرة الإلهية المتأصّلة في الطبيعة. التُّقَويون حملوا إلى الدين المسيحي الأرثوذكسي أنّ الله خلق العالَم؛ الرومانسيون اعتقدوا بأنّ الفنانين العظام باستطاعتهم أن يخلقوا عوالِمَ جديدة، المرة تلو المرة.

لمّا رجع هنريك ستيفنز من زيارته المؤثرة إلى جينا في العام 1802 كانت لديه حلقة أصدقائه الخاصة تنتظره في كوبنهاغن: ج. ب. مينستر، القس الشاب والمطران المستقبلي؛ آدم أولينشلاغر، أروع شاعر من جيله؛ آ.س. أورستيد، المحامي والباحث القانوني الذي أصبح تاليًا رئيس وزراء الدنمارك، وشقيقه ج. س. أورستيد، الذي كان وقتئذ يبدأ في مسيرته العلمية اللامعة. كان من دأبهم أن يجتمعوا في منزل الكاتب ك.ل. راهبيك وزوجته «كَمّا»، التي ترأست صالون كوبنهاغن الأدبي البارز. ومثل حلقة جينا، هذه المجموعة كانت تربطها بقوة روابط أُسرية: كان زوج أم مينستر هو عم ستيفنز؛ أولينشلاغر تزوج شقيقة كمّا راهبيك؛ آ.س. أورستيد تزوج شقيقة أولينشلاغر.

أصدقاء ستيفنز تشرّبوا الفلسفة الرومانسية الجديدة. في صيف 1802 نشر أولينشلاغر مجموعة من القصائد ملأى بالحنين المَرَضي إلى «الأيام الماضية، الغابرة، الغابرة، لمّا ومضت اسكندناڤيا»، مازجًا الأساطير النرويجية بالصور المَجازية المسيحية كي يستحضر عالَمًا طبيعيًا مُتشرّبًا بـ«ألوهية صوفية». بإلهام من نوڤاليس، أسهب أولينشلاغر في هذه الرؤية المؤمنة بوحدة الوجود في قصيدته الغنائية للعام 1805 «حياة يسوع المسيح مُكرّرة في الدورة السنوية

للطبيعة». من ناحية أخرى، ج. س. أورستيد باشر بحثًا في «الروح في الطبيعة»[17]، وفي الختام اكتشف أنه - كما توقّع شيلنغ، إنما لم يُثبت - الكهرباء والمغناطيسية هما وجهان للقوة نفسها. هذا التقدّم العلمي المفاجئ أظهر الوحدة الروحية للعيان بنحو أوضح؛ هذه الوحدة التي حَسِبَ الرومانسيون أنها تقبع مخفيةً تحت الظواهر المتنوّعة للطبيعة والثقافة.

مينستر تأثّر أيضًا بـ«المدرسة الرومانسية»، إلا أنّ يقظته الدينية في العام 1803، قوّت التزامه المسيحي. في العام 1805، أولينشلاغر، كمّا راهبيك وج. س. أورستيد كلّهم حثوه كي يدافع عن قصيدة يسوع - الطبيعة لأولينشلاغر، التي استهجنها المطران بالي، ومن ثم قائد «كنيسة الدولة الدنماركية». مينستر نفسه أزعجه اللاهوت الوثني للقصيدة، وعذّب ضميره المفدّى. وفي النهاية، بعد شهور من البحث عن الروح وضغط متعاظم من أصحابه، كتب -شعرًا- مراجعة متعاطفة لقصيدة أولينشلاغر. ستيفنز، من الناحية الأخرى، لم يُعطَ كرسي الفلسفة الذي كان يطمح إليه، ورجع إلى ألمانيا.

عقب تلك الأعوام المبكرة من «العصر الذهبي» الثقافي للدنمارك، موجات متتالية من «المدرسة الرومانسية» وصلت إلى كوبنهاغن. نشر أولينشلاغر مجموعته الثانية من القصائد في العام 1805، مضى في جولة أوروبية، وأمضى بضعة شهور في ڤايمار مع غوته، الذي تفوّق على الحركة الرومانسية باعتبارها تجسيدًا للعبقرية الإلهية. في الوقت الذي عاد فيه أولينشلاغر إلى الدنمارك في 1810 كي يشغل كرسي علم الجمال في «جامعة كوبنهاغن»، خالط الكتاب والمفكّرين الرومانسيين في برلين، وباريس، وروما، وسويسرا. لمّا دخل كيركغارد الجامعة في العام 1830، كان أولينشلاغر لا يزال هناك، يُلقي محاضرات عن شكسبير وغوته؛ وكان مُميزًا باعتباره «المَلِك الشاعري لاسكندنافيا»، وفي العام 1831 أصبح قسيس الجامعة. اشترى كيركغارد كتب أولينشلاغر، ووجد فيها الشعر التجريبي، خليطًا من الأجناس، وتباينات المزاج التي أضحت مألوفة بالنسبة لقراء الأدب الرومانسي.

بحلول ثلاثينيات القرن التاسع عشر، كان يوهان لودڤيغ هيبيرغ يتحدّى

مطالبة أولينشلاغر بعرشه الأدبي. وُلد هيبيرغ في صميم صالون النُخبة الذي رعى «الرومانسية الدنماركية»: أبواه كلاهما كاتبان موهوبان، افترقا بعد أن نُفي أبوه من الدنمارك بسبب الراديكالية السياسية، وأقام هيبيرغ الشاب مع آل راهبيك بينما طلّق أبواه أحدهما الآخر، وأمه توماسين تزوجت ثانية. بعد عودته من رحلاته إلى ألمانيا في 1824، كتب هيبيرغ، الذي اعتنق الفلسفة الهيغلية منذ عهد قريب، سلسلة من المسرحيات التي مُثّلت في مسرح كوبنهاغن المَلَكي ونالت مديحًا منقطع النظير. وبسرعة رسّخ نفسه بوصفه الناقد الأدبي البارز في الدنمارك: في العام 1827 أسس جريدة، *كوبنهاغنز فلاينغ پوست*، حيث نشر قصص أمه باسم مستعار، طوّر نظريته الجمالية، ونقد شعر أولينشلاغر. وفي العام 1831 تزوّج من الممثلة الشابة الباهرة لويزه پاتجيس.

تحت تأثير هيبيرغ، لُقّن جيل كيركغارد كي ينظر إلى (المدرسة الرومانسية) باعتبارها مرحلة عابرة - مع أنّ الجو لا يزال مُثقلًا بالآراء الرومانسية في ما يتصل بنفوذ الشعر والفلسفة في تغيير العالَم. في العام 1833 أعلن بيانه الخاص[18] في *أهمية الفلسفة للوقت الحاضر*. وهناك جادل بأنّ فلسفة هيغل، وليست فلسفة شيلنغ، هي التي تعالج الوعكة الروحية التي شخّصها الرومانسيون، الذين كانت نظرتهم النسبية إلى العالَم، بحسب هيبيرغ، قد عجّلت الانهيار. كان هيغل وغوته «بلا ريب أعظم رجلين أنتجهما العصر الحديث... تشتمل أعمالهما على الحياة الكاملة لروح عصرنا»؛ معًا، في مملكتيهما، مملكتيّ الفلسفة والفن، المُتكاملتين بصورة مشتركة، عملاقا روح *العصر* هذان سوف يُنقذان الثقافة الأوروبية.

كما تشكّلت تربية كيركغارد الجمالية بواسطة أستاذيه الجامعيين پول مولر وفريديريك كريستيان سيبيرن[19]، كلاهما أديبان فضلًا عن كونهما باحثين. سيبيرن مهتم بالفلسفة الحديثة: كونه شابًا، أمضى عامين مسافرًا إلى ألمانيا، حيث قابل ستيفنز، وفيشته، وشلايرماخر وغوته. ولمّا قابل كيركغارد سيبيرن أول مرة كان الأخير قد نشر في وقت قريب رواية رسائلية، (*رسائل غابرييل بعد الموت*)، وفقًا لأسلوب رواية غوته المعنونة *آلام الشاب ڤيرتر*، وفي محاضراته

في علم الجمال -التي حضرها كيركغارد في -1833 ناقش غوته، الشاعر الموهوب مولر، مرارًا وتبنّى أسلوب الرومانسيين الحكيم، المؤلّف من نتف أو شذرات. كان باحثًا في الأدب والفلسفة اليونانيين الموغلين في القِدم، وأستاذًا «عصيًا على النسيان»[20] أَلهَم كيركغارد حبه لسقراط. بينما طوّر المثقفون الإيطاليون الآخرون مسيراتهم من خلال اجتياز الطريق التجاري الأكاديمي المعروف إلى مُدن الجامعات الألمانية، كان مولر قد أبحر إلى الصين وعاد ملاحقًا خيبة أمل رومانسية. كان أستاذ كيركغارد الأثير.

إنّ رجالًا من أمثال أولينشلاغر، وهيبيرغ، وسيبيرن ومولر، علّموا كيركغارد أن يتحدّث في العصر الحديث ويُقارنه بالماضي الكلاسيكي؛ أن يُعجَب بثرفانتس، وشكسبير وغوته؛ أن يرى الأعمال الفنية بوصفها فعالة روحيًا؛ أن يُقدّر الأساطير، الخرافات والحكايات الشعبية؛ كي يتفلسف عبر النقد الأدبي. كما أنهم جسّدوا الإمكانية الوجودية التي اكتشفها خلال شهوره الأولى في الجامعة. كان هؤلاء الرجال شعراءً وفلاسفةً محترفين: إنهم يكسبون رزقهم من آرائهم، أخيلتهم، استعمالهم البارع للغة؛ ناقشوا، كتبوا، نشروا؛ كانت أعمالهم تُقرأ، وتُراجَع ويُتحدَّث عنها. في كتابتهم صاغوا أرواحهم، وهذّبوا طبائعهم، وربما حتى شحذوا مواهبهم - وعرضوا هذه الذوات الشاعرية على العالم.

شيئًا فشيئًا هؤلاء القدوات دخلوا إلى حياة كيركغارد؛ خيوطٌ من حيواتهم حيكت في داخل حياته هو. بات خبيرًا بسيبيرن: تكلّما عن الفلسفة فيما كانا يسيران حول كوبنهاغن، أو يجلسان قرب النار في صالة استقبال سيبيرن. تعيّن على سيبيرن أن يعرف طالبه الجامعي الثرثار بنحو جيد بما يكفي كي يرى أنه «شخص مُعقّد باطنيًا إلى حدّ بعيد»، «جدليًا للغاية»، و«في الأعم الأغلب قادرٌ فقط على التحدّث عن الأشياء التي انخرط فيها في ذاته الأعمق». على الرغم من ذلك لاحظ سيبيرن أيضًا «أنه يُريد أن ينصرف إلى أولئك الأشخاص الذين لا يُقدّرهم الجمهور». في أثناء خطوبة كيركغارد من ريجينه، أمضى بروفيسور الفلسفة وقتًا مع الشابين، وبعدها وجد نفسه يُلغي ريجينه بعد فسخ الخطوبة. وحين أسرّت لسيبيرن بـ«غضبها العميق» حيال الكيفية التي «أساء فيها كيركغارد

معاملة روحها»[21]، أخبرها أنه سيكون الأمر أسوأ لو أنهما تزوجا، لأنّ «روحَه مُنهمِكة باستمرار بذاتها».

أصبح پول مولر مُرشد كيركغارد؛ ولعُه بسقراط وبأسلوبه هو غير المنتظم، غير التقليدي كان له تأثيرٌ قويٌّ على تطور كيركغارد الفلسفي. توفي في العام 1838، في منتصف عقده الرابع، إنما من دون مولر، لم يكن كيركغارد ليكتب أطروحتَه في السخرية، ولا ليطمح لأن يكون «سقراط العالَم المسيحي». ستة أعوام بعد موت مولر، أهدى كيركغارد مفهوم *القلق* إليه - «حماسة شبابي[22]؛ النفير الهائل ليقظتي؛ هدف مشاعري المرغوب فيه؛ مستشار بداياتي؛ صديقي الضائع؛ قارئي المفقود بحزن».

حتى أولينشلاغر، وهو شخصية بعيدة أكثر، كان له دور في روايته، الرواية التي تتابع حياته المبكرة لا سيما نموّه العاطفي. في رسائل إلى ريجينه في أثناء خطوبتهما، اقتبس من دراما حكاية الجان علاء *الدين* العائدة لأولينشلاغر، ولمّا يمّم وجهه شطر برلين عقب فسخ الخطوبة أخذ كتابه معه. «إن كنتَ تحتاجني وتتصل بي/ سآتي كالبرق»، استنسخ هذه الجملة في دفتر ملحوظاته فيما كان مُبحرًا، مُنهَكًا، إلى ألمانيا. كتب إلى ريجينه عن «جنّيّ الخاتم» الساكن في داخله [23](*)، مرتبطًا بها بـ«اشتياق روحي كلّها، لأنني أنا نفسي لم أجلب إليكِ الخاتم الذي أُطيعه؟». ولمّا كانت الباخرة تمخر البحر مبتعدة عنها أكثر فأكثر، فكر بإمعان أنّ مسألة «أننا معًا أنا وأنتِ مُتحدان معًا هي جنّيّ الخاتم».

وبالطبع هيبيرغ، مع أنه ظلّ مُتحفّظًا، انجذب إلى علاقة معقّدة مع كيركغارد. هيبيرغ هو الذي نشر أول مقالة لكيركغارد في صحيفة *فلاينغ پوست كوبنهاغن* في العام 1834؛ بعد عشرة أعوام من مراجعة هيبيرغ لـ*إما/ أو*، حُفّز كيركغارد على أن يجادل مُحرره السابق وأصبح مصمِّمًا أكثر على المضي في طريقه ككاتب؛ إنه لا يزال يعبّر عن ازدرائه لـ«الزُمَر» الأدبية. في العام 1846 كرّر جهد

(*) أغاممنون: ملك مسينا ـ وقائد الأغريق في «حرب طروادة». غوادالكويڤر: بالعربية «النهر الكبير»، وهو خامس أكبر الأنهار في إسبانيا.

هيبيرغ كي يضع تشخيصًا فلسفيًا لـ«العصر الحالي» - في شكلّ مراجعة لرواية من تأليف أُم هيبيرغ، توماسين غيلنبورغ. وراهنًا، في العام 1848، كان قد قرّر أن يُنهي تأليفه بمقالة عن زوجة هيبيرغ.

في أثناء تلك الأعوام المبكرة من ثلاثينيات القرن التاسع عشر، اكتشف كيركغارد أدبًا جديدًا، وتعلّم أن يقرأه وينقده بطرائق جديدة. كما تعلّم أن يقرأ وينتقد نفسه بنحو مختلف: بينما كانت تخبو عاداته المسيحية المتعلّقة بمعاينة الذات -تفحّص وعيه، مضى إلى الاعتراف، تأمّل موهبته- تبنى المُثُل العليا الشاعرية للرومانسيين وطبّقها على حياته. ليس مُدهِشًا، ربما، أنه وجد قدرات «الرومانسية» ومغالاتها قد تعاظمت في ثنايا روحه هو. في الجامعة، ميله الباطني للتفكير الفائض قد دعمته ثقافةٌ فكرية انغمست في ثلاثة عقود من الفلسفة المثالية والسخرية الأدبية؛ تجاربه وأحاسيسه تدثّرت بطيات لا حصر لها من التفكير، امتلأت بالأهمية الشاعرية، وتخضّبت بالشكوك الوجودية.

ذكرياته عن سنوات الدراسة الجامعية هذه تخضبت بالحزن أيضًا. شقيقتاه الباقيتان، نيكولين وپتريا، فارقتا الحياة في 1832 و1834 على التوالي؛ كانتا قد تزوجتا شقيقين ثريين، يوهان كريستيان لوند وهنريك فرديناند لوند، وكلّ واحدة منهما تركت أربعة أولاد. كان شقيقه الأعز، نيلز، قد توفي وحيدًا في غرفة فندق في نيوجيرسي العام 1833، كونه أبحر عبرالمحيط الأطلسي باحثًا عن فرص عمل؛ مع أنّ نيلز كان يُريد أن يتبع شقيقهم پيتر إلى الجامعة، أخبره أبوهم أن يدخل إلى ميدان التجارة. وأُم كيركغارد آن لفظت أنفاسها في العام 1834، تاركةً سجلًا صغيرًا لستة وستين عامًا. في الأسابيع المُوجِعة من حزنه، زار أُم مارتينسِن، كان يومئذ معلّمه الخصوصي في الفلسفة، وكان ابنها قد سافر بعيدًا إلى أوروبا. صُدمت السيدة مارتينسِن بحزنه العميق. «لم يحصل في حياتها قط»، كانت تقول لابنها عادةً: «أن رأت إنسانًا مُصابًا بحزن شديد[24] مثل س. كيركغارد بسبب موت أمه»، وأحسّت بأنه لا بد أن امتلك «حساسية عميقة غير اعتيادية». لم تكن مُخطئة في ما يتعلّق بهذا الأمر؛ اعترف لمارتينسِن. «ما من أحد يقدر أن ينكر عليه ذلك».

في خريف العام 1834، ثلاثة شهور بعد رحيل والدته، بدأ كيركغارد يُدوّن آراءه في دفتر يوميات. متبعًا الأسلوب الرومانسي لأدب القرون الوسطى، كتب في كثير من الأحيان عن شخصيات من الحكايات الشعبية والأساطير، وكان مُنجذبًا إلى شخصيات كانت بشكلٍ من الأشكال تتّخذ موقفًا تجاه العالَم، مُوقفًا مُعارِضًا أو مُقوِّضًا لتقاليده، متحدّيًا مبادئه الأخلاقية. «إنه لشيءٌ ملحوظ»، فكّر، «إنّ ألمانيا لها فاوست الخاص بها، إيطاليا وإسبانيا لديهما دون جوان، اليهود لديهم [اليهودي التائه]، الدنمارك وشمال ألمانيا لديهما أويلينشبيغل»(*). هذه الشخصيات -باحثٌ متشكّك يبيع روحه للشيطان؛ مُغوٍ متسلسل مُكرَّس للسعادة الغامرة الشهوانية؛ منبوذ يائس حُكِم عليه أن يتيه في المنفى؛ مُحتال يعرض نفاق ضحاياه وحماقتهم- هؤلاء نماذج لا تمتلك الصفات البطولية المتعارف عليها. بالنسبة إلى شاب تدرّب في «الفضيلة المَدنية»، وتربّى على المواعظ الدينية لمينستر وريوس، كشفت تلك النماذج طرائق خطيرة ومُغرية في أن يكون المرء في العالَم.

كان أول مواد يومياته الأدبية في «السيد اللص»(**): شخصيات مُخرِّبة من مثل أويلينشبيغل أو روبِن هود، اللذين كانا ذويْ مبادئ وطيبَيّ القلب، فضلًا عن كونهما غريبي الأطوار. بنشاطه الإجرامي اللص - البارع عارض بوعي النظام الراسخ، أو ثأرًا من الظلم الاجتماعي؛ تسلّح بأخلاقه هو، اختار أن يكون غريبًا أو دخيلًا. وفي يوم من الأيام جرّب كيركغارد هذه «الحماسة الفتية، الرومانسية»[25] على اللص - البارع في حوار مع أبيه، وتلقّى جوابًا قاسيًا:

(*) تيل أويلينشبيغل Till Eulenspiegel: بطل كتيب حكاية شعبية نُشر في العام 1515. أخذته مسيرته البيكاريسكية إلى أمكنة كثيرة في «الإمبراطورية الرومانية المقدّسة». ألّف نكات عملية على معاصريه، وفي كلّ منعطف كان يكشف الرذائل. جرت حياته في النصف الأول من القرن الرابع عشر. يُطلق عليه أحيانًا لقب «جحا الألماني».

(**) *كان أول مواد يومياته الأدبية في «السيد اللص»*: في ما يتصل بولع كيركغارد بـ«اللص البارع»، أنظر ف. نَسيم براڤو يوردان..

«توجد بعض الجرائم التي لا يُمكن مكافحتها إلا بمساعدة الله المستمرّة»، قال الرجل المُسنّ مترنّمًا. خوف كيركغارد عميق الجذور من شَرّه اشتد، وهرع إلى حجرته وحدّق في صورته بالمرآة. فوق نظرته الساطعة، القلِقة كان شعره قد ارتد بطريقة رومانسية في خصلة مُثيرة بارتفاع ست بوصات تقريبًا: في سن الحادية والعشرين كآبته الدينية اتخذت انعطافة رومانسية جلية. هذه الصورة لنفسه وهو يُحدّق في صورته المنعكسة، تمزّقت بين القلق الأخلاقي والتمرّد، ذكَرته بمقالة فريدريش ڤون شليغل عن أسطورة ميرلين الساحر(*)، وفيها تخاف فتاةٌ صغيرة من جسمها بعد رؤيته في المرآة.

في هذا الوقت تقريبًا، في ديسمبر1834، نُشرت مقالته الأولى في جريدة هيبيرغ *فلاينغ پوست كوبنهاغن*. كانت هذه المقالة ردًا سريع الانفعال، ساخرًا على مقالة مُناصرة كتبها أحد زملائه في الجامعة في تحرير النساء - «في مجلات الأزياء، يدرسون روح العصر»، سخر كيركغارد في «دفاع آخر عن قدرات النساء العظيمة». كتابته جمعت الزخم في صيف 1835عندما أمضى، على نفقة والده، بضعة أسابيع مسافرًا حول «كيليلاي»(**). في يومياته «أفرغ في قالب شعري» رحلاته عبر ريف شمال زيليندا بالأسلوب الرومانسي: زار المواقعَ الغابرة للحكايات الشعبية والأساطير الدنماركية، ووصف الغابات الكئيبة، البحيرات الساكنة، البحر المتدفّق. وعلّق: «الناس لا يزالون لا يضجرون من التسكّع هنا وهناك مُشيرين بانكباب إلى الأجواء الرومانسية».

في أثناء رحلة قصيرة إلى بحيرة إسروم في 8 يوليو أعتمت السماء، وجهّز كيركغارد نفسه لمناخ خلّاب. وكتب: «شاهدتُ البحر وهو ينقلب أزرق -

---

(*) ميرلين الساحر Merlin the Magician: شخصية خيالية من الأسطورة الآرثرية لساحر أبيض جبار، ارتبط بميلاد الملك آرثر، ونشأة كاميلوت. ولد ميرلين بقدرات خارقة لأن أمه شربت جرعات من الماء المقدس، فصار قويًا ويعمل في خدمة إنقاذ البشر.

(**) كيليلاي Gilleleje: بلدة رئيسة في بلدية غريبسكوف في منطقة هوڤيدستادين بالدنمارك.

رماديًا[26] ويُصبح مهتاجًا، وقد راقبتُ هبّات الريح التي آذنت بالعاصفة الوشيكة تحرّكُ الحشائش والرمل عاليًا في دوامات على طول الساحل، إلا أنه لم يسبق لي أن شاهدتُ عرضًا تتحرّكُ فيه الغابة كلّها بفعل هبّات الريح هذه (نداءات البوق هذه هي التي تُعلن الحُكم)»، «لكن تبيّن أنه مجرّد مطر». في وقت لاحق من ذلك اليوم، أيضًا، وجد عاصفته، وسرعان «ما تبلّل حتى الجلد وسط الرعد والبرق والمطر المنسكب في قلب غابة (غْرِب)، وبجواري [في المرأب] جلس صبي كان يرتعش لدى حدوث البرق». وجدوا ملاذًا في منزل فلاح، حيث طلب كيركغارد خبزًا لحصانه، وأعطى لزوجة الفلاح مالًا أكثر مما ظنت أنها ينبغي أن تأخذ - «لأنه باستطاعتي أن أوفّره، وهي تحتاجه»[27].

وهو يسافر جنوبًا من بحيرة إسروم، مرورًا بـهلليرود، اكتشف كيركغارد منظرًا طبيعيًا ذا جمال مُبهم: واديًا ذا غابات ساكنة من شجر الزان وبحيرة صغيرة نمت فيها بنحو مفرَط زنابق ماء، لامعة في نور الصباح. مرئيًا من خلال عينين درّبهما الشعر القائل بوحدة الوجود كي تُبصرا المقدّس في الطبيعة، كان هذا مكانًا روحيًا. فكّر متأمّلًا، لماذا يحتاج أيّ فرد دينًا منظمًا، بينما هنا «أجراس الكنائس تدعو إلى الصلاة[28]، ليس في معبد صنعته الأيدي البشرية - وإذا كانت الطيور لا تحتاج لأن تُذكّر أن تمجد الله، إذًا يجب على البشر ألا ينتقلوا للصلاة خارج الكنيسة في بيت الله الحقيقي، حيث قوس السماء يشكّل سقف الكنيسة، حيث يحلّ هدير العاصفة والنسائم الخفيفة محلّ جهير الأرغن وتزيده ثلاثة أضعاف، حيث غناء الطيور يستكمل ترانيم التسبيح التي يرددها المصلّون... حيث كلّ شيء يبدّد نفسه في مجاوبة صوتية لا نهائية-؟».

وهو لا يزال في شخصية شاعر رومانسي، يذهب كيركغارد في مسيرة راجلة مسائية[29] في الجروف الكائنة في أقصى شمال كيليلاي وينظر بعيدًا إلى البحر. أحاسيس ضخمة يجب أن تأتي بشكل طبيعي إلى الروح الدنماركية؛ مُصغيًا إلى «أَغنية البحر العميقة إنما الجدّية بهدوء» ولـ«صلوات المساء» العائدة للطيور، تخيّل نفسه «مفوَّضًا بأن يفهم الأشياء بنحو مختلف». فكّر في أمه، في شقيقيه نيلز والصغير سورين ميخائيل، في شقيقاته مارين، ونيكولين، وپترِيا. هؤلاء

«الراحلون الأعزاء» نهضوا من القبر أمامه، وأحسّ بالراحة وسطهم: «ارتحت في عناقهم، وأحسستُ كما لو أني نُقلتُ خارج جسدي، ورحتُ أطفو هنا وهناك معهم في أثير أعلى». حلم اليقظة هذا قاطعه نورسٌ زاعق -هذا يكفي بالنسبة لصلوات الطيور- و«رجع بقلب مُثقل بالغم كي يندمج مع جمهور العالَم». مع ذلك في لحظات بهيجة كهذه، كتب قائلًا:

> كنتُ أقف هناك عادةً وأتأمّل حياتي الماضية[30] والتأثيرات المتنوّعة التي كانت مهمة بالنسبة لي، والتفاهة التي تخلق في أحيان كثيرة جدًا الكراهية في الحياة تلاشت أمام عينيّ. ولمّا عرضَ الكلّ، الذي نُظِر إليه بمنظور بهذه الطريقة، الخطوطَ الخارجية الأكبر، الأكثر حيوية، ولم أُضيّع نفسي في التفصيل كما أفعل ذلك عادةً، إلا أنني شاهدتُ الكلّ في وحدته الكاملة، كنتُ مفوَّضًا أن أفهم الأشياء بصورة مختلفة، كي أُدرك كم عدد المرات التي ارتكبتُ فيها الأخطاء، وكي أغفر للجميع. - فيما كنتُ واقفًا هناك، متحرّرًا من الكآبة والقنوط اللذين يحملانني على أن أرى نفسي مستثنى من الرجال الذين يُحيطون بي، أو متحرّرًا من الزهو الذي يجعلني العنصر المكوّن لحلقة صغيرة - فيما كنتُ واقفًا هناك وحيدًا ومنبوذًا والقوة الوحشية للبحر ومعركة العناصر ذكّرتني بعدمي، وفي الجانب الآخر التحليق المؤكد للطيور ذكّرني بكلمات يسوع المسيح: «ما من عصفور يهوي أرضًا من دون عزيمة (أبيك) السماوية»، أحسستُ في الوقت نفسه كم أنا عظيم ولا قيمةَ لي.

ختم كلامه قائلًا إنها مسألة تعلّم التواضع الحقيقي. مثلما انسحب يسوع المسيح إلى أعلى جبل ما حين كان الناس يُريدون أن يُنادوا به مَلِكًا عليهم؛ لذا «خيرٌ للمرء أن ينسحب من الاضطراب العظيم للعالَم»، إلى قلب الطبيعة، حيث باستطاعته أن «يستسلم» لسلطة أعلى. قرر كيركغارد أن يقوم بفعلٍ باطني، وحتى أن يلتزم الصمت طوال ثلاثة أعوام. بطبيعة الحال، لم يكن ذلك عهدًا

جادًا: هناك في كوبنهاغن، استأنف مسيراته الراجلة مع الآخرين وحواراته المكثقة، حوارات المقاهي، وخلال بضعة أسابيع في فصل الخريف ظل يخاطب «جمعية الطلبة» في مسألة الكلام الحرّ.

مَن هو ذلك الرجل الواقف «وحيدًا ومنبوذًا» على جروف «غلبيرغ»، متأمّلًا حياته «العظيمة وعديمة القيمة»؟ كم عدد أفكاره التي صعدت من البحر المتلاطم، وكم عدد أفكاره التي استعارها من المجلات الأدبية، ومُجلّدات الشعر، أو من المحاضرات في علم الجمال؟ أيّ أدوار منه أتت من نيتورف، من ستورمغيد، من كنيسة سيدتنا؟ هل سافر باطنيًا في هذه الرحلة إلى كيليلاي - أم إنه غادر المدينة كي يكيّف روحه وفقًا لصورة اكتشفها في داخل أسوارها؟ هل كان يجد نفسه، أم يُحوّل نفسه من حال إلى حال، أم يخلق نفسه «هناك»، مع الزنابق والطيور؟ أين انتهت رحلته وبدأت يومياته؟

في ذلك الوقت، كان قد تعلّم أنّ المعرفة الذاتية ليست ببساطة مسألة تحديق في المرآة، لأن الشخص الذي يُبادله النظر لم يكن نفسًا واضحة، خالصة. اعترف قائلًا: «نحن على الدوام نخدع أنفسنا باعتناق أفكار بوصفها آراءنا وملحوظاتنا التي إما تنبثق قُدُمًا بحيوية من زمن قراءتنا لها، أو تقبع في لا وعي العصر كلّه». لئن كانت حيواتنا الباطنية تعكس العالَم دائمًا، كيف نستطيع أن نعرف أنفسنا بمعزل عن ذلك العالَم؟ فكّر كيركغارد «نعم، حتى في الوقت الحاضر فيما أنا أكتب هذه الملحوظة، فإنّ ما أكتبه، هو أيضًا، أغلب الظن، ثمرة تجربة العمر». وفي داخل كلّ ثنية فكرة يوجد فضاءٌ صغير للإخفاء والخداع.

محاضرته المصوّرة عن رحلة بلغت ذروتها في فقرة طويلة، تشبه مقالة أدبية أكثر مما تشبه تدوينًا في دفتر يوميات، مع أنه كان يتصدّرها «كيليلاي، 1 أغسطس، 1835». هنا فكّر هو في الحياة العلمانية، وقرر أن «يعيش حياةً إنسانية تمامًا، وليس حصرًا حياة معرفة». لم يكن هذا مجرّد طموح شخصي، بل بيانٌ فلسفيٌّ:

ما أحتاج إليه فعلًا هو أن أكون واضحًا في ما يتصل بـ *ماذا* ينبغي

لي أن أفعل[31] وليس ماذا يجب أن أعرف، مع أنه حتى الآن يجب أن تتقدّم المعرفة كلّ فعل من الأفعال. ما يهمّ هو أن نجد غرضًا، كي نرى ما هي فعلًا إرادات الله التي يتعيّن عليّ القيام بها؛ الشيء الجوهري هو أن أجد حقيقةً هي صحيحة بالنسبة لي، أن أجد *الفكرة التي أرغب بأن أعيش وأموت من أجلها*. وما الفائدة بالنسبة لي أن أكتشف ما يُسمى بحقيقة موضوعية، وأن أعمل من خلال الأنظمة الفلسفية كي يكون باستطاعتي، إذا ما طُلِب مني، أن أُدلي بأحكام نقدية تتعلّق بها؛ ما الفائدة بالنسبة أن أطوّر نظرية عن الحالة؟ أن أحصل على التفاصيل من مصادر متنوّعة وأدمجها في وحدة واحدة، وأبني عالَمًا لم أسكن فيه بل ببساطة أحملُه عاليًا كي يراه الآخرون؛ ما النفع بالنسبة لي أن أكون قادرًا على صياغة معنى «المسيحية»، أن أكون قادرًا على شرح نقاط مُحدّدة كثيرة - إن لم يكن لها معنى أعمق *بالنسبة لي ولحياتي*؟ أنا يقينًا لا أنكر أني لا أزال أقبل ضرورة *المعرفة* وأنه من خلالها ربما يتأثر البشر، لكن *بعدها لا بد أن* تُصبح *مليئة بالحيوية فيّ*، وهذا هو ما أميّزه الآن بوصفه أهم الأشياء كلّها. هذا هو ما تتعطش إليه روحي مثلما تتعطش الصحارى الأفريقية للماء. هذا هو ما أحتاجه كي أعيش، *حياة إنسانية تمامًا* وليس حصرًا *حياة معرفة*، بحيث يُمكنني أن أضع أساس تطوّر فكري ليس على -نعم، ليس على شيء يُسمى موضوعيًا- شيء هو في حالتي لا يعود إليّ، بل على شيء مُقيَّد بأعمق جذور وجودي، ومن خلاله، إذا جاز التعبير، أُطعَّم في داخل الإلهي، الذي أتشبث به بسرعة مع أنّ العالَم كلّه قد ينهار. *هذا هو ما أحتاجه، وهذا هو ما أُجاهد من أجله*. يتعين على الإنسان أولًا أن يتعلّم كيف يعرف نفسه قبل أن يعرف أيّ شيء آخر. ليس قبل أن يفهم نفسه باطنيًا ومن ثم يرى السبيل الذي يتعين عليه أن يسلكه عندئذ تكتسب حياته السلام والمعنى؛ حينئذ فقط يكون متحرّرًا

من رفيق السفر المؤذي، الشرير ذاك - تلك السخرية من الحياة التي تُظهِر نفسها في دُنيا المعرفة.

بحلول هذا الوقت كان كيركغارد قد أمضى خمسة أعوام في الجامعة، وبدا أنه فجأةً على وشك إكمال دراسة البكالوريوس في اللاهوت، ولمّا ارتاب في قيمة المعرفة النظرية، كان يشك في معنى وجوده هو. ومع ذلك بينما كان لا يزال يعيش هذه المسائل، كان يكتب عنها من مسافة - لم يستعمل بعد الأسماء المستعارة، إلا أنه يُجرّب شخصية شاعر.

في تدوين اليوميات هذا، كما هو الحال في تدوينات كثيرة غيره مكتوبة قبل وبعد رحلته إلى كيليلاي، كشف كيركغارد ثيمات من أسطورة فاوست القديمة[32]، الباحث المتشكّك. في ثلاثينيات القرن التاسع عشر كان الجميع يتحدّثون عن فاوست: هذه الحكاية القروسطية المتعلّقة برجل تمرّد على الله، استولت على الخيال الرومانسي، وأكمل غوته أخيرًا الجزء الثاني من مسرحيته الشاعرية *فاوست* قبل وفاته في العام 1832 مباشرة. وفقًا للأسطورة التقليدية حياة فاوست انتهت بالإدانة، غير أنّ غوته منح القصة نهاية جديدة. إن شخصية فاوست التي رسمها تخضع لتحوّل اللحظة الأخيرة، إنها أشبه بتجربة القديس بولس في الطريق إلى دمشق: أُصيب بالعمى بغتةً، رُمي في الظلام، وبعدها أُنقِذ من الشيطان بواسطة جماعة من الملائكة. في هذه الخاتمة المُذهلة لـمسرحيته *فاوست* التي طال انتظارها، بدا غوته كأنه يبعث رسالة فراق إلى العالَم الذي يُخلّفه وراءه. في أثناء زمن حياته، رأى الشاعر العظيم الجامعات الألمانية تغدو احترافية أكثر فأكثر، وامتلأت بأناس يكافحون من أجل التنوير عبر الدراسة الأكاديمية - غير أنّ عمى فاوست المفاجئ أوحى أنه خلال ليالي العمى الداكنة تنضِج الروح الإنسانية، وتتوسّع، وتتعمّق، وتجد الله في أعماقها.

كيركغارد كانت لديه وجهة نظر مماثلة في ما يتعلّق بالحياة الروحية، واحتملت ليالي داكنة، مؤرِقة كثيرة. إلا أنه في منتصف ثلاثينيات القرن التاسع عشر استهجن نهاية غوته، لأنه كان يُريد أن يستعمل قصة فاوست كي يصنع

تحليله الخاص للعصر الحديث. كان يعتقد بأنّ فاوست أضفى صفةً بشرية على الشك، الطبيعة المميزة لهذا العصر، وبجعل فاوست يعتنق دينًا جديدًا قبل وفاته، فإن غوته يخون ماهية شخصيته. كيركغارد يُقدّم تفسيرًا جديدًا لفاوست، وهذا التفسير -على غرار مقالات هيبيرغ وفريديريش ڤون شليغل- يدمج النقد الأدبي، الفلسفة والشعر في تحليل باهر للثقافة المعاصرة.

في العام 1836 نشر الشاعر النمساوي نيكولاس ليناو طبعةً أخرى من *فاوست*. كان ليناو قد عاد مؤخرًا إلى ألمانيا، مخذولًا، من پنسيلڤانيا حيث أقام على مدى بضعة شهور في كومون تُقَوي راديكالي. *فاوست* عَدَمي، لأن كآبته الرومانسية أصبحت قاتمة وتحوّلت إلى تشاؤم عميق. قصيدة ليناو أورثت التعاسة لكيركغارد أيضًا. «آه كم أنا تعيس! مارتينسِن نشر مقالة عن *فاوست* ليناو!». كتب في دفتر يومياته العام 1837، بعد رؤيته مقالة مارتينسِن - التي ناقشت أنّ فاوست رمزت للميول المتعجرفة، الكافرة للمعرفة العلمانية الحديثة - في جريدة هيبيرغ الجديدة *پيرسيوس*. في ذلك اليوم، كان يكتب تحديدًا بصوته هو.

بسبب يأس أبيه المُسنّ المتفاقم، استمر في تأجيل استعداده لأداء امتحاناته في اللاهوت، وأمضى معظم وقته في التفكير، يتكلّم ويُخربش حول الأدب والفلسفة. وضع ملحوظات في الفكاهة والسخرية، المسيحية والرومانسية، وكان في كثير من الأحيان يُرى وهو في نقاش عميق مع پول مولر، الذي كان مُنهمكًا في هذه المواضيع. في مايو 1837 بلغ سنّه أربعة وعشرين عامًا، وقابل ريجينه أولسِن أولَ مرة. في ذلك الصيف، أحسّ بأنه مُضطهَد من قبل «النسبية التعيسة في كلّ شيء»[33]. الأسئلة اللانهائية المتعلّقة بـ«*ماذا أكون*»، المتعلّقة بمتَعي وما يراه الأشخاص الآخرون فيّ، وفي ما أفعله». مع ذلك، تلك الأسئلة اللانهائية كانت في الأقل أفضل من الرضا الغافل: لم يشأ أن يكون مثل «البورجوازي الصغير»، الذي ثمّن المبادئ الأخلاقية فوق الفطنة ولم «يسبق له أن أحسّ بحنين مَرَضي إلى شيء مجهول، بعيد، لم يختبر عمقَ ألا يكون شيئًا

على الإطلاق، أن يتنزّه خارج محطة نوريـپورت(*) بأربعة شلنات في الجيب وعكازٍ رفيع في اليد».

في ذلك الحين، ثلاثة أفراد فقط من آل كيركغارد ظلّوا في منزل الأسرة الواقع في نيتورف. سورين، وشقيقه پيتر كريستيان -الذي كانت زوجته الأولى قد توفيت توًا جرّاء حمى التيفوئيد بعد بضعة شهور من الزواج- ووالدهما كبير السن يتحرّك بتعاسة مُحدِثًا قعقعة حول المنزل الكبير. حتى العام 1837 كانا يحضران خدمات العشاء الرباني في أيام الجمع معًا مرتين بالسنة؛ الآن شقيقه ووالده ذهبا بشكل منفصل، وهو لم يذهب على الإطلاق. «سورين في أيامنا هذه ربما أكثر من أيّ وقت مضى مُرهَق بالتأمّل[34] تقريبًا أكثر مما تتحمّل صحته، إلا أنّ هذا وحده جعله تعيسًا، ومتذبذبًا، ويهمّ بأن يدفعه إلى الجنون»، كتب پيتر كريستيان في يومياته في شهر أغسطس ذاك.

***

أجل، أعوام الجامعة التي أغرته وهيأته كي يُصبح مؤلّفًا قوّت تأمّله، وعمّقت حزنه، وضاعفت قلقه. لا يزال طعم خيبات الأمل المبكرة تلك مُرًّا الآن، حتى بعد مضي عشرة أعوام - لأن هذا الشعور، أيضًا، كان قد غَلظ بطبقات طازجة، اندمجت كي يشكّل وجعًا ثقيلًا حول فؤاده. في *الأزمة وأزمة في حياة ممثلة* لاحظ أنّ القسوة المتحوّلة التي تُضعِف إعجاب «الجماهير» بيوهانه لويزه هيبيرغ لمّا أصبحت أكبر سنًا يُمكن أن تقع على الكُتّاب، أيضًا - أيّ، الكُتّاب الذين لا يمدحون (مثل زوج الممثلة) الذائقات الضحلة للجمهور:

> إن لم يكن يمتلك الكاتب ذخيرةً ضخمة من الأفكار ولا هو دؤوبٌ[35] كي ينشر على فترات طويلة كراسًا أنيقًا يكون مزينًا على نحو خاص ومزوّدًا بشكل متألّق بصفحات فارغة كثيرة جدًا - ينظر الجمهور إلى هذه الظاهرة الأنيقة بدهشة وإعجاب ويعتقد بأنه

(*) محطة نوريـپورت Nørreport Station: محطة رئيسة للسكك الحديد والمترو في كوبنهاغن.

لو انهمك زمنًا طويلًا جدًا في كتابته وإذا كان هنالك قليلٌ جدًا في الصفحة إذًا لا بد أن يكون ذلك فعلًا شيئًا استثنائيًا. من الناحية الثانية لو أنّ كاتبًا، غنيًّا بالآراء لديه شيءٌ آخر يفكّر فيه باستثناء الأناقة وتحقيق الربح من وَهَم، مُجهِدًا نفسه بدأب أعظم، يجد نفسه قادرًا على العمل بسرعة غير مألوفة، فسرعان ما يُصبح الجمهور متعوّدًا على ذلك ويفكّر: لا بد أن يكون ذلك مادة مُنجزة بتعجّل. الجمهور، بالطبع، لا يستطيع أن يحكم ما إذا الشيء، شيء ما، أُنجز بشكل جيد أم لا؛ إنه يلتصق بـ الوهم.

إنه يُصارع خيبة أمله يوميًا، ويبرهن المرة تلو المرة أنه التحدّي دفاعه الأفضل: مع أنّ *خطابات مسيحية* قلّما لوحظ، وتجاهله البروفيسور مارتينسِن والأسقف مينستر، هو لا يزال ينحت تأليفه بعناية باهرة. لا بد أن ينتهي ذلك الآن، وعندئذ سوف ينتهي بكلّ معنى الكلمة - بالضبط كما يُريد. ولمّا يتسلّل الضوء الرمادي ببطء إلى روزينبرغ غيد، يتخلّى عن النوم. الوقت الآن تقريبًا الخامسة صباحًا، وفجرٌ آخر ينبلج الآن.

الفصل الثامن

العيش من دون رؤية للحياة

يقول وداعًا لراسموس نيلسِن[*] في زاوية شارعيْ روزينبرغ غيد وتورنيبسكي غيد ويدخل، بسبب شمس أغسطس المتوهّجة، ويصعد درجات السلّم المؤدّية إلى حجراته الباردة، الظليلة. في هذا الشطر من المدينة حيث النتانةُ اللاذعة المنبعثة من المدابغ على طول شارع روزينبرغ تبز روائح المدينة الأخرى المندفعة في النسيم والمرتفعة من البالوعات المفتوحة - أسماك متفسّخة، لحم عتيق، طحلب بحري، ماء المجاري. البُخار المنبعث من فناء الدبّاغ الذي يملكه السيد غرام «صاحب الفناء»، أصبح لا يُطاق في الجو الحار. تلقّى خدم كيركغارد تعليمات بأن يغلقوا الشبابيك المُسوَّدة قبل عودته إلى المنزل من مسيراته الراجلة. إنه مُنهَك، إلا أنه مهتاج؛ يمد يده غريزيًا إلى ريشته. ويتمشّى جيئة وذهابًا في أنحاء الغرفة. طوال الأسابيع القليلة المنصرمة، منذ أن ظهرت مقالته «الأزمة وأزمة في حياة ممثلة» في جريدة «ذه فاذرلاند»، وهو مُعذّب بشأنها. هل إنّ هذه «المقالة الجمالية الصغيرة» خاتمة ملائمة لنتاجه الأدبي؟ كيف ستُفسّر - أو يُساء تفسيرها؟ خلال صيف العام 1848 ملأ صفحات من دفتر يومياته مُجيبًا عن شكوكه المتعلّقة بمسألة ما إذا يتعين عليه أن ينشرها بأية حال. مُستنزَفًا بالقلق، ومُقتنعًا بأنه سوف يموت حالًا، كان يشعر بالقلق والانزعاج من مسألة أنّ هذه المقالة ستشوّه تأليفه برّمته.

إنه لا يُريد أن يوصف بكونه متهوّرًا، أو أن يُقلل تأثير أعماله الدينية الحديثة

(*) Rasmus Nielsen (1809 – 1884): فيلسوف وكاتب دنماركي، وناقد لكيركغارد.

- إلا أنه لا يُريد أن يعتقد الناس بأنه بدأ بوصفه متذوّقًا جريئًا للجمال، وبعدها أصبح كاتبًا دينيًا ببساطة لأنه أصبح أكبر سنًا. هذا الأمر حصل لعدد كبير من الرومانسيين المبكرين، الذين بعد ثوراتهم الفتية المؤمنة بوحدة الوجود عادوا إلى الالتزام المسيحي في منتصف العمر - هنرينك ستيفنز أصبح لوثريًا متحفظًا، وفريدريش ڤون شليغل اعتنق الكاثوليكية - وبطبيعة الحال كيركغارد لا يُريد أن يُعَد كليشيه رومانسية. لا، حتى كتابه الفاضح *إما/ أو* الذي كان هدفه أن يُعمّق علاقة القارئ بالله؛ اهتماماته الجمالية وجديته الدينية مضت معًا على الدوام؛ هذه القطعة الصحافية المتأخّرة المتعلّقة بـ«مدام هيبيرغ» هي برهانٌ على ذلك.

لكن هل سينظر الناس إليها بهذه الطريقة؟ كم هو مُوجع أن يجعل الآخرين يرونه، وحتى بانحراف، وأن يسكب طاقاته في أن يُبلِّغ أنّ هذا النضال إنساني، هذه الأسئلة التي عاشها هو نفسه بعمق بالغ - ومن ثم يُساء فهمها! حين كانت ضروب القلق هذه المتعلّقة بتأليفه تهجمُ عليه، يحاول أن يواسي نفسه بفكرة صداقة ووفاء راسموس نيلسِن[2]. لم يتعوّد البتة أن يفكّر كثيرًا في نيلسِن، بروفيسور الفلسفة في جامعة كوبنهاغن - في الحقيقة، كان يسخر عادةً من قابليته المعتدلة - إلا أنه في الشهور الأخيرة تقارب الاثنان أكثر، وباتا يقومان بمسيرات راجلة أسبوعية معًا، نيلسِن يثمّن عاليًا عمل صاحبه ومتلهّف لأن يعرف أكثر عن أفكاره الفلسفية. كان كيركغارد قد بدأ يأمل بأنه بعد وفاته سوف يدافع نيلسِن عن سمعته ويصون إرثه الأدبي. هذا الشيء يقوّي شكوكَه الطازجة، أيضًا: نيلسِن يفهم عمله بنحو كافٍ، وهل بوسعه حقًا الاعتماد عليه؟

غير أنّ أسوأ شيء يتعلّق بهذا هو أني تمكّنتُ من أن أجعل القضية مشوّشة للغاية في الفكرة[3] التي مفادها أني قلّما أعرف ما الذي أفعله. وبناءً على ذلك، حتى إذا لم يكن هنالك أيّ سبب آخر لأن أفعل هذا، تعيّن عليّ أن أتصرّف. ما من شيء يُرهقني على هذا النحو الرهيب مثل القرارات السلبية: أن أكون متأهّبًا لأن أفعل شيئًا ما، أي، أن أجده صحيحًا تمامًا، مرغوبًا فيه، إلخ.، وبعدها فجأةً أفكار

عظيمة كثيرة تنجرف معًا في كوم يُمكنني أن أهلك فيه عمليًا. لا يُمكن أن يكون صحيحًا أنّ شيئًا ما يكون بحد ذاته تافهًا أو ثانويًا يُمكن أن يتوصّل فعلًا، وبنحو مباغت، إلى امتلاك حقيقة مُروِّعة. إنها علامة على أنّ الفكرة أمست مريضة. حين يحصل هذا، علينا اتخاذ إجراءات من أجل الحفاظ على الحياة. ومن ثم سوف يستمرّ الخمول ويجعل المرء يتصوّر أنّ الطريق السلبي هو الأفضل على أي حال - إلا أنّ هذه محض أكاذيب. إنّ الشيء الصحيح الوحيد الذي نفعله هو أن نلجأ إلى الله، وأن نتصرّف.

بشكلٍ من الأشكال، وسط كلّ قلقه، المشحون بالكافيين، والنيكوتين والأفكار المتّصلة بالفناء -والخلود- هو يُلقي نظرةً خاطفة على الكيفية التي سيقت بها هذه التأمّلات الاستحواذية المتعلّقة بتأليفه بواسطة الأنانية والغرور. إنه يهتم برأي العالَم أكثر بكثيرٍ مما يعتقد بأنه يتعيّن عليه أن يفعل، و(بسبب كبريائه، ثانيةً) أكثر مما يُريد أن يعترف. هذه ليست أولَ مرة، يرى أنه يعاني لأنه يفتقر إلى الإيمان: «إنها فكرةٌ تُريد أن تجعلني استثنائيًا[4]، بدلًا من أن أضع ثقتي في الله وكوني الشخص الذي أنا عليه». على الرغم من ذلك عادة التفكير هذه تحملني بعيدًا المرة تلو المرة.

ومتى أصبح هو «الشخص الذي أنا عليه»؟ هذا الشخص لا ينفصل عن تأليفه: الأعوام التي سبقت مباشرته بالكتابة تبدو الآن، الاستعداد لحياته الأدبية. مع ذلك، كان لتأليفه بدايات كاذبة عديدة بالإضافة إلى نهايات كاذبة. في الواقع أيامه على غرار بعض كتبه، كانت قد امتدّت بسبب صعوبة البدايات وصعوبة التوصّل إلى وقوف.

***

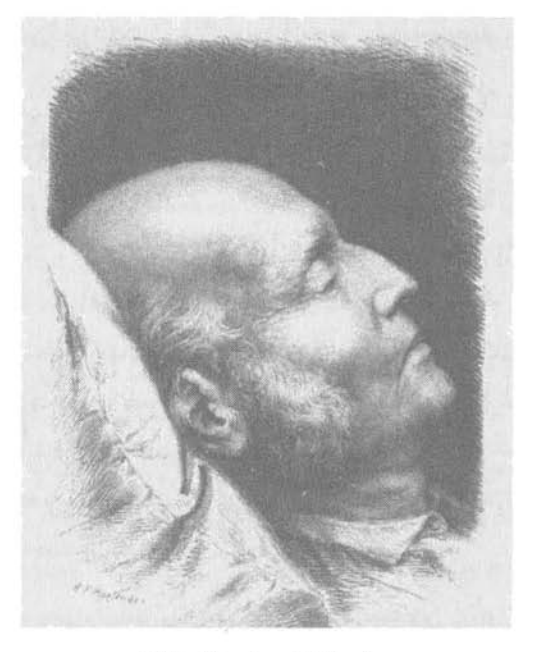
في منتصف ثمانينيات القرن التاسع عشر أول ظهور صحافي له في كوبنهاغنز فلاينغ پوست - طُرِح الإقصاء الوقح لتحرير الأنثى بوصفه «دفاعًا آخر عن قُدرات النساء العظيمة» - أعقبتها ثلاث مقالات أخرى في جريدة

هيبيرغ. هذه القطع الأدبية انتقدت الصحافة الليبرالية، وهو موضوع سمح له أن يعرض ذكاءه الجدلي خيال كاتبين شابّين طموحين آخرين، أورلا ليمان ويوهانِس هيغ، اللذين كانا يروّجان للأجندة الليبرالية. هذه المقالات كانت ذكية وبليغة للغاية -وقريبة جدًا من أسلوب هيبيرغ- بحيث إنّ القراء تصوّروا أنّ هيبيرغ نفسه هو الذي كتبها: فرح كيركغارد لدى سماعه من إميل بويسين أنّ پول مولر حَسبها أفضل الأشياء التي كتبها هيبيرغ على مدى فترة من الزمن. بعد هذا النجاح، أمضى بضعة شهور يُخطط لعمله المهم الأول، مقالة عن فاوست، إلا أن مارتنسِن كان قد سبقه إليها.

المباشرة من جديد شيءٌ صعب. بعد أن عبس رافضًا الكلام خلال صيف 1837، انتقل خارج نيتورف في شهر سبتمبر ذاك واستأجر شقّة على بُعد بضعة شوارع، في لوفستريد. كان منزله الجديد في ركن الساحة حيث يقيم مارتينسِن: من نوافذه كان بوسع كيركغارد أن يحصل على منظر واضح لمنزل ندّه. أعطاه والده مخصّصات سخية، ودفع كلّ الديون الكبيرة التي تراكمت عليه من شراء الكتب، وورق الكتابة، والثياب، والأحذية والتبغ، وارتياد المسرح، والتردّد على المقاهي، والمطاعم. في مجهود من أجل الحصول على استقلال قليل، رجع إلى مدرسته القديمة كي يدرّس اللغة اللاتينية خلال فصل الخريف. وفي الحال راح يتفلسف في ما يتّصل بعلم النحو والصرف كي يشرح للصبيان في «مدرسة الفضيلة المَدَنية»: «الفلسفة الحديثة هي احتمالية بنحو خالص»[5]، كتب في دفتر يومياته في سبتمبر؛ بحلول أكتوبر، يجد الخطأ ذاته في نفسه - «لسوء الحظ حياتي احتمالية إلى حد بعيد جدًا؛ هل لديّ شيءٌ يُدلّني على الله!».

بعد سبعة أعوام لمّا كان طالبًا جامعيًا شعر بأنه محتجز في فقاعة من الاحِتمال، طافيًا فوق العالَم، عاجزًا عن الدخول فيه. الدراسة الأكاديمية علّمته أن يرى حياته بوصفها علامة من علامات عصر متدهور، مع ذلك لا يزال لا يعرف كيف أن يخطو خارجًا ويدخل العالَم ويجعل شيئًا ما يحصل. كان يطفح بالأفكار، إلا أنها كانت أفكارًا متنوّعة، مُبعثرة، غامضة. الآن فاوست ذاك ينبغي

أن يُهجَر، كان يبحث عن مشروع جديد[6]. أحد الأفكار هي أن يكتب «تاريخًا للروح الإنسانية»، التي تتبع «تطوّر الطبيعة البشرية»، من خلال تفحّص مسألة ما الشيء الذي يضحك عليه الناس من أعمار مختلفة. بعد مضي أسبوع، فكّر في كتابة بحث تخرّج في الهجاء الروماني الغابر. وفي يوم آخر، فكّر في «رواية قصيرة تكون الشخصية الرئيسة فيها رجلٌ حصل على زوج من النظارات، إحدى العدستين تصغّر الصور بقوة مثل ميكروسكوب غاز الأوكسجين، أما العدسة الثانية فتكبر بالمقياس نفسه، بحيث إنه يُدرك كلّ شيء بصورة نسبية للغاية».
كم مرة كان هو، كيركغارد، مثل هذا الرجل، وحوّل نظرته المشوّهة على نفسه. في هذه الأثناء قصرت الليالي، وانقلب الموسم: «السبب الذي يجعلني أُفضّل كثيرًا الخريف على الربيع[7] هو أنه في الخريف ينظر المرء إلى السماء - أما في الربيع فينظر إلى الأرض».



بول مارتن مولر عند وفاته

في الربيع التالي، عام 1838، رجع إلى منزله الكائن في نيتورف. في أبريل سجّل وفاة پول مولر في دفتر يومياته، وقرر أن يستردّ رباطة جأشه: «مجدّدًا مرّ وقتٌ طويل جدًا[8] لم أكن فيه قادرًا على أن أستعيد السيطرة على قواي لأقلّ شيء - يتعيّن عليّ الآن أن أكوّن جرعة صغيرة أخرى منه». بدأ يكتب مراجعة لرواية هانز كريستيان أندرسِن الجديدة[9] *عازف كمان فقط*، وهي قصة عازف كمان موهوب منعته الظروف من أن يُدرك موهبته الموسيقية في العالَم. هذه المراجعة منحته فرصة لأن يطوّر بعض الآراء الفلسفية التي ناقشها مع مولر؛ كان يأمل أن تُنشر، مثل مقالة مارتينسِن عن فاوست، في مجلة هيبيرغ *پيرسيوس*. لكن حين قرأها هيبيرغ كره النثر ثقيل الوطأة، المعقد[10]. بحلول أغسطس فرغ تقريبًا من مراجعة نسخةٍ منقّحة منها، إنما في ذلك الشهر، ظهر المجلّد الثاني - وتبين أنه الأخير - من *پيرسيوس* من دونها.

في الثامن من أغسطس 1838 توفي ميخائيل پيدرسِن كيركغارد. بعد مضي ثلاثة أيام فتح كيركغارد دفتر يومياته مجدّدًا، وعلّم صفحةً بصليب أسود صغير:

> توفي أبي يوم الأربعاء، الثامن من الشهر الجاري، في الساعة الثانية صباحًا[11]. كنتُ أتحرّق شوقًا لأن يعيش بضعة أعوام أخرى، وأعتبرُ موته هذا التضحية الأخيرة التي قدّمها حبه لي، لأنه لم يمت بسببي، بل من *أجلي*، فربما ينتج مني شيءٌ ما. إن أثمن الأشياء كلّها هو أني ورثتُ منه ذكراه، صورته المتحوّلة، المتحوّلة ليس بواسطة الخيال الشاعري (لم تكن بحاجة إلى ذلك)، بل بواسطة ميزات فردية صغيرة كثيرة أعرف عنها الآن، وهذا الشيء سأحاول أن أُخفيه تمامًا عن العالَم. لأنه في هذه اللحظة أحس بأنّ هناك *شخصًا واحدًا فقط* (إ. بويسين) أستطيع معه فعلًا أن أتحدّث عنه. إنه «صديقٌ طيب القلب ووفي».

إميل بويسين، صديقه الحميم منذ الطفولة، ربما فهم لماذا رأى كيركغارد أباه بوصفه أشبه بالصليب: «*صديق وفي*» - كما تتغنى الترانيم التّقَوية القديمة

بيسوع المسيح - الذي كان موتُه قربانيًا، والذي مُجّدت ذكراه. بين أصدقائه، إميل وحده عرف شيئًا ما عن أعمق جذوره، زار منزل أسرته لمّا كان صبيًا، شاركه ذكريات الاجتماعات «المورافية» في ستورمغيد. فهم إميل ماذا يعني أن يخطو من تلك الحياة الأبكر إلى عالَم جديد من المحاضرات، الروايات، والجرائد؛ عالَم الفلسفة، الفن والنقد الثقافي. شقيق كيركغارد پيتر كريستيان عرف عن هذا كلّه أيضًا، بالطبع، إلا أنه آثر ألا يفتح روحه له.

عاد حالًا إلى مقالته عن رواية هانز كريستيان الجديدة، وفي سبتمبر العام 1838 نشرها في كتاب صغير حمل عنوان *من أوراق شخص لا يزال حيًا*. لو أحسّ بالجرأة كي يُطلق عملَه في العالَم بعد وفاة مُرشده الفيلسوف ووالده، فإن النشر لا يزال، إذا ما اقتبسنا مقطع البروفيسور سيبيرن، مسألة «معقّدة داخليًا». عادة كيركغارد العميقة في التفكير، التي نمت في النزاع الباطني وازدواجية الطفولة وتغذّت خلال سنوات الدراسة الجامعية الطويلة، جعلته يشعر «دائمًا، دائمًا بغضب شديد» - والآن كونه كتب شيئًا جوهريًا، لم يكن بمستطاعه أن يتوحّد معه. «شخصٌ لا يزال حيًّا»، هو نوعٌ من اسم مستعار، يدّل على «صديق» و«نظير» وصفحة العنوان أشارت إلى أنه هو س. كيركغارد، نشر الكتاب على الضد من مشيئة هذا المؤلف.

كتب مقدّمة، موقّعة باسم «الناشر»، عبّرت عن علاقته المتناقضة مع نفسه ككاتب:

> آراؤنا تختلف تقريبًا على الدوام ونحن أبدًا في نزاع[12]، أحدُنا مع الآخر، مع أننا نكون في ظلّه متّحدَيْن بأقوى الروابط وأكثرها قدسية، والتي لا فِكاك منها. أجل، مع أننا ننحرف عادةً في تنافر مغناطيسي، نحن لا نزال، بأقوى معنى للكلمة، متلازمين، على الرغم من أنّ أصدقاءنا المُشترَكين قلّما رأونا، وربما لم يرونا، معًا، وإن يكن أحدهم، قد اندهش أحيانًا، ذلك أنه حالما غادر أحدنا، قابل الآخر على الفور تقريبًا. نحن، بناءً على ذلك، بعيدين جدًا عن

كوننا قادرين على الابتهاج باعتبارنا صديقَين في وحدةٍ لا يملك لها الشعراء والخطباء في تخليداتهم المتكرّرة سوى تعبير واحد - روح واحدة سكنت في جسدين - أما في ما يتصل بنا ينبغي بالأحرى أن تبدو كما لو أنّ روحان سكنتا جسدًا واحدًا.

شأنه شأن سائر البشر، استطرد كيركغارد، مؤلف هذه المراجعة، له روحٌ مرّت بمراحل لا تُعد ولا تُحصى، تدور حول محورها مثلما تمر الأرض عبر علامات «دائرة البروج». اتبعت العملية المضطربة للكتابة هذه الدائرة: لمّا دخلت روحه «علامة الأمل والاشتياق» انسحب إلى داخل نفسه وبعدها ظهر، «شبه خجول»، كي يُكافح ويُجاهد مع أحد الآراء سريعة الزوال التي اكتشفها في «مُعتزَلَه الباطني».

بعد تناوب الحزن والقلق والذُعر على روحه بالإضافة إلى بعضٍ من «لحظات النعمة» - انتهت المقالة، وبعدها [الناشر] (س. كيركغارد)، «الوسط الذي من خلاله يُبرِق مع العالَم»، نظمها كي يطبعها. إلا أنّ الكاتب، الذي عانى «بدرجة شديدة نوعًا ما من إحساسٍ بعدم الاكتمال في العالَم»، كان متمرّدًا:

إنكَ تعرف حق المعرفة، قال، إني أعتبرُ تأليف الكتب أكثر الأشياء سخافةً التي يُمكن أن يفعلها المرء[13]. يُسلّم المرء نفسه تمامًا لسلطة القدر والظروف، وكيف يستطيع المرء أن يفلت من كلّ الأهواء التي يجلبها الناس معهم إلى قراءة كتاب من الكتب، التي (أيّ القراءة) تعمل بنحو مُقلِق ليس بالقليل مقارنة بالآراء التي تم تصوّرها سَلَفًا التي تجلبها معها في غالب الأحيان لمّا يتم التعرّف إلى شخص ما، مع النتيجة التي تُفيد بأنّ أفرادًا قليلين جدًا يعرفون فعلًا كيف يبدو الآخرون؟ أيّ أمل هذا الذي يستطيع المرء أن يضمره بحيث يقع المرء في أيدي القراء كليًا *ex improviso* [فجأةً]؟ زيادةً على ذلك، أشعر بأني مربوط بواسطة الشكل الثابت الذي حازته المقالة أخيرًا. وكي أشعر بأني حرّ ثانية، سأعيدها إلى

الرحم مرةً أخرى، وأجعلها تغطس مجددًا في الفجر الكاذب الذي أتت منه.

وعلى أي حال، أضاف الكاتب، كان س. كيركغارد يرغب في نشر مراجعته ببساطة لأنّ الغرور قد أعماه. «سِقط متاع وهراء»، أجاب الناشر: «ليس لديّ كلمة أخرى! المقالة هي في سلطتي؛ أنا الذي أُصدر الأمر».

كونه أبرز الشفقة إلى جانب كوميديا صراعه الداخلي، عددت مراجعة كيركغارد ضعفًا في الأسلوب، والحبكة وتصوير الشخصيات في رواية أندرسِن المعنونة *عازف كمان فقط*. كرهَ بشكل جليّ وصفها للعبقرية - وهو موضوع قريب من قلبه - ومثل «بيضة تحتاج إلى الدفء[14] من أجل إخصاب حسن الطالع.... كاللؤلؤة في البحر عليها أن تنتظر الغوّاص الذي يرفعها إلى النور، أو تلتصق بسرعة بالأصداف والمحارات، بنوع من المشاركة الراقية بين الكائنات، كي تظهر للعيان». أندرسِن، شأنه شأن الموسيقي في قصته، ينتمي إلى أسرة ريفية فقيرة، إلا أنه وجد في كوبنهاغن أصدقاء ذوي نفوذ ساعدوه كي يشق طريقه. عارض كيركغارد وصف أندرسِن للعبقرية باعتبارها هشّة، وخاملة، وبحاجة إلى العطف والإحسان؛ اعتقد بأنّ هذا الأمر حطَّ من قدرتها. كان يفكر في الدعم المادي -الذي على خلاف أندرسِن كان يعتبره على الدوام بديهيًا- أقل مما يفكر في المساندة الأدبية. كونه نال الازدراء من لدن هيبيرغ، كان جريئًا: «ذلك أنّ العبقرية ليست شمعة السمار(*) التي تنطفئ من هبّة هواء[15]، بل حريقُ العاصفة وحده الذي يهيّجها».

بنحو جوهري أكثر، انتقد هو أندرسِن كونه يفتقر إلى «رؤية للحياة». هذا شيءٌ تعوّد أن يتكلّم عنه مع پول مولر، الذي أكد قائلًا إنّ المفكرين والفنانين يتعيّن عليهم أن يُقطّروا في ثنايا عملهم تجربتهم في العيش. من دون هذه الركيزة التجريبية، المعرفة، والاطلاع، وحتى النثر الجميل، والشعر والموسيقى، كلّها ستكون ضعيفة. الـ«رؤية للحياة هي أكثر من تجربة[16]، وهي بحدّ ذاتها مكوّنة

(*) شمعة السمار rush candle: شمعة تُصنع بغمس لُبّ السمّار في الدهن.

من شظايا على الدوام»، شرح كيركغارد: «إنها إثبات للتجربة؛ إنها يقينٌ ثابت في ذات امرئٍ كسب من التجربة كلّها». وفرّق بين رؤية إنسانية للحياة، مثل فلسفة الرواقيين، مع رؤية دينية للحياة مأخوذة من «تجربة أعمق»: حين يكون لدى المرء يقين ديني في ذاته -ثقة، اطمئنان، إيمان- تكتسب حياتُه توجّهًا «سماويًا»، بالإضافة إلى «التوّجه الدنيوي». كما اقترح مكررًا النظرية الأدبية الرومانسية التي كان قد تشرّبها، أنّ الشاعر الحقيقي ينبغي أن يتغلّب على وجوده الدنيوي بواسطة «تغيير» شخصيته إلى شيء مثالي، يافع بنحو سرمدي، «روح خالدة». فقط هذه الشخصية الميتة والمتغيّرة[17] هي التي [تستطيع أن] تُنتج [شعريًا]، وليس الشخص متعدّد الزوايا، الدنيوي، المحسوس». كان من السهل أن نُميّز أندرسِن «المحسوس» في كتابته - ولأنّ هذا الرجل لا يمتلك رؤية للحياة، استنتج كيركغارد، «المعركة الكئيبة ذاتها التي يشنّها هو نفسه في حياته تكررُ الآن نفسَها في شعره».



هانس كريستيان أندرسِن

أندرسِن، الذي كان حساسًا بصورة سيئة السمعة، انتظر هذه المراجعة بلهفة. كان كيركغارد يقابله من وقتٍ إلى آخر في جمعية الطلبة أو خارجًا في أثناء نزهاته الراجلة، ومباشرةً بعد ظهور *عازف كمان فقط* أخبره أنّ الرواية أعجبته، ويود أن يكتب مراجعة عنها. تلقّى أندرسِن نسخة من كتاب *من أوراق شخصٍ لا يزال على قيد الحياة* حالما نُشِر في سبتمبر 1838: وجده «صعب القراءة بأسلوبه *الهيغلي* العسير»[18]. إلا أنّ حُكمه القاسي لم يكن واضحًا بما

يكفي. انتقمَ من كيركغارد -الذي كان لا يزال في ذلك الحين يمتلك تسريحة شعره المُضحِكة المرفوعة للأعلى- من خلال وصفه بصورة كاريكاتورية كحلاّق هيغلي في «ڤودڤيل(*) من فصل واحد»، مُثّلت في «مسرح كوبنهاغن المَلَكي» في العام 1840. الحلّاق تكلّم بطلاقة وتدفّق وإسهاب لغةً اصطلاحية فلسفية طنّانة، قُذفت في عبارات من مراجعة كيركغارد لـ*عازف كمان فقط*، وأظهر نفسه كونه «فردًا أُحبَطه العالَم»[19].

مع أنّ أندرسِن هو موضوع تحليل كيركغارد الفلسفي، هذا الأمر عكس نقده الأوسع للثقافة الحديثة، التي بدورها عكست تأملاته النقدية في نفسه. بول مولر تعوّد أن يناقش قائلًا، إنه شيءٌ صعب على نحو خاص أن تكتسب رؤيةً دينية للحياة في العصر الحالي - وخبر كيركغارد هذه الصعوبة مباشرةً. من خلال كتابة مثل «شخص لا يزال حيًّا» أوحى أنه، على غرار أندرسِن، لا يزال محسوسًا للغاية، أنه لم يمُت بعدُ، غيّر نفسه، وأصبح خالدًا كما ينبغي للشاعر الحقيقي أن يكون. مع أنّ حياته الروحية تعمّقت في أثناء العام 1838 - في أحد أيام شهر مايو ذلك العام كانت له تجربة استثنائية ذات «سعادة لا تُوصَف»، وفي شهر يوليو قرّر أن «يكدح كي يُحقّق علاقة داخلية أكثر بكثير مع الديانة المسيحية» - كان لا يزال يجرفه توقُه إلى التأثير في الآخرين، ولم يكتب بعدُ من الأعماق التي ألقى عليها نظرة خاطفة.

بعد وفاة أبيه ونشر كتاب *من أوراق شخص لا يزال حيا*، ركّز أخيرًا على إنهاء دراسة البكالوريوس في اللاهوت. في العام 1840 غادر نيتورڤ ثانية واستأجر شقّة في نورغيد، لا تبعد سوى مسيرة قصيرة عن الجانب الآخر من كنيسة سيدتنا. في صيف ذلك العام، نحو عشرة أعوام بعد دخوله الجامعة، اجتاز امتحاناته كلّها. طلب يد ريجينه في سبتمبر وبعد مرور بضعة أسابيع انتظم في «المعهد اللاهوتي الرعوي المَلَكي»، حيث يتعين على الطلبة أن

(*) ڤودڤيل Vaudeville: أو ملهاة، وهي مسرحية هزلية خفيفة تشتمل على غناء ورقص وتمثيل إيمائي.

يُقيّموا المواعظ الدينية لأحدهم الآخر. كانت مواعظ كيركغارد قد حُكِم عليها بأنها[20] عميقة التفكير ومنطقية، واعتُبرَ تقديمه محترمًا وقويًّا - غير أنّ أنداده تذمّروا من أنه «دخل عالَمًا صوفيًا جدًا» من خلال التفكير في «نعمة الصلاة الصامتة، بهجة التأمل، وجود الله فينا».

في خريف تلك السنة باشر العمل على أطروحته لنيل الدكتوراه. «في مفهوم السخرية مع الإشارة المستمرّة إلى سقراط». كانت هذه أول بحوثه المثبتة من الكتابة الفلسفية، ومرحلة مهمة في تطوّره الفكري. على غرار من *أوراق شخص لا يزال حيًّا*، كانت هذه القطعة تحمل تأثير پول مولر: انتقدت العَدَمية الجارفة للتهكّم الرومانسي وناقشت أنّ التهكّم السقراطي كان مُتبصِّرًا أكثر لمّا شكك في قيم العالَم. ركّز هو انتقاده لـ«الرومانسية» في رواية ڤون شليغل التجريبية[21] *لوسينده*، التي احتفت بالحب الحرّ، المتّقد، ووصفت الزواج باعتباره أداة الأخلاق البورجوازية التي تحجّم الرغبات السوّية في التزام معهود.

هل كانت تلك مصادفة أنه عمل على هذه المادة في أثناء خطوبته من ريجينه؟ هل صاغ وضعُه الرومانسي تحليلَه الفلسفي لـ*لوسينده* - أم إنه بالعكس؟ كان من الصعب أن نعرف كيف أنّ التجربة والتفكير توصّلا إلى أن يعكس أحدهما الآخر؛ في الحقيقة، هذه المسألة بالذات المتعلّقة بالارتباط بين «المثالية» و«الواقعية»، بين النظرية والتطبيق، شغلت باله. كيف يُمكن أن نُحلّل الحقيقة في إطار الآراء والمعاني التي كان باستمرار يستحضرها هو، شأنه شأن أيّ كائن بشري، من الواقع المحسوس للناس، والأمكنة، والأشياء؟

في تلكم الأيام المبكرة تعامل مع هذه المسألة باعتبارها قضية فكرية؛ الآن، في 1848، يعتبرها أكثر بوصفها سرًّا إلهيًّا كشف نفسه رويدًا رويدًا من خلال نشاطه الأدبي. قضاء الله، يعتقد هو، قد شبك معًا حياته الشخصية وأعماله الفلسَفية: هذه كلّها هي طريقة الله في جذبه إلى القضايا والمَنعَطفات التي تحتاجها روحه كي تنتقل من مكان إلى آخر من أجل أن تنمو، من أجل أن تُصبح الذات التي كان يقصد أن يكونها. ذلك أنه مع أنّ البشر ليسوا أشياءً جاهزة، هم

لا يخلقون أنفسهم أيضًا. حياته لم يكن يُقرّرها الله تمامًا، إلا أنه يشعر الآن بأنه سوف يجد طريقه الحقيقي عبر العالَم فقط من خلال الخضوع للقضاء الإلهي.

على الرغم من ذلك، في العام 1841 كان مهتمًا بالسيطرة والإتقان أكثر من الخضوع والطاعة. في نهاية «في مفهوم التهكّم مع الإشارة المستمرة إلى سقراط»، دافع عن استعمالٍ «مُراقَبٍ» للتهكّم: وناقش أنه في الفن كان شكسبير وغوته - وهيبيرغ - «أساتذة التهكم»، لأن هؤلاء الكتّاب العظام استعملوا السلطة النقدية للتهكّم بشكل انتقائي وبمهارة، في خدمة رؤية مُحدّدة للعالَم. وهكذا هل من الممكن، سأل، أن نكون ضليعين في التهكم الموجود في الحياة؟ هنا كان مهمًا أن نسيطر على التهكم، لأنّ التهكم هو بالنسبة للوجود كالشك بالنسبة للعِلم: «مثلما يؤكّد العلماء قائلين إنه لا يُمكن أن يكون هناك علمٌ حقيقي من دون شك»[22] أكد هو، «لذا ربما يُؤَكَّد أنه لا يمكن أن تكون هناك حياةٌ إنسانية من دون تهكّم». إنّ مذهب الشك المنضبط، المتبصِّر ضروري للأسلوب العلمي، غير أنه إذا حصل الارتياب بكلّ شيء عندئذ يُصبح العِلم مستحيلًا. وبالطريقة نفسها، أعلن سقراط أنّ الحياة غير المختبرة لا تستحق العيش - إلا أنه عَرِف أكثر من أيّ شخص آخر أنّ الحياة يجب أن تُختبر بحكمة وعناية. استنتج كيركغارد أنّ المثال الرومانسي لـ«العيش بصورة شاعرية» يجب أن يُفَسَّر مجددًا على غرار إتقان التهكّم في الحياة، مثلما يكون أعظم الشعراء ضليعين في فنهم.

أكمل أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه في العام 1841، ودافع عنها في أواخر سبتمبر من ذلك العام. كانت وظيفة بروفيسور سيبيرن أن ينظم لجنة المُناقِشين (أو المُمتحِنين)، وقد ضمّت هذه اللجنة ج. س. أورستيد، الذي اشتهر الآن باكتشافه المغناطيسية - الكهربائية في 1820، ويقضي الأعوام الأخيرة من مسيرته بوصفه كاهن جامعة كوبنهاغن. كان مُمتحنو كيركغارد[23] قد أُعجبوا بتبصّره الفلسفي وأصالته الفلسفية، غير أنهم اعتقدوا أنّ أسلوبه الهجائي غير مناسب. أفاد أورستيد قائلًا إنه، على الرغم من مواطن القوة الفكرية فيها، فإنّ «في مفهوم السخرية مع إشارة مستمرة إلى سقراط» تركت «انطباعًا غير مُستساغ

عمومًا» عنده بسبب «إطنابها وتحذلُقها». مهما يكن من أمر، الأطروحة عُدّت مقبولة لمنح شهادة الماجستير[24].

في أقل من أسبوعين بعد أن أصبح الماجستير كيركغارد، كان في حالة خزي. في أكتوبر انفصل نهائيًا عن ريجينه، وفي الحال غادر متّجهًا إلى برلين. لمّا وصل إلى هناك مكث في الفندق الكبير «أوتيل دي ساكس» قبل أن ينتقل إلى شقة تقع في جيندَرمين ماركت، ساحة السوق المركزي. في وسط جيندَرمين ماركت يقع «المسرح المَلَكي»، الذي شُيّد قبل عشرين سنة مضت بأسلوب معبد إغريقي، استعاده الخيالُ الرومانسي بوصفه صرح الثقافة الراقية لأكثر مدن بروسيا تنويرًا. كان المسرح يقوم بين كنيستين من القرن الثامن عشر، إحداهما تعود إلى رعيّة الألمان الإصلاحيين والأخرى تعود إلى الكالفينيين الفرنسيين. هذه المجاوَرة للفن المُلهَم بطريقة كلاسيكية واللاهوت البروتستانتي -الجمالي والديني- لخّصا بشكل قطعي تكوين روحه، خارج نافذته مباشرة.

في ذلك الوقت كانت الكتابة هي عادته اليومية؛ في برلين أصبحت أيضًا الطريقة الوحيدة للتواصل مع الأشخاص الموجودين في بلاده. كانت مسيراته الطويلة الراجلة مع إميل بويسين قد حلّت محلّها الرسائل الطويلة. كان يكتب إلى إميل كلّ أسبوعين أو ثلاثة أسابيع طالبًا الأنباء المتعلّقة بريجينه، يُسرّ إليه بالتقلبات المضطربة لروحه، ويُخبره بالتقدم الذي حصل في كتابته - يحّثُ صديقه دائمًا على الرد، ومستمتعًا بـ«أعمق سرّ». كان الناس في كوبنهاغن منهمكين بالقيل والقال عنه، بالطبع؛ كان يتخيّل ما يقولونه ومن ثم يُجيب على هذه الانتقادات، التي كانت تدوررأسه أكثر بكثير مما يُقال في صالة استقبال، أو مقهى أو شارع في البلدة. «الشيء الوحيد الذي أستطيع أن أقول إني أفتقده بين الحين والآخر هو *مؤتمراتنا*»[25]، كتب إلى إميل - «كم هو نافع أن أفصح عن أفكاري ومشاعري مرةً في كلّ حين لكن، كما تعرف، أحتاجُ إلى وقت طويل نسبيًا لذلك مع أنني أتكلّم بسرعة. على الرغم من ذلك، الرسالة دائمًا تعني لي كثيرًا، بخاصّة حين تكون الوسيلة الوحيدة للتواصل».



جيندَرمين ماركت، برلين، نيو كيرك «دويتشر دوم»
و«المسرح المَلَكي»

على خلاف السواد الأعظم من الناس، لم يكن إميل يحكم عليه، غير أنّ كيركغارد على الرغم من ذلك كتب صفحات وصفحات مُبرّرًا قراره بقطع علاقته بريجينه. شرح قائلًا إنّ أزمته جرّته بحركة مفاجئة خارج الحقل الجمالي - وأنّ هذه القضية البسيطة المتعلّقة بإنسانة أخرى قد فجّرت الفقاعة الساحرة لكن الضعيفة للاحتمال الذي طفا فيه على مدى زمن طويل جدًا. «أنا لم أحوّلها إلى موضوع شاعري[26]، أنا لا أدعوها إلى الذاكرة، إلا أنني أستدعي نفسي للمحاسبة». أخبر إميل في نوفمبر 1841: «أعتقد أنّ باستطاعتي أن أحوّل أيّ شيء إلى موضوع شاعري، لكن عندما يكون الموضوع قضية واجب، التزام، مسؤولية، دَين، إلخ.، لا ولن أستطيع أن أحوّل هذه إلى مواضيع شاعرية». لم يكن يحسّ آنذاك بالاستياء المرير تجاه ريجينه الذي كَبُرَ في داخله في وقت عودته إلى برلين العام 1843. لئن كانت قد فسخت الخطوبة، أشار هو، فهي

بذلك «خَدَمته» - لكن يبدو، أنه ينبغي له أن يخدمها. «لو كان في قدرتها أن تُطوّقني بمراقبين يذكّرونني بها على الدوام، لم يكن بالمستطاع تذكُرها بجلاء شديد كما هي الآن في كلّ استقامتها، كلّ جمالها، كلّ وجعها».

مع ذلك، في هذه الرسالة كان ندمه مُسوّرًا بالنصر - وهو شعور أكسبه انتصارًا على العالَم من خلال رفض الامتثال لمتطلّباته. «خلال هذه الحوادث الجارية تلقّت روحي تعميدًا مطلوبًا[27]، إلا أنّ ذلك التعميد يقينًا لم يكن بواسطة نثر الماء، لأني هبطتُ إلى داخل المياه؛ كلّ شيء أضحى أسود أمام عينيّ، لكني الآن أصعد ثانية. ما من شيء يُطوّر الإنسان كثيرًا مثل الالتصاق بخطة تحدّي العالَم بأسره». كان يعرف، بالطبع، أنه يختبر صبر إميل. «عزيزي إميل، إذا ما استبد بكَ الغضب، أرجوك لا تُخفي غضبكَ هذا عني»، حثّه في نهاية هذه الرسالة. «سواء أكانت روحي مغرورةً جدًا أو عظيمةً جدًا[28] كي تُضايقها قضايا كهذه، لا أعرف، إلا أنها لن تُضايقني... أنا لا أطلب منك شيئًا باستثناء أن تشعر بأنك على ما يرام، أن تشعر بأنك تتوّحد مع روحك... لقد ضيّعتُ كثيرًا أو سرقتُ نفسي من أشياء كثيرة في هذا العالَم، إلا أنني لن أضيّعكَ».

خلال تلك الشهور في برلين، كانت روحه قد دارت ليس فقط عبر أمزجة مختلفة بل عبر الذوات المختلفة التي استقدمها إلى الوجود من خلال رسائله المتبادَلة. في منتصف شهر ديسمبر كتب ثلاث رسائل في ثلاثة أيام متتالية: إلى ابنة أخته هنرييته لوند، إلى إميل، وإلى البروفيسور سيبيرن. بعث إلى هنرييته رسالة عذبة، مُضحِكة[29] مقدّمًا لها تهاني عيد الميلاد على «نوع خاص من الورق»، مُزيّن بصور متحف برلين الكلاسيكي - الجديد الكبير، وصور مسرح ودار أوبرا برلين. في اليوم التالي استأنف دوره، كشاعر رومانسي قدير، وبعث إلى إميل تحديثًا لـ«التكتيكات» التي خطّط لها «عقلُه الخلّاق بكلّ معنى الكلمة» - «مسألة أنّ أسرتها تكرهني هي شيء جيد[30]، كانت تلك خطتي. كما أنها خطتي أيضًا، إن كان ممكنًا، أن تكون هي قادرة على أن تكرهني» - بالإضافة إلى النصيحة المُلتبسة المتعلّقة بورطة إميل الرومانسية، وحاشية

متبجّحة حول مغنية جذابة من ڤيينا مثّلت دور إلڤيرا(*) في أوبرا دون جيوڤاني: بدت شبيهة جدًا بريجينه. في رسالته إلى سيبيرن أصبح طالبًا جامعيًا مُجتهدًا، مُراعيًا[31]، يحكي عن محاضرات الفلسفة التي حضرها؛ محاضرات ستيفنز، فيليب مارهينيكه، كارل ڤيردر وشيلنغ.

صفة الخال أخرجَت بنحو لا ريب فيه أفضل ما في سورين. من برلين حافظ على تبادل منتظم للرسائل مع كلّ بنات وأبناء شقيقتيه هناك في كوبنهاغن - أولاد شقيقتيه الراحلتين پيتريا ونيكولين - ورسائله إليهم كانت عميقة التفكير وعاطفية. بعث إلى صوفيا ذات الأربعة عشر ربيعًا جوابًا مُتحرّشًا لكن عطوفًا على رسالتها المُثيرة حول الذهاب إلى حفلة راقصة. وإلى كارل، ذي الأعوام الأحد عشر، الذي كتب له عن الكلاب الضخمة التي تجرّ المركبات التي تنقل الحليب[32] من الريف، والسناجب الصاخبة التي تتسابق حول الـتيرغارتين(**)، و«الأسماك الذهبية التي لا تُعد ولا تُحصى» في القناة، في حين تلقّى ڤيلهيلم، ذو الأعوام العشرة، رسالةً أنيقة[33] يمدح فيها كتابة يده النظيفة، الواضحة ويُصحّح بعض الأخطاء الإملائية. في أواخر ديسمبر 1841 كتب كيركغارد إلى كارل وشقيقه الأكبر ميخائيل حول الكريسماس في برلين، الذي أمضاه وهو يتعشّى مع «كافة الدنماركيين» في بلڤيدير: «حاولنا بالأخص أن نُبهِج أنفسنا[34] وأن نستعيد ذكرياتنا عن الوطن من خلال تناول زلابية التفاح. كما كان بحوزتنا شجرة عيد الميلاد». شجّع كارل، الذي كانت رسالته الأخيرة قصيرةً بنحو مُضحِك، كي يكتب من جديد - «فقط اكتب بحرية عن كلّ ما يجري لك[35]، لا تكن خجولًا... من فضلك أخبرني في المرة القادمة عما حصلتَ عليه لمناسبة الكريسماس، ومن بين أشياء أخرى ما وصلك مني... أعتقد بأن هنالك صقيعٌ في كوبنهاغن منذ فترة طويلة، ولا بد أنكَ خرجت في

(*) إلڤيرا Elvira: سيدة إسبانية من (بورغوس)، هجرها دون جيوڤاني، وهي مغنية سوبرانو في الأوبرا.

(**) تيبرغارتين Tiergarten: متنزه عام في برلين. كلمة «تيبرغارتين» الألمانية تعني حديقة الحيوانات.

الجليد عدة مرات. كلّ الأشياء من هذا النوع تُثير اهتمامي. هذا ربما تُخبرني عنه». بعد الكريسماس، أيامٌ فيها «برد رهيب» أفسحت المجال إلى «جو شتائي جميل»، وفي منتصف يناير تلقّى كارل وميخائيل تقارير عن التزلّج على الجليد، وعن حافلات ومركبات تم تحويلها إلى زلّاجات كي تُركَب عبر شوارع برلين المكسوة بالثلج. كان مَشهدًا «مُبهِجًا»، مع أنّ كيركغارد وجده باردًا جدًا كي يسافر بهذه الطريقة هو نفسه.

لا واحدة من علاقاته، لا واحدة من ذواته، كانت متحرّرة من قلقه بشأن ريجينه. كان يعرف أنّ البروفيسور سيبيرن سيكون على تماس معها، وأنّ بنات شقيقتيه وأبنائهنّ قاموا بزيارتها. بعد الكريسماس أصبحت رسائله إلى إميل أطول، وحتى مُلغَّزَة أكثر بالصراع والإرباك. أخبر إميل، مثلما أخبر نفسه، أنه يُسيطر على الموقف: «إني أمسك بحياتي بنحو شاعريّ في يدي[36]... حياتي تُقسّم نفسها إلى فصول، وباستطاعتي أن أجهّز عنوانًا دقيقًا لكلّ فصل، بالإضافة إلى أن أُفصِح عن شعاره». في ما يتعلّق بالوقت الحاضر إنه يُعلِن الشعار: «لا بد أنها تكرهني»، فسّر قائلًا، كلّ شيء كان مُوجّهًا إلى هذه النهاية:

في صحبة الدنماركيين هنا في برلين أكون على الدوام مسرورًا، جذلًا، بشوشًا، ويكون لديّ «وقت حياتي»، إلخ. وعلى الرغم من ذلك كلّ شيء يُزبد في داخلي بحيث إنه غالبًا يبدو أنّ أحاسيسي، كالماء، سوف تكسر الجليد الذي غطيتُ به نفسي، ومع أنه في بعض الأحيان كانت هناك آهة في داخلي، كلّ آهة تتحوّل فورًا إلى شيء ساخر، طُرفة، إلخ.، اللحظة التي يكون فيها كلّ شخص آخر حاضرًا... [لأن] خطتي تتطلّب ذلك. هنا الآهة قد تصل إلى إذن شخص دنماركي، ربما يكتب إلى بلاده عنها، من الجائز أنها تسمع بها، من الجائز أنها تُعطل العملية الانتقالية.

فيما كانت الأسابيع تمضي أصبح شتاء برلين المرير صعب التحمّل على نحو متزايد. كانت الريح الشرقية شديدة البرودة، شكا إلى إميل في فبراير

1842، وكان غير قادر على أن ينعم بالدفء طوال نهارات وليالٍ عدّة. كلّ مُصيبة ضاعفت مُحاكمته الروحية؛ وكان يعود المرة تلو المرة إلى الأفكار المتعلّقة بريجينه:

> برد، بعض الأرق، أعصاب مُنهَكة[37]، آمال مُحبَطة تتعلّق بشيلنغ، إرباك في آرائي الفلسفية، ما من تسلية، ما من احتجاج كي يُثيرني - هذا هو ما أُسميه الاختبار الحاسم. يتعلّم المرء أن يعرف نفسه... فسخت الخطوبة من أجلها. أصبح هذا عزائي. ولمّا عانيتُ أشد المعاناة، لمّا كنتُ محرومًا تمامًا، وقتئذ صرختُ بصوت عال في روحي: «ألم يكن ذلك جيدًا، ألم تكن تلك منحة سماوية أنكَ تتمكّن من فسخ الخطوبة؟ لو استمر هذا الأمر، عندئذ ستُصبح عذابًا مستمرًا مدى الحياة بالنسبة لها».

مع ذلك في الصفحات الأخيرة من هذه الرسالة تخيّل ما يتعلّق برجوعه إلى ريجينه. لم يعد بوسعه أن يفكّر فيها من دون أن يأخذ بالحسبان رأيّ البلدة بأسرها: تصوّر أنه سوف يكون «مكروهًا ومَقيتًا»، وأنه «سيكون أضحوكة»، أو حتى إنّ الناس سوف يقولون إنه لا بد أن لديه شيئًا جديرًا بالاحترام - هذا الشيء، كان يُقلقه أكثر من أيّ شيء آخر. «هذا الشتاء في برلين سيكون دائمًا ذا أهمية بالغة بالنسبة لي»، ختم رسالته أخيرًا. «أنجزتُ عملًا كثيرًا. لديّ ثلاث أو أربع ساعات من المحاضرات يوميًا، درسٌ يوميّ في اللغة، ولا أزال أكتب كثيرًا جدًا، وأطالع كثيرًا، لا يسعني أن أتذمّر. ومن ثم هنالك معاناتي كلّها، مونولوجاتي كلّها!».

في نهاية فبراير بعث إلى إميل رسالةً أخيرة من مهجره. كانت روحه قد دخلت مرحلةً جديدة: هو الآن حاسم، واضح، مُبتهِج:

> عزيزي إميل،
>
> شيلنغ يتكلّم هراءً لا نهائيًا[38]... إني أغادر برلين وأسرع إلى

> كوبنهاغن، لكن لا، إنكَ تفهم، لأقيَّد برباط جديد، أوه لا، لأني أحس بأني أحتاج بنحو أقوى من أيّ وقت مضى إلى حريتي. إن شخصًا يمتلك غرابة أطواري يتعيّن عليه أن يمتلك حريته إلى أن يقابل قوةً في الحياة بوسعها أن تُقيّده. إني قادم إلى كوبنهاغن كي أُكمل *إما/أو*. إنها فكرتي الأثيرة، وفيها أُوجَد أنا...

بعد بضع بدايات كاذبة، بدأ تأليفه خلال تلك الزيارة الأولى إلى برلين - بدأ يُصبح كما يُعبّر هو الآن، «الشخص الذي أنا عليه». لم تعد روحه تدور حصرًا: لقد قفز إلى مجال ديني جديد للوجود، دفعته إليه أزمة الخطوبة. لم يكن اللاهوت، ولا الفلسفة، ولا الفن، بل قَطْع العلاقة مع ريجينه الذي فتح علاقته مع الله، وأتاح له أن يكبر في داخلها. في تحديد تاريخ تأليفه من نشر *إما/أو* في مطلع العام 1843، يضع جانبًا كتاباته المُبكرة، لأنّ هذه لم تُعبّر عن الرؤية الدينية للحياة، المصنوعة من تجربة شخصية عميقة، وصفها في كتابه من *أوراق شخص لا يزال حيًا*. مؤلف هذه المراجعة بوسعه أن يُنظّر بشأن «ثقة لا تتزعزع في ذات المرء»، إلا أنه لم يكن يمتلك هذه الثقة بعدُ.

***

مثلما كان قَطْع العلاقة مع ريجينه مُلازمًا لبداية عمله كمؤلف، إذًا أصبحت هي متشابكة مع نهايته. خلال هذا الصيف القاسي للعام 1848، كانت أفكاره قد عادت إليها المرة تلو الأخرى؛ قلقه المتعلّق بإنهاء تأليفه يبدو أنه يحتوي المستودع الهائل لضروب القلق التي أحسها بشأن ريجينه طوال الأعوام العشرة الفائتة. تحتها كلّها يوجد الاشتياق، إلى شيء يواصل مراوغته. قبل بضعه أيام لا غير، استقلّ عربة عبر أزقة الريف مباشرةً نحو فريدينسبرغ، حيث كان يعرف أنّ أسرة أولسِن تُقيم هناك - «أخذني هاجسٌ غير قابل للتفسير إلى هناك[39]، كنتُ غايةً في السعادة ومتيقّنًا تقريبًا من اللقاء بالأسرة هناك» - ومتأكدًا بما يكفي أنه اصطدم بوالد ريجينه. «وقفتُ له وخاطبته قائلًا: طاب نهارك مُستشار أولسِن، دعنا نتكلّم معًا. خلع قبعته ورّحب بي إلا

أنه نحّاني جانبًا وقال: لا أرغب بالتحدّث معك. أوه، كانت هناك دموعٌ في عينيه، وتفوّه بهذه الكلمات بشعور مُعذَّب. مضيتُ إليه، غير أنه بدأ يركض بسرعة شديدة بحيث إنني لو كنتُ أُريد، سيكون من المستحيل أن أَلحق به».

إنه لمن المستحيل أن يلحق بالماضي - أن يمسك به، أن يغيّره، أن يجرّه إلى داخل شكل جديد. كلّ ما يستطيع أن يفعله هو أن يتذكّره، يكتبه، ويحاول أن يُحلل معناه. «في لحظة ما»، يُقرّر، «ينبغي لي أن أُعطي تفسيرًا واضحًا لنفسي بوصفي مؤلفًا لما أقوله، للكيفية التي أفهم فيها نفسي كوني مؤلفًا متدينًا من البداية». وهو يذرع شقته المُملة في روزينبرغ غيد جيئةً وذهابًا طوال أسابيع أغسطس هذه، أدركَ بنحو أوضح من أيّ وقت مضى كيف كان قد «تربّى» بواسطة كتابته هو. منذ أيام دراسته الجامعية كان مهتمًّا بتطوّر الشخصية والنمو الروحي، مازجًا تأكيد التقويين على «البناء» و«الإيقاظ» مع إيمان رومانسي بالفن كوسيلة من وسائل تربية الذات. هو يفهم الآن كيف أصبح مؤلّفًا، وكيف تربّى دينيًا من خلال كتابته: «لقد ترعرعتُ وتطوّرتُ في أثناء عملي[40]، وشخصيًا صرتُ ملتزمًا أكثر فأكثر بـ'العقيدة المسيحية'». وكون مقالته المتعلّقة بـمدام هيبيرغ ودوري جولييت اللذين مثّلتهما أوقفته كمؤلف، فهو يحتاج الآخرين كي يفهموا أنّ كتابته هي كتابة دينية منذ البداية - وأنّ أزمةً دينية هي التي هيأت الطريق لـكتاب *إما/ أو*، ولـ«بدايته» هو. «بدأتُ بالانطباع الديني العميق جدًّا - يا للأسف، أنا الذي، لمّا بدأتُ، حملتُ كامل المسؤولية تجاه حياة إنسان آخر وفهمتُ هذا باعتباره عقاب الله لي... بمعنىً حازم خبرتُ الضغوط التي أبعدتني عن العالَم قبل مباشرتي بـ*إما/ أو*».

مع إنه أرهَق نفسه بالتفكير المُتأنّي المتعلّق بتأليفه، يشعر هو بنشوة البدايات الطازجة -الأفكار الطازجة، الصفحات الطازجة- المنبثقة في داخله. «كم مرة حدث لي ما يحدث لي الآن تحديدًا مرةً أخرى؟[41]، ومن ثم أغوص في أشد عذابات الكآبة؛ فكرةٌ أو سواها تغدو محبوكة جدًا بالنسبة لي بحيث لا يسعني أن أفكّها، ولأنها تتعلّق بوجودي أعاني بشكلٍ لا يُوصَف. ومن ثم، بعد أنّ مرَّ

وقت قصير، يبدو كما لو أنّ بثرةً قد انفجرت - وفي داخلها الإنتاجية المُذهِلة للغاية والمُثمِرة، على وجه الدقّة ما استفيد منه حاليًا». إنه شيءٌ غير واضح حتى الآن ما إذا يحتاج هو إلى أن يُقدّم وصفًا لتأليفه من أجل أن ينتهي منه - حاشية واحدة أخيرة - أو كي يُنهي فصل الأعوام الخمسة من الكتابة، كي يستطيع أن يفتح فصلًا جديدًا.

الفصل التاسع

سقراط العالَم المسيحي

إنه الأول من سبتمبر، وكيركغارد يُلقي موعظة دينية للمرة الثالثة في العشاء الرباني ليوم الجمعة في كنيسة سيدتنا. ثمة شكل بشري صغير الحجم، هش، يقف قبالة التمثال الضخم ليسوع المسيح من عمل تورڤالسدين، يأخذ مقطعًا شعريًا من إنجيل يوحنا باعتباره موضوعًا لخطابه، «من الأعلى سوف يسحب جلالته الجميع عاليًا إليه»، ويشرح للمجموعة الصغيرة من المصلّين بأنّ إتّباع يسوع المسيح سوف يرفعهم فوق الهموم الدنيوية. «إن لم تُبدد حياة الإنسان، إن لم تُوظَّف بلا معنى في شيء فيما هي تستمر فهو الغرور بعينه ولمّا تغدو ماضيًا تكون العدم، إن لم تنشغل بنشاط بما يُحدِث ضجةً في اللحظة إلا أنه لن يكون له صدى في الأبدية، إذًا لا بد أن يكون هناك شيءٌ أعلى يسحبها»، يقول لهم بصوته الرقيق، المُعبّر.

خارج الكنيسة الهادئة، الشوارع والصحف تضج بالعملية الانتخابية: في 5 أكتوبر الناس كلّهم، حتى القرويين، سوف يصوّتون لأعضاء البرلمان الذي سوف يعّد الدستور الجديد للدنمارك. غير أنّ الشيء الوحيد الذي يشغل كيركغارد هو الحياة الروحية لـ«الشخص المفرد». إنه يعتقد بأنّ هذا هو «النقيض التام للسياسة» بما أنّ هذا لا صلةَ له بـ «الجزاء الدنيوي، والسلطة، والشرف». كلّما كان الضجيج العام حول هذه الأشياء أعلى، وقف هو بحزم ضدّها: كلّ ما يهمّ دينيًا، يؤكّد قائلًا، هو «جوهر» كلّ كائن بشري، «لا يسعى لأن يكون سلطةً في العالَم الخارجي».

نشأ مع قصص المُبشّرين المورافيين الذين أبحزوا بجسارة إلى غرينلاند، وهو الآن يرى نفسه بوصفه نوعًا من مُبشّر، يتبع دعوةً إلهية. مع ذلك رسالته

الخاصة ليست في مستعمَرة دنماركية بعيدة بل في كنيسة بكوبنهاغن، حيث يتعيّن عليه أن يُقدّم «المسيحية» إلى الناس الذين كانوا مسيحيين طوال حيواتهم. «المُبشّر في العالَم المسيحي يبدو على الدوام مختلفًا عن مُبشّر في الوثنية. لئن كان يُخاطب المسيحيين، ماذا يعني إذًا أن يجعلهم يُصبحون مسيحيين؟» طوال تأليفه حاول، سنةً بعد سنة، أن يُخاطب جيرانه بوصفهم بشرًا علاقتهم بالله هي سؤال يبقى بحاجة إلى جواب، وهي مَهمّة من المفترض أن تُعاش. مواهبه الأدبية الاستثنائية، براعته الفلسفية، خياله النشيط، كلّها، بحسب اعتقاده هبة من الله - لا لكي يُمكّنه من أن يُصبح أستاذًا جامعيًا بارزًا أو أن ينال استحسان المُراجعين(*)، بل كي «يُظهِر وَهَم العالَم المسيحي ويوفّر رؤية تتعلّق بمسألة ماذا يعني أن تُصبح مسيحيًا». كلّ مصادره يجب أن تُستدعى يوميًا في خدمة هذا الدعوة الدينية.

كالعادة، ضروب قلقه بُدِدت بواسطة الكتابة. الآن وقد فرغ من تأليفه، هذا التبديد خادع أكثر من أيّ وقت مضى؛ قلقه الأحدث هو كيف سيتم تفسير تأليفه، والسبيل الوحيد للخروج منه هو تدوين كتاب عن تأليفه. ريتزل، ناشر أعماله ذات الاسم المستعار، كان يتكلّم عن طباعة طبعة ثانية من كتابه *إما/ أو* منذ العام 1846، حين بيعت النسخ الـ525، وإذا صدر الكتاب ثانيةً عليه أن يُظهِر كيف أنّ فسوقه وجماليته كانا ينويان دائمًا أن يخدما غرضًا دينيًا. «الآن أرى طريقي صوب الكتابة[2] هو طريق قصير وجاد قدر الإمكان لشرح تأليفي السابق»: كلّ شيء نَشَره هو «تواصل(**) غير مباشر» للمسيحية، والآن فقط بما أنّ هذا التأليف قد انتهى يُمكن أن يُعبّر أخيرًا عن التزامه الديني بصورة مباشرة. «لهذا السبب تحديدًا أنا الآن قادر على أن أوضّح وأفسّر التواصل غير المباشر. في وقت أبكر كنتُ غير واضح بالمرة. ينبغي على المرء دائمًا أن يكون أعلى وأعمق من ما يُريد المرء أن يُفسّره».

(*) المراجعين reviewers: المقصود هنا الأشخاص الذين يكتبون مُراجعات عن كُتبه ومقالاته.

(**) تواصل communication: المقصود هنا هو تبادل الأفكار أو الآراء أو المعلومات عن طريق الكلام أو الكتابة أو الإشارات.

أيَنشر وجهة *النظر عن عملي كمؤلف* أم لا، هذه مسألة أخرى - محفوفة، بالطبع، بضروب القلق الطازجة - لكن فيما هو يكتب لا يحتاج لأن يقلق بشأن ذلك بعدُ. إنه متيقّن من أنه سيموت حالًا؛ ربما راسموس نيلسِن سوف يساعد في أن يصون إرثه الأدبي، إلا أنه لا يُمكن أن يُترَك في يديه. أعمالُه سوف تقرأها أجيال، وبدلًا من ترك الناس يسيئون فهم تأليفه، ويسيئون فهم حياته، يتعيّن عليه أن يصنع «تقريره الخاص للتاريخ». عقب أعوام من الذريعة الأدبية، سوف يشرح وظيفته الغريبة وأساليبه الخاصة، بدءًا بـ*إما/ أو*. في يوم ما، حتى إذا كان لن يحيا كي يراه، سوف يتّضح أنّ الرجل الذي وقف بهدوء يُعطي المواعظ الدينية في كنيسة سيدتنا في 1848 لا يختلف، في روحه، عن الرجل الذي أبدع «يوميات المُغوِي» في برلين في 1842 - لأن هؤلاء الرجال تقاسموا الرسالة نفسها.

كانت مهمته كمؤلّف هي أن يُفسّر اللاهوت، أن يُعلّم العقيدة، أو يُصحّح الهرطقات. «المسيحية ليست عقيدة[3] بل تواصل وجود. (هذا هو منبع كلّ إزعاجات الالتزام، نزاعاتها حول هذا الشيء أو ذاك في حين أنّ الوجود يبقى ثابتًا كليًّا). المسيحية هي تواصل وجود ويُمكن تقديمها فقط - من خلال الاحتفاظ بالبقاء»، كتب هو في يومياته قبل بضعة أسابيع مضت. مع ذلك هو لن يَدّعي بأنه يضرب مثلًا للآخرين كي يتبعوه، للمؤمنين، حاله حال المورافيين، بأنّ «سائر البشر قريبون بالتساوي من الله»[4] - وأنّ يسوع المسيح هو النموذج الوحيد. «أن أُجبرَ شخصًا ما على رأيٍ معيّن، على قناعة معيّنة، على معتقد معيّن - في الأبدية كلّها، هذا الشيء لا يُمكنني القيام به[5]. إلا أنّ شيئًا واحدًا أستطيع أن أفعله: بوسعي أن أُجبره على أن يُصبح واعيًا».

***

كان *إما/ أو* هو الأول في سلسلة الكتب «الجمالية»، المكتوبة للقارئ من النوع الذي «يعتقد بأنه مسيحي[6]، ومع ذلك يعيش في فئات جمالية خالصة». هذا هو «الوهم» واسع الانتشار للعالَم المسيحي: في ثقافةٍ انغمست جدًّا في المسيحية كما في دنمارك القرن التاسع عشر، من الممكن أن نقوم بكلّ الأشياء المتوقّعة لشخص مسيحي، ومع ذلك لا نُباشر في مَهمة إيمان تستغرق زمن حياة - ربما أطول من زمن حياة - كي نُنجزها.

قبل أن يبدأ كيركغارد تأليفه، كان قد تعلّم من سقراط بأنه «ما من شيء يتطلّب معالجةً لطيفة كإزالة وَهَم ما»[7] - ذلك أنّ المواجهة المباشرة فقط تجعل الناس دفاعيين ومقاوِمين أكثر، وتُقوّي خداع الذات لديهم. ليس من الهيّن أن تُصحّح خطأً يتعلّق بالوجود الكامل لشخص ما. باعتباره مُبشّرًا سقراطيًا، حاول أن يُعلّم قراءه «ألا يفهموا المسيحية، بل أن يفهموا أنهم لا يستطيعون أن يفهموها»[8]، وهكذا تغلغل إلى وَهمهم كي يسحبهم خارجه: «المرء لا يبدأ مباشرة بما يرغب أن يتواصل معه[9]، بل يبدأ بأخذ تضليل الآخر كما يبدو ظاهريًا. وهكذا لا يبدأ المرء بهذه الطريقة: إنها المسيحية التي أُنادي بها، وأنتَ تعيش في تصنيفات جمالية خالصة. لا، ما من أحد يبدأ بهذه الطريقة: دعنا نتحدّث عن الجمال».

هذا الشيء، يقرّ هو الآن، «خداع»، لأنه دخل العالَم الجمالي فقط «كي يصل إلى الديني». غير أنّ هذا الخداع هو في خدمة الحقيقة الأسمى، حقيقة المسيحية. «بوسع المرء أن يخدع إنسانًا خارج الحقيقي[10]، و- إذا ما استدعينا المخضرم سقراط - يستطيع المرء أن يخدع الإنسان إلى داخل الحقيقي. أجل، فقط بهذه الطريقة يستطيع الشخص المخدوع أن يُحضَر فعلًا إلى داخل الحقيقي - من خلال تضليله». المُبشّر في المسيحية يجب أن يتحرّك عبر العالَم مثل عميل سريّ، يعمل «تحت غطاء»، يجب ألّا يقدّم نفسه بوصفه متديّنًا لآن «العالَم يمتلك آلاف المراوغات والأوهام[11] التي بواسطتها تصون نفسها منه وتتخلّص منه».

لمّا بدأ *إما/ أو* في برلين، يسعى إلى شكل كتابة تشير إلى حدودها، تُشير إلى شيء لا يُمكن فهمه بواسطة الفلسفة أو الفن. «الحياة ليست رواية رومانسية»[12] كتب في مقدّمته لـ*إما/ أو*. اختار الكتاب نقد الرومانسية التي صوّرها في رسالته الجامعية عن السخرية، إلا أنه طوّرها في اتجاه جديد: بينما عاينت رسالته الجامعية عيوب السخرية الرومانسية بطريقة نظرية، أظهر *إما/ أو* كيف سيكون الحال إذا ما تبنينا هذه السخرية باعتبارها رؤية للحياة. وقد شمل الآن في هذه الرؤية الرومانسية للحياة ليس الرومانسية وحدها، بل الميل الأكثر عمومية للبشر في السعي وراء الرغبات الدنيوية - من أجل الراحة المادية، أو السعادة الشهوانية، أو التحفيز الفكري - فيما هم يتفادون متطلبات الحياة الأخلاقية، وحاجتهم إلى الله.

كان كيركغارد يعي جيدًا بالطبع، ميوله الجمالية. وعلى غرار المقدّمة الصغيرة لـمن *أوراق شخص لا يزال حيا*، *إما/ أو* قدّم جدالًا بين جزأين من روحه؛ هذه المرة المناقشة امتدت على بضع مئات من الصفحات، ولم تكن تدور حول نشر كتاب ما، بل حول الزواج. في جانب واحد من المسألة وقف شخصٌ مُحب للجمال، معروفٌ فقط بوصفه «A»، وهو مثقّف ذكي وكئيب وناقد أدبي وشاعر تجريبي: كتب مقالات ومراجعات وشذرات وأقوالًا مأثورة، وأوراقه الانتقائية كوّنت الجزء الأول من *إما/ أو*، بينها «يوميات مُغوِي»، كتبها يوهانِس الحذِر لكن الذي لا يُقاوَم - الشخصية التي من المفترض أن تُقنع ريجينه أنها ستكون في حال أفضل من دون كيركغارد.

وعلى غرار يوهانِس، مُحب الجمال «A» يحوّل كلّ شيء يلاقيه إلى موضوع للتأمّل الفكري، أو إلى مصدر للإلهام الشعري. كان يطفو على كلّ شيء - حتى وجوده هو - في فقاعة احتمال؛ العالَم منظرٌ طبيعي لا نهائي مُنظّم أمامه، ألقى عليه نظرة عامة باهتمام متذبذب أو لا مبالاة متذبذبة، بتسلية أو ضجر، سعادة أو انزعاج. ليس لديه مُرتكَز في هذا العالَم: لا التزامات، لا استثمارات، لا قواعد أخلاقية، لا دين كي يُقيّده. أفعاله بدت له عديمة الأهمية؛ ليس ثمة اختلاف إذا ما فعل شيئًا ما، أو لم يفعله. بملل سهل، انتقل من شيء ما - فكرة ما، مزاج ما، امرأة ما -إلى التالية أو التالي. وعلى غرار رواية *لوسينده* لفريدريش ڤون شليغل، كتاباته احتقرت الأخلاق البورجوازية عمومًا، والزواج بالأخص: «تتزوّجون أو لا تتزوجون، سوف تندمون في كلتا الحالتين[13]... تضحكون على حماقات العالَم أو تبكون عليها، سوف تندمون في كلتا الحالتين... تثقون بفتاة أو لا تثقون بها، سوف تندمون في كلتا الحالتين... أن تشنقوا أنفسكم أو لا تشنقون أنفسكم، سوف تندمون في كلتا الحالتين. هذا، أيها الرجال المحترمون، هو جوهر كلّ حكمة الحياة».

في الجانب الآخر من النقاش كان القاضي وليم، وهو رجل أكبر سنًا وحيّ الضمير أكثر، متزوج وله أطفال، نموذج للفضيلة المَدنية. كان قد جسّد العالَم الأخلاقي، حيث بمستطاع الرجل أن يحقق منزلته في إطار العالَم: يبني منزلًا صلدًا ويرسّخ ذاته خارج القرارات الحافلة بالمعاني، والالتزامات الثابتة، والعلاقات

المُخلصة. في رسالتين إلى «A»، كلّ واحدة بحجم كتاب صغير، أطرى بإفراط واجبات ومباهج الحياة الزوجية. القاضي وليم رأى إمكانية هائلة في «A»، إلا أنه كان مُنزعجًا من رؤيته للحياة: أخبره أنه أحبّه بوصفه ابنًا، شقيقًا، وصديقًا؛ بحيث إنه على الرغم من كلّ «صفاته الغريبة» أحب قوته وهواياته وصنوف ضعفه. أحبّه، كتب له قائلًا: «بخوف ورعشة شخص متدّين، لأني أرى الانحرافات».

مع أنّ هاتين الشخصيتين الأدبيتين تمتلكان روحين اسكنديناڤيتين ضعيفتين، كانتا مختلفتين أشد الاختلاف: «بالنسبة لك»، كتب القاضي وليم لصديقه الأصغر منه سنًا، «البحر الهائج هو رمز الحياة؛ بالنسبة لي رمز الحياة هو الماء الهادئ، العميق». كينونة وليم الداخلية أشبه ببحيرة پيبلنغ في يوم ساكن، وقد رأى زواجه بوصفه جدولًا يتدفق في هذه البحيرة، وهي وديعة ومستقرة مع أنها طافحة بالحياة:

> كنتُ أجلس عادةً بجوار جدول صغير جارٍ[14] الوضع دائمًا كما هو، نفس اللحن اللطيف، في القاع نفس النباتات الخضر التي تتموّج بأمواج صغيرة هادئة، نفس الكائنات شديدة الصغر التي تتحرّك هناك في الأسفل، سمكة صغيرة تنزلق تحت غطاء الأزهار، تنشر زعانفها ضد التيار، تختبئ تحت حجر. كم هو مُنتظم، ومع ذلك كم هو غنيّ بالتغيير! هكذا هو الحال مع الحياة العائلية للزواج - هادئة، معتدلة، مدندنة. إنها لا تمتلك *تغييرات* كثيرة، ومع ذلك هي شبيهة بذلك الماء، جارٍ، ومع ذلك، شبيهة بذلك الماء، تمتلك لحنًا، عزيزًا على الشخص الذي يعرفه، عزيزًا عليه بالضبط لأنه يعرفه. إنها ليست مُبهرَجة، ومع ذلك إنها تمتلك غالبًا بريقًا لا يُقاطع مساره الاعتيادي، مثلما هو الحال لمّا يلمع القمر على ذلك الماء ويُظهِر للعيان الآلة الموسيقية التي يعزف عليها لحنه.

القاضي حثّ مُحب الجمال الشاب على «جدّية الروح» - من دون هذا، حذّره قائلًا: «سوف تفوتك أعظم الأشياء[15]، الشيء الوحيد الذي يُعطي الحياة معنى؛ قد تربح العالَم لكنكَ تخسر نفسك».

هذا الحوّار المُطوّل بين رؤيتين للحياة لم يكن مجرد تمرين في الاستبطان الساخر، ولم يكن هدفه ببساطة - أو حتى بشكل أوليّ - أن يُشفي قلب ريجينه المكسور. بين سطور هذه الخلاصة الغريبة للكتابات هناك تفسير عنيف في صفحة كاملة. مارتينسِن وهيبيرغ كانا قد أيدا فلسفة هيغل باعتبارها حلًا للأزمة الروحية في عصرهما التي أظهرتها الرومانسية للعيان وفاقمتها. إلا أنّ *إما/ أو* وصف بشكل غير مباشر الفكر الهيغلي باعتباره على حدٍ سواء عَدَميًا وينتمي كالرومانسية، إلى الحقل الجمالي. بالطبع، أناس كثيرون عاشوا بطريقة جمالية - كانوا يفتقرون إلى رؤية جمالية أو دينية للحياة - من دون أن يعرفوا شيئًا عن الأدب الرومانسي أو الفلسفة الهيغلية. مهما يكن من أمر، عامل كيركغارد هذه المذاهب الفكرية بوصفها علامات للأزمنة، ودلائل على الخواء الروحي.

بحثت الرومانسية في شِعرها وعِلمها والميتافيزيقا العائدة لها، عن وحدة أعمق تكون أساس التنوّع اللانهائي للعالَم، وفلسفة هيغل قدّمت بُنية منطقية لهذا السعي المؤمن بوحدة الوجود من أجل الوحدة. البشر عادةً يفهمون ويرتّبون عالَمهم من خلال تمييز الاختلافات بين الأشياء - بين النهار والليل، بين الحياة والموت، بين الذكر والأنثى، بين السادة والعبيد، بين الأبيض والأسود. أساس هكذا اختلافات هو منطق مُضمَر لـ« *إما/ أو*»: لا بد أن يكون إما نهار أو ليل؛ الحيوانات إما ذكور أو إناث؛ الإنسان إما حيّ أو ميت، إما سيّد أو عبد. هذا المبدأ المنطقي صاغه أرسطوطاليس، موفّرًا أساس الاستدلال الفلسفي على مدة قرون كثيرة. ومع ذلك أكّد هيغل أنّ هذه الاختلافات لا تفصل الأشياء فحسب، بل توحّدها معًا، لأنّ الأضداد كلّ واحد منها يعتمد على الآخر. النهارات تُعرف كنهارات بالمقارنة مع الليل؛ العبيد لا يكونون عبيدًا إلاّ حين يكون لهم أسياد، والأسياد لا يكونون أسيادًا إلا حين يكون لديهم عبيد؛ الرجال يعون برجولتهم في علاقتهم بالنساء، والنساء يشعرن بأنوثتهن في علاقتهن بالرجال. إنّ عملية العيش لا تنفصل عن الاحتضار. والاختلافات بين أيّ كائنين بشريين محتواة أيضًا في داخل كلّ واحد منهما، مُشكّلةً كيانهما من الداخل.

إنّ استبدال هيغل المنطق الديناميكي، الديالكتيكي بالمنطق المزدوَج لتفكير

الفطرة السليمة اعتمد نظريةً جديدة جريئة للتاريخ. الكتابة في أعقاب نضال ثوري طويل في هاييتي[16] انتهى في العام 1804، مع العبيد في تلك المستعمَرة الفرنسية مُعلنين استقلالهم عن نظام نابليون، ناقش هيغل أنّ فئتين من مثل فئة السيّد والعبد، تُعدّان حتى الآن بوصفهما نظامًا طبيعيًا ثابتًا، متحوّلًا عبر الزمن. بوسع العلاقات الاجتماعية المُستبدّة أن تتطوّر إلى دولة مدنية متوازنة قائمة على الاعتراف والاحترام المشترك. هذه هي فلسفة التقدّم: ناقش هيغل أننا لمّا ننظر إلى الواقع من وجهة نظر أعلى، موضوعية أكثر - كما يحصل حين يُلقي المؤرخ نظرة شاملة على عصور التاريخ، أو حين يكشف العالِم قواعد الوحدة في إطار الطبيعة - عندئذ نفهم أنّ النهار والليل، الحياة والموت، الذكر والأنثى، الأسياد والعبيد، هم لحظات أو مراحل في عملية متواصلة. إنّ هدف هذه العملية، زعم هيغل، هو الحرية الروحية. لمّا يكتسب البشر معرفةً أكبر، يُصبحون أكثر فأكثر شبيهين بالله، الذي يعرف كلّ شيء لأنه خارج الفضاء والزمن، ويرى الكون كلّه وتاريخه في نظرة واحدة.

في الوقت الذي كتب فيه *إما/ أو* اعتبر كيركغارد الطموح العميق لنظام هيغل الفلسفي بوصفه علامة من علامات الغطرسة الحديثة التي ناقشها مارتينسِن في مقالته عن فاوست المنشورة في العام 1836. القسم الأول من *إما/ أو* حاكى بنحو ساخر هذا المثال الـپروميثي - وهو مثال كان أبناء جيل كيركغارد مُثقَلين به. في «يوميات مُغوِي»، وصف يوهانِس نفسه وهو يخفض بصره ناظرًا إلى وجوده هو، مُلقيًا نظرةً شاملة على روحه فيما الله يُلقي نظرةً شاملة على خلقه، أو كما ألقى فيلسوف هيغلي نظرةً شاملة على تاريخ العالَم:

> عقلي يهدر مثل بحر هائج في عواصف الوَجد[17]. لو كان بوسع شخص آخر أن يرى روحي في هذه الحالة، سوف يبدو له أنها، مثل مركبٍ غطس القيدوم أولًا في عمق البحر، كما لو أنه في زخمه المروِّع يتعيّن عليه أن يتوجّه إلى الأسفل في أعماق الهوّة. هو لا يرى أنه عاليًا على السارية ثمة بَحّار في نقطة المراقبة. ازأري

بعيدًا، أيتها القوى الجامحة، ازأري بعيدًا، أنتِ يا سُلطات الوجد؛ حتى إذا كانت أمواجكِ تقذف الزَبَد نحو الغيوم، أنتِ لا تزالين غير قادرة على أن تكدّسي نفوسكِ على رأسي - إني أجلسُ بهدوء كما يجلس مَلِكُ الجبل. إني غير قادر تقريبًا على أن أجد موطئ قدم؛ مثل طائر مائي، أنا أسعى عبثًا كي أحط على البحر الهائج لعقلي.

ربما كان كيركغارد نفسه قد عاش هكذا قبل أزمة خطوبته - دائمًا خارج ذاته، مرفرفًا فوق عالَمه. ومن ثم تحطّم على الوجود سريع الانفعال، الذي لا جدال فيه لشابةٍ كانت تسكن على بُعد شوارع قليلة، أُغرِمت به وتوقّعت أن تتزوج منه، عيناها تُحدّقان مباشرةً في عينيه، كان بمستطاعه أن يمدّ يديه إلى دموعها ويلمسها. من ريجينه تعلّم أنه ما من نظام فلسفي، ما من مقاربة فكرية حصرًا للحياة، يساعدان الإنسان كي يعيش في العالَم، كي يتخذ القرارات، كي يصبح هو نفسه.

وراء عن الصراع مع اضطرابه الداخلي، كان يُريد أن يعزل الفلسفة الهيغلية - وكان يُريد بالأخصّ أن يأخذ الرياح خارج أشرعة مارتينسِن. من خلال شخصية مُحب الجمال «A»، الذي رسمه بشكل أنيق ثري لأنه عَرِف روحه من الداخل، أظهر أنّ المنطق الديالكتيكي المميز الذي شكّل تفكير هيغل، وأعاد إنتاج نفسه عند كلّ مستوى من فلسفته الموسوعية، يُصبح مُضحكًا حين يتم تبنّيه كرؤية للحياة. يجد المُحب للجمال أنّ خياراته لا تعني شيئًا، لأنه في كلّ قرار يتأمّله، البدائل تُفضي إلى النتيجة ذاتها: «أن تتزوّج أو لا تتزوّج؛ سوف تندم في كلتا الحالتين». لا هيغل ولا مارتينسِن كان ينوي أن يُطبّق منطقه الفلسفي على حياة أخلاقية كهذه - غير أنّ مسألة كيركغارد هي أنّ الشخص الذي سعى وراء فلسفةٍ لم تساعده كي يحيا في هذا العالَم ألهى نفسه عن أكثر أسئلة الوجود إلحاحًا.

بينما حاكت الكتابات الجمالية لـ*إما/ أو* بنحو ساخر هيغلية مارتينسِن بالإضافة إلى المُثُل الشعرية غير المتبلورة للرومانسيين، عبّرت رسائل القاضي وليم عن نوع الرؤية الأخلاقية للحياة التي تعلّمها على يد الأسقف مينستر.

في حقيقة الأمر، عقوبة القاضي وليم لمُحبّ الجمال كرّرت انتقادات مينستر للاهوت مارتينسِن. قبل أن يكتب كيركغارد *إما/ أو* بوقت قصير، كان مينستر قد تجادل مع مارتينسِن بخصوص مَحاسن الفلسفية الهيغلية: اللاهوتيان تبادلا سلسلة من المقالات المُلمّة بالعلاقة بين الفلسفة والدين. باحثون آخرون اصطفوا على كلا جانبيْ جدالهما، وشبه الجملة «إما/ أو» أصبح شعارًا للموضوع الذي قَسّمهما. استعمل مارتينسِن الديالكتيك الهيغلي كي يُظهِر كيف أنّ الموقفين اللاهوتيين المتعارضين يُمكن أن يتصالحا أو «يسوّيا الخلافات» من منظور فلسفي. بالنسبة لمينستر، ما يهمّ إلى أقصى حدّ هو الالتزام الديني الشخصي: ناقش قائلًا إنّ كلّ فرد ينبغي أن يؤكّد إيمانه - إما «الإيمان بوحدة الوجود» أو «الإيمان بقوة خارقة للطبيعة»، إما اليهودية أو المسيحية، إما الإخلاص لله أو الإلحاد - وبعدها أن يكون صادقًا معه أو معها في حياته.

أظهرت رسائل القاضي وليم كيف أنّ مسألة الزواج جعلت منزلة الأسقف مينستر صافية كالبلور. الرجل إما يتزوج أو لا يتزوج، وإذا ما تزوج لا يُمكن أن تكون له زوجتان في الوقت نفسه. موقف القاضي تجاه النساء شبيه بموقف مينستر من المسيحية: لقد اختار زوجة، وبقي مخلصًا لها. في تسمية كتابه *إما/ أو*، أومأ كيركغارد إلى أنه يدخل في الجدال الدائر بين مارتينسِن ومينستر. مع ذلك فضلًا عن الاشتراك في هذا النقاش - يقف ظاهريًا مع مينستر - كان يهجو الشيء كلّه؛ كان *إما/ أو* كوميديا فلسفية، مع أنه يوجد في داخل الفكاهة جدّيةٌ عميقة. من خلال تحويل تغيير علمي مؤدَب إلى صِدام بين رؤى الحياة، أظهر أنّ هذا الجدال الأكاديمي أثار سؤال الوجود الذي لا يُمكن الإجابة عنه إلى أن يُعاش.

مع أنّ القاضي وليم -على غرار الأسقف مينستر- أخذ سؤال الوجود هذا على محمل الجدّ، كيركغارد لم يدعه يمتلك الكلمة الأخيرة. رسالتا القاضي الطويلتان إلى مُحب الجمال أعقبتهما موعظةٌ دينية، تصف كيف يفهم الإنسان نفسه بصورة مختلفة لمّا يعيش في علاقة مع الله. رافقت الموعظة الدينية ملحوظةٌ تشرح أنّ مُؤلِفها هو صديق قديم للقاضي وليم، هو الآن قسٌّ غامض في أبرشية ريفية صغيرة في يوتلاند - «رجلٌ صغير الحجم ذو بُنية قوية، مرح،

جذل، بشوش بنحو غير مألوف. مع أنه جاد في أعماق روحه، حياتُه الخارجية بدت مستهترة وبشوشة». أخبر القاضي أنه وجد في مرج يوتلاند «غرفة مكتب لا نظير لها بالنسبة لكاهن»: «أمضي إلى هناك في أيام السبت كي أحضّر موعظتي الدينية، وكلّ شيء يتوسّع أمامي[18] أنسى كلّ مستمع حقيقي وأكسب مستمعًا مثاليًا، أكسب نكرانًا تامًّا للذات، بحيث إنني لمّا أعتلي المنبر يبدو كما لو أنني لا أزال واقفًا على المرج حيث لا تكتشف عيناي شخصًا واحدًا، حيث يرفع صوتي نفسه بكلّ قوته كي يتغلّب على عنف العاصفة».

إنّ موعظةً دينية يُلقيها كاهن ريفي تبدو شيئًا بريئًا، إلا أنه في الحقيقة دمجها في *إما/أو* هو فعل تخريبي. من خلال تكليف مارتينسِن بالحقل الجمالي ومينستر بالحقل الأخلاقي، أثار كيركغارد سؤالًا جريئًا: هل كان أحد هذين الكاهنين الرفيعين المنتمين إلى «العالَم المسيحي الدنماركي» يُقارِب الحياة دينيًا؟ هل كان هنالك شيءٌ مسيحي فعلًا في عقيدتهما المسيحية؟ وإذا لم يكن بروفيسور اللاهوت ولا أسقف زيلاند قد وصل إلى العالَم الديني للوجود، إذًا مَن الذي في كوبنهاغن يُجسّد ويُعلّم فعلًا حياةً دينية بنحو أصيل؟ في نهاية *إما/أو* قذف كيركغارد صوت العالَم الديني أبعد بكثير من أسوار مدينته - كما لو أنه ما من أحد في داخل تلك الأسوار عرف كيف يعيش في علاقة مع الله.

مع أن مينستر ومارتينسِن قد ظهرا بشكل واضح لكيركغارد بوصفهما عاملين مُلهمين وخصمين، لم يكونا المعلّمين المسيحيين المؤثّرين الوحيدين في كوبنهاغن في مطلع أربعينيات القرن التاسع عشر. ثمة شخص فعّال آخر ألا وهو هنريك نيكولاي كلاوسِن[19]، الذي كان يُعلّم اللاهوت في الجامعة منذ العام 1822: كان باحثًا في العهد الجديد وعقلانيًا ينتمي لحركة التنوير في القرن الثامن عشر. درّب البروفيسور كلاوسن طلبته الجامعيين - بمَن فيهم كيركغارد، الذي حضر دروسه طوال ثلاثينيات القرن التاسع عشر - كي يقرأوا الإنجيل بانضباط صارم. في 1825 نشر كتابه المعنون *الكاثوليكية والبروتستانتية: دستور كنيستهما، تعاليمهما وطقوسهما*، الذي جعل اللوثري الاعتيادي يدّعي أنه بينما اعتبر الكاثوليكيون الكنيسة بوصفها أعلى سلطة روحية، البروتستانت أسسوا

إيمانهم على كتاب مقدّس. وبصورة مُثيرة للجدل أكثر -ويقينًا انحرافٌ عن تعاليم لوثر نفسه- ناقش كلاوسِن أنّ «الكلمة» الإلهية يجب ألا تُعلَن ببساطة من المنبر: إنها بحاجة إلى أن تُفسَّر في ضوء العقل، أن تكون مستوحاة من البحث التاريخي. هذه مَهمةٌ للباحثين الكتابيين، من مثله هو، الذين كانوا خبراء في اللغتين العبرية واليونانية، متمرّسين في اللاهوت والفلسفة. بينما كان كثيرون من أبناء جيله يتمرّدون، بطريقة أو بأخرى، ضد العقلانية، ظلّ كلاوسِن واثقًا من أنّ العقل البشري باستطاعته أن يُحرّر إيمانهم من الخرافة والجهل اللذين خرقا، وقد قوّتهما العقيدة، طمأنينةَ العالَم المسيحي على مدى عقود طويلة حالكة السواد. بالنسبة لكلاوسين، اللاهوتيون المحترفون هم الحراس الهادئون للحقيقة المسيحية، مُنوّري الكنيسة اللوثرية.

على العكس من كلاوسِن في النواحي كلّها تقريبًا ن. ف. س. غرونتفيج، وهو قسٌّ مُثير للقلاقل وشاعر ومؤلف تراتيل ومُحرِّض سياسي كان يشقّ طريقه بسرعة وجلبة - وبنحو مؤثّر - عند حافات كنيسة الدولة الدنماركية. في شبابه، كان حبه للوطن قد وجد تعبيرًا له في حنين مَرَضي رومانسي إلى الأساطير الاسكندنافية القديمة: أَلهَمه أولينشلاغر، كتب غرونتفيج شعرًا تخيّلَ المجد المُستعاد للشعب الاسكنديناڤي، «أبناء العِرق الضخم». غير أنه بعد أزمة روحية شخصية انقلب ضد الأفكار الوثنية، المؤمنة بوحدة الوجود للرومانسيين الدنماركيين، مُهاجمًا الاثنين معًا: أولينشلاغر وج. س. أورستيد. خلال الأعوام التي أعقبت ولادة كيركغارد، حين ظلّت الدنمارك ممزّقة ومُفلِسة بسبب الحروب النابليونية، أزهرت حماسة غرونتفيج الوطنية في حملة من الشعر والوعظ كانت تسعى إلى أن توقِظ ثانية «الروح البطولية لاسكندينافيا على الأفعال المسيحية». ومثل نبي إسرائيل الغابرة ألقى باللوم على فساد أمته الروحي: المصلحة الشخصية باتت إلهًا، المال أصبح روح الدولة، والكُفر شكّل تهديدًا للدنمارك أكثر من أيّ جيش أجنبي.

في أواخر عشرينيات القرن التاسع عشر حوّل غرونتفيج روحه الجدلية ضد البروفيسور كلاوسِن، الذي هاجمه بحماسة بالغة بحيث أُقيمت عليه

دعوى بسبب القذف والتشهير. متحمّسًا لانتزاع السلطة الروحية من أيدي الباحثين الكتابيين، أعلن غرونتفيج بصوتٍ عالٍ «اكتشافه الفذ» بأنّ المصدر الأصلي للمسيحية ليس الكتب المقدسة، بل عرفٌ شفوي - بما فيه صلاة الله، كلمات التعميد و«قانون الإيمان المسيحي للحواريين» - أتى مباشرةً من يسوع المسيح ومُرِّر عبر الأجيال بواسطة كلمة شفوية. الحقيقة المسيحية بحسبه، من المفترض أن تكون موجودة في هذه «الكلمة الحية» للجمهور، وليس في الحروف الميتة للباحثين المُتعلّمين.

إن تبشير غرونتفيج القوي بلاهوته الشعبي، المجتمعي جذب أناسًا كثيرين ذوي نزعة معارضة - بمَن فيهم شقيق كيركغارد، بيتر كريستيان - بعيدًا عن الجمهور التقَوي الثابت في كوبنهاغن. بينما كان التقَويون المورافيون يمارسون إيمانهم في مجتمعات منفصلة، كان غرونتفيج يُحرّض حتى يُغيّر «كنيسة الدولة الدنماركية». كونه سافر إلى إنكلترا في مطلع ثلاثينيات القرن التاسع عشر، ناقش مطالبًا بدولة مدنية ليبرالية تُتيح الحرية الدينية وتسمح لأفراد المجتمع المسيحي التقليدي، حاملي «الكلمة الحية»، أن ينجحوا بحسب شروطهم.

الأسقف مينستر، الذي كانت حماسته للاعتدال قد قوّت جدالاته -مع كلاوسِن ومارتينسِن، من بين آخرين- لم يكن بمستطاعه أن يتحمّل مذهب الفعالية(*) المُسرِف لدى غرونتفيج. حاول مينستر أن يخذل غرونتفيج من خلال منعه من إدارة الطقوس الدينية، وعندما لم ينجح هذا - لأن غرونتفيج هو استراتيجي ماهر، ورسالته الشعبية جعلته فعالًا - حاول أن يحتويه من خلال تعيينه قسًا لڤارتوف، وهو مقر للمرضى والمسنين. إلا أنه بحلول أربعينيات القرن التاسع عشر جعل غرونتفيج كنيسة ڤارتوف مركزًا لحركة سخّرت ليس فقط الطاقات الروحية للتقَوية، بل التيارات النامية للاضطراب الاجتماعي وسط الفلاحين. قاد هذه القوى من المنبر؛ ترانيمه الاستفزازية كانت تُنشد

(*) مذهب الفعالية activism: مذهب يؤكّد على ضرورة اتخاذ الإجراءات الفعالة أو العنيفة «كاستعمال القوة لتحقيق الأغراض السياسية».

بمصاحبة مجد الإيمان الحقيقي والحيّ للشعب الدنماركي. كان پيتر كريستيان كيركغارد، في تلك الآونة كاهنًا أيضًا، أحد أقرب أتباعه.

منذ أيام دراسته الجامعية كان كيركغارد لا يؤيد شقيقه في ما يتّصل بـغرونتڤيج: في العام 1835 كتب في يومياته أنّ «غرونتڤيج ينظر إلى تطوّر الفهم المسيحي[20] لا كتقدّم في طريق صعب بل أشبه بقاطرة بخارية تعدو على سكة حديد، حيث البخار يُشعله الحواريون، بحيث إنّ الفهم المسيحي جاهز في ماكينات مغلقة». إنه لا يثق بالطريقة التي ينتقد فيها غرونتڤيج المؤسسة المسيحية، نقدٌ يبدو أنه يسير يدًا بيد مع طموحه السياسي: الآن الكاهن الجدلي يُسخّر الروح الديمقراطية الجديدة للعام 1848، ويرشح نفسه إلى انتخابات «الهيئة الدستورية» للدنمارك[21]. وفيما هو يُبرز غرضه الديني كمؤلف، كان كيركغارد متلهّفًا لأن يُميّز رسالته عن مسيرة إدارة الحملة العائدة لغرونتڤيج: «كنتُ أعترض باستمرار على طرف معيّن من الأورثوذوكس هنا، ذلك أنهم يتكتّلون معًا في دائرة صغيرة ويقوّي كلّ واحد منهم الآخر معتقدين أنهم المسيحيون الوحيدون». هذه الهجمات الجدلية العنيفة قد تكون مؤثّرة سياسيًا، إلا أنها لا تستطيع أن تنجح في الرسالة الروحية المعقّدة، المُرهَفة التي يحتاج إليها المسيحيون في العالَم المسيحي: «مرةً في كلّ حين يظهر مُناصر مُتديّن[22] يقوم بهجوم شرس على العالَم المسيحي؛ يُثير جلبةً كبيرة، يستهجن الجميع تقريبًا كونهم غير مسيحيين - ولا يُنجز شيئًا. إنه لا يأخذ بالاعتبار بأنّ إزالة الوهم ليس شيئًا سهلًا للغاية».

في السنوات التي سبقت كتابته *إما/ أو*، راقب كيركغارد صعود غرونتڤيج في أحياء قريبة، مثلما راقب صعود مارتينسِن السريع إلى موقع جامعي مؤثّر. مينستر وكلاوسِن، بطبيعة الحال، وقفا أصلًا في قمة مهنتيهما. سمع هؤلاء الرجال الأربعة -كاهن اعتراف والده، أستاذه الجامعي في مادة اللاهوت، أقرب ندٍّ له، ومُرشِد شقيقه الروحي- يعلّمون نسخًا مختلفة من حقيقة المسيحية، وقد قوّتهم مواقعهم الدنيوية. وحتى مينستر، الذي تعاطف معه شخصيًا، كان قد توصّل إلى تسوية من خلال دوره كقائد لكنيسة دنماركية غير منفصلة عن

المؤسسة السياسية. في *إما/ أو* عارضهم كلّهم، مُظهِرًا أنه لا واحدة من هذه الشخصيات المسيحية الفعالة تنتمي للحقل الديني.

بالطبع، كيركغارد لم يدّعي أنه يتكلّم مباشرة من الحقل الديني. مع ذلك، الموعظة الدينية في نهاية *إما/ أو* رسمت تجربته المتعلّقة بأنه سُحِب إلى داخل النور الساطع للحقل الأخلاقي، حيث حَكَمت عليه العيونُ البشرية وواجه فشله الأخلاقي. وبحسب كيركغارد، يتوصّل الإنسان إلى معرفة حاجته إلى الله، عبر هذه التجربة الباعثة على القلق.

بدأت موعظته الدينية بابتهال، بأنّ «العقل المضطرب، والقلب الخائف قد يجدان الراحة». وبعدها وصف ضروب القلق والشكوك التي تأتي مع نوع المُعتقَد الأخلاقي الذي بشّر به مينستر، الذي يحثّ جماعاته بأن يبذلوا أقصى جهودهم، وأن يتصرّفوا بشرف قدر الإمكان، بينما هو يقرّ بأنّ البشر «كائنات ضعيفة وناقصة». هذه الطريقة من التفكير، كما اقترحت موعظته الدينية، تقود الشخص الجاد إلى حسابات لا متناهية تتعلّق بمسألة إلى أيّ مدى هو في الاتجاه الصحيح، وإلى أيّ مدى هو في الاتجاه الخاطئ. وبطبيعة الحال الجميع يُدلون بهذه الأحكام عن الآخرين في الأقل حالما يدلون بها عن أنفسهم: في الحقل الأخلاقي، يقيس الناس أفعالهم تجاه سلوك جيرانهم، يُقارنون عيوب أقاربهم، ويُطالبون بنصيبهم من الاستقامة والصلاح. من خلال توضيح أنّ الراحة من هذه الأحكام اللانهائية، وهذا القلق لا يُمكننا أن نجدها إلا عند الله، الذي يمتلك أمامه كلّ فرد على حد سواء يقينًا بأنه آثمٌ يحتاج إلى المغفرة، دعت الموعظة الدينية قرّاء *إما/ أو* أن يتجاوزوا الحقل الأخلاقي في قراءتهم لهذا الكتاب.

انتهى الكتاب بمناشدة مباشرة موجّهة إلى أبناء أبرشية القسّ الريفيين - وبمناشدة غير مباشرة موجهة إلى قرّاء كيركغارد المَدنيين:

> قد لا يمتلك صوتي قوةً وحماسة كافيتين كي يتغلغل إلى فكرك الأعمق[23] - أوه، لكن اسأل نفسك، اسأل بالشك الوقور الذي

تُخاطب فيه إنسانًا يكون قادرًا، كما تعرف، بواسطة كلمة واحدة أن يُقرّر سعادتك في الحياة، اسأل نفسك بمزيد من الجِدّ، فهو في حقيقة الأمر سؤال الخلاص. لا تحبس طيران روحك، لا تحزن على أفضل الكلمات المُلقِنة في داخلك، لا تبلّد روحك بأنصاف الأمنيات وأنصاف الأفكار، وواصل طرح السؤال إلى أن تجد الجواب؛ لأنه قد يعرف المرء شيئًا ما مرارًا ويعترف به، لأنه ربما تمنّى المرء شيئًا ما مرارًا وجرّبه، ومع ذلك فقط بواسطة الحركات الداخلية العميقة، فقط بواسطة عواطف القلب العصية على الوصف، تقتنع أنتَ أولَ مرة بأنّ ما عرفتَه ينتمي إليك، وأنّ ما من قوةٍ باستطاعتها أن تأخذه منك؛ لأنه فقط الحقيقة التي تُنوِّر هي الحقيقة المخصّصة لك.

أكمل كيركغارد *إما/ أو* في كوبنهاغن طوال ربيع، وصيف وخريف العام 1842؛ طلب من صديقه جينز فينسن جيودفارد، الذي كان يعمل في صحيفة ذه *فاذرلاند* أن يساعده في نشره باسم مستعار. وبعدها كما هو الحال الآن، فوّض جيودڤارد أن يحفظ سرّ تأليفه الكتاب. تنقيح مخطوطة الكتاب مهمة هائلة، وكان هو نافد الصبر: يوميًا كان يُحضِر كدسًا جديدًا من الصفحات إلى مكتب ذه *فاذرلاند* الكائن في كومباغر غيد. كان من دأبه أن يقضي النهار كلّه هناك، جنبًا إلى جنبًا مع أصدقاء جيودڤارد الآخرين الذين كانوا يتعاملون مع المكتب باعتباره «نوعًا من نادٍ». أزعج هذا الأمر رئيس تحرير الجريدة، كارل پلوغ – حيث إن كيركغارد تحديدًا كان يشتّت الانتباه ويسبّب الإلهاء: «يتعيّن على المرء أن يتخيّل ما يعنيه أن تجهّز جريدة[24] في وقت محدّد – وفي تلكم الأيام كان الوقت هو ساعة مبكرة من ما بعد الظهر، لأنّ مفتش الشرطة كان ينظر إلى عدد الجريدة قبل توزيعه – وفي الوقت نفسه أن يكون لديك شخص غير عملي مَستغرق جدًا في التفكير يجلس في المكتب، وبلا انقطاع يُحاضر أو يتكلّم من دون أدنى وعي بالمَشقّة التي يُسببها. مهما وجده پلوغ آسرًا، وعلى الرغم من شعوره الاعتيادي برغبة جارفة في الجلوس والإصغاء إليه، على الرغم من ذلك

كان ينبغي له أن يُنجز مهمته... مهمته اليومية، في حين كان جيودڤارد يجلس بوقار يُصغي عند قدميْ أستاذه».

نُشِر *إما/ أو* أخيرًا في فبراير 1843 حاملًا اسم ڤيكتور إرميتا، الذي من المفترض أنه حرّر الكتاب بعد أن وجد الأوراق المُهلهَلة لمُحبّ الجمال «A»، جنبًا إلى جنب مع رسائل القاضي وليم، في دُرج سرّي في طاولة كتابة مُستعمَلة. على الرغم من تكتم جيودفارد، فإن هوية المؤلف الحقيقي سرعان ما أصبحت معروفة للجميع. كتبت هنرييته ڤولف إلى صديقها هانز كريستيان أندرسِن في فبراير ذاك. «مؤخرًا نُشِر كتابٌ هنا، حمل عنوان *إما/ أو*! من المفترض أن يكون غريبًا للغاية، القسم الأول مليء بالولع بالنساء، التشكّك، إلخ.، والقسم الثاني جاء أقل حدّة ومهادنًا، منتهيًا بموعظة دينية يُقال إنها ممتازة للغاية. الكتاب بأكمله لفت الانتباه كثيرًا. في الحقيقة يُعتقَد بأنه من تأليف كيركغارد الذي تبنّى اسمًا مستعارًا: هل تعرفه؟».

بعد مضي بضعة أسابيع أبلغت أندرسِن صديقةٌ أخرى، سيجنا ليسوي، كانت تقرأ «*إما/ أو* من تأليف سورين كيركغارد». وجدت الكتاب «شيطانيًا» إنما جذّابًا. «ليست لديكَ أدنى فكرة أيّ إحساس أَحدَثه»، كتبت قائلةً لأندرسِن:

> لا أعتقد بأنّ كتابًا أحدث فتنةً كهذه[25] لدى جمهور القراء منذ أن وضع روسو كتابه *الاعترافات* على المذبح. بعد أن يقرأه المرء يحسّ بالاشمئزاز من المؤلّف، غير أنّه يُميّز بعمق ذكاءه وموهبته. نحن معشر النساء علينا أن نغضب بالأخص منه: على غرار المُحمَّديين، فهو يختار لنا حقل المحدودية، ويُقيّمنا فقط لأننا نلد، نُمتّع، ونُنقِذ معشر الرجال. في القسم الأول (هذا عمل عدد صفحاته 864 من قَطْع الثُمُن) يكون المؤلّف جماليًا، وهذا شر. في القسم الثاني يكون أخلاقيًا، وهذا شرٌ أقلّ قليلًا. الجميع يمدحون القسم الثاني لأن شخصيته البديلة، نصفه الأفضل هو الذي يتكلّم. القسم الثاني فقط يجعلني أشد غضبًا - إنه *هناك* يربط معشر النساء بالمحدودية. في حقيقة الأمر إني أفهم

فقط جزءًا من الكتاب؛ إنه فلسفي جدًّا بكلّ معنى الكلمة. على سبيل المثال «لا توجد نعمة إلا في اليأس؛ أسرع وايأس، لن تجد السعادة إلى أن تفعل هذا». في موضع آخر يقول: «سعادة الإنسان تستطيع أن تتكوّن فقط في اختيار المرء لنفسه». ماذا يعني ذلك؟

أندرسِن المسكين، لا يزال يتألّم ألمًا شديدًا من *أوراق شخص لا يزال حيًّا*، وأحسّ بأنّ مُراجِعه بات ندّه الأدبي. كتب إلى سيجنا: «ما بعثتِه إليّ بشأن كتاب كيركغارد لا يُثير فضولي. من السهل جدًّا أن يبدو المرء بارعًا لمّا يستخف بكلّ الاعتبارات ويُمزق إلى قطعٍ صغيرة روحَ امرئ ما وكلّ الأحاسيس المقدّسة!».

كيركغارد، من الناحية الثانية، لم يكن أقل حساسية من أندرسِن في ما يتصل بآراء أنداده. مع أنه كان يلتفت عادةً إلى الداخل، بحثًا عن الله، بعيدًا عن العالَم، لم يكن باستطاعته أن يفلت من ضروب قلقه المتعلّقة بمسألة ماذا يحسبه الأشخاص الآخرون. في الواقع، إنّ فضيحة كتاب *إما/ أو*، مع أنه نُشِر باسم ناسك، عرّضه إلى شعبية غير مسبوقة. الحقل الأخلاقي -لا يزال يدوّي بالأحكام التي أخجلته وجرحته بعد خطوبته المفسوخة- توسّع وأصبح مكتظًا أكثر وتكثّفت اهتماماته.

***

هنا في كنيسة سيدتنا صباح يوم الجمعة هذا، يتلقّى نوعًا مختلفًا من الاهتمام. دع الحشود التي في الخارج تصيح على غرونتفيج؛ أشخاص قليلون تجمعوا بهدوء، مستعدّين لتلّقي القربان المقدّس، ومهمته في تقديم العون جذبتهم إلى الداخل، بعيدًا عن العالم. إنه يفعل هذا من خلال تقديم جوهره، يقلب روحه من الداخل إلى الخارج. إن كان لديه شيءٌ يُقدّمه إلى جيرانه، هذا الشيء يأتي مِن كفاحه الطويل كي يفصل نفسه عن اهتماماته الدنيوية - وآماله المُحبَطة، وأمنياته المُهشّمة، وذكرياته المريرة.

يقول للمجموعة الصغيرة:لئن كان بمستطاع المسيح من موضعٍ عالٍ أن يسحب المسيحي إليه،

ثمة كثيرٌ مما يجب أن ننساه،[26] كثيرٌ مما يجب أن نغفله، كثيرٌ مما يجب أن يضمحل بعيدًا. كيف يُمكن أن يُنجز هذا؟ أوه، لو حدث أن كنتَ قلقًا، ربما قلقًا في ما يتعلّق بمستقبلك، نجاحك في الحياة، إن كنتَ راغبًا فعلًا بأن تكون قادرًا على نسيان شيء ما - سواء أكان أملًا مُحبَطًا، أمْنيةً مُهشَّمة، ذكرى مريرة وكَدِرة؛ أو إذا للأسف، غير مهموم في ما يتّصل بخلاص روحك، كنتَ ترغب بحماسة شديدة أن تكون قادرًا على نسيان شيء ما - قلِقٌ من الإثم الذي يواجهكَ باستمرار، فكرةٌ مُروِّعة لن تفارقك- عندئذ أنتَ نفسك بلا شك خبرتَ كم هي فارغةٌ النصيحة التي يُعطيها العالَم لمّا يقول: «حاول أن تنسى ذلك»! لأنكَ حين تسأل بقلق «كيف أشرع في النسيان؟»، ويأتي الجواب «يتعيّن عليكَ أن تحاول أن تنسى»، هذه مهزلةٌ فارغة لا غير، إن لم تكن أيّ شيء على الإطلاق. لا لئن كان هنالك شيءٌ تُريد أن تنساه، حاول أن تجد شيئًا آخر كي تتذكّره، عندئذ سوف تنجح بالتأكيد.

إنهم مجتمعون في الكنيسة حتى يتذكّروا المسيح: حتى يسمعوا من جديد الكلمات التي تكلّم بها يسوع في الليلة التي سبقت اعتقاله، وحتى يتناولوا الخبز والنبيذ، كما أوعز، «في ذكراي».

«سوف يسحب الجميع إليه؛ يسحبهم إليه، لأنه لن يُغري أحدًا إليه». يسوع المسيح لم يُغرِ أتباعه بعزاء بسيط، أو بوعود «السلطة والشرف والمجد». الحقيقة التي عاشها يسوع المسيح «أُهينت، سُخِر منها، وكما يقول الكتاب المقدس، بُصِق عليها» - مع ذلك ليس من الصحيح أن نُسهِب فقط في هذه الأشياء، أيضًا. المسيحيون ينبغي أن يُحبّوا يسوع المسيح في ضعفه وبؤسه وإذلاله، وفي مجده، «لأن الكآبة ليست أقرب إلى يسوع المسيح من الطيش؛ كلاهما دنيويان بالتساوي، كلاهما بعيدان عن الحقيقة بالتساوي، كلاهما بالتساوي في حاجة ماسّة إلى التحوّل». توجد، في الحقيقة طرائق كثيرة في

الذهاب إلى يسوع المسيح، مع ذلك كلّهم يحتشدون في مكان واحد -الوعي بالخطيئة- وكلّ إنسَان يجب أن يجتاز هذا المكان بقلبه هو:

مُستمعي أنتَ الذي يتوّجه إليه خطابي![27] اليوم إنه معك كما لو أنه أقرب إلى الأرض، كما لو أنه إذا جاز التعبير، يلامس الأرض؛ إنه حاضرٌ عند المذبح حيث تبحث عنه؛ إنه حاضرٌ هناك - لكن فقط بحسب الأصول مرةً أخرى من موضعه المرتفع يسحبكَ إليه... أوه، وهذا ليس صحيحًا، فقط اليوم وفقط لأنك تشعر بأنك منجذبٌ اليوم، لذلك السبب تحديدًا أنكَ بلا شك ستكون اليوم راغبًا بأن تعترف لنفسك وله كم تبقى، كم هو بعيدٌ عن أن يكون صحيحًا أنه جذبكَ إليه تمامًا - من موضعه المرتفع، بعيدًا عن كلّ ما هو خسيس ودنيوي من شأنه أن يُعيقك. أوه، مُستمعي، يقينًا لستُ أنا ولا أيّ إنسان آخر سيقول أو سوف يتجرأ على قول هذا لك؛ لا، كلّ إنسان سيكون لديه ما يكفي لكي يقوله لنفسه - ويتعين عليه أن يُسبّح للرب لو أنه تحرّك بما يكفي كي يقوله لنفسه. مُستمعي، لا أعرف أين أنت، إلى أيّ مدى ربما جذبكَ إليه أصلًا، إلى أيّ مدى قد تكون متقدّمًا في كونكَ مسيحيًا أكثر مني، ومن آخرين كثيرين جدًا، إلا أنّ الله وهبنا هذا اليوم، أينما تكون وكائنًا مَن تكون، أنتَ الذي أتيتَ إلى هنا اليوم حتى تساهم في الوجبة المقدسة لـ«لقربان الرب»، ذلك أنّ هذا اليوم قد يكون حقًا مُباركًا لك.

الفصل العاشر

التكرار

فلسفةٌ جديدة للحياة

تغيّر الفصل، السيطرة على البلاد غيّرت الأدوار، ويطلّ هو من الشبابيك الجديدة، إلا أنّ سماء الليل لم تتغيّر. وبمستطاعه أن يتخيّل البحر القريب، ويرتاح في هذا الليلة الهادئة. يُحاول أن يفتح روحه لهذا البحر العميق والشفاف تحت النجوم؛ من الممكن، على مدى بضع لحظات، أن يَدَع نفسه «يرتاح شفافًا في كنف الله»، وكما وصف تجربة الإيمان في *مَرَض حتى الموت*. هنا أحد أفكاره الأثيرة «لمّا يبذل البحر بأسه كلّه عندئذ سيكون مستحيلًا على وجه الدقة بالنسبة له أن يعكس صورة السماوات، وحتى أصغر حركة تعني أنّ الانعكاس ليس صافيًا تمامًا؛ لكن حين يُصبح ساكنًا وعميقًا، عندئذ صورة السماء تغطس عميقًا في العَدَم»، كتب في العام 1844. «مثل البحر بالضبط، حين يكون ساكنًا، عميقًا وشفافًا يشتاق للسماوات التي في الأعلى، هكذا أيضًا يفعل القلب الذي أصبح يشتاق اشتياقًا خالصًا للخير. وفيما يعكس البحر قوس السماء في أعماقه الصافية، هكذا أيضًا يفعل القلب الذي أصبح ساكنًا وشفافًا بعمق يعكس الجلال السماوي للخير في أعماقه الصافية»، في السنة الماضية، في 1847، كتب أنه يوجد على الدوام اشتياقٌ في هذا السكون - اشتياقٌ يُلامس ما يشتاق إليه، ويشتهيه أكثر بكثير. حين يَدَع اشتياقه للرب يملأ روحه ويوّسعها، يصمت كلّ شيء.

إنهاأكتوبر، وفي وقت سابق من هذا الشهر غيّر عناوينه للمرة الثانية في العام 1848. ولأنه غير قادر على تحمّل رائحة فناء الدّباغ الكائن في الأسفل، استأجر

شقة أخرى «راقية وغالية الثمن»[2] في الشارع نفسه روزينبرغ غيد. سكان كوبنهاغن يُغيرون منازلهم فقط في «يوم الانتقال السريع إلى منزل جديد» الذي يقع كلّ أبريل أكتوبر، «حين ينتقل كلّ أثاث المدينة بين الأحياء السكنية[3] والشوارع تمتلئ بالقش، والريش، والغبار، وكلّ ضروب القاذورات». بمعنىً من المعاني، هذه الفوضى العملية عادت عليه بالفائدة، لأنها أرغمته على أن يكتب بنشاط أقل: «هنا، أيضًا، «القضاء»(*) تدخّل لمساعدتي[4] وحوّل خطأي إلى خير. إن كان هنالك شيءٌ يُساعدني كي أكون أقل انتاجًا ويقلل زخمي ويُحدني عمومًا، فهي ضروب القلق والإزعاجات الدقيقة». كان قلقًا أيضًا في ما يتصل بالنقود، السندات التي اشتراها بالنقد من بيع 2 نيتورف سرعان ما انخفضت قيمتها لمّا أصبح الوضع السياسي في الدنمارك غير مستقر، وفَقَد مئات من مئات الريكس - دولارات. «إنه شيء جيد بلا ريب» تفكّر، «إني أصبحتُ واعيًا تمامًا بها في الوقت المناسب. كما أنها ساعدت في أن تواصل حرق كلّ ما هو موجود من الأنانية فيّ وفي عملي».

على الرغم من هذه الاضطرابات والشواغل، عَمِل على *وجهة النظر عن عملي كمؤلف* حين أتت انتخابات أكتوبر ومضت. كونه شرح الأصول الروحية لـ*إما/ أو*، تحوّل الآن إلى اعتبار العمل المختلف جدًا الذي أعقبه في ربيع 1843 - كرّاس رفيع يحتوي على موعظتين دينيتين. «الأهم يبدو في كثير من الأحيانغير ضروري»[5]: أول خطابين له كانا «زهرة صغيرة تحت غطاء غابة ضخمة»، وقد لقيا اهتمامًا قليلًا. مع أنه لم يكن في أفضل علاقات مع «الجمهور» مقارنة بالشهر الثاني أو الثالث بعد نشر *إما/ أو*، ما أنتجه إبان تلك الأسابيع بدا كأنه ذو أهمية قليلة بالنسبة للقرّاء الذين التهموا بانفعال «يوميات مُغوي». على الرغم من ذلك، تلك الصفحات الهادئة المتواضعة قدّمت «*صنف*» فلسفته المُهم، *ذلِك الشخص الوحيد*[6] «الذي تركّزت فيه رؤية كاملة للحياة ورؤية كاملة للعالَم» - وفي تلك اللحظة بالذات «قطع علاقته مع الجمهور». هذا ليس صنفًا

(*) القضاء Governance: المقصود هنا القضاء أو الحُكم الإلهي.

جديدًا، بل صنفٌ موغِلٌ في القِدم: استعاره من سقراط، «أغرب الرجال قاطبة». إلا أنه في العام 1848 أصبح هذا الصنف أهم من أيّ وقت مضى، لأنه «إذا كان الجمهور هو الشر، إذا كانت الفوضى هي التي تُهدِد، فثمة نجاة في شيء واحد لا غير، أن تُصبح فردًا منفردًا».

***

قبل رحلته الثانية إلى برلين في مايو 1843 مباشرة، رتّب لموعظتيه الدينيتين كي ينشرهما ب. ج. فيليپسين، الذي كان يُدير مخزن كتب ودار نشر حديثين إلى حدّ ما[7] في كومبرغيد، وهما متخصّصان بأعمال العِلم الشعبي. كانت إحدى الموعظتين الدينيتين [8] في «ترّقب الإيمان»(*) التي أصبحت لاحقًا الثيمة الرئيسة لـخوف ورعشة؛ أما الموعظة الثانية فكانت نص «عهده الجديد» المفضل لديه، من «رسالة جيمس»(**): «كل خير وكل هِبة مثالية هي من الأعلى وتهبط من «أب» الأنوار، الذي لا يُوجد فيه تغيير أو ظل اختلاف». *خطابا بناء* هما أول مجلّد من المجلدات الرفيعة العديدة التي تحتوي المواعظ الأدبية في النصوص الكتابية، وقد واصل الحفاظ على خطاباته الدينية، موقّعة باسمه، منفصلةً عن أعماله ذات الاسم المستعار التي نشرها ريتزل.

مع أنه أهدى *خطابا بناء* إلى أبيه الراحل، إلا أنه أعطاه مقدّمة موجزة - مؤرخة في 6 مايو 1843، عيد ميلاده الثلاثين - مُوجَّهة إلى «*قارئي*». هنا شرح قائلًا إنّ خطابيه لا يُمكن أن يُسمَّيا موعظتين لأنه لم يكن يأمر، وليس لديه تفويض بالوعظ. وصف كتابه الصغير بأنه انطلق في رحلته كي يُقابل «ذلك الشخص الوحيد الذي أسميه بفرح وعرفان بالجميل *قارئي*[9] ذلك الشخص الوحيد هو الذي يبحث عنه الكتاب، الذي يفتح له، إذا جاز التعبير، ذراعيه».

(*) الرسالة الإنجيلية إلى الغالاتيين The Epistle to the Galatians أو اختصارًا Galatians: هي الإصحاح التاسع من «العهد الجديد»، وهي رسالة الحواري بولس إلى المجموعات المسيحية المبكرة في غالاتيا الأناضول.

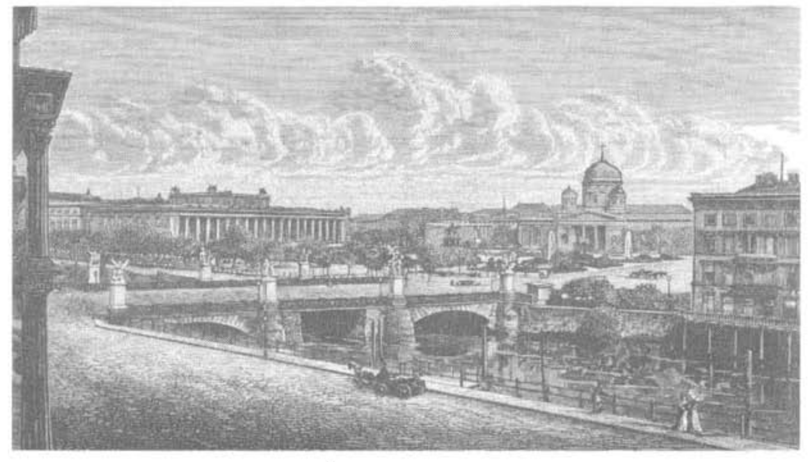
(**) رسالة جيمس Letter of James: هي رسالة إنجيلية عامة، وواحدة من الرسائل الإنجيلية الإحدى والعشرين في «العهد الجديد».

وأنه خلال ذلك الزمن الخصب استنتج كيركغارد أعمق دروسه الفلسفية من تجربته الشخصية، بدءًا بمناشدته الأولى لـ«الشخص الوحيد» في عيد ميلاده، واستمراره في الكتابة في برلين خلال شهر مايو ذاك. مع ذلك لم يكشف – ولا حتى في العام 1843، ولا الآن في العام 1848 – أنه لمّا كتب مقدّمته لـ*خطابا بناء* كان يفكّر بالأخص في ريجينه: «*قارئي*، لأنّ هذا الكتاب احتوى على تلميح صغير إليها». بينما كانت ريجينه تشغل باله، كتب بأُلفة مشبوبة العاطفة، أُعطيت نكهة الشوق، إلى «قارئ وحيد» – إلا أنه أدرك بسرعة أنّ باستطاعته أيضًا أن يُخاطب قراءً مجهولين كثيرين بهذه الطريقة. في أواخر أبريل 1843 كان لديه لقاء مُباغت مُدهش مع صاحب مطبعة مخطوطته:

> شيءٌ غريب بكلّ معنى الكلمة، في حقيقة الأمر. قرّرتُ أن أغيّر تلك المقدّمة الصغيرة[10] لـ«الموعظتين»، بما أنه خطر ببالي أنها آوت شبقًا روحيًا خفيًا... أهرع إلى المطبعة. ماذا يحدث؟ منضّد الحروف المطبعية يتوسّل إليّ كي أحتفظ بالمقدمة. مع أنني ضحكتُ قليلًا عليه، كنتُ أفكّر مع نفسي: حسنًا ليكن هو «الشخص الوحيد»! كان من دواعي سروري في ما يتّصل بهذا الشأن هو أنه في البداية جعلني أقرّر بأن يكون بحوزتي نسختان مطبوعتان كي أقدّم نسخة واحدة منهما إلى مُنضّد الحروف في المطبعة. إنه لشيءٌ مدهش حقًّا أن أرى عاطفته. منضّد الحروف – من كان يحسبُ أنه لا بد أن يكون متعَبًا من المخطوطة كالمؤلف!

مبتهجًا بهذه الفكرة الجديدة المتعلّقة بمسألة كيف أنّ كتابته قد تؤثّر في أشخاص وحيدين لا حصرَ لهم، انطلق متوجهًا إلى برلين، آملًا أن يكرر الانتاجية المُذهِلة لزيارته الأولى للمدينة. ولمّا وصل إلى هناك، أيضًا، كان قد ارتد إلى «الشخص الوحيد» الأصلي. مَشاهد وأصوات عائلية استحضرت ذكريات وصوله في العام 1841، عندما كان لا يزال مُصابًا بالدوار بسبب قطع علاقته مع ريجينه، واستدعى عواطف قديمة: الفقدان والحزن والذنب والعار

وعدم الثقة بالذات والقلق والإحساس بالمنفى من الحياة الاعتيادية - ومن ثم الانحرافات المؤقتة المعتادة إلى الإشفاق على الذات والتبرير الجريء للذات. «في اليوم الذي تلا وصولي كنتُ في حالة سيئة جدًا، على حافة الانهيار»، كتب إلى إميل بويسين في 10 مايو 1843. كان أصلًا في سترالسوند، حيث وصل بواسطة باخرة قادمة من كوبنهاغن، «كاد يجن وهو يسمع فتاة صغيرة تعزف على البيانو فالس ڤيبر(*) الأخير» - لأنه حين جاء إلى برلين من قبل، كانت هذه أول قطعة موسيقية يسمعها في تيبرغارتين، «عزفها رجلٌ أعمى على قيثارة».



مَشهد لـ"سـپري" و"لوستغارتين" من أوتيل دي ساكس في برلين

تآمرت المدينة كلّها كي تذكّره بذاته الأصغر سنًا، الجريحة منذ عهد قريب جدًا. وكما حصل سابقًا، أمضى أول ليلتين من لياليه في فندق أوتيل دي ساكس المترف على ضفة نهر سـپري: «لديّ غرفة تطلّ على الماء[11] حيث ترقد الزوارق. يا إلهي، كم يذكّرني هذا بالماضي. في الخلفية لديّ الكنيسة -

(*) المقصود هنا كارل ماريا ڤون ڤيبر (1786-1826)، وهو مؤلّف موسيقي، قائد فرقة موسيقية، عازف قيثارة، عازف بيانو وناقد ألماني. يُعدّ أحد أهم المؤلّفين الموسيقيين في العهد الرومانسي.

وعندما تُعلن الدقّات الساعات تذهب مباشرةً إلى نخاع عظامي». وبعدها رجع إلى المنزل في زاوية جيندَرمين ماركت حيث أقام في أثناء زيارته الأولى. ومن ثم شغل الطابق الثاني - «إلا أنّ صاحب المبنى السكني تزوّج ولهذا أنا أعيش كالناسك[12] في حجرة واحدة، حيث حتى سريري يقف»، كتب إلى إميل.

كانت العادات السابقة قد تجددت على الفور، كما لو أنّ المدينة خزّنتها من أجله بأمان، وهي جاهزة لعودته. استأنف مسيراته اليومية الراجلة على طول تحت أشجار الزيزفون؛ بدا «كما لو أنّ كلّ شيء قد صُمم كي يُعيد الذكريات»، لأنه حتى تلك الأشياء التي تغيّرت منذ رحلته الماضية هيّجت أحاسيس من الماضي. مالك مبناه السكني الذي تزوّج حديثًا، كان «أعزب مُؤكّدًا» قبل أقل من عامين، شرح التغيير الذي طرأ على قلبه: «المرء يعيش مرة واحدة، ويتعيّن عليه أن يجد شخصًا يستطيع أن يجعل نفسه مفهومًا بالنسبة له. كم يوجد من هذا في ذاك؛ بخاصة حين يُقال من دون ادعاء على الإطلاق. وبعدها يصيبك فعلًا».

بعد عام ونصف من التخلّي عن ريجينه، لا يزال يحاول أن يفهم التغيّر الذي طرأ على قلبه. كونه طلب يدها للزواج ومن ثم واجه قناعته العميقة بأنه لا يستطيع أن يتزوجها، وجب عليه أن يفسخ الخطوبة كي يبقى صادقًا مع نفسه - صادقًا مع إحساسه الظاهر المتعلّق بمسألة مَن يكون هو، وماذا يجب أن تكون حياته. ومع ذلك أفكاره ظلّت ترجع إلى ريجينه؛ لَبِس خاتم خطوبتها، جدّده إلى صليب من ماس. منذ افتراقهما كان يصلّي لها يوميًا، عادة مرتين في اليوم[13] وهكذا هذه الرحلة الثانية إلى برلين أحيت مسألة فلسفية، مشتبكة مع مسألة الوفاء التي شغلته. مَن يكون هو، سورين كيركغارد، وكيف تحمّل هذا طوال الزمن؟ هل كانت خيوط الذاكرة التي تربطه بالماضي قويةً بما يكفي كي يحصل على هويته وسط التدفّق المستمر للتجارب واللقاءات غير المتوقّعة؟ هل استراحت الروح الأبدية في داخله فيما هو يتحرّك عبر المناظر الطبيعية المتغيّرة؟ هل باستطاعته أن يجد نفسه فقط من خلال المضي إلى الوراء، واستذكار الشخص الذي تعوّد أن يكونه؟ هل يتعين عليه من هنا أن يكون مُقيّدًا إلى الماضي، في حين أنّ الحياة ينبغي أن تُعاش إلى الأمام؟

لمّا انقضت عليه حياته الماضية في الـ«تيبرغارتين»، في جندَرمين ماركت، تحت الأشجار المُزهِرة على طول «تحت أشجار الزيزفون»، فكّر في مسألة كيف يُحتَمل أن يجد الاستقرار والثبات من خلال التكرار. الزوج المخلص يؤوب إلى زوجته كلّ ليلة؛ المسيحي المخلص يعود إلى الله يوميًا في الصلاة، كلّ يوم أحد في الكنيسة؛ أفكار الأم تعود باستمرار لابنها أو ابنتها. من خلال هذه التكرارات يفي الناس بوعودهم، ويتحمّلون طوال الزمن. إنهم يرجعون إلى أنفسهم، إلا أنهم يخطون إلى الأمام، وليس من خلال العودة إلى الوراء - بهذه الطريقة يبقى البشر صادقين في حبهم. في كلّ خطوة يتخذها في رحلته الطويلة صوب «المروه»، كان النبي إبراهيم يكرّر وثبة إيمانه؛ في كلّ خطوة في طريقه إلى البيت، كان يبتهج ثانيةً بهدية إسحق. في كلّ حركة صغيرة من حركاته جدّد ثقته في الله.

مع ذلك كلّما تأمل كيركغارد التكرار، هذا التكرار يُحيّره ويُربكه أكثر. إذا ما تحدّثنا بشكل صارم، إنه لمن المستحيل أن نكرّر أيّ شيء، لأنّ ما كان جديدًا أولَ مرة يُصبح عاديًا ومألوفًا في المرة الثانية، وبالتالي تغيّرَ؛ المرة الثالثة تقوّي ذكريات أو عادات المرة الثانية. إنّ فعل التكرار بالذات يُنتج هذه الاختلافات - كما لو أنّ التكرار يُقاوم نفسه باستمرار! تكرار تجربته السالفة في برلين رَبَطه بنفسه السابقة، ومع ذلك جعلته أيضًا واعيًا بالزمن الذي مضى، وكيف تغيّر هو في الشهور التي وقعت بين هاتين الزيارتين. العودة إلى هذا المكان الأليف يضعه مباشرةً في تماس مع المفارقة العميقة للثبات والتغيير، التماثل والاختلاف؛ هذه المفارقة التي تجعل التكرار مراوِغًا جدًا.

بوحيٍ من اكتشافاته الفلسفية، أمضى كيركغارد أيام الربيع تلك في برلين يكتب بشراسة. فما إن يتعافى من الرحلة الطويلة - الباخرة التي تبحر طوال الليل، مركبة الجياد العمومية الرهيبة والقطار العجيب - حتى يذهب صباح كلّ يوم يذهب إلى المقهى الذي كان تردّد عليه خلال زيارته الأولى للمدينة، إذ يجد فيه «قهوة أفضل من تلك التي في كوبنهاغن، وجرائد أكثر وخدمة ممتازة»[14]. بعدها يباشر بالكتابة.

لقد وجد أن تغيير المَشهد عاد عليه بالفائدة. كتب إلى إميل بويسين في 15 مايو: «عندما لا يمتلك المرء أيّ وظيفة مُحدّدة في الحياة مثلما لا أملك[15]، إنه لمن الضروري أن يكون لديّ انقطاعٌ كهذا بين الحين والآخر. مرةً أخرى الآلة التي في داخلي تعمل بكفاءة، المشاعر سليمة، متناغمة، إلخ.». كان هذا في أقل من أسبوع بعد وصوله إلى برلين، إلا أنه يستطيع أن يُخبر صاحبه «لقد أنجزتُ أصلًا ما يُحتمل أن أرغب... الآن أنا أتسلّق».



رسم تخطيطي لكيركغارد وهو يقرأ في مقهى، 1843

سرعان ما حوّل تجاربه في التكرار وذكرياته إلى نص فلسفي، مالئًا دفتريْ ملحوظات مع مسوّدة لـ*التكرار*. وفيما هو يعيش هذه الذكريات ثانية، بدأ نقدًا أصليًا لمذهب التذكر لدى أفلاطون، معتمدًا على ملحوظات أخذها معه إلى برلين. إبان الشهور الأولى من العام 1843 اكتسب فهمًا أعمق لأفلاطون من خلال دراسة الفلاسفة اليونانيين الذين أتوا قبله وبعده: قرأ عن الإيليتيين[*]، والشكوكيين، والكلبيين، والرواقيين وأرسطوطاليس. استعمل دفتر ملحوظات،

(*) الإيليتيين Eleatics: أيّ المنتمين للمدرسة الإيليتية، وهي مدرسة فلسفية قبل سقراط، أسسها پارمينيديس في مطلع القرن الخامس ق. م. في المدينة الغابرة (إيليا).

حمل رقعة «فيلوسوفيكا»[16] كي يُسجّل تفاصيل نظريات الإغريق الميتافيزيقية، مأخوذة من منهج دراسي ألماني في تاريخ الفلسفة. دفتر الملحوظات هذا احتوى أيضًا على سلسلة من الأسئلة غير المحلولة[17]، كلّ واحد منها مكتوب في أعلى صفحة فارغة: ماذا أتعلّم من التجربة؟ وما الإنساني عمومًا، وهل ثمة شيء إنساني عمومًا؟ أي نفسٍ تبقى عندما يخسر الفرد العالَم بأسره، ومع ذلك لا يخسر نفسه؟

ذلك السؤال الأخير كرّر السؤال الوارد في «إنجيل مرقس» الذي كتبه في يومياته في اليوم الذي قابل فيه ريجينه أول مرة في العام 1837: «ماذا ينفع الإنسان لو أنه يربح العالَم كلّه، ولكن يخسر نفسه؟». بعد مضي ستة أعوام، هذا السؤال أصبح معكوسًا: عالَمٌ واحد على الأقل، فُقِد - لكن أين هي النفس التي كان يتمنّى أن يكسبها؟ أدرك هو أنّ هذه الأسئلة الفلسفية العميقة تُشغِّل ثانيةً في داخل نفسه السجالَ الذي دار بين اليونانيين الغابرين، الذين تأمّلوا الكون مثلما تأملوا أنفسهم، ساعين إلى اكتشاف أسرار الوجود.

في البداية كان هناك هيراقليطس، الذي خبّر أنّ كلّ شيء في حالة حركة. الطبيعة كلّها تتدفّق كالنهر، تشتعل كالنار بلا مادة بلا جوهر، وهذه هي الحقيقة الوحيدة التي عَرِفها، لأنه يستطيع أن يجرّبها. وهو يحوّل انتباهه إلى الداخل، شعر هيراقليطس بأحاسيس تتدفّق، بعواطف تضطرم. إلا أنّ پارمنيدس اكتشف حقائق أزلية في الرياضيات: كان يعتقد بأنّ هذه العلاقات الثابتة صحيحة فعلًا، وسائر الأشياء المتحوّلة التي ظهرت لحواسه - الرياح، البحار، النجوم - هي محض أوهام. أتباعه الإليتيين، من بينهم كزينوفان بمفارقاته الشهيرة، جادل قائلًا إنّ الحركة والتغيير مستحيلان منطقيًا. كيف يستطيع أيّ شيء جديد أن يبرز إلى حيز الوجود؟ إما لا يوجد شيء، أو يوجد شيءٌ ما؛ وأين هو الوقت للبروز بين هذه الحالات المتضاربة من الغياب والحضور؟ أرسطوطاليس تلميذ أفلاطون حاول أن يحلّ هذه المفارقة من خلال تعريف التغيير باعتباره تحرّكًا من الوجود الكامن إلى الوجود الحقيقي: الميزات الجديدة التي تظهر كالشجرة التي تنمو حتى البلوغ -الأغصان، الأوراق، الثمرة- موجودة بصورة كامنة أصلًا، مع أنها لم تتحقّق في الأصل. وفيما تمدّ الشجرة أغصانها، الأوراق

تفتش عن الضوء، تُري الإنسان طبيعته. «سر الوجود كلّه: الحركة»[18]، كما كتب كيركغارد في دفتر ملحوظاته.

تلك الدراسات العائدة للفلسفة الإغريقية الغابرة ساعدته كي يرى كيف أنّ تعاليم أفلاطون التي مفادها أنّ المعرفة هي ذكرى ردّت على سؤال غابر يتعلّق بالارتباط بين الحركة والخلود. علّم أفلاطون أنّ الحيوات البشرية تمتد بين الزمن والخلود: بين عالَم هيراقليطس الخاص بالتغيير والصيرورة، وحقائق پارمنيدس المثالية، السرمدية. أيّد أفلاطون پارمنيدس بأنّ الحقيقة ثابتة لا تتغير - مع ذلك حيواتنا المتجسدة تبدأ بالتكشّف وتنتهي في إطار هذا العالَم المتغيّر. *هذا* هو مكاننا في التعلّم، هذه هي أكاديميتنا: كلّ روح تسافر في رحلة عودتها إلى الخلود، عبر عالَم الصيرورة، الذي يقدّم رسائل تذكيرية عن الحقائق السرمدية. عند رؤية امرأة جميلة، تستذكر الروح جمالًا خالدًا، عفيفًا؛ ولمّا تلمسها طيبةٌ جزئية ونسبية لفعل إنساني، تستذكر الروحُ (الفكرةَ) النقية الخاصة للخير، العادل والمُطلَق. ناقش أفلاطون أنّ المعرفة مشغولة بالثابت، الذي لا يتغير - إلا أنه أكّد أيضًا أنّ المعرفة هي بحد ذاتها حركة، سعي، في اتجاه الخلود. مُستلهِمًا سقراط، علّم أنّ عيش حياة إنسانية حقيقية يعني القيام بحركة التذكّر هذه.

مُسلّحًا بهذه المدارك في فجر الفلسفة الأوروبية، بدأ كيركغارد *التكرار* بنقد موجز للتقليد كلّه، من الإغريق الغابرين إلى الألمان الحديثين - ذلك أنّ هيغل أيضًا حلّل حركة المعرفة، كاشفًا كيف أنّ مفهومًا واحدًا يبرز منطقيًا من مفهوم آخر بأسلوب ديالكتيكي يُفضي بنحو تقدّمي إلى حقيقة مطلقة. في *التكرار* حوّل كيركغارد مصطلح أفلاطون «الذكرى» إلى لقب لعملية التفكير التي تحوّل الحياة إلى آراء، في محاولة لفهمها. الذكرى تُنتج الحقيقة بصيغة معرفة، لكن حين يسأل الإنسان كيف هو نفسه يقدر *أن* يكون *صادقًا* -صادقًا مع شخص آخر، أو صادقًا مع الله، أو صادقًا مع نفسه- هو مَعني ليس بحقيقةٍ ما كي تكون معروفة، بل بحقيقةٍ ما كي تُعاش. هذه الحقيقة هي مسألة أمانة، ثبات، استقامة، أصالة. واعيًا بالتذبذب في روحه، ولا يزال في الأغلب يجهل مَن يكون هو وماذا يُحتمَل أن يكون، تساءل كيركغارد كيف بوسعه أن يُعطي وعدًا بأن يكون مُخلصًا

للآخرين، كونه يعرف أنّ رأيه قد يتغيّر. وكيف يستطيع أيّ إنسان، وجودُه في حركة مستمرة، أن يحقق الثبات في ما يتصل بعلاقته مع الله؟

جوابُ هذه الأسئلة كلّها، الذي دوّنه بيده الصغيرة، المائلة[19]، في تلك الحجرة الوحيدة الواقعة في جيندَرمين ماركت، هو التكرار. إنّ علاقة ما –سواء مع شخص آخر، أو مع الله، أو مع نفسه– لن تكون شيئًا ثابتًا، جامدًا. إذا كانت لا بد أن تستمر طوال الزمن، ينبغي أن تتجدّد مرارًا. وكلّ نفس إنسانية مصنوعة من هكذا علاقات. وبحسب كيركغارد فإن «الصنف الجديد» من التكرار سوف يسمح أخيرًا للفلسفة بأن تقول شيئًا ذا مغزى عن حقيقة الحياة.

من الناحية الثانية، كان يُكافح كي يُجدد حقيقة حياته هو – لأنّ *التكرار* هو قصة مُنقَّحة من أزمة خطوبته بالإضافة إلى كونه بيانًا للوجودية. طمر تأمّلاته الميتافيزيقية في ثنايا سرد سيكولوجي تجريبي، مُقسّمًا نفسه، مرةً أخرى، إلى شخصيتين: فيلسوف هاوٍ يُدعى قسطنطين قسطنطينوس سافر مرتين إلى برلين، وصديقه، وهو شاب كان يود أن يقطع علاقته مع خطيبته ويُصبح كاتبًا. كلا هذين الرجلين كان سفيهًا، مع أنهما كانا سفيهين بطريقة مختلفة. كانا يلعبان بقصة مكوّنة من وقائع في حياة كيركغارد، تتبع بشكل غير دقيق أسلوب رواية غوته المبكرة التي جاءت على هيئة رسائل معنونة (*آلام الشاب ڤيرتر*)، وهي نصٌّ مؤسِس في الأدب الرومانسي، كان قد ألهمَ أصلًا ف. س. سيبيرن، بروفيسور كيركغارد السابق في مادة الفلسفة، كي يكتب رواية من نوع مُشابه.

راوي *التكرار* قسطنطين قسطنطينوس، يقترح نظريةً جديدة للحقيقة، إلا أنه على الرغم من سعة اطلاعه لا يفهم تمامًا نظريته. إنّ الكتابة بصوت هذه الشخصية أتاح لكيركغارد أن يُطالب بحقوقه كفيلسوف بينما يُشير إلى حدود مقاربة فكرية خالصة لمسائل الوجود. «مسألة التكرار سوف تلعب دورًا مهمًا للغاية في الفلسفة الحديثة»[20] يُعلن قسطنطين بجرأة، بعد أن يُسقِط إحالةً لا مبالية على ميتافيزيقا ليبنتز «لأنّ *التكرار* تعبيرٌ حاسم لِما كانت عليه [الذكرى] بالنسبة للإغريق. بما أنهم قالوا إنّ المعرفة هي تذكّر، لذا فإن الفلسفة الحديثة سوف تُعلّم بأنّ الحياة كلّها هي تكرار... التكرار هو الصنف الجديد الذي سيُكتشَف!».

1.

مخطوطة التكرار: الصفحة الأولى

كونه رسم تخطيطًا لنظرية التكرار العائدة له في فقرات مُبهَمة قليلة، يقرر قسطنطين قسطنطينوس أن يختبرها من خلال الرجوع إلى برلين، وهي مدينة زارها مرةً من قبل. بينما كان الدنماركيون الأثرياء الآخرون يسافرون إلى الخارج كي يروا مناظر طبيعية لافتة، أو كي يركبوا في قطار -أو إذا كانوا في لندن، يأخذون مركبة تمر عبر النفق الجديد تحت التايمز[21]- قسطنطين يوّد أن يسافر من دون غرض مُحدّد باستثناء أن ينتبه إلى الناس ويتفلسف. «رحلته الاستقصائية» ستكون تجربة في «الاحتمال ومعنى التكرار»[22].

في برلين، يعود قسطنطينوس إلى مقر إقامته السالِف في (جيندَرمين ماركت)، كي يكتشف «ما إذا التكرار مُمكن». لديه شغفٌ بذكريات هذا المكان:

> جيندَرمين ماركت هي يقينًا أجمل ساحة في برلين[23] *das Schauspielhaus* [المسرح] والكنيستان أمكنة فاتنة، بخاصة لمّا يُنظر إليها من النافذة على ضوء القمر. إن ذكرى هذه الأشياء سببٌ مهم لأن أقوم برحلتي هذه. يصعد المرء الدرجات المؤدية إلى الطابق الأول في مبنى مُضاء بالغاز، يفتح بابًا صغيرًا، ويقف في الرواق. في ناحية اليسار ثمة بابٌ زجاجيّ يؤدّي إلى غرفة صغيرة. إلى الأمام مباشرة توجد حجرة انتظار. وما وراءها غرفتان متطابقتان تمامًا، مجهّزتان بأثاث متطابق، بحيث إنّ المرء يرى الغرفة تتضاعف في المرآة. الحجرة الداخلية مُضاءة بنحو يدل على حسن الذوق. ثمة شمعدان ينتصب على طاولة كتابة؛ كرسي بمسندَيْن مُصمّم بنحو جميل مُنجّد بمخمل أحمر ينتصب أمام المكتب. الحجرة الأولى غير مُضاءة. هنا الضوء الباهت للحجرة ينصهر مع الضوء القوي للحجرة الداخلية. حين يجلس المرء على كرسيّ بجوار النافذة، يطل على الساحة الكبيرة، يرى ظلال المارة وهم يِغذّون خطواتهم على طول الجدران؛ كلّ شيء تحوّل إلى جو مسرح. عالَمٌ رائع الجمال يومض في خلفية الروح. يستشعر

المرء رغبةً في أن يطرح على كتفيه رداءً خارجيًا بلا كُمَّين، أن ينسلّ بخفّة على طول جدار بنظرة باحثة واعيًا بكلّ صوت. المرء لا يفعل هذا إلا أنه ببساطة يرى نفسًا متجدّدة تفعله. وبعد أن يدخّن سيجارًا، يعود المرء إلى الحجرة الداخلية ويباشر بالعمل. الوقت هو بعد منتصف الليل. يطفئ المرء الشموع ويُشعل شمعة ليلية صغيرة. يسود ضوء القمر ويسيطر. ظلٌ وحيد يظهر أكثر سوادًا؛ آثار أقدام وحيدة تستغرق وقتًا طويلًا كي تتلاشى. قوس السماء الخالي من الغيوم له شكلٌ حزين وكئيب كما لو أنّ نهاية العالَم قد حلّت والسماء، لاشيء يعكّرها، مشغولةٌ بنفسها. ومرةً أخرى يدخل المرء إلى الرواق، إلى تلك الغرفة الصغيرة، و-إذا كان المرء واحدًا من المحظوظين القادرين على النوم- يمضي إلى الفراش.

واحسرتاه، الواقع لا يضاهي ذكرى قسطنطين الحالمة عن مقر إقامته في برلين - جزءٌ [من إقامته] مسرح، جزءٌ كهف أفلاطوني، جزءٌ انسحاب إلى الكتابة - بنظرتها المنعزلة عن العالَم. منذ زيارته السالِفة، تزوّج مالك المبنى السكني، وحجرة واحدة فقط متوافرة للاستئجار. وسرعان ما تعاقبت خيبات أمل أخرى. قسطنطين يؤم «مسرح كونيغشتادر» كي يرى الممثلين أنفسهم يؤدون أدوار المسرحية الهزلية ذاتها التي استمتع بها المرة السابقة: إنه يتذكّر جلوسه في صالة المسرح الهادئة، وحيدًا في مقصورة، مسلمًا نفسه للضحك - إلا أنه في هذه الزيارة الثانية كان المسرحُ مزدحمًا، ما من مقصورة فارغة، لا يستطيع أن ينعم بالراحة، والمسرحية لا تُسلّيه؛ بعد نصف ساعة يتخلّى عن مشاهدتها ويغادر. يعود إلى حجرته، حيث رونق كرسي المخمل الأحمر يبدو كأنه يسخر من مقر إقامته الضيّق. الإنارة خاطئة كلّها. ينام نومًا سيئًا تلك الليلة.

في صبيحة اليوم التالي، فيما هو يحاول أن يعمل، أفكارٌ تتعلّق بماضيه تمنعه من التفلّسف:

ذهني عقيم، خيالي المضطرب يستحضر باستمرار[24] ذكريات

جذابة مشوّقة تتعلّق بالكيفية التي تقدّم فيها الآراء نفسها لآخر مرة، والعنصر غير المرغوب فيه من هذه الذكريات خنق كلّ فكرة عند ولادتها. خرجتُ إلى المقهى حيث كنتُ أمضي إليها يوميًا في المرة الفائتة كي أستمتع بتناول المشروب الذي، بحسب وصية الشاعر، حين يكون «صافيًا وساخنًا وقويًا وليس سيئ الاستعمال»، يُمكنه أن يقف جنبًا إلى جنب مع الشيء الذي يُقارنه به الشاعر، أي الصداقة. على أي حال، أنا عاشق للقهوة. أغلب الظن القهوة جيدة بنفس القدر كما في المرة الماضية؛ تقريبًا يتوّقع المرء أن تكون هكذا، إلا أنها لم تنل استحساني. كانت الشمس عبر شبّاك المقهى حارّة وساطعة؛ وكانت الحجرة رطبة بنفس رطوبة الهواء في قدر صغير ذي مقبض، يُطبخ.

أُحبطت كلّ محاولاته في أن يعيش ذكرياته من جديد، ويُصبح قسطنطين «سئمًا من التكرار». «لم يكن اكتشافي مهمًا، مع ذلك هو اكتشاف غريب»، «لأني اكتشفتُ أنه ببساطة لا يوجد تكرار، وقد تأكّد اكتشافي كونه تكرّر في كلّ طريقة ممكنة».

من ناحية ثانية، صديق قسطنطين يتغلّب عليه نوعٌ آخر من الذكرى. هذا الشاب، الذي «مظهره الوسيم، وعيناه الكبيرتان البرّاقتان، وسيماؤه الوقحة»[25] كلّها تستهوي قسطنطين، هو «عاشق متيّم، يعيش تجربة حب عميقة وجميلة ومتواضعة». إلا أنه كئيب: حبه لخطيبته سرعان ما تحوّل إلى اشتياق، وحتى إلى حزن وأسى، وبدأ «يتذكّر غرامه». كونه حوّل خطيبته إلى فكرة ثابتة، باستطاعته أن يستدعيها ويتحسّر عليها متى شاء، لم تعد له علاقة بها ككائن حيّ. يلاحظ قسطنطين أنّ صديقه «فرغ تمامًا من العلاقة كلّها»، مع أن صديقه لم يكن قد أدرك ذلك بعد: «من الجليّ أنه سوف يكون تعيسًا[26] وأنّ الفتاة سوف تكون هي أيضًا تعيسة، وهذا الأمر ليس قليل الوضوح، مع أنه ليس ممكنًا حالًا أن تتنبأ كيف سيحدث ذلك... ما من شيء يجرّه خارج الاشتياق الكئيب بحيث إنه

لم يكن يقترب جدًا من حبيبته فيما هو يتخلّى عنها. كانت غلطته غلطةً لا شفاءَ منها، وغلطته هي هذه: كونه توقّف في النهاية بدلًا من أن يتوقّف في البداية».

يُدرك الشاب شيئًا فشيئًا أنّ هناك «سوء فهم» بينه هو وبين خطيبته، وفيما هي تغدو «تقريبًا عبئًا عليه» يرى قسطنطين «تغيّرًا لافتًا» في صاحبه: «إبداعٌ شاعريّ استيقظ فيه[27]، إلى درجةٍ لم أكن أعتقد بأنها ممكنة. الآن فهمتُ الوضع كلّه. الفتاة اليافعة لم تكن حبيبته: كانت المناسبة التي أيقظت الشاعري فيه وجعلته شاعرًا. ولهذا السبب لا يستطيع سوى أن يعشقها، لا ينساها البتة، لا يُريد أن يُحب فتاةً أخرى، وهو يشتاق إليها باستمرار. انجذبت إلى كيانه كلّه؛ ذكراها حية إلى الأبد. إنها تعني شيئًا كثيرًا جدًا بالنسبة له، جعلته شاعرًا - وفي فعلتها هذه وَقّعت عقوبة موتها».

لمّا تقرأ ريجينه هذا، سوف تجد تفسيرًا جديدًا لسلوك كيركغارد: بينما ثبّت *إما/ أو* ضلالة أنه استغلها بقسوة، أوحى *التكرار* أنه أحبها بشكل خاص، بالطريقة الوحيدة التي كان قادرًا على أن يحب فيها أيّ امرأة. هذا الكتاب كشف أيضًا إستراتيجيته السابقة في الحيلة. «أن تحوّل نفسك إلى شخصٍ حقير»[28] ينصح قسطنطين صاحبه - هذا من شأنه أن يُتيح لخطيبته أن تغدو «القاهِرة»، لأنها حينئذ «تكون مُحقّة تمامًا وأنتَ مُخطئ تمامًا».

استياء كيركغارد وغضبه من ريجينه ومض عبر هذه الأفكار المتعلّقة بالتضحية بالذات. «لا يُمكنني أن أنكر أني رويدًا رويدًا توصّلتُ إلى النظر إلى حبيبة الشاب بعين منحازة»، يعترف قسطنطين: «ذلك أنها ينبغي ألا تلاحظ شيئًا مهما كان، ولم تكن تشكّ في معاناته وفي السبب الكامن وراءها، وإذا شكّت في ذلك فهي لم تفعل شيئًا، لم تقم بأيّ مجهود كي تنقذه من خلال إعطائه الشيء الوحيد الذي يحتاجه والذي هي وحدها تستطيع أن تعطيه له، أيّ، حريته». إنه يعتقد بأنّ حب الأنثى ينبغي أن يكون حبًّا قربانيًا، فالمرأة تُصبح مسترجلة إذا كان لديها «أنانية» كافية كي تتصوّر أنها «تبرهن على صدق حبّها من خلال الالتصاق بحبيبها بدلًا من التخلّي عنه». امرأةٌ كهذه، يقول بمرارة، «لديها مهمّة سهلة للغاية في الحياة، تُتيح لها أن تتمتّع ليس فقط بسمعة ووعي كونها

وفية، بل أن تستمتع أيضًا بعاطفة الحب المصفّاة بنحو رائع للغاية... الله يحمي الإنسان من وفاءٍ وصدق كهذا!». وعلى أي حال، قسطنطين لا يجد هذه المرأة استثنائية بأي شكل؛ إنه يندهش من أنها ذات أهمية بالغة بالنسبة لصاحبه، «لأنه لا يوجد أثرٌ لأيّ شيء مُثير فعلًا»[29]، أو مُبهج أو خلّاق. كما يكون الحال عادةً مع الأشخاص الكئيبين - إنهم يُعوّقون أنفسهم. لقد حوّلها إلى مثال، والآن هو يعتقد بأنها هي تلك... ما يُعوقه، ليس كون الفتاة محبوبة على الإطلاق بل ندمه كونه أخطأ معها من خلال زعزعة حياتها».

هذه الصفحات من *التكرار* كرّرت تدوينًا في اليوميات كتبه في برلين يوم 17 مايو 1843، حيث الحب المثالي والندم الرومانسي تصارعا بغضب، شكاوى مُبرِئة للذات تتعلّق بـ«غرور» و«غطرسة» ريجينه. في أثناء وبعد قطع العلاقة بينهما، حاول كيركغارد أن يلعب دور البطل بأن يلعب دور النذل، متظاهرًا باللامبالاة والقسوة، ومُضحّيًا بسمعته كي يجعلها تحسّ بأنها أسعد إفي فقدانه. امتعض من هذا الدور، وامتعض من ريجينه أيضًا لأنها لم تطلق سراحه بنحو أسهل، لأنها جعلته يحسّ - ويبدو غاضبًا جدًا. وكالعادة، الحساسية التي تجعله مشبوب العاطفة للغاية في نظر الآخرين عطّلت أيضًا إحساسه بالأذى؛ الدفاعية خنقت شهامته، وتفاعل هو بصورة قاسية. قال معترضًا: «إذا ما تكلّمنا من الناحية الإنسانية كنتُ مُنصِفًا معها»[30]، «بمعنى فروسي، أحببتُها أكثر بكثير مما أحبّتني، لأنها بخلاف ذلك لم تُظهِر لي الغرور ولا حذّرتني تاليًا بزعيقها... لقد تصرّفتُ بشهامة معها في ألّا أدعها ترتاب في وجعي».

بينما ينتقد قسطنطين النسخة القصصية من ريجينه، البطل الشاب في *التكرار* لا يستطيع أن يدعها وشأنها. صراع كيركغارد الداخلي انكسر(*) عبر العلاقة المتناقضة بين هاتين الشخصيتين: قسطنطين يجد صديقه «مضطربًا بكلّ معنى الكلمة، مثل أيّ شخص مُصاب بالكآبة[31]، وبمعزل عن اضطرابه، وبسببه أيضًا، كان في حالة مستمرة من التناقض الذاتي. إنه يُريدني أن أكون صديقه الحميم،

(*) انكسر refract: أيّ بطريقة انكسار الضوء.

ومع ذلك هو لا يُريد هذا». الشاب يُروَّع بموقف قسطنطين البارد، المستقلّ، حيال وضعه. إنه يُغادر المدينة، ويكتب الرسائل إلى قسطنطين: يبلغه بأنه يغطس في ذكريات حبيبته؛ وأنه قرأ قصة أيوب في «العهد القديم»، الذي اعترض على تقواه لمّا أخذ الله كلّ شيء منه؛ إنه «مشمئز من الحياة»؛ إنه يتعذب عذابًا شديدًا جرّاء فسخ خطوبته؛ إنه على الرغم من المظاهر كلّها، هو في الجانب الصحيح.

تبدأ واحدة من رسائله:

لم أعد قادرًا على تحمّل المزيد، كياني كلّه يصرخ بتناقض الذات[32] كيف حصل أني أصبحتُ مذنبًا؟ أم إني لستُ مُذنبًا؟ هل باستطاعتي أن أترقّب أن وجودي كلّه سوف يخضع إلى تغيير، وأني أغدو شخصًا آخر؟ هل يُحتمَل أنّ شيئًا ما مُخبأً بنحو غير واضح في روحي ينفجر على حين غرّة؟ لكنه إذا ظلّ مخبأً بنحو خفيّ، كيف يسعني أن أترقّبه؟ لكن إن لم يكن باستطاعتي أن أترقّبه، إذًا يقينًا أنا بريء. هل أنا خائن؟ لو تسنّى لها أن تستمر في حبها لي ولن تُحب شخصًا آخر، عندئذ ستكون يقينًا مخلصة لي. لو أني واصلتُ الرغبة في الوقوع بحبّها، هل سأكون عندئذ خائنًا؟ لماذا يجب أن تكون هي مُحقة وأنا مُخطئ؟ حتى إذا نهض العالَم بأسره ضدي، حتى إذا تجادل معي كافة الفلاسفة السكولائيين، حتى لو كانت مسألة حياة أو موت - سأبقى مع ذلك على حق. ما من أحد ينزع ذلك مني، حتى إذا لم تكن هنالك لغة أستطيع أن أقوله بها. لقد تصرّفتُ بطريقة صائبة. لا أستطيع التعبير عن حبّي في الزواج. لو أني فعلتُ ذلك، سوف تتحطّم. ربما بدا الاحتمال مُغريًا بالنسبة لها. لا سيطرة لي على هذا؛ ذلك بالنسبة لي أيضًا.

فيما هو يقرأ رسائل الشاب المُعذَّبة، الطافحة بالعاطفة، يفهم قسطنطينوس أنّ التكرار هو «حركة دينية». يُدرك أنه كان سخيفًا في البحث عن التكرار في أشياء خارجية -مسرح، مقهى، طاولة كتابة وكرسي من المخمل- لأنّ التكرار

الحقيقي هو حركة داخلية، روحية خلالها يتقبّل فيها الإنسان نفسه من جديد. أيوب اكتسب التكرار حين استعاد كلّ ما فقده، وحتى بوفرة أكثر من قبل؛ إبراهيم حصل على التكرار حين جدد الله هديته المتمثّلة بإسحق، و«استقبل ابنًا ثانيةً». قسطنطين أيضًا يرى أنه لا يقدر أن يُنجز تكرارًا كهذا: «أنا عاجز عن القيام بحركة دينية، إنه شيء على العكس من طبيعتي».

الشاب، من ناحية أخرى، يأمل في تكرار داخلي من شأنه أن يعوّض الحرية التي خسرها لمّا أصبح متورّطًا رومانسيًا. ربما بوسعه أن يستعيد هذه الحرية إذا ما توقّف عن الادعاء بأنه على صواب، ويطلب الصفح عن الأخطاء التي ارتكبها - غير أنّ هذا يبدو على العكس من طبيعته. بدلًا من ذلك، بوحيٍ من «سِفر أيوب»، يُطالب بأعجوبة إلهية: «اجعلني مناسبًا حتى أكون زوجًا[33] دمِّرْ شخصيتي كلّها، اجعلني غير معروف تقريبًا لنفسي». وفيما هو ينتظر النعمة ريثما تحدث؛ يحاول أن يغيّر نفسه - أن يُصبح رجلًا يستطيع أن يكون صادقًا مع حبّه: «أجلس وأشذّب نفسي، أنتزع كلّ ما هو غير مناسب كي أغدو مناسبًا. صباح كلّ يوم أتخلّص من كلّ نفاد الصبر والجهاد اللامتناهي لروحي - إلا أنّ ذلك لم ينفع، لأنّه في الصباح التالي يكون هناك ثانيةً. كلّ صباح أحلق لحية سخافتي كلّها - إلا أن ذلك لم يُجدِ نفعًا، لأنه في الصباح التالي تكون لحيتي قد نمت من جديد».

في نهاية *التكرار* يكون الخاطب يائسًا، مقتنعًا بتقواه، حاله حال أيوب، مع أنه عاجز عن التكرار. وفي الختام، يائسًا من الإصلاح، يائسًا من التحرّر، يحذو حذو بطل غوته الرومانسي ڤيرتر، الذي ألهم أصلًا كثيرًا من الشبان الحسّاسين كي ينتحروا. وبما أنه لم يرَ طريقًا للأمام، نضبت الآمال كلّها. صنو كيركغارد يتناول مسدسًا ويُسدّد الرصاص إلى رأسه.

وهو يركب متن القطار في برلين نهاية مايو 1843، قلّما كان قادرًا على أن يعرف كيف أنّ فوضى الأفكار المُخربَشة وتشابكًا غامضًا من المشاعر، بعضها يعود إلى أجيال، تكثّفت في هذه المخطوطة الصغيرة. قلّما تكون متماسكة: غرابتها وغموضها ربما كانت تأثيرات لا مفر منها لجهوده في أن يجمع معًا الفلسفة والتجربة، كي يستنتج الأهمية الكونية للأسئلة التي شكّلت وكسّرَت معًا حياته هو.

هل حلّ المسألة المتعلّقة بالكيفية التي يستطيع فيها الإنسان أن يبقى صادقًا مع حبه؟ كان قد أظهر أنّ الذكرى تحمي الحب فقط بواسطة عرضه مثل تحفة خلف الزجاج، أو تحتفظ به مثل خصلة شعر في داخل صندوق حفظ المقدسات - على حساب حرمانها من الحياة، في إغلاق المستقبل. كما اقترح أنّ التفكير الفلسفي، الذي يعامل الحقيقة باعتبارها فكرة من المفترض أن تُفهَم، هو عقيم بنحو مماثل عندما يتعلّق الأمر بفهم الوجود الإنساني. وقد ألمح إلى أنّ هذا الضرب من الحقيقة النظرية يحتاج لأن يفسح الطريق لحركة دينية -من أجل «الهدايا الجيدة والنموذجية» التي تُمنح مرارًا من الأعلى إلى أيّ فرد يرغب في تلقّيها- إذا كان البشر صادقين مع أنفسهم من لحظة إلى أخرى، طوال كلّ التحولات الصغيرة جدًا والجيشانات الوقتية لحيواتهم.

في ذلك الحين، تفوّق مجهوده كي يكون صادقًا مع نفسه على مثال أن يكون صادقًا مع ريجينه بأيّ معنى دنيوي. في ذلك العام أشار في يومياته إلى ملاحظة سقراط «الرائعة للغاية»[34] في الـ«*كراتيلوس*» التي مفادها «أن يخدَع المرء نفسه هو أسوأ الأشياء كلّها، فكيف لا يكون مروِّعًا حين لا يختفي الخادع، حتى ولو لحظة واحدة، بل يكون على الدوام قريبًا وجاهزًا؟». بالطبع، أن يكون المرء صادقًا مع نفسه لم يكن شيئًا مريحًا على وجه الدقّة أيضًا. كونه تحمّل عبء هذه الأنا السخيفة التي سقطت مثل عملاق ضعيف على كتفيه، مواجهًا عيوبه عند كلّ منعطَف، لا يزال يملأ الصفحات بحقده على الشابة التي أُغرِمت به، توصّل إلى استنتاج مفاده أنّ «الشيء الرئيس هو أنّ يكون المرء صريحًا فعلًا مع الله[35] - أنّ المرء لا يحاول أن يهرب من أيّ شيء، بل يظل يضغط إلى أن يجد هو نفسه التفسير. وسواء أكان أم لم يكن ذلك ما يتمناه المرء، لا يزال هو الأفضل».

***

الآن، في خريف العام 1848، في شقته الجديدة هو لا يزال «يضغط»، لا يزال يفتش عن «التفسير» لما جرى مع ريجينه، تفسير لتأليفه، للإنسان الذي صاره. باستطاعته فقط أن يُعرّي روحَه لله في أزمنة كهذه - في المنزل خلال ساعات هادئة، في عُزلة. المعلمون الروحيون الغابرون قالوا إنه «كي تصلّي

يعني أن تتنفس»، وهكذا لا معنى لأن تسأل لماذا يتعيّن على المرء أن يصلّي: «لأني بخلاف ذلك سأموت[36] - وهكذا هو الحال مع أداء الصلاة. ولا حتى بواسطة التنفّس أنوي أن أُعيد تشكيل العالَم، إلا أنني ببساطة أُجدد حيويتي وأكون *مُتجدّدًا* - هكذا يُصلّي المرء في علاقته مع الله». إنه يقضي معظم وقته يسعى وراء «التفسير» بطريقة أخرى: في يومياته، الآن في *وجهة النظر* عن عملي كمؤلف. لكنه لمّا يُمسك بريشته المحبوبة، يفكّر في القارئ - سواء أكان هذا القارئ ريجينه، أو الأسقف مينستر، أو بروفيسور مارتينسِن، أو قارئًا مجهولًا في المستقبل البعيد، بعد وفاته بأمدٍ طويل - يدخل طيّات تفكيرهم بينه وبين الله. هذه الأفكار المُرتعشة، المرتبكة، السريعة والرفيعة كخيط العنكبوت مثل أجنحة الحشرات، قلّما يُمكن رؤيتها، تسحب نظره في اتجاهات لا تُعد ولا تُحصى. ومن ثم روحه، كالبحر في نسيم أو سماء ليل ضبابية، تفقد شفافيتها. أفكاره كلّها، ملحوظات يومياته كلّها، «مُطنبة للغاية بالنسبة لي[37]، ومع ذلك هي لا تستهلك كلّ ما أحملُه في نفسي الباطنية، حيث أفهم نفسي بسهولة أكثر بكثير في حضور الله، لأنه هناك بوسعي أن أجمع الأشياء كلّها على الفور، ومع ذلك في النهاية أفهم نفسي بنحو أفضل بأن أترك كلّ شيء له».

الفصل الحادي عشر

كيف تكون قَلِقًا؟

«لا أزال مُنهَكًا جدًا، إلا أنني أكاد أصل إلى هدفي»[1]، يكتب في يومياته في نوفمبر 1848، فيما هو يُكمل كتابه المعنون وجهة نظر عن عملي كمؤلف. «مؤخّرًا كنتُ كاتبًا فقط. عقلي وروحي قويان بما يكفي، إلا أنهما للأسف قويان جدًّا بكلّ معنى الكلمة بالنسبة لجسمي. بمعنى من المعاني عقلي وروحي هما اللذان يساعدانني على تحمّل صحة ضعيفة كهذه؛ وبمعنى آخر عقلي وروحي هما اللذان يستحوذان على جسمي». آراؤه غزيرة جدًا بحيث إنه يستطيع أن يكتب بلا انقطاع ليلًا ونهارًا، مع أنه لو فعل ذلك سرعان ما ينهار. «بعد أن أصبحتُ مؤلفًا، في الحقيقة لم يسبق لي أن خبرتُ مرةً واحدة[2] ما سمعتُ أنّ الآخرين يتفجّعون عليه - نقص الأفكار، أو أنهم لا لن يُقدّموا أنفسهم. إذا ما حصل لي ذلك، على الأرجح سأكون سعيدًا تقريبًا كوني أخيرًا الديّ يوم عطلة».

يختتم كتابه وجهة نظر عن عملي كمؤلف بفصل عن «دور القضاء في تأليفي». وفيه يصف كيف أنه «كان في حاجة مستمرة إلى عون الله يومًا بعد يوم، عامًا بعد عام»، كي يكتب. حين يبدأ بالعمل يحسّ بالاهتياج، بشغف متواصل، «جزع شاعر» في روحه؛ يلتقط الريشة، إلا أنه لا يقدر أن يحرّكها. وبعدها يبدو أنه يسمع صوتًا يقول له، مثل معلّم يتكلّم مع صبي، كي يكتب واجبه المدرسي: «عندئذ أغدو هادئًا تمامًا[3]، وبعدها ثمة وقت لأن أكتب كلّ حرف، بدقة تقريبًا، وببطء. ومن ثم أستطيع أن أفعل ذلك، وعندئذ لا أجرؤ على القيام بأيّ شيء آخر، وبعدها أكتب كلّ كلمة، كلّ سطر، غافلًا تقريبًا عن الكلمة التالية والسطر التالي. ومن ثم، حين أراجعه مراجعة شاملة تاليًا، أجد

قناعة مختلفة كلّيًا فيه. مع أن بعض التعابير المتأجّجة تملّصت مني فعلًا، ما نَتَج هو شيءٌ آخر - عمل الشاعر، كما عمل المفكّر، ليس الانفعال بل الانصراف لله، وبالنسبة لي هو العبادة الإلهية».

بهذه الشهادة عن تأليفه، يعزل كيركغارد نفسه بحسم وتحدٍ بعيدًا عن العالم، مُبديًا ازدراءه للنجاح الدنيوي. توصّل إلى الاعتقاد بأنّ «العالَم»، إن لم يكن شريرًا، فهو متوسط القيمة». على الرغم من ذلك إغراء العالَم قويّ، وبوصفه كاتبًا ينبغي له أن يناضل كي يتفادى السقوط في «الافتراء، الذي، كما يفعل دائمًا، سيضمن لي المال، الشرف، التبجيل، الاستحسان، إلخ.، الافتراء الذي يتعيّن عليّ أن أقوله هو «الحاجة إلى الأزمنة»، وأنه خضع إلى الحُكم الحليم لجمهور مُبجّل جدًا، والأكثر من ذلك، أنه وفقًا لاستحسان ودعم وإطراء مُعاصريّ ازدهر». لا، كان قد حفر جهودَه كالأخدود من أجل التعبير عن الحقيقة التي تجعلها حياتُه كلّها مفروغًا منها بالنسبة له: «إنّ هنالك إله». كان قد سعى إلى أن يفهم «ماذا يعني أن يكون إنسانًا» من خلال أن يستقرئ فلسفيًا وروحيًا ودينيًا «*هذه الإنسانية*»[4] المنتمية إلى كلّ شخص مفرد. ومع ذلك هذا الدرب الوحيد، الضيّق الذي اخترق وسط المدينة، جعله على مرأى كامل من الجماهير.

بعد قطع علاقته مع ريجينه، كان يُريد أن ينكفئ. لو كان مُقدّرًا له أن يكون شخصية غريبة، منعزلة تقف على حافة العالَم، فربما سيكون من الأفضل له أن ينزلق على الأفق ويختفي عن المَشهد. وكما تصوّر أنّ يسوع المسيح كان قد أُغوي بأن يذهب خارجًا إلى عمق الصحراء، كي يصبح ناسكًا، لذا فإن الانسحاب إلى مكان قصيّ في الريف هو غوايته المستمرة. «كانت خطتي حالما يُنشر *إما/ أو*[5] هي أن أبحث عن دعوة في أبرشية ريفية وأن أتحسّر على ذنوبي. لم يكن باستطاعتي أن أكبح إبداعي، لقد تبعته - وبطبيعة الحال انتقلَ إبداعي إلى الديني».

لأنّ هذه الأعوام السبعة منذ تخلّيه عن ريجينه، كانت «كفّارة» مفروضة عليه كي يبقى في كوبنهاغن، ولكونه مؤلفًا، يعمل كمبشّر مسيحي في قلب العالَم المسيحي الدنماركي. كونه أُبعد من الحقل الأخلاقي من خلال عيوبه، توصّل إلى

أن يرى العالَم باعتباره مكانًا للمعاناة والتضحية - وكان قد قرّر أن يحيا في هذا العالَم، مُعرَّضًا لعيون العامة. مع أنّ أفكاره كانت تعود دائمًا إلى فكرة الانسحاب، في النهاية جدّد هذا القرار وبقي في كوبنهاغن: «فهمتُ أن مهمتي هي أن أؤدّي الكفّارة[6] من خلال خدمة الحقيقة بطريقة ما، بحيث إنها عمليًا أصبحت مُرهِقة، إذا ما تكلّمنا من الناحية الإنسانية، مجهود عاق للتضحية بكلّ شيء». إنه يعرف أنّ الله لا يُريد من البشر أن يُعاقبوا أنفسهم، وأنه ليس ثمة حَسَنة في هذا العقاب. إلا أنه أحسّ بـ«حاجة مُلحّة» إلى الكفارة[7]، بحيث إنه لا يستطيع أن يفعل خلاف ذلك، ويتمنّى أن يُصفح عن هذا الأمر. وعلى الرغم من صعوبتها كلّها (أيّ الكفارة)، ثمة سعادة بأن يجدوه في هذا الدرب: مُتّبعًا على ما يبدو الدرب الوحيد كي يكون صادقًا، وفيًا، مُطيعًا لذاته العميقة جدًا، التي لا يراها ولا يعرفها إلا الله. والآن، فيما تدنو هذه السنة المضطربة من نهايتها، هو مُتعنِّت بأنّ «هذه هي الكيفية التي أخدم فيها العقيدة المسيحية[8] - في بؤسي كلّه أنا سعيد بالفكرة المتعلّقة بالمنفعة العصية على الوصف التي قدّمها لي الله، أبعد كثيرًا من توقّعاتي».

هذه الكلمات تكرّر ما كتبه عن إبراهيم قبل ما يناهز خمسة أعوام مضت، في خوف ورعشة. إبراهيم تلقّى هدايا عظيمة من الله، على العكس من توقّعاته كلّها، غير أنه أصبح «فارس الإيمان» -واستأنف مكانه في العالَم بوصفه أبًا وزوجًا ورب أسرة- فقط بعد المصيبة المُوجِعة جدًا التي استوجبت منه أن يتخلّى عن كلّ شيء. عندئذ، قارن كيركغارد هذه الحركة الدينية بـ«الاستسلام» الحصري لشخص ما ينسحب إلى دير، أو يلبث في العالَم إلا أنه لا يتوقّع أن يشعر بأنه مرتاح هناك. أحسّ بأنّ إيمان إبراهيم بعيدٌ عن متناوله - ومع ذلك إذا كانت الأشياء كلّها ممكنة بالنسبة للرب، كما علّمت الأناجيل، يتعيّن عليه أن يصدّق أنّ الله بوسعه أن يضمن له الانجاز والسلام. في واقع الأمر، خلال الأعوام منذ ذلك الحين تأرجحت حياتُه اليومية بين الانسحاب - لا إلى دير أو أبرشية ريفية، بل إلى ساعات هادئة من القراءة التعبّدية والصلاة، وإلى أيام مستقرّة، صافية، في غابات شمال زيلاند - وغطس عنيف في العالَم.

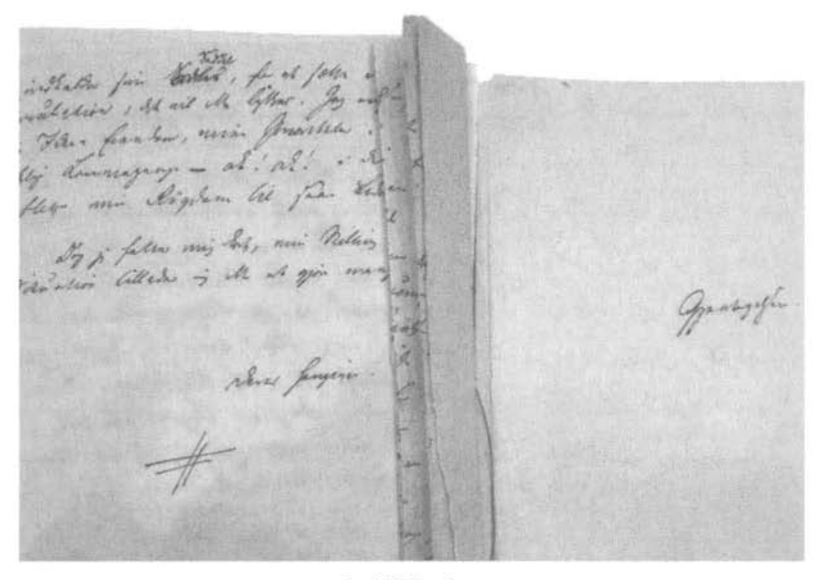
***

إبان صيف العام 1843، بعد الانتهاء من كتابة خوف ورعشة مباشرةً، سمع أنّ ريجينه خُطبت إلى يوهان فريدريش شليغل، وهو موظّف حكومي، كان سابقًا معلّمها الموسيقي الخصوصي، الذي كان مُعجبًا بها منذ سنوات شبابها. كتب بانتقاد عنيف في يومياته، واستطرد قائلًا: «أظهرتُ للفتاة ثقتي فيها[9] من خلال الإيمان بكلّ الأشياء العظيمة التي كان يُسرّها أن تُخبرني بها، المتعلّقة بنفسها، إنه شيء غريب في حقيقة الأمر -أن تستطيع فتاة أن تكون عظيمة جدًا في عينيها؛ أنها شرّفتني بحبّها (أو بالأحرى، بكونها خطيبتي)- أنّ هذا الحب يجب أن يهزني بهذا الشكل». وتاليًا غطى هذه السطور بحلقات ثخينة من الحبر كي يجعلها غير مقروءة. إلا أنه ترك من دون تغيير تدوينًا أكثر برودة، تخيّل فيه لقاءً بالمصادفة مع ريجينه: «فردٌ يمتاز بروح الفكاهة يلتقي فتاة[10] طمأنته ذات مرة أنها سوف تفارق الحياة إذا ما هجرها. والآن حين يلتقيها تكون مخطوبة». إنه يجعل الفتاة «خرساء بسبب الغيظ» حين يُعطيها قطعًا نقدية قليلة - يقول لها «حتى أُبدي تقديري».

عاد إلى مسوّدة *التكرار*، وغيّر الخاتمة. بدلًا من أن ينتحر بسبب يأسه من أن يُصبح زوجًا مناسبًا، يعرف بطل الكتاب الشاب أنّ حبيبته مخطوبة إلى شخص آخر؛ هذه الأنباء غير المتوقّعة تُحرّره من أزمة الهوية، ويشكر الله لأنه يمنحه حرّيته - هوذا، أخيرًا، «التكرار» الذي اشتاق إليه. مرةً أخرى مستقبله ينفتح أمامه؛ لديه فرصةٌ أخرى كي يختار طريقه في الحياة.

التكرار وخوف ورعشة نُشرا في اليوم ذاته - تحت اسمين مُستعارَين مختلفين، بالطبع - فيأكتوبر 1843، بالإضافة إلى *ثلاثة خطابات بناء* بقلم سورين كيركغارد. *أربعة خطابات بنا*) أعقبهم في ديسمبر 1843، و*خطابا بناء* في مارس 1844. على غرار المجموعة الأولى من خطابات كيركغارد، التي قدِّمت صنف «الشخص الوحيد»، هذه المجلّدات الرفيعة أُهديت إلى أبيه. وعلى الرغم من وضع ريجينه المتغيّر، أعطاها المقدّمات ذاتها مُلمّحًا إليها، بـ«الشخص الوحيد» الذي سمّاه «قارئي». من وجهة نظر عملية، إنّ احتمال الزواج منها قد انزلق إلى الماضي، غير أنّ هذا الاحتمال ظلّ حقيقةً من حقائق

روحه؛ استمر في تشكيل فهمه لذاته. أن يُصبح مؤلّفًا شيءٌ مُلازم لتركه ريجينه، مع ذلك من خلال كتابته عبّر عن إخلاصه المستمرّ لها - بمعنىً ما ربما هو وحده يستطيع أن يفهمه.



مخطوطة *التكرار*
حيث حذف كيركفارد انتحار الشاب

الآن بوصفه مؤلّفًا معتبرًا، عاش منغمسًا في الكتابة. منح عملُه التناغمَ لأيامه ولياليه: ذهابًا وإيابًا بين شقّته السكنية في نورغيد وشوارع كوبنهاغن، جيئةً وذهابًا بين النشوة الإبداعية والإرهاق الجسدي. حين يكون في البيت شبابيكه المسوّدة تبقى مغلقة كي تحجب الشمس؛ ولما يمضي خارجًا، كان خدمه يفتحون الشبابيك كي يُبدّلوا الهواء، ويُشعلوا النار في الموقد، ويحرصون على أن تكون الحجرة في درجة الحرارة المناسبة - لأنه كان كثير المطالب مثل أبيه في ما يتّصل بالشؤون المنزلية، وكان يتفحّص مقياس الحرارة عندما يرجع. استخدم إسرائيل ليفن، وهو عالم لسانيات بارز، سكرتيرًا ومصحّحًا للبروفات الطباعية. كان ليفن غالبًا ما يقضي أيامًا كاملة في منزله، يساعده في العمل عبر

إجراء التصحيحات على مخطوطاته - «كَمٌّ هائل من العمل». في هذه الأيام يتغدّيان على حساء ثخين وسمك وبطيخ ومشروب «شيري» بديع، تعقبها قهوة فتّاكة تُقدّم في أباريق فضة، كان كيركغارد يشربها مع الكرِيم وتقريبًا ملء كوب من السُكّر. «كان يُسلّيه يوميًا أن يرى السُكّر يذوب[11]. هذا الأمر كان يُبهجه حقًّا»، يُشير ليڤن، إنما «القهوة كانت قوية جدًا بحيث إنه حطّم نفسه بها».

هذا العمل المُركّز كان يُخفَف بواسطة المسيرات الراجلة مع الأصدقاء كلّ يوم تقريبًا مع پيتر يوهانِس سـپانغ، قسّ كنيسة الروح القدس، أو هانس بروشنر، وهو فيلسوف شاب كان معجبًا بكيركغارد إعجابًا بالغًا ووجده «لطيفًا جدًا». كانا يتمشيان عبر المدينة، على طول البحيرات، على الأسوار، أو خارجًا إلى فريدريكسبيرغ. حين يُريد الصحبة في المنزل كان يدعو إميل بويسين كي يتناول الطعام معه، إلا أنه يستقبل زائرين قليلين آخرين. وعلى مدى برهة قصيرة يركب حصانًا كي يسهّل عملية الهضم في معدته - إلا أنّ كيركغارد «لم يكن يناسبه ركوبُ الحصان»[12]، لأنه كان يجلس بتيبّس، ويبدو كما لو أنه يستدعي باستمرار تعليمات أستاذ ركوب الخيل. في بعض الأحيان كان يستأجر مركبة جياد صباحًا ويأمر الحوذي بأن يُوصله بأسرع ما يمكن إلى الريف، حيث كان يتمشّى عبر الغابة، ومن ثم يتغدّى في نزل ويتكلّم بثرثرة مع السكان المحليين، قبل أن يسرع عائدًا إلى كوبنهاغن ويبدأ بالعمل مجدّدًا، منتعشًا بـ«حمام الهواء».

في مطلع العام 1844 كان يُنهي كتابه الموسوم بـ*مفهوم القلق*، ويبدأ بـ *شذرات فلسفية*، ويخطّط لكتاب هزلي يُدعى *مُقدّمات*، ويكتب مسوّدة لمجموعة أخرى من الخطابات الدينية. على الرغم من ذلك ظلّ غير متيقّن من مهنته، ومتناقضًا في ما يتعلّق بكونه مؤلّفًا. بدا شيئًا مستحيلًا من الناحية العملية أن ينشر أعماله من دون أن يهاجمه قلق لا نهائي متعلّق بالكيفية التي يتم فيها تلقّي كُتبه؛ كان كبرياؤه يشتعل بسبب قلقه على الاحترام، النجاح، المنزلة، التي كان يتلهّف لأن يكون غير مكترث بها - ليته يستطيع أن يُقصر حساسيته العميقة على الأشياء العميقة! كان لا يزال يتأمّل الانسحاب إلى أبرشية ريفية، وفي فبراير 1844، أعطى موعظة دينية مُؤهِّلة في كنيسة الثالوث، حيث تم تثبيته من

قبل الأسقف مينستر في شبابه. هذا الأمر جعله جديرًا بالتعيين في كنيسة الدولة الدنماركية. كان نص تلك الموعظة من الفصل الثاني لرسالة القديس بولس الأولى إلى الكورنثيين، النصّ نفسه الذي استوحى منه عنوان خوف ورعشة. الحكمة المسيحية، يشرح بولس هنا، ليست «حكمة إنسانية»، ليست «حكمة هذا العصر أو حُكام هذا العصر»، بل «حكمة الله، السرّية والخفية». في رسم هذا التباين بين الحكمة الإلهية والحكمة الكاذبة للعالَم، ناقش بولس أنّ خدمة الله والسعي وراء الأشياء الدنيوية -بما فيها الاحترام، النجاح، المنزلة- هما طريقان متباعدان عبر الحياة: إما/ أو.

رؤية «العهد الجديد» للعالَم بوصفه مكانًا للافتراء والفساد يقود الناس بعيدًا عن الله تردّد صداها بوضوح طوال قرون من التاريخ المسيحي، ولو أنها أصبحت أضعف الان. خلال العام 1844 تضمّنت قراءة كيركغارد التعبّدية *المسيحية الحقيقية* من تأليف يوهان أرنت، اللاهوتي اللوثري الذي كان عمله الأدبي قد زرع بذور التقَويّة، ومن ثم غذّى نموها. في السنوات الأولى من القرن السابع عشر نشر أرنت طبعات جديدة من الكتب القروسطية، بما فيها كتاب توماس آ كمپس(*) المعنون *تقليد يسوع المسيح* ومواعظ يوهانِس تولر الدينية. كتاب *المسيحية الحقيقية*، دليلُه إلى الحياة المقدّسة، مرّ بأكثر من مئة طبعة[13] بين 1605 و1740. بوحيٍ من التبصّرات الصوفية والممارسات الزُهدية لأجداده الكاثوليك، الذين هم أنفسهم درسوا وعاشوا وأتقنوا لاهوت القديس بولس في داخل أديرتهم، أرنت حثّ أجيالًا من المسيحيين البروتستانت على أن يُطهّروا أرواحهم[14] من خلال ممارسة نكران الذات، و«أن يكونوا أمواتًا بالنسبة للعالَم». في *المسيحية الحقيقية* وجد كيركغارد تعليمًا روحيًا عمّق ازدواجيته تجاه العالَم. «المسيحي يوجد فعلًا في العالَم إلا أنه لا ينتمي للعالَم»[15]، قرأ

(*) توماس آ كمپس Thomas à Kempis (1380 - 1471): كاهن وراهب ألماني هولندي في أواخر العصر الوسيط ومؤلّف كتاب *تقليد المسيح*، وهو واحد من أشهر الكتب المسيحية التعبدية.

تلك العبارة في هذا الكتاب التعبّدي العتيق. «إنه يقيم حقيقةً في العالَم إلا أنه لا يُحبه. إنّ أُبهةَ، شرفَ، تباهيَ، مجدَ العالم، نشوةَ العين، نشوةَ الجسد، كبرياءَ الحياة، هي كلّها بالنسبة للمسيحي شيء ميت، ظلّ لا يُعيره اهتمامًا».





(الأعلى): رسم توضيحي من طبعة القرن الثامن عشر لـ*الديانة المسيحية الحقيقية*، مشابهة للطبعة التي كانت بحوزة كيركغارد. فوق المرأة التي تحمل خنجرًا شعار«أقتل نفسي يوميًا». (الأسفل): يوهان أرنت(1555 - 1621).

ماذا صنع يوهان أرنت، أو مراجعه القروسطية - أو حتى بولس نفسه - بعالَم كيركغارد؟ في زمن حياته كانت كوبنهاغن قد اكتسبت ملامح حياة مَدينية[16] قرأ عنها أصلًا في الصحافة، هذه الحياة حوّلت عاصمتيْ فرنسا وبريطانيا، مدنًا كان يُشبّهها بسَدوم وعمورة. عاصمة القرن التاسع عشر لا تُشبع فقط الرغبات

المتواترة للجسد، بل تقدّم إغراءً جديدًا وحديثًا بنحو جليّ: كي يضع المرء نفسه للعرض، وأن يُصبح متفرّجًا على حيوات الآخرين. كوبنهاغن تُصبح أكثر فأكثر أشبه بماكينة تُنتج باستمرار صورًا عن نفسها. جرائدها تقدّم خليطًا سريع الزوال لحياة المدينة، تربط بسرعةٍ نتفًا من القيل والقال من زوايا مختلفة للمدينة - كلّ طبعة جديدة ومُغرية، غير أنها تغدو «باهتة» ومملة بعد أيام قلائل. مسرحيات هيبيرغ الهزلية عوّدت جمهور المسرح على أن يستمتعوا بالمسرحيات الساخرة عن أنفسهم. المتاجر الأكبر في أوسترغيد، حيث كانت بالوعات الصرف الصحّي تُغطى بألواح خشبية، أدخلت سكان كوبنهاغن إلى الفن الحديث لزخرفة واجهات المحال التجارية بنحو جذاب: مِن مثل الملابس المسايرة للموضة المخصّصة للسيدات الشابات، عروضها تتغيّر مرارًا كي تجذب انتباه المارّة. على امتداد عَرْض أوسترغيد توجد «أنواع من رداءات حريرية[17] أو أوشحة نسائية قصيرة رقيقة، قلنسوات نسائية بيض، حواشيها مزخرفة بالأزهار والريش»، وسط العربات، البحّارة والنساء اللائي يعملن بالتجارة.

بحلول العام 1844 انضمّ إلى هذه المَشاهد اليومية شكل أكثر غرابة: تيڤولي - ڤوكسهول، وهو متنزّه للتسلية سُمي تيمنًا بمغامرات مماثلة في باريس ولندن. كان قد تم افتتاحه في صيف 1843 من قبل مالك جريدة يُدعى جورج كارستينسِن، ومئات الآلاف من السكان تدفّقوا عبر بواباته خلال الموسم الكامل الأول في العام 1844. تيڤولي كارستينسِن هو عالَم داخل عالَم، يجلب ثقافة كوزموبوليتانية إلى سكان مدينة هي بمنزلة سوق تجاري: الزائرون باستطاعتهم أن يتسوّقوا في بازار بأسلوب شرقي ويتعجبون حيال آخر التقنيات الترفيهية - بانوراما (تعرض لوحة فنية من الـ[تيڤولي] في هامبورغ)، ديوراما(*)، ألعاب نارية، دوامة خيل تحرّكها طاقة بخارية، استوديو للتصوير الدَّغري(**)، تماثيل

(*) ديوراما diorama: صورة شبه شفافة تُعد للعرض من خلال ثقب مع الاستعانة بمختلف وسائل الإضاءة.

(**) التصوير الدَّغري daguerreotype: طريقة قديمة في التصوير الضوئي بواسطة ألواح معدنية مفضّضة.

شمعية ميكانيكية تمثّل مَشاهد من حياة يسوع المسيح - بالإضافة إلى تسليات تقليدية أكثر من مثل صناديق الفرجة، العروض الإيمائية والحفلات الموسيقية. هنا تستمتع الأُسر البورجوازية بالتوجّهات التي كانت محجوزة سابقًا للشبان الأرستقراطيين: ربما يكونون سائحين، مرتادي مسرح، روّاد مطعم. تيڤولي لا يقدّم لسكان كوبنهاغن صورًا جديدة للعالَم فقط، بل أيضًا صورٌ جديدة لأنفسهم - حتى إذا لم يتمكّنوا من أن يأخذوا صورًا فورية لأنفسهم.

مثل هيبيرغ، الذي احتقر طويلًا كارتينسِن باعتباره مزوّد تسلية ضئيلة الثقافة، يزدري كيركغارد مُغريات العرض في تيڤولي. إلا أنه لا يحتاج لأن يزور متنزّه التسلية الجديد كي يلتحق بثقافة الفُرجة السائدة في مدينته: يشعره الجلوس في أحد المقاهي الحديثة في سترول كما لو أنه معروض في واجهة متجر، أو في ديوراما. وبالنسبة لشخص واعٍ بذاته مثل كيركغارد، المشي عبر المدينة هو على الدوام عرضٌ عامٌّ. الآن، وهو ينهي *وجهة النظر عن عملي كمؤلف*، يستحضر كيف لعب دور متسكّع في شوارع كوبنهاغن[18] في الأيام المبكرة من تأليفه؛ كُتُبه أُعلن عنها وروجعت في الصحافة كي تلفت أنظار القراء الذين كان بالنسبة لهم التمعّن في جريدة يشبه قليلًا التفرّج على واجهات المحلات. ومنذ ظهوره الأدبي الأول في *كوبنهاغنس فلاينغ پوست* العام 1843، واصل نشر مقالات صحافية بين الفينة والفينة؛ بعض مُعاصريه يعتبرونه «ليس أكثر من كاتب صفحة التسلية موهوب جدًّا وله جمهور واسع من القراء»[19]، وحتى لمّا يكتب يومياته، يعرف أنه يعرض حياته الداخلية للأجيال القادمة. لذا وجد نفسه يوميًا في مواجهة سؤالٍ مفاده كيف يُنظر إليه: مَن هو الشخص الذي يجب أن يكونه في هذا العالَم حديث الموضة، ذي الواجهة الزجاجية؟ أيّ قناع يتعيّن عليه أن يلبسه، أيّ صورة ينبغي له أن يعرضها؟ وما الصور التي سوف يصنعها الناس له؟

قِد تكون هذه الأسئلة مُلحّة على نحو واضح بالنسبة لكيركغارد بسبب شخصيته التأملية الحادّة، لأنّ *إما/ أو* جعله مشهورًا على المستوى المحلّي، ولأنه منذ وفاة أبيه كانت خياراته بنحو لافت للنظر لا تقيّدها الظروف: لا يحتاج لأن يكسب رزقه، ولا يحتاج لأن يكون ابنًا، أو زوجًا، أو أبًا. إلا أنّ المدينة ذاتها تبدو

كأنها تطرح أسئلة كهذه على سكانها: اكتشف هو أنّ الإقامة في عاصمة حديثة تكثّف تجربةَ قلقٍ يميّزها بوصفها تجربة إنسانية عمومًا. منذ آدم، يعتقد هو، البشر شعروا أنهم قلقون - والآن، وقد أدركتهم أفكار المدينة التي لا تُعد ولا تُحصى، تتضاعف ضروب قلقهم فيما هم يُصبحون متفرّجين قلقين على حيواتهم.

«ما من [مُحقّق كبير] يمتلك عذابات مروِّعة كهذه في حالة استعداد مثلما يمتلكها القلَق»[20](*). كتب في العام 1844، في كتابه المعنون *مفهوم القلق*: «وما من عميل سرّي يعرف بمكر كالقلق كيف يهاجم شخصه المشتبه به في لحظته الأضعف، أو يُغريه بالفخ الذي سوف يُقبَض عليه فيه، وما من قاضٍ فطِن يعرف كيف يستجوب ويمتحن المُتهَم مثلما يفعل القلق، الذي لا يَدَع المُتهَم يهرب، لا عبر التسلية، ولا عبر الضوضاء، ولا خلال العمل، لا في أثناء النهار ولا في أثناء الليل».

على غرار *مفهوم السخرية*، *مفهوم القلق* كان بحثًا أكاديميًا معقّدًا وتطلّب براعة. تناول الفلسفة الألمانية الحديثة، بما فيها علم النفس الفلسفي الهيغلي لكارل روزينغرانز والأعمال الشظوية ليوهان جورج هامّان، وهو مُعجب بسقراط ومنتقد لـ«حركة التنوير». إلا أنّ كيركغارد يبني أيضًا على تجاربه الحياتية، التي قارنها بالطريقة «العلمية» التي أطراها بإفراط الفلاسفة واللاهوتيون المعاصرون. «وهذا هو الشيء المدهش المتعلّق بالحياة»[21]. كتب: «كلّ إنسان يهتم بنفسه يعرف ما لا يعرفه العلم، طالما أنه يعرف مَن يكون هو نفسه».

القلق ينبثق في داخل الفرد حين يُصبح واعيًا بحرّيته. ولهذا السبب فإن يوهان هامّان سمّى القلق «الوسواس المقدّس»: إنه درايةٌ روحية لا تعرفها الحيوانات، وهي ببساطة كائنات جسديّة. إلا أنّ البشر ليسوا ملائكة أيضًا. نحن نحيا في عالمٍ مُثبّت بواسطة الجاذبية، أقدامنا على الأرض، متجذّرة في الواقع - أبداننا البشرية، ظروفنا، حقائق حيواتنا. ومع ذلك نحن نستنشق هواء الاحتمال، وقوة الجاذبية نادرًا ما تكون قوية جدًا بحيث إننا لا نستطيع أن نرفع

(*) المحقّق الكبير Grand Inquisitor: هو مدير محكمة التحقيق.

قدمًا في هذا الهواء ونتخذ خطوة، بطريقة أو بأخرى. نحن كلّنا نتلهّف لأن نطالب بحريتنا، عندما يُصبح الواقع مستنقعًا نلهث باستماتة من أجل الهواء. مع ذلك هذه الحرية ذاتها، بتكاثرها المدوّخ، تكاثر الاحتمالات، تملأنا بالقلق لحظةَ نختبرها. المستقبل المفتوح هو، مثل عَدَمية الموت، هاوية مجهولة. فيما نحن ننظر إلى الأسفل، خائفين من السقوط، بقلق نمسك ونتعلّق بأيّ شيء صلب نستطيع أن نجده -مقتنيات، نقود، طعام، شراب، أشخاص آخرون- في مجهود كي نرسّخ أنفسنا. وهكذا نحن نحيا، نتشبّث بالأشياء في العالَم، سواء أكانت لمصلحتنا، أو لمصلحتها. لكننا نستطيع أن نتعلّم أن نكون قلقين فقط من خلال أن يُطلق لنا العنان، وأن نكتشف ماذا يحصل حين نسقط. «هذه مغامرة ينبغي أن يمر بها كلّ إنسان[22] - كي يتعلّم أن يكون قلقًا، بحيث إنه ربما لن يهلك إما من خلال ألّا يكون في حالة قلق، أو من خلال الاستسلام بقلق. لأن أيّ فرد تعلّم أن يكون قلقًا بالطريقة الصحيحة تعلّم الشيء الجوهري».

كيركغارد ربط هذا التحليل السيكولوجي للقلق بالمبدأ المسيحي للإثم الأصلي، الذي يحمل معًا الإثم الموروث والمسؤولية الفردية. أوغسطين لا يزال الصوت التقليدي في هذه المسألة، حيث قال إنه بعد أن ارتكب آدم وحواء الخطيئة في جنة عدن نقلا خطأهما -ومعاناتهما وموتهما اللاحقَيْن- بيولوجيًا إلى الجنس البشري بأسره. يرفض كيركغارد هذا التفسير: إنه يفسر القصة الكتابية لانحطاط آدم إلى الإثم بكونه سقوطًا مسرحيًا يحدث المرة تلو المرة طوال حياة كلّ إنسان، كلّ مرة تنبثق فيها لحظة حرية. مهما يكن من أمر، إنه يُشارك رؤية أوغسطين التي مفادها أنّ البشر قلقون بُنيويًا: لا يكونون مرتاحين تمامًا في العالَم، ولا يكونون قادرين على أن يجدوا راحة حقيقية إلا في الله. اعتقد أوغسطين بأن البشر يأثمون حين يبحثون عن الراحة أو الرضا في شيء عدا الله - في شيء محدود، تسلية حسّية، تجربة مؤقتة. مع أنّ لغته غالبًا ما تُفسّرَ أخلاقيًا، عدَّ أوغسطين الإثم ضَلالًا روحيًا أكثر منه فشلًا أخلاقيًا.

طوّر كيركغارد هذا الرأي في *مفهوم القلق*. مع أنّ التُّقَوية علّمته منذ سنواته المبكرة أن يُصغي إلى إثمه، لم يعِظ، شأنه شأن معظم التُّقَويين بتشجيع الطهارة

الأخلاقية. بدلًا من ذلك يحاول أن يواجه ضروب قلقه بشجاعة واضحة الرؤية، كي يَدَعها تتحرّك من خلاله وتختبر قدرتها ورقّتها. إنه يرى القلق باعتبارة نعمةً بالإضافة إلى كونه لعنةً، امتيازًا بالإضافة إلى كونه بلوًى، علامةً على النُبل الروحي؛ على أية حال، يسوع صلّى بقلق في حديقة الجثمانية قبل أن يواجه موته، وسقراط، حُكِم عليه بالموت بأن يشرب الشوكران، رفع كوبه المسموم كما لو أنه يشرب نخب قلقه. «الإنسان الأعظم هو الذي يكون شديد القلق»[22]، لأنّ القلق «يُبدّد كلّ الغايات المحدودة ويكتشف خداعها». حين «يمرّ الإنسان عبر قلق المُحتمَل»[23] - خوف متوسط من الوجود لا يجد موطئ قدم دنيويًا، طالما أنه يتحسّس عَدَمًا لا نهائيًا تحت كلّ خطوة - سوف «يُربى على ألا يقلق، لا لأنه يستطيع أن يفلت من الأشياء الرهيبة للحياة بل لأنّ هذه على الدوام تُصبح ضعيفةً بالمقارنة مع الأشياء المُحتمَلة». تخيّل كيركغارد إنسانًا كهذا لنَقُل، كما يُحتمل أن يقول مريضٌ لطبيبه الجراح قبل أن تبدأ عمليةٌ جراحية مؤلمة: الآن أنا جاهز. «عندئذ يدخل القلق في ثنايا روحه[24] ويفتش في كلّ شيء ويُعذّب بقلق كلّ ما هو محدود وثانوي فيه».

صرّح في العام 1844: «ينبغي على المرء يقينًا ألا يكون في حالة قلق بشأن البشر وبشأن المحدودية». مهما يكن من أمر، كان ينزعج مرارًا من أشياء كتلك. حالات الاستخفاف والانتقاد تسكن بنحوٍ موجِع فؤادَه على مدى أيام، أسابيع، شهور، مثل الأشواك في جسمه؛ الوقائع التي تبدو غير مهمة بالنسبة للآخرين تتّخذ أبعادًا كبيرة في مرآة أنانيته. من دون زوجة يأتمنها على أسراره في نهاية كلّ يوم، يسكب هو جراحَه وحالات سخطه على صفحات دفتر يومياته. إلا أنّ الورق قليل الامتصاص مقارنة بمستمع مُتعاطف، والحبر متماسك أكثر من الصوت: ما إن تُدوَّن، تلتفت همومه بصرامة ناظرةً إليه، مثبتةٌ في لازمات تتردّد في ذهنه. أصدقاؤه المقرّبون، من مثل إميل بويسين وهانس بروشنر، يفهمون هذا: «مع ك. حدث ذلك مرارًا بحيث إنه لمّا يتأمّل قضية ثانوية[25]، بمستطاعه أن يحوّلها إلى قطعة صغيرة من تاريخ العالَم. إحساسه بالواقع لا يتماشى دائمًا

مع خبرته في التأمل، وهكذا يتوصّل إلى رؤية الحقائق المُرحَّلة أو المتحوّلة بنحو غريب إلى أبعاد غير طبيعية».

في مطلع العام 1844، فيما كان كيركغارد يعمل على *مفهوم القلق*، لعب بروشنر دور شخصية تُسمى سورين كيرك في جينبورن [26](*)، وهي كوميديا مُثّلت في «جمعية الطلبة». كاتب المسرحية كريستيان هوستروپ، لم يكن ينوي أن تكون المسرحية هجومًا شخصيًا ـ سورين كيركغارد طالب لاهوت شابٌ سحره القسم الأول من *إما/ أو*، وكان قد قلّد بنحو ساخر نوع الذرائع الفلسفية التي كان الكتاب نفسه قد سخر منها - إلا أنّ كيركغارد كان مُغتمًا بشدة من جينبورن. مع بروشنر وهوستروپ، بالطبع، تظاهر بأنه لا يُبالي بها.

بحلول صيف 1844 أنهى ثلاثة كتب ومجموعة جديدة من الخطابات. وفيما هو يجهز المخطوطتين النهائيتين لـ*مفهوم القلق* و*شذرات فلسفية*، حذف اسمه من صفحة العنوان في كلا الكتابين وأعطى لكلّ واحد منهما اسمًا مستعارًا[27]. للبحث في القلق اختار ڤيجيليوس هوفنيسيس، «حارس كوبنهاغن»: وهو شخصية ساهرة، يقظة في مدينة الأرواح الهاجعة. كان قد ابتكر *شذرات فلسفية* بوصفه الأول في سلسلة من الكراسات، إلا أنه في النهاية قدّمه ككتاب مكتفٍ بذاته من تأليف يوهانِس كليماكوس، البطل الشاب للهجاء في الفلسفة الهيغلية الذي تركه ناقصًا قبل عامين. هذا الاسم المستعار يكرر اسم ڤيكتور إرميتا *إما/ أو*، لأنّ يوهانِس كليماكوس الأصلي هو راهب من القرن السابع الميلادي هجر ديره في سيناء كي يعيش كناسك.

كان الكتاب الثالث هو *مقدمات*، هجاء للصناعة الأدبية في كوبنهاغن. اسم مؤلفه المستعار هو نيكولاس نوتابين، وهو رجل متزوج، زوجته تعتبر كتابة الكُتب نوعًا من الإلحاد. «إنكَ في شرنقة من التفكّر[28] من الصباح حتى الليل»، تتذمّر السيدة نوتابين قائلةً: «على طاولة الطعام تجلس وتُحدّق في الفضاء كالشبح». وكتسوية، تسمح لنيكولاس بأن يكتب فقط مقدّمات لكتبه،

(*) جينبورن (Gjenboerne) تعني باللغة الدنماركية «الجار عبر الشارع».

وهذا المجلّد هو مجموعة لثمانٍ من هذه المقدّمات. أكثر من واحد من مصادر إزعاج كيركغارد الجديدة هذه عند هيبيرغ، الذي كان قد نشر في نهاية العام 1843 كتابًا سنويًا زخرفيًا، خُطط لأن يُشترى لمناسبة «السنة الجديدة»، تضمن مراجعةً نقدية موجزة لـ*التكرار*. «يا لها من سعادة غامرة في الحقيقة أني كتبتُ هذا الكتاب!». تبدأ أولى مقدّمات نيكولاس نوتابين - «كتابٌ لا يدين بأصله إلى حاجة داخلية متعذّر تفسيرها[29]، ولهذا لا يُعرَف ما إذا يندرج ضمن العالَم، في الحقيقة، هو حييٌّ وخجول مثل شاهد متردّد على علاقة غرامية سرّية - لا، فالكتاب هو ثمرة زواج توافق بين الناشر والجمهور». مدعيًا لامبالاة رفيعة المستوى، يسخر كيركغارد من شغف هيبيرغ في علم الفلك؛ كما يهاجم الصحافة ذات المستوى الفكري المتدنّي، مقارنًا الكتابة في الصحف مع مصرّف المياه القذرة، «لأنه سيكون في الحقيقة شيئًا سيئًا للغاية إذا كان قيل وقال الجمهور يذهب إلى القمامة»[30]. إنه يكتب مقدّمات لكتاب أكاديمي، لمجموعة من المواعظ الدينية، للعدد الأول من مجلة فلسفية جديدة. مقدّمة أخرى تهجو (اتحاد الاعتدال والتقشّف في كوبنهاغن): في يناير 1844 قرأ كيركغارد بازدراء مقالة في ذه *فاذرلاند* تروّج لـ«المجهود المتغطرس لتعويض الأرواح المنسية بالنسبة للمجتمع[31] والأسرة، وبالنسبة للرّب والفضيلة»؛ هذا المجهود يقوم به «الاتحاد».

على مدار بضعة أيام في يونيو 1844، أُرسل نيكولاس نوتابين، وڤيجيليوس هوفنينسيس، ويوهانِس كليماكوس وس. كيركغارد - مؤلّف *ثلاثة خطابات بناء* - إلى داخل العالَم. كان هؤلاء المؤلفون الأربعة رُسل حياة كيركغارد الداخلية، بارعون في الغش مثلما كانوا شعريين في إظهارهم روحه. كلّ واحد منهم حمل جانبًا معينًا من مُبدعهم. غير أنهم كانوا يعبرون عن «مثاليته»، غير مُبالين بشكل كبير بالعالَم: لا أحدَ منهم يتعيّن عليه أن يمشي في الشوارع، أو يستمع إلى آراء الأشخاص الآخرين. إنهم لا يحسّون بأيّ اشتياق سرّيّ للنجاح، أو أوجاع خيبة الأمل الثقيلة كالرصاص؛ ليسوا بحاجة إلى أن يتحمّلوا حالات إذلال تافهة لا حصرَ لها؛ هم لم يدخلوا إلى عواصف الإشفاق على

الذات، أو يُصارعوا الغضب حين لا تتوافق معهم الأشياء. إنهم لا يهتمون بمظهرهم. حتى «س. كيركغارد» هو كينونة متحرّرة من الجسد سكنت الجو المعزول للكتب التعبّدية العتيقة: متواضعًا وصافيًا، تَفَكَّر في الكتاب المقدس، تأمل نفسه، وكتب بوضوح ثابت عن القلب البشري وتحرّقه إلى الله. «كي تكون مؤلفًا في الدنمارك هو شيء مُرهِق مثل أن تعيش في مَشهد علني[32]، يكاد يكون مُلتبسًا مثل أن يُخفي المرء نفسه في لوحة»، كتب نيكولاس نوتابين في *مقدمات*. أسماء كيركغارد المستعارة لم تُخفِ هويته، إلا أنها ساعدته كي يحجب رغبته في أن يكون معروفًا.

بعد كُتب يونيو تلك، قرر أن يتوقّف عن كتابة خطابات بناء[33]، بدلًا من ذلك سوف يكتب خطابات لمناسبات مُتخيّلة: حفلات زفاف، مآتم، اعتراف، تناول. في البدء، أيضًا، أكمل مجموعة أخيرة من *أربعة خطابات بناء*، الذي نشره في نهاية أغسطس. هذه الخطابات كانت عميقة بنحوٍ خاصٍّ، شديدة الإحساس وقاسية؛ كرّرت «*المسيحية الحقيقية*» لأرنت في تأكيدها على المعاناة والضعف الإنساني. أكّد أرنت على أنّ «من دون تعاسة لا يظهر الله للإنسان، ومن دون معرفة تعاسته لن يجد الإنسانُ نعمة الله». في خطابه، «أن تحتاج إلى الله هو أرقى اكتمال بالنسبة للإنسان»[34]. اعترف كيركغارد بأنّ الحاجة الروحية العميقة «تجعل الحياة أصعب»، غير أنه فسّر قائلًا إنّ المرء يُصبح واعيًا بالله عبر «التجربة التدريجية» لقلقه، ارتباكه، يأسه - و«في هذه الصعوبة حياته أيضًا تكتسب معنىً أعمق فأعمق». وحين يتوصّل إلى الشعور بحاجته إلى الله، يتعلّم الشخص الذي يعاني أكثر فأكثر «أن يموت بالنسبة للعالَم، وأن يُثمّن أقل فأقل العالَمَ الخارجي، وما تُعطيه الحياة وتأخذه، وما سُمِح له هو نفسه أن ينجزه في العالَم الخارجي، إلا أنه يكون قلقًا بكلّ معنى الكلمة في ما يتّصل بالعالَم الداخِلي، وفي ما يتّصل بتفاهم مع الله».

***

قراءة أرنت أوضحت وعمّقت القناعة التي عُبِّر عنها أصلًا في خوف ورعشة: إنّ السعادة تكمن في الجانب البعيد من المعاناة، إنّ النضال يجب

أن يسبق السلوى، إنّ «الإنسان الذي يكون في حالة قلق هو وحدُه الذي يجد الراحة»[35]. يعتقد كيركغارد، الآن كما في السابق، أنّ تجارب القلق والشك هي تدريب جوهري على أن يُصبح إنسانيًا تمامًا. وينقل خبرته الخاصّة بالمعاناة ليس في كتابته فحسب، بل أيضًا في صداقاته - لأنّ روحه ليست هي الروح الموجوعة الوحيدة في كوبنهاغن، ولأنه حسّاس تجاه الآخرين الذين يكابدون المشقّة. ولمّا يعرف أنّ إميل بويسين مُرهَق، يكتب عارضًا تعاطفه، مُشيرًا إلى «أنك تجمع كلّ شيء مرةً واحدة وتُحيط نفسك به[36]، وبعدها تستسلم تحت ثقله. إلا أنّ الوجود يُطالِب بأن يُفهَم شيئًا فشيئًا».

السنة الفائتة، 1847، كتب رسائل طويلة إلى زوجة شقيقه هنرييته، التي تعاني من الكآبة الشديدة. كتب ملحًّا على كنّته: «*تأكدي من أنك تُحبّين نفسكِ*»[37]. «حين يعاني الإنسان ويكون عاجزًا عن أن يفعل شيئًا للآخرين، من السهل أن يقع فريسة للفكرة الكئيبة بأنّه فائض في هذا العالَم، كما يُحتمل أن يجعله الآخرون يعتقد بهذا أحيانًا. وبعدها يتعيّن على المرء أن يتذكر أنه *أمام الله الأفراد كافة مُهمّون بالتساوي، من دون تحفّظ مُهمون بالتساوي*؛ في الواقع، إذا كان هناك أيّ تفاوت، عندئذ فإنّ الفرد الذي يعاني أكثر ينبغي أن يكون أقرب كائن إلى عناية الله». بعد وفاة صديقه الكاهن سپانغ، زار أرملته مرارًا كي يُخفف عنها حزنها. «لقد فهم مثلما يفهم قليلون»[38]، يستذكر هانس بروشنر: «ولم يُخفّف فقط بواسطة تغطية الحزن بل أولًا يجعل المرء يعيه حقًّا، أن يأتي به إلى الوضوح التام». عمل كيركغارد المتعلّق بالبحث عن الروح، مستكشفًا قلقه هو ومعاناته، عمّق فهمه للإنسان، مانحًا فلسفته القدرة على التأثير في الآخرين. إنه يعيش هذه الفلسفة داخليًا، عادةً بألم، ويُعبّر عنها في علاقاته مع أولئك القريبين جدًا منه.

الفصل الثاني عشر

متاهة الحياة

في نهاية العام، في عمق منتصف الشتاء يُخيّم الليل مبكرًا في كوبنهاغن. على طول روزينبرغ غيد، ضوء المصابيح وضوء النار وضوء الشموع يملأ النوافذ العليا في الساعة الرابعة مساءً. المارة الذين يتحدّون الشوارع الباردة يلمحون أشجار عيد الميلاد في الحجرات المتألقة، يسمعون نُتَفًا من الأغاني وقهقهات الأطفال. حجرات كيركغارد هادئة، وهو وحيد. يكتب في يومياته: «العام 1848 رفعني إلى مستوى آخر[1]، لقد حطّمني دينيًا؛ الله جعلني مُتعَبًا».

طوال العام فكّر في النهايات -نهاية تأليفه، نهاية حياته- وراح يتقلّب بين القبول الهادئ بالموت والقلق العميق المتعلّق بإرثه الأدبي. هنا في روزينبرغ غيد أنتج «بعض أفضل الأشياء»[2] التي كتبها حتى الآن: المخطوطات الجديدة خُزِّنت بعناية في صندوقها الصفيح، يشعر هو، بأنها «إنجاز» حياته. ومع ذلك:

> **الأحوال بائسة للغاية هنا في الدنمارك[3] بحيث لو قيّض لي أن أنشر، مرةً واحدة، كلّ ما أتاح لي الله أن أكمله، فأنا متأكد أنني لن أؤخذ على محمل الجد، وسيتعرّض لي بالكلام كل متنمّر في الشارع. إلهي الرحيم، هل فعلتُ شيئًا شريرًا، إذًا؟ حصل ذلك مرةً أخرى، في السنة التي مضت توًّا، كنتُ مثابرًا للغاية؟ كون الله وهبني هذه القدرات؟ هل كانت تلك جريمة، إذًا؟ وإنه يتعيّن عليّ أن أنكر الله تعبيرًا عن الخوف من الناس في هذه المدينة السوق! أَرِني مؤلّفًا عانى بهذا القدر في أيّ بلد آخر! إن استطعتَ أن تُريني إياه، فهذا أفضل بكثير - إذًا سيكون لديّ شخص ما أستطيع أن أشفق عليه.**

وجهة النظر عن عملي كمؤلف هو الآن في الصندوق المعدني: لقد انتهى - إلا أنه لا يعرف ما إذا ينبغي له أن ينشره. الله يحثّه على أن يُحضِر حياته الداخلية التي طال اختباؤها إلى العراء، أن يجرّ نفسه عبر الأجمة العميقة للأشواك التي تطوّقه، ويُظهِر نفسه للعالَم. هذا البوح سيكون مُوجِعًا. «ومع ذلك»، يفكّر:

لعله واجبي تجاه الله[4]. وإن إخفاء حياتي الداخلية ربما يكون شيئًا سَمَح به الله إلى أن أصبح قويًا بما يكفي كي أتكلّم عنها: طفولتي التعيسة، كآبتي التامة، بؤس حياتي الشخصية قبل أن أُصبح مؤلفًا؛ هذا كلّه ساهم في حياتي الباطنية المخفية. حتى الآن سَمَح الله بذلك، لكن، في ناحية واحدة كان ذلك شكلًا من أشكال التدلّل. كان الله حَسنًا جدًا معي، محبوبًا جدًا، حيث بوسعي أن أقول حقيقةً أنّ مصاحبتي له هي العلاقة الوحيدة الموثوق بها؛ وهي، في بؤسي كلّه، سَمَح لي بأن أجد القوة كي أتحمّل ذلك كلّه، نعم، كي أجد فيها الخلاص.

لحظات «الخلاص» التي وجدها في هذه الشهور القاسية، الصعبة من العام 1838 تذكّره بحبه الأول - عناق أمومي، لطيف، مُطمئِن. الآن وهو في منتصف ثلاثينياته، يجد أن أبكر أيام طفولته ترجع إليه: إنه يعيش كلّ يوم «في علاقة مع الله مثلما يعيش طفل في علاقته مع أب (أُم)»[5]. أحيانًا ذكرياته الموجعة كان يصاحبها فهمٌ جديد للماضي، وما بدا على مدى زمن طويل لعنةً يُمكن أن يُقبل كنعمة. قلقه الأزلي إبان الأعوام المبكرة من نيتورف منحه اشتياقًا جارفًا للطمأنينة - وهذا الاشتياق بالذات، يعتقد هو، أنه يقرّب البشر إلى الله. على الرغم من كلّ قلقه وتناقضه في ما يتّصل بالديانة المسيحية، المتشابكة بنحو عميقٍ مع علاقته بأبيه، يحسّ غالبًا أن «تقريبًا حياتي كلّها ضاعت بنحو رهيب للغاية[6] كي أخبرها -ربما- بنحو أصدق مرةً أخرى، في ما يتعلّق بالله».

مع ذلك سؤال ريجينه يبقى من دون حلّ. على مدار هذه الشهور القليلة الأخيرة، فيما كان ينقّح قصة حياته وتأليفه، كان يفكّر فيها في كثير من الأحيان،

وفي «وضعها». كانت قد احتفلت توًا بالذكرى الأولى لزفافها، لأنها أخيرًا تزوجت من يوهان فريدريش شليغل في نوفمبر 1847، في كنيسة مُخلّصنا. كان كيركغارد جالسًا في تلك الكنيسة يوم الأحد لمّا قُرئ لها إعلان الزواج[7]. في يوم زفافها استأجر عربة وانطلق خارج المدينة. كتب مؤخّرًا في يومياته: «حجر زاوية زواجها هو وسيبقى أني حقير[8]، أو على الأقل إني شخصٌ كان يُريد أن يكون مهمًّا في العالَم. سوف تكون معتوهة تمامًا إذا ما اكتشفت حقيقة القضية». إنه يعتقد بأنّ علاقته مع ريجينه سوف تتغلّب على الظروف التي فرّقتهما: «اللحظة التي أموت فيها (التي توقّعتُها باستمرار سوف تحصل حالًا) [9]، سوف تنال بالطبع ما هو ملكها بحق. في تلك الناحية كلّ شيء جاهز. اسمها سوف يكون جزءًا من عملي كمؤلف، يتم تذكّره طالما يتم تذكّري».

مهما يكن ما يخبئه المستقبل، فإن الماضي لم يتراجع بعدُ. كلّ مرة يتذكّر فيها خطوبته المفسوخة، يكتشف آثامه. كتب في خريف 1848، بعد سبعة أعوام من إعادته لخاتم خطوبتها، وبعد بضعة شهور من زواجها من شليغل: «يا له من عذاب مستدام كان بالنسبة لي[10] أنها يجب أن تُذَلّ في سبيلي». إنه لا يزال يشعر أنها كانت فخورة جدًا بعلاقتها به، وأنه كان يتعيّن عليها أن تُخلي سبيله بنحو أسهل، إلا أنه مقتنع أيضًا بأنه «يبقى ذنبي على الرغم من ذلك[11]، لأن ذنبي تجاهها هو ذنب كبير جدًا بحيث إنه ابتلع ذنبها تجاهي». لقد أساء إلى ريجينه لأنه لم يفهم نفسه - لم يفهم أنه «خُطِب أصلًا» إلى الديانة المسيحية[12] بكلّ التعقيد الذي يستلزم هذا. لمّا طلب منها أن تتزوّج منه في العام 1840، لم يكن باستطاعته أن يفهم بجلاء أنّ طبيعته منعته من أن يكون زوجًا، أبًا، مواطنًا بورجوازيًا. ولم يفهم بعدُ مَن يستطيع أن يكون في العالَم.

هذا الكريسماس، لمّا تجمعت العائلات في منازلها، تذكّر هو خطوبته وأحسّ بعزلته. لقد شكا إلى يومياته بأنّ «عيد الكريسماس[13] كما يُحتَفَل به الآن في ما يُسمى بالعالم المسيحي هو وثنية خالصة، هو ميثولوجيا. رأي العيد أو فكرته كما يلي: الطفل هو من يُنقَذ، أو أن تُصبح أبًا وأمًا هو الحياة للمرة الثانية، شيءٌ يُنقّي، يُشرِّف. جدّية الحياة تبدأ فعلًا عندما يترك المرء جيلًا جديدًا

وراءه وعندها فقط يُصبح في فهم أعمق كي يعيش في حب سلالة شخص ما، ويحمل مسؤولية تنشئتها، إلخ.». أعياد الكريسماس الدنماركية أمست أعياد الحنين المَرَضي للطفولة، «التي تُفهَم على أنها الرقص من حول شجرة الكريسماس، والرغبة في ممارسة ألعاب لوح الخشب وتناول الكعك الصلب وكثير التوابل». هذا هو ما يراه الآن: «لا، إن يسوع المسيح الطفل ينتمي إلى النوع الروحي المتعلّق بالإنسان، وهذا لا يمتُّ بصلة إلى الزواج، الأب، الأم، الطفل، بل يتعلّق بكلّ إنسان فرد بوصفه روحًا».

والآن، في الأيام الأخيرة جدًا من العام 1848، يرجع إلى الفكرة القائلة إنه لو تزوّج من ريجينه ستكون الأخيرة تعيسة - «ثمة اختلاف لا نهائي بينها وبيني[14]، إنها تُريد أن تُشرِق في العالَم - وأنا مُصاب بالكآبة، وكآبتي تكشف المعاناة، وينبغي أن أعاني. على مدى فترة معينة كانت ستسعد بعلاقتها معي، ولعل هذا في البداية جعلها مشرقة. إلا أنه تاليًا، حين تعيّن أن يكون الأمر جدّيًا، بواسطة انسحابي أو بواسطة إبحاري إلى المعاناة الحقيقية، المسيحية، حيث لا شرف أو احترام يُمكن حيازتهما: عندئذ كانت ستفقد روح فكاهتها الجيدة. وأنا - حسنًا، ما كنتُ لأصبح أنا نفسي».

الخطوبة تبقى عقبةً في الطريق: سَلَكَ الطريق الذي يقوده بعيدًا عن ريجينه، ولم يرجع قط، لا يستطيع أن يرتدّ على عقبيه - ومع ذلك الطريق الوحيد الذي اختاره يظل يدور عائدًا إليها. وفيما هو ينظر للوراء إلى يوم من أيام سبتمبر في العام 1840 عندما طلب يد ريجينه، يبدو أنه يقود بعناد إلى حوادث 1846، لمّا كانت علاقته بالعالَم قد تبدّلت مرةً أخرى - ومنذ ذلك الحين حتى هذه اللحظة، في نهاية عام من المحاسبة، هو على حافة بداية جديدة.

***

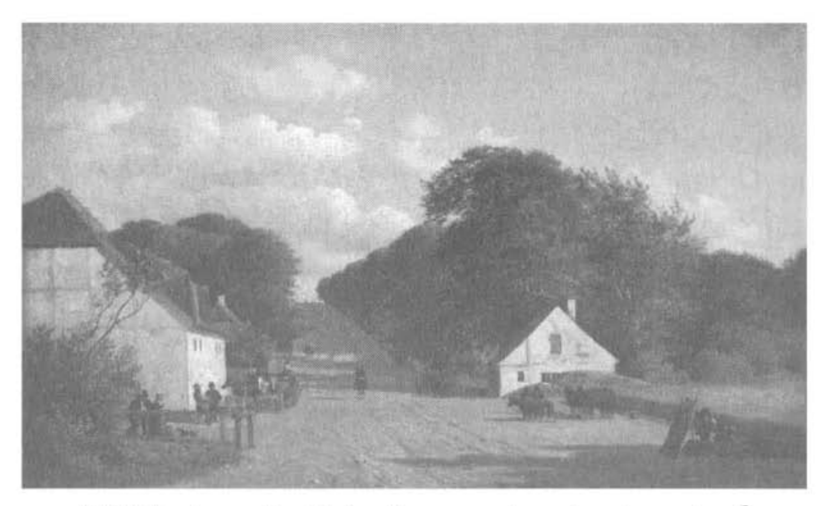
في صيف العام 1844، بعد أن نشر *مفهوم القلق* و*شذرات فلسفية* و*مقدمات* -وهي كتب لا ترتبط ارتباطًا مباشرًا بريجينه- عادت كتابته إلى مسألة الزواج التي هيمنت على *إما/ أو* و*التكرار*. كان يومئذ يكتب مسوّدتيْ كتابين منفصلين عن النساء، الحب، الخطوبة، الزواج. كان هذا مشروعًا أدبيًا معقّدًا: في الكتاب

الأول، المُقسّم إلى جزء جمالي وجزء أخلاقي، جمع شخصيات من كتبه لعام 1843؛ أما الكتاب الثاني فقد كرّر قصة خطوبة مفسوخة، إلا أنه استعمل اسمًا مستعارًا جديدًا، فراتر تاكيتورنوس، كي يدفعه في اتجاه ديني أكثر من *التكرار*. في العام 1845 ينشر العملين كمجلّد واحد، *مراحل في طريق الحياة*، باسم محرّر مُستعار هو هيلاريوس بوكبايندر. في أكثر من خمسمئة صفحة وهذا هو أكبر كُتبه حجمًا من ناحية عدد الصفحات منذ *إما/ أو*.

دوّن في يومياته في نهاية أغسطس 1844: «إني باستمرار أعيد كتابة أجزاءٍ منه، إلا أنه لم يُرضني[15]. في الوقت الحاضر الانتاجية فشلت وجعلتني أكتب باستمرار أكثر مما أردتُ». على مدى زمن طويل توقّع أن يتوفى في العام 1846، لمّا يبلغ سن الثالثة والثلاثين - أيّ قبل عامين من الآن، وكان يُريد أن يُنهي هذه الكتب ويكتب شيئًا «أهم». لم يكن لديه وقت كي يهدره: «لا يسعني أن أكتبه هنا في المدينة؛ لذا يتعيّن عليّ أن أقوم برحلة»، ختم تدوينه في دفتر اليوميات.

في ذلك اليوم قاد العربة خارجًا صوب «لينجبي»، تقريبًا على بعد عشرة أميال شمال كوبنهاغن. لم يغادر كوبنهاغن حتى مايو من السنة التالية، إلا أنه طوال الصيف كلّه وفي مطلع خريف العام 1844 قام برحلات عدّة متجهًا إلى الريف، في غالب الأحيان إلى نيهولت، التي تقع على بُعد ميلين من لينبي، ومرةً أو مرتين قاد العربة طوال الطريق إلى فريدينسبورغ، في الجانب البعيد من بحيرة إسروم.

تلك الأيام في الريف غذّت خياله -وهو يقود العربة عبر المَشاهد المفتوحة، عابرًا الغابات الساكنة- وجعلت كتابته شاعرية أكثر من قبل، كما لو أنّ الهواء الصافي خفّفها. كلّ جزء من أجزاء *مراحل في طريقة الحياة* كانت موقعًا ريفيًا. يبدأ الكتاب «في عزلة الغابة»، حيث اسم مستعار وهمي يُدعى وليم أفهَم يتذكر حفلة شرب في ساعة متأخرة من الليل، اتخذت أسلوب ندوة أفلاطون. في هذا التجمّع حيث كان ڤيكتور إرميتا ويوهانِس المُغوِي من *إما/ أو*، قسطنطين قسطنطينوس من *التكرار*، ومصمم أزياء، وشاب مجهول غير متمرّس. إنهم يتبادلون الأدوار كي يُلقوا أحاديث في مديح النساء، وليم أفهَم يتذكّر، فيما هو يجلس مفكّرًا وسط الأشجار.



أندرياس جول: نهار صيف عند هضبة جيل القريبة من هولت (1856)

«الآن تعلّمتُ ألا أحتاج إلى الليل حتى أجد السكون»[16]، يشرح قائلًا، «لأنه هنا، المكان ساكن على الدوام، جميل على الدوام، إلا أنه يبدو جميلًا للغاية بالنسبة لي الآن حيث توارت شمس الخريف والسماء تغدو زرقاء واهنة، عندما يتنفّس الخلق الصعداء بعد الحرارة، عندما يبدأ البرد وحشائش المروج ترتجف بشهوانية حين تتموّج الغابة، حين تفكّر الشمس بأن تغطس في المحيط وقت المساء، عندما تتأهب الأرض للراحة وتفكّر في تقديم شكرها، عندما قبل مغادرتهن مباشرة يكون لديهن تفاهم بين بعضهن على أن يذبن معًا برقّة حتى تظلم الغابة ويصبح المرج داكن الاخضرار». في تلك الساعات الذهبية، يُضيف، «ثمة شخص مُنهَك عانى كثيرًا باستطاعته أن يبحث عن العزاء، لأنه لا يوجد شيء أرقّ وأكثر سكونًا وأهدأ من البريق المتناقص لضوء ما بعد الظهر». هذا هو الملاذ من القلق، من العيون التي تُصدِر الأحكام، من الشوارع القذرة الملَيئة بالضجيج؛ الملاذ الذي حلم به كيركغارد منذ انفصاله عن ريجينه - مكانٌ يستطيع أن ينسحب إليه ويأسف على آثامه.

الجزء الأول من *مراحل في طريق الحياة* ينتهي بندوة الأسماء المستعارة

وهم يستقلون مركبة متوجهين إلى الريف وقت الفجر، بعد أن يقضوا الليل كلّه يشربون ويتحدّثون عن النساء. وفيما هم يسيرون عبر الحقول، يلمحون القاضي وليم وهو يتحاور بحنان مع زوجته في حديقة منزلهما الريفي - وفيما كان الاثنان يستمتعان بشاي الصباح، يتسلّل ڤيكتور إرميتا إلى مكتب القاضي ويكتشف مقالة جديدة عن الزواج على طاولة مكتبه.

هذه المقالة تقارن الزواج مع الحياة الرهبانية؛ تمتدح المقالة الجمال المتواضع للحب الأمومي، الجمال العميق لامرأة مُسنّة. وعلى غرار نيكولاس نوتابين، وجد القاضي وليم طريقةً كي يكون زوجًا وكاتبًا في آن. تنتهي مقالته حين يسمع زوجته تمشي بهدوء بجوار غرفة مكتبه مساءً:

> لحظة واحدة لا غير، حبيبتي، لحظة واحدة لا غير[17] - روحي خصبة للغاية، وأنا أيضًا فصيحٌ جدًا في هذه اللحظة، بحيث إنني أود أن أدوّن على الورق مديحًا لك، نصفي الآخر الأفضل، وبناءً على ذلك أُقنع العالَم بأسره بمشروعية الزواج. ومع ذلك في الوقت المناسب، غدًا، واليوم الذي يلي الغد، وفي أثناء أسبوع، سوف أرميكِ بعيدًا، أيتها الريشة البائسة - لقد حدّدتُ اختياري، وأنا أتبع الإشارة والدعوة. دع كاتبًا بائسًا يجلس مرتعشًا حين تُقدّم فكرةٌ نفسَها في لحظة سعيدة الحظ، مرتجفًا حتى لا يُزعجه أحد - أنا خائف من لا شيء، إلا أنني أعرف أيضًا ما هو الشيء الأفضل من الفكرة المناسبة جدًا في عقل إنسان ما وما هو الشيء الأفضل من التعبير المناسب جدًا على الورق للفكرة المناسبة جدًا، وما هو الشيء الأثمن بنحو غير محدود من أيّ سر يُمكن أن يمتلكه مؤلفٌ مسكين مع قلمه.

بعد مَشهد الحديقة المؤثر هذا وترنيمة شكر للحياة العائلية من مفتون بزوجته يأتي «مذنب؟ ليس مذنبًا؟»، سلسلة من تدوينات يوميات مؤلّفة بشكل مرموق تصف خطوبة مفسوخة، يعقبها تأمّل طويل في الوجود الديني. هذا كلّه

يُنسب إلى اسم مستعار رهباني يُدعى فراتر تاكيتورنوس، الذي يشرح أنه في أثناء رحلة إلى ساحل كيليلاي الشمالي وجد صندوقًا خشبيًا مختومًا في بحيرة سوبورغ. في داخل الصندوق كان دفتر اليوميات، ملفوفًا بمشمّع، بالإضافة إلى «خاتم ذهب خالص بتاريخ منقوش[18]، وقلادة تتكوّن من صليب ألماس مربوطة بشريط حرير أزرق فاتح، صفحة منتزعة من «العهد الجديد»، ووردة ذابلة في علبة صغيرة ذات طلاء فضي». إلا أنّ فراتر تاكيتورنوس يعترف تاليًا أنه ألّف اليوميات بنفسه باعتبارها «إبداعًا خياليًا»، تجربة تفكير.

«قصة معاناة»، هي أكبر جزء من سيرة ذاتية كتبه المؤلف بنفسه في *مراحل في طريق الحياة*: هنا بدا كيركغارد كأنه يغوص عميقًا في بحيرة روحه كي يستعيد أسرارها. كما أنه استذكر كلمة كلمة المذكّرة التي بعثها إلى ريجينه[19] حين أعاد إليها خاتم الخطوبة في العام 1841: «بادئ ذي بدء، إنسي الشخص الذي يكتب هذا؛ سامحي رجلًا، حتى لو كان قادرًا على شيء ما، هو على الرغم من ذلك عاجز عن أن يجعل فتاةً ما سعيدة». اعترف بذنبه، ومع ذلك أحسّ بالارشاد الإلهي لـ«القضاء» في المسألة كلّها؛ حياته تحتوي «غلطة» -ربما حياته كلّها غلطة!- ومع ذلك هذه الغلطة تعبّر عن حقيقة ما:

> *الثامن عشر من يونيو*. هل أنا مُذنب، إذًا؟[20] نعم. كيف؟ كوني بدأتُ ما لم أستطع القيام به. كيف تفهمينه الآن؟ أنا الآن أفهم بشكل أوضح لماذا كان شيئًا مستحيلًا بالنسبة لي. ما ذنبي إذًا؟ أنني لم أفهمه عاجلًا... ما الشيء الذي يستطيع أن يصلح لأن يكون عُذركِ؟ أنّ فردانيتي الكاملة تُهيؤني إلى شيء كنتُ فيه مدعومًا من الجوانب كلّها، هذا الشيء، لو أني بحثتُ عن شخص أأتمنه على أسراري، سأجده مؤكّدًا - أيّ، إنّ الشخص المُحبَط ينبغي ألا يُعذّب زوجته بمعاناته هو، بل يجب أن يحتويها (أيّ معاناته) مثل رجل في داخل نفسه. أين تجد عزاءك؟ إني، في اعترافي بهذا الذنب، أيضًا أحسُّ بـالقضاء [قضاء الله] فيه كلّه... بماذا تتأمل؟ ذلك

أنه من الممكن أن يُغفَر الذنب، إن لم يُغفَر هنا إذًا سيكون ذلك في أبدية ما.

في أثناء ليلة صيفية قصيرة ومُؤرقة أخرى، يقرّر كاتب اليوميات «سأستخدم كلّ طاقتي كي أبقى مُخلصًا لتجربتي الروحية»[21]. يعترف بأنه من الأفضل، لو «كان باستطاعتي أن أبقى مُخلصًا لها؛ سيكون أفضل لو أنّ وجودي الروحي توافق مع الممارسة اليومية في الزواج، وكنتُ سأفهم الحياة بنحو مؤكد وبسهولة». مع ذلك يعرف هو أنّ الماضي لا يُمكن محوه أو إعادة كتابته. حياته أشبه بـ«كتاب طُبع مرة واحدة ولا مجال لإجراء التصحيحات فيه». على أي حال، يستطيع الكاتب أن يُضيف إلى كتابه لائحة بالأخطاء الطباعية، التي ربما تضم «قراءة مُعبّرة أكثر بكثير ممّا هو وارد في النص - عندئذ سيكون مقنعًا وجود هذه اللائحة ولكن بكل معناها الممتلئ».

كان كيركغارد يعرف أنه، من دون ريجينه، لم يكن سيصبح هو نفسه. لكن مَنْ أصبح هو، باستثناء سطور الحبر على الصفحة؟ هذا السؤال يبدو أنه لن يجد جوابًا: حتى مئات الصفحات في *مراحل في طريقة الحياة* - بضعة آلاف الصفحات إذا ما حُسِبت *إما/ أو*، *خوف ورعشة*، *شذرات فلسفية*، *مقدمات* ومفهوم *القلق* أيضًا - لم تُعبّر عن كلّ شيء كانه هو. ربما السؤال بلا نهاية؛ ربما اقترب كثيرًا جدًا من نفسه في اللحظات الصامتة العميقة التي وقع فيها أحيانًا وسط أيامه الشاقة ولياليه القلِقة.

في *مراحل في طريق الحياة*، كما في نتاجاته في فبراير 1843، أكتوبر1843 ويونيو1844، جمع فرقةً صغيرة من ذوات متخيّلة وأرسلها في اتجاهات مختلفة عبر العالَم. هذه المرة هنالك ثمانية منهم: وليم أفهَم، ڤيكتور إرميتا، يوهانِس المُغوِي، قسطنطين قسطنطينوس، مصمم أزياء، شاب بريء، القاضي وليم وفراتر تاكيتورنوس. لا أحدَ من هؤلاء الرجال هو سورين كيركغارد: إنهم دروبٌ تجتمع في سؤال وجوده.

هل هو أصل هذه الدروب، أم إنه مَقصدها؟ ثمة مكان في غابة غريبس،

خارج الطريق المفضي إلى فريدينسبورغ، يُسمى «مُعتَزَل الدروب الثمانية». روحه تشبه هذا المكان المراوغ: «فقط الشخص الذي يبحث بجدارة يجده[22]، لأنه ما من خارطة تُشير إليه. في الواقع، الاسم نفسه يبدو أنه يحتوي على تناقض، لأنه كيف لنقطة لقاء ثمانية دروب أن تخلق مُعتَزَلًا؟ كيف يُمكن أن يتوافق المطروق والسبيل مع النائي والمخفي؟ مع ذلك فالحال هو هكذا: إنها فعلًا ثمانية دروب، إلا أنها على الرغم من ذلك معزولة جدًا هناك... ما من أحد يسافر في هذا الطريق باستثناء الريح، وما من أحد يعرف من أين يأتي هذا الطريق وإلى أين يذهب». إذا كانت تلك الآثار كلّها، تلك الأسماء المستعارة كلّها، تلك الكتب كلّها تنقل حقيقة وحيدة، فهي أنّ البشر ليس بوسعهم أن يتبيّنوا دربًا واضحًا عبر الحياة فيما هم يمشون. في داخل الغابة، لا يرى المرء ما أمامه إذا كان يبعد مسافة طويلة. و*مراحل في طريق الحياة* نفسه ليس رحلة بسيطة مثل الذهاب بعربة جياد إلى فريدينسبورغ، والمرور عبر لينبي، هولت، هورشولم. الكتاب متاهة، إنه مُضلِّل، كان كيركغارد يعرف أنه سيكون من الصعب أن يُفهَم.

في أكتوبر 1844 انتقل إلى شقته في نورغيد، نزولًا إلى الطريق المؤدي إلى 2 نيتورف، منزل أسرته، حيث شغل شقة الطابق الأول. خادمه أنديرس رتّب كلّ شيء، أعاد ترتيب المكتبة؛ «هو، في الحقيقة، جسدي»[23]، قال كيركغارد متندرًا لهانس بروشنر. أما ما تبقّى - الروح، الشخصية، الريشة- فقد واصل الكتابة لا غير. أصبحت مسوّدات *مراحل في طريق الحياة* غزيرة أكثر وكثيفة بالتعديلات. إسرائيل ليڤن وجب عليه أن يقضي كلّ يوم في 2 نيتورف على مدى أسابيع من دون انقطاع كي يساعد في تحضير المخطوطات للنشر.

رأى كتاب *مراحل في طريق الحياة* النور في نهاية أبريل 1845، بالإضافة إلى *ثلاثة خطابات في مناسبات مُتخيّلة* من تأليف س. كيركغارد. في 6 مايو بعد عيد ميلاده الثاني والثلاثين، ظهرت في برلينغس *تايمز* مراجعة مجهولة المصدر لكلا الكتابين – وهناك، لأول مرة في الطباعة، سُمي باعتباره مؤلف أعماله ذات الاسم المستعار. مَدَح المُراجِع «موهبته الشاعرية الأصيلة»

وإنتاجه المُذهِل: «قد يعتقد المرء أنّ الماجستير كيركغارد يمتلك نوعًا من عصا سحرية[24] يستطيع بواسطتها، على الفور، أن يستحضر كتبه، إنه شيء لا يُصدّق بكلّ معنى الكلمة أنّ نشاطه الأدبي كان في السنوات الأخيرة... كلّ واحد من هذه الكتب هو كتاب لافت بسبب عمق الفكرة التي تلاحق موضوعه إلى أصغر خيط ويكشف جمالًا نادرًا وأناقة في اللغة، وبالأخص سَلاسَةً تتفوّق على سلاسة أيّ كاتب دنماركي معاصر». لو كان لديه أيّ نقد سلبي لهذه «الكتب الرائعة»، أضاف المُراجِع المجهول، فهو «أنّ المؤلف يأخذ تقريبًا وقتًا طويلًا جدًا في الاستفاضة في تأملاته، بحيث إنها غالبًا ما تغدو مُسهَبة نوعًا ما».

على الرغم من هذا المديح المُغالى فيه، كان كيركغارد خائفًا لأنّ تأليفه قد أصبح رائجًا. ردّ بعد ثلاثة أيام بمقالة ظهرت في ذه *فاذرلاند* معترضًا على الادعاء «غير المسموح به» بأنه كتب الأعمال ذات الاسم المستعار - لأنّ المؤلّف نفسه هو الذي يحقّ له أن يُدلي بهذا التصريح. وزيادةً على ذلك، هذا المُراجِع لم يكن لديه التفويض حتى في أن يُشيد بعمله. تجلّت خيبة أمله في أنّ كتبه تلّقت اهتمامًا ضعيفًا من قراء مؤثّرين كثيرين ظهروا من خلال ازدرائه: «حين يكون القارئ الشرعي في الأدب الدنماركي[25] بروفيسور هيبيرغ على سبيل المثال، هو الذي يتكلّم، حين يكون ذلك الكاتب البارع، المُبجّل جدًا تحت الاسم المستعار (كتس)» (ذلك هو الأسقف مينستر) «الذي يتكلّم - حسنًا، فإذًا الإشارة لها معنى، وكلمة تشجيع لها شرعية، والاحتفاءُ الأدبي اللطيف هو سعادة».

في أقل من أسبوع عقب ذلك مضى إلى برلين على مدى أيام معدودة. كان في تلك الآونة غارقًا في كتاب جديد، *حاشية ختامية غير علمية*، وهو تكملة لـ*شذرات فلسفية*. هذا بحث رائد في «مهمة أن تُصبح مسيحيًا» من تأليف يوهانِس كليماكوس، اسمه المستعار الجدلي جدًا. مع أن كليماكوس نفسه لم يكن مسيحيًا، إلا أنه تناول المسائل الفلسفية المنبثقة من العقيدة المسيحية بتألّق؛ ناقش ليسنغ وياكوبي، ووجّه مزيدًا من الضربات إلى نظام هيغل، واقترح أسلوبًا جديدًا للفلسفة كي يعالج «علاقة الفرد الذاتية بالعقيدة المسيحية».

كان كيركغارد قد قرر أنّ هذه «الحاشية» ستكون هي كتابه الأخير، لذا ينبغي أن يصون سمعته. أنهى ذلك بـ«أول وآخر تصريح» اعترف فيه أنه وراء أسمائه المستعارة كلّها منتزعًا السيطرة على تأليفه من مُراجِع هو برلينغس *تايمز*.

هناك في الدنمارك صيف ذلك العام تجمّعت غيوم العاصفة. نال عمله مزيدًا من المديح في الصحافة – ليس من هيبيرغ أو مينستر، كما كان يتمنى، بل من *القرصان* سيئة السمعة، الجريدة الأسبوعية الصادرة في كوبنهاغن التي تحقّق أعلى المبيعات. في يوليو عبّرت جريدة *القرصان* عن إعجابها بهيلاريوس بوكبايندر، محرر*مراحل في طريق الحياة* وفي نوفمبر عبّرت الجريدةعن تقديرها لـ*إما/أو* من خلال الإعلان أنّ: «ڤيكتور إرميتا لن يموت!». هذه الإشارات الطفيفة غذّت حساسية كيركغارد، وزرعت بذور صِدامه مع العاملين في الصحيفة.

صحيفة *القرصان* يُحرّرها سرًّا كاتب شاب مُخرّب، مير هارون غولدشميت، الذي أسس الجريدة في العام 1840 لمّا كان يبلغ عشرين عامًا لا غير. بوحيٍ من الصحافة الجمهورية والاشتراكية الساخرة في باريس[26] *القرصان* سخرت من المؤسسة الدنماركية، انتقدت الملك ونشرت الشائعات الخبيثة. كان غولدشميت مفتونًا بأسطورة الإغريق نمسيس[27]، الإلهة التي تعاقب الأشخاصَ المتعجرفين: إنها نمسيس التي أغرت نرسيس وجرته إلى البركة حيث وقع في حب صورته المنعكسة وتوفي عند حافة الماء عاجزًا عن انتزاع نفسه من صورته المحبوبة. *القرصان* استعملت أسلوبًا مختلفًا في القصاص، معاقبةً مشاهير كوبنهاغن بالضحك، ورسّام الكاريكاتور فيها پيتر كلاستروپ صنع صورًا غير مُحبَّبة بلا ريب لهؤلاء الأشخاص الحديثين. بحلول العام 1845 اكتُشف وأُودِع السجن وغُرِّم، ومنعته حكومة كوبنهاغن من طباعة الجريدة – غير أنّ *القرصان* استمرت في الصدور. في ذلك العام نشر غولدشميت روايته الأولى *يهودي*، معتمدًا على تجربته في معاداة السامية في الدنمارك.

أبدى غولدشميت إعجابَه بكتابة كيركغارد، وكانت تربطهما علاقة صداقة منذ سنوات دراستهما الجامعية. غير أنّ كاتبًا طموحًا آخر، پيدر لودڤيج مولر[28]

ساعد غولدشميت في تحرير *القرصان* - وعلاقة كيركغارد به كانت أقلّ ودّية بكثير. كان مولر شُوَيْعرًا، وزير نساء سيئ السمعة، ما كان ليكون في غير محلّه في الجزء الأول من *إما/ أو*: رعى صورة بيرونية رجولية، نوعًا ما أشبه بيوهانِس المُغوِي. كان يطمح لأن يسبق أولينشلاغر إلى «كرسي علم الجمال» في جامعة كوبنهاغن، وعمل متسترًا في الـ*قرصان* كي يحمي فرص مسيرته.

في ديسمبر 1845، فيما كان *حاشية ختامية غير علمية* في طريقه إلى المطبعة، نشر مولر كتابه الأدبي السنوي غيي 1846، الذي ضمّ مراجعة لـ*مراحل في طريق الحياة*[29]. مُشيرًا إلى كيركغارد بوصفه «الفيلسوف ذا الأسماء الكثيرة»، مولر مدح ميزاته الجمالية الكثيرة، معترفًا بـ«مواهبه البارزة»، و«عبقريته» الفلسفية و«بصيرته اللامعة»، و«الغزارة المدهشة لفكره وشعوره»، و«ثراء وفصاحة كتابة قلّما يجد المرء ما يعادلها». إلا أنّ مولر كان منزعجًا من مَيل كيركغارد إلى «كشف تطوّره الداخلي لعيون العامة»، وهذا الكشف ورد في خاتمة فراتر تاكيتورنوس لـ*مراحل في طريق حياة*: «في كلّ مرة يشعر المرء أنه قادر على أن يستسلم لمتعة أدبية خالصة يقف المؤلف معترضًا الطريقَ بتطوّره الأخلاقي والديني الشخصي، وهو شيءٌ لا أحدَ يسأل عنه».





مُحرِّرا *القرصان*
ب. ل. مولر (اليسار) وم. آ. غولدشميت (اليمين)

مهما يكن من أمر، تبيّن أنّ مولر مُولعٌ بهذه القضايا «الشخصية»، فيما كانت

مراجعته تنجرف من النقد الأدبي إلى المديح السايكولوجي لتدمير السمعة. بعنجهية قرصان حقيقي، اقترح أنّ نتاج كيركغارد هو نتيجة طبيعته السقيمة - طبيعة غير صحية، غير طبيعية وعديمة الرجولة. «الكتابة والانتاج يبدو أنهما أصبحا حاجة جسدية بالنسبة له، أو أنه يستعملهما كدواء، على وجه الدقّة، كما في مرض معيّن يستعمل المرء إراقة الدم، العلاج بالحجامة، الحمامات البخارية، الأدوية المُقيّئة، وما إلى ذلك. ومثلما يرتاح الشخص المعافى بالنوم، يبدو أنه يرتاح بأن يدع ريشته تتدفّق؛ بدلًا من الأكل والشرب، يُشبع نفسه بالكتابة؛ بدلًا من إعادة إنتاج نفسه بطفل واحد سنويًا مثل إنسان عادي، يبدو أنه يمتلك طبيعة السمك وبيوضه». اتهمه مولر بسوء معاملة النساء في كتابته وكذلك، ألَمح إلى حياته: «الطبيعة الأنثوية الموضوعة على الرف التجريبي تتحوّل إلى ديالكتيك في الكتاب وتتلاشى، إلا أنها في الحياة الواقعية لا بد أن تجنّ أو تُغرِق نفسها في بحيرة پيبلنغ» بنحو لا مفرّ منه.

«إن كنتَ تعتبر الحياة مختبر تشريح وأنتَ جثة، إذا استمِرّ، مزّق نفسك قدرَ ما تشاء»، استطرد مولر مُشدّدًا هجومه بمخاطبة مباشرة. «أما أن تغزل كائنًا آخر في نسيج العنكبوت العائد لك، فشرّحه وهو حيّ، أو عذّب الروح فيه قطرةً قطرة بواسطة التجريب - هذا غير مسموح، باستثناء مع الحشرات. ألا يوجد شيءٌ مُروِّع ومُقزّز للنفس لعقل الإنسان المعافى حتى في هذا الرأي؟» من خلال مساءلة كماله الأخلاقي ورجولته، انغرزت مخالب مولر في الحساسيات العميقة التي بذل كيركغارد جهودًا معقّدة وشاقّة للغاية كي يحميها منذ أن قطع علاقته مع ريجينه وبدأ مسيرة التأليف.

«بالنسبة لي»، يرتأي مولر، أنّ تأملات المؤلف المنحرفة هذه «هي أشبه بالصور الفورية التي لا تُصوَّر فيها فقط الملامح المهمة والمميزة جدًا، كما في الرسم الاعتيادي، بل كلّ شيء من الممكن أن يُدرَك، بحيث إنّ الشيء كلّه يُصبح كتلةً متشابكة ومتاهة غير مطروقة. على الرغم من كلّ اطّلاعه، بات التأمل بالنسبة له مرضًا قاسيًا. تديّنه الذي يتخلّى عن العالَم كلّه كي ينشغل بنفسه، يبدو لي كأنه جُبنٌ ينبغي أن يضحك عليه ربنا وملائكته... لو أنه عاش في ظل ظروف

أجبرته كي يشغل نفسه بشيء ما باستثناء نزواته، كان بلا شك سيطوّر مواهبه إلى أعلى درجة».

لمّا قرأ كيركغارد مراجعة مولر، غمرت روحه هذه الكلمات الشاجبة بقوة، نقشت نفسها في ذاكرته، قولبت أفكاره، واخترقت فؤاده. والحُبيبات الحادّة للحقيقة كانت أشبه بالملح في جروحه. انتقم على الفور، إذ نشر مقالة طويلة في ذه *فاذرلاند* مُوقّعة باسم فراتر تاكيتورنوس، الذي صرف النظر عن مولر بغطرسة: «أشخاص كهؤلاء ليسوا جزءًا من بيئتي، ومهما كانوا فضوليين وخشني الطباع، لا يهم؛ هذا لن يُعكّر سعادتي بالعالَم الصغير الذي يكوّن بيئتي». وانتهى باستفزاز -شبه ساخر، شبه جاد- كشف ارتباط مولر بـ*القرصان*: «هل هذا يعني أني من المحتمل أن أتورّط في *القرصان* قريبًا![30]. إنه لشيءٌ صعب فعلًا بالنسبة لمؤلف مسكين أن يكون مميزًا جدًا في الأدب الدنماركي، بحيث إنه (وعلى اعتبار أننا نحن الأسماء المستعارة نمثّل شخصًا واحدًا) الوحيد الذي لم تُسَأ معاملته هناك».

بعد ذلك مباشرةً قابلَ غولدشميت في الشارع وناقشا هذه الخصومات الأدبية[31] كما لو أنّ أيّ واحدٍ منهما لم يكن منخرطًا فيها شخصيًا. أشار غولدشميت إلى أنّ فراتر تاكيتورنوس كسر قاعدة أدبية تتعلّق بالفكاهة في تسمية مولر كونه مرتبطًا مع *القرصان*؛ كيركغارد رد قائلًا إنّ «حق» فراتر تاكيتورنوس ينبغي أن يُرى من «وجهة نظر أسمى». لم يؤيّده غولدشميت، وبعدها تكلّما عن أشياء أخرى.

في 2 يناير 1846 استجابت *القرصان* لصرخة المعركة التي أطلقها كيركغارد من خلال نشر قصة ساخرة عن فراتر تاكيتورنوس - «زاهد وفيلسوف عظيم وشهير، له اسمٌ آخر يتنزّه، في ظلّه، في الشوارع يوميًا، إلا أنه سيكون شيئًا متهوّرًا أن نذكر هذا الاسم» - متواطئًا مع ذه *فاذرلاند* كي يكشف هوية مُحرّر *القرصان*. «أنا سعيد جدًا قدرَ ما أكون عليه لو أنّ أحد كتبي عَلق في حنجرة هيبيرغ»، يصيح فراتر تاكيتورنوس ما إنّ يُنجز الفعل، ويقترح أن يُقام حفل من خلال فعل شيء ما للمسكين: «سأتخيّل تجربة - الفكرة، بحيث إنني أعطيتُ

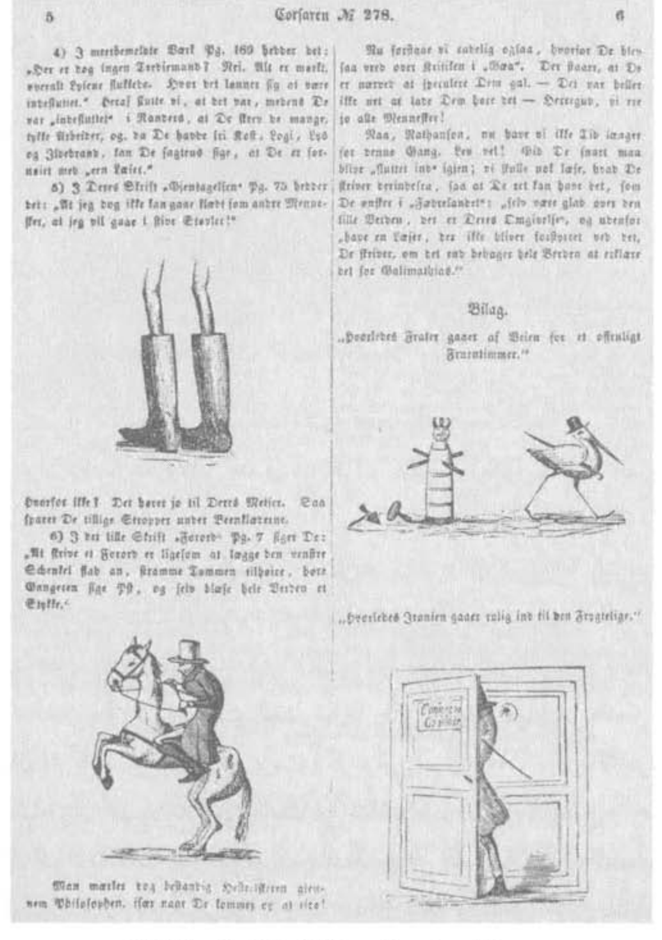
ريكس-دولار إلى امرأة فقيرة لها خمسة أطفال صغار. تخيّل مبلغ سعادتها! تخيّل أولئك الأطفال الأبرياء وهم يرون ريكس- دولارا». في الأسبوع التالي نشرت الصحيفة رسمًا تخطيطيًا يُظهِر سورين كيركغارد، وكان يُصاحبه رسمٌ كاريكاتوري يُركز على عموده الفقري المقوّس.

طوال يناير وفبراير واصلت *القرصان* هجاءَه أسبوعيًا، ساخرةً من ادعاءاته الفلسفية ورِجليه النحيفتين - واحدة أطول قليلًا من الأخرى- في سرواله غير المتساوي. رسوم كلاستروب وصفت كيركغارد يمتطي حصانًا، وكيركغارد وهو يحارب خَصمًا، وكيركغارد يجلس خارج مكتب *القرصان* ينتظر أن يسمحوا له بالدخول. «التجربة المصطنعة مع فتاة يافعة من *مراحل في طريق حياة* شُبّهت بتدريب حصان؛ التصوير المصاحب لهذه القطعة الأدبية جعل كيركغارد يركب على كتفيْ سيدة، مُعيدًا إلى الذهن اتهام مولر بأنه استغل ريجينه في سعيه من أجل الشهرة الأدبية».

حين برز *حاشية ختامية غير علمية* إلى النور في نهاية فبراير - في مُجلّد ضخم آخر، وحتى أثخن من *مراحل في طريق حياة*- سخرت *القرصان* من غطرسته في رفض كيل المديح لكتبه:

> إنه لشيءٌ غريب حقًّا ألّا يكون للإنسان سيطرة على الكتاب الذي يشتريه ويدفع ثمنًا له[32] ثلاثة ريكس-دولار و64 شلنًا. لو كان لدى الماجستير كيركغارد كتابٌ مطبوعٌ من أجل أن يوزّعه على أصدقائه ويتخلّص منه، عندئذ بوسعه أن يطلب أولًا وقبل كلّ شيء: هل تعتبر أنّ هذا الكتاب نموذجي ورائق وحساس جدًا بحيث إن مجرّد لمحة من حُكم بشري عليه تُفسِده؟ لكن حين يدفع المرء بنزاهة وباستقامة أخلاقية ريكس - دولاراته الثلاثة و64 شلنًا ومن ثم يُقال: اقرأه كما تقرأ الكتاب المقدّس؛ إن لم تفهمه، إذًا اقرأه من جديد، وإن لم تفهمه في المرة الثانية، قد يتعيّن عليك أن تطلق النار على رأسك - عندئذ يهيمن عليه إحساسٌ غريب. ثمة لحظة

حين يكون عقله مضطربًا، ويبدو له أنّ نيكولاس كوبرنيكوس رجلٌ أحمق حين أصرّ على أنّ الأرض تدور حول الشمس؛ على العكس، السماء، الشمس، الكواكب، الأرض، أوروبا وكوبنهاغن نفسها تدور حول سورين كيركغارد، الذي يقف صامتًا في الوسط ولا يخلع قبعته مرةً واحدة اعترافًا بالشرف الذي أُبديّ له.



5 Corsaren № 278. 6

4) I mereberørte Værk Pg. 169 hedder det: „Her er dog ingen Tærdiermand? Nei. Alt er mørkt, overalt Lysene slukkede. Hvor det lønner sig at være indesluttet." Heraf slutte vi, at det var, medens De var „indesluttet" i Randers, at De skrev de mange, tykke Arbeider, og, da De havde fri Kost, Logi, Lys og Ildebrand, kan De sagtens sige, at De er fornøiet med „sin Løier."

5) I Deres Skrift „Gjentagelsen" Pg. 75 hedder det: „At jeg dog ikke kan gaae klædt som andre Mennesker, at jeg vil gaae i stive Støvler!"

Hvorfor ikke? Det hører jo til Deres Metier. Saa sparer De tillige Stropper under Beenklæderne.

6) I det lille Skrift „Forord" Pg. 7 siger De: „At skrive et Forord er ligesom at lægge den venstre Schenkel flad an, stramme Tommen tilhøire, høre Gangeren sige Pst, og selv blæse hele Verden et Stykke."

Man mærker dog bestandig Hesteriseren gjennem Philosophen, især naar De kommer op at ride!

Nu forstaae vi ogsaa, hvorfor De blev saa vred over Kritiken i „Gæa". Det staaer, at De er nærved at speculere Dem gal. — Det var bedst ikke net at lade Dem høre det — Herregud, vi ere jo alle Mennesker!

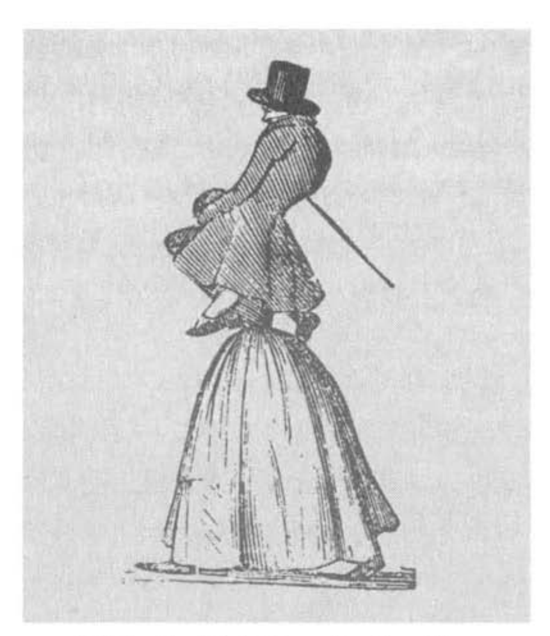
Naa, Nathansen, nu have vi ikke Tid længer for denne Gang. Lev vel! Gid De snart maa blive „sluttet ind" igjen; vi skulle nok læse, hvad De skriver derindefra, saa at De tet kan have det, som De ønsker i „Fædrelandet": „selv være glad over den lille Verden, der er Deres Omgivelse", og udenfor „have en Løier, der ikke bliver forstyrret ved det, De skriver, om det end behager hele Verden at erklære det for Galimathias."

Bilag.

„Hvorledes Frater gaaer af Veien for et offentligt Fruentimmer."

„Hvorledes Ironien gaaer rolig ind til den Frygtelige."

من *القرصان*، العدد 278، 16 يناير 1846



من *القرصان*، العدد 278، 16 يناير 1846

في المرة التالية التي صادفَ فيها محررَ *القرصان* أثناء مسيرته اليومية الراجلة ولم يُسلّم عليه، بل حدّق في عينيه بنظرة «عميقة، قاسية جدًا». كبت غولدشميت رغبته العميقة في الضحك عليه: «في قسوة تلك النظرة[33] كما في كلّ مظهر كيركغارد الشخصي وسلوكه، كان هناك شيءٌ ما يقترب من أن يكون هزليًا». مع ذلك فجأةً تراجع الهزل أمام «الشموخ والمثالية التي كانت هي أيضًا حاضرة في شخصيته» - لأن غولدشميت رأى «شيئًا في تلك النظرة العميقة، الجامحة التي سحبت الستارة، إذا جاز التعبير، بعيدًا عن الحق الأعلى الذي كان قد أكّده كيركغارد في وقت أبكر وأني لم أكن قادرًا، أو بالأحرى كنتُ غير راغب، بأن أفهم، مع أنني أشك في ذلك. هذا الشيء اتهمني وأحبطني». في ذلك اليوم بالذات قرّر غولدشميت أن يهجر *القرصان*. باع الصحيفة بعد بضعة شهور، ومن ثم سافر في أوروبا طوال عام؛ ولمّا جاء إلى الديار أسس *الشمال والجنوب*، وهي جريدة سياسية وأدبية، اتفق معها مولر. كانت محترمة

بما يكفي كي يقتبس منها الأسقف مينستر. مولر نفسه غادر الدنمارك في نهاية العام 1847، ولم يرجع.

Liv har smagt. Men De skal være aldeles stum af Henrykkelse, De maa ikke rose den — den Eneste, der har Lov at rose min Kaffe, er Bistop Mynster; De maa heller ikke finde Noget at udsætte paa den, thi da sparker jeg Dem ned af Trapperne — saa er Magister Kierkegaard i sin gode Ret; vil Manden ikke indgaae paa Betingelserne, faaer han heller ikke Kaffen. Ligesaa, naar Hr. Magisteren lader en Bog trykke som Manuscript for Venner og foræer den bort, da kan han først spørge: Erkjender Du denne Bog for noget saa Fuldendt, saa Reent og Zart, at den blotte Aande af menneskelig Dom besmitter den? Aflægger Mennesket sin Salighedseed derpaa, saa faaer han Bogen, indbunden i Maroquin med Guldsnit.



Sub poena praeclusi et perpetui silentii. Men, naar man ærlig og redelig har betalt sine 3 Rbd. 64 β og da faaer den Besked: Læs den som Din Bibel, forstaaer Du den ikke, saa læs den om igjen, forstaaer Du den heller ikke anden Gang, da kan Du ligesaa godt først som sidst skyde Dig en Kugle for Panden — da bliver man ganske underlig tilmode. Der er Øieblikke, hvori Ens Tanke forvirres og man synes, at Nicolaus Copernicus var en Nar, da han paastod, at Jorden dreiede sig om Solen, tvertimod dreier Himlen, Solen, Planeterne, Jorden, Europa, Kjøbenhavn sig om Søren Kierkegaard, der staaer taus i Midten og ikke engang; tager Hatten af for den beviste Rive.



Hvem, hvad er da egenlig Søren Kierkegaard? — spørge vist Tusinder, der have hørt tale om ham og om hans uhyre Bøger.

Magister artium Søren Kierkegaard, mine Herrer og Damer, er et Menneske paa to Been ligesom vi Andre. Hvad angaaer hans Virksomhed, deels som Menneske, deels som Skribent, da kan den bedst oplyses ved et Exempel. Han kommer f. Ex. gaaende i Gothersgade, og en Mand falder og brækker Benet udenfor Ulrikkekammeren, hvor Konen forleden kom til Skade. Magisteren bliver øieblikkelig staaende og observerer: 1) Mandens Skræk og Overraskelse, der paa en vidunderlig Maade maler sig i hans Ansigt, idet han falder; 2) hans Rædsel, idet han vil reise sig og mærker, at det ene Been ikke vil med, fordi det er brækket; 3) Smerten, der indfinder sig i Benet, og som nu forjager alle andre Udtryk fra Ansigtet. — Nu var det Tid at træde til og hjælpe Manden, hvis ikke Observationens andet Stadium indtraf: 1) De tililende Menneskers comiske Travlhed og Beskjæftigelse; 2) deres forskjellige Spørgsmaal til den Lidende og indbyrdes Strid om, hvorledes han skal bringes bort; 3) deres Forhandlinger over Vidtløftige Commissionen og over de Huusdebørre, der ikke have strøet Aske paa Fortouget. — Naar Observationen er tilende, gaaer Magisteren hjem for at nedskrive Resultatet. Du for-

من *القرصان*، العدد 285، مارس 1846 118461846

سابقًا في العام 1843، وصف كيركغارد كوبنهاغن بكونها «عاصمتي المحبوبة ومقر إقامتي»[34]. على الرغم من انسحاب خصومه من ميدان المعركة، أصبحت مكانًا مختلفًا بالنسبة له بعد هجوم *القرصان*، الذي انتشر من صفحات الجريدة عبر شوارع المدينة. الآن عندما يذهب في مسيراته اليومية

الراجلة كان الغرباء يضحكون عليه، يُضايقه الأطفال بالأسئلة. «كلّ الصبيان الطباخين يشعرون بأنهم مُحِقّون في إهانتي تقريبًا بموجب أوامر *القرصان*؛ طلبة في مقتبل العمر يضحكون ضحكات فاترة ويبتسمون بسمات عريضة وهم فرحون عند رؤية شخص بارز يُداس عليه؛ أساتذة جامعات يشعرون بالغيرة ويتعاطفون خفيةً مع الهجمات وينشرونها أيضًا مع تذييل أنها معيبة. أقل شيء أفعله، إن كان ببساطة أن أقوم بزيارة، يُحرَّف ويُشوَّه إلى أكاذيب ويُذكر في كلّ حدب وصوب، إذا اكتشفت أن *القرصان* منشور وقرأه الجميع... ما يؤلمني ألمًا شديدًا ليس سوقية الرعاع، بل المشاركة السرية فيها من قبل الأشخاص الأفضل منهم»، كتب في يومياته في ربيع 1846. أحسَّ بأنه خُدِع من قبل أصدقائه الذين طمأنوه بأنّ حملة *القرصان* غير مهمة، تافهة، بدلًا من أن يتّخذوا موقفًا في الدفاع عنه. وكان يرغب هو بأن يسانده الأسقف مينستر، بالأخص - ألم يُهاجَم هو بسبب مؤلف كُتب تكريسًا للعقيدة المسيحية؟ «الله في السماء، مَن يقدر أن يتحمّل هذا إن لم يكن هنالك مكانٌ داخليّ في الإنسان، حيث بالإمكان أن يُنسى كلّ شيء في تناول العشاء الربّاني معك!»، كتب مُضيفًا أنه مُمتن، فنشاطه كمؤلف قد انتهى أصلًا، ذلك «أنه أُنعِم عليّ أن أنهيه بنفسي، كي أفهم نفسي حين يستوجب أن أتوقّف، وبعد نشر *إما/ أو* أشكر الله على ذلك». ذات مرة كان مصمّمًا أكثر على أن يُصبح كاهنًا في الريف، ويتصوّر نفسه يكتب قليلًا في وقت فراغه: «هناك في نشاط هادئ، سأتنفس بنحو أسهل، مهما كافأتني كثيرًا حياتي الحالية».

رأى هجوم *القرصان* باعتباره أكثر من محنة شخصية: في ما وراء غروره المُدَمَّر وحنقه القاسي، كان له (أيّ الهجوم) أهميته السياسية. الصحافة هي مرآة المدينة الحديثة، البركة القاتمة التي ينظر فيها العوام التافهون إلى صورهم المنعكسة - و*القرصان* هي علامة من علامات انحطاط الدنمارك. كونه في مركزَ هذه الحلبة هو شيء مُذِل، مع ذلك ظلّ شجاعًا، ظانًّا نفسه «كونه موضوعًا بنحو صائب في الأدب قدر الإمكان[35]، وكذلك بطريقة ما، بحيث إنه كي يكون مؤلفًا يُصبح مأثرة» - أما الآن فهو «يتقدّم بشكل انفعالي ضد العصر».

كونه أعلن نهايةً لتأليفه، قرّر أن يسمح لنفسه بكتابة مراجعات للكتب - «بهذه الطريقة باستطاعتي تحاشي أن أكون مؤلفًا»[36]. في مارس 1846، فيما واصلت *القرصان* هجاءه، نشر «مراجعة صغيرة» لـ*عَصران*، الرواية الجديدة بقلم مؤلف مجهول الاسم لـ*قصة حياة يومية*، كان قد مدحها في من *أوراق شخص لا يزال حيًا*. كلتا الروايتين تحمل اسم ج. ل. هيبيرغ مُحرّرًا، ولم يكن من الصعب أن يخمن أنّ مؤلّفتهما هي توماسين غيلمبورغ، أم هيبيرغ[37]. كانت حوادث روايتها الجديدة تجري في كوبنهاغن المعاصرة، تبدأ في صيف 1844، عندما يعود بطلها تشارلز لوسارد إلى المدينة بعد ثلاثين عامًا قضاها خارج البلاد ويجدها قد تغيّرت كثيرًا. ينذهل لوسارد بالأضواء البراقة، والموسيقى العالية، والجموع الكبيرة في حدائق تيڤولي[38] التي افتُتحت حديثًا، شاهد «أشخاصًا كثيرين جدًا من طبقات مختلفة يحتشدون هناك كعلامة من علامات التقدّم الكبير الذي حصل في بلاده: «لا يقدر المرء سوى أن يتعجّب عندما يفكّر في الاكتشافات العلمية، الابتكارات التي تجعل الحياة أسهل ومناسبة أكثر. مَن ذا الذي حلم في الماضي بالبواخر، بالسكك الحديد، التي يبدو أنها تعوّض الإنسان عن افتقاره للأجنحة؟». ومع ذلك شخصيات أخرى في *عَصران* تيؤلمها «الغرور المروِّع» لـ«أولئك الذين يخرجون في المدينة كي يراهم الآخرون»، وأيضًا «التوق للتسلية التي باتت كالوباء، شعبية، أو رائجة أكثر من أيّ وقت مضى بيننا، ما يُحطّم تكامل الأسرة».

استعمل كيركغارد مراجعته لـكتاب *عَصران* كي يطوّر نقده للعصر الحالي. اعتمد على مقالة هيبيرغ المنشورة في العام 1842 المعنونة «الشعب والشعبي»[39]، التي حذّر فيها من «ذوبان الشعب في الشعبي»، من «الشعبي نفسه الذي تحوّل من جسم عضوي، مُمَثِّل إلى حشدٍ مُجزّأ لا يُمثِّل شيئًا». إلا أنّ تحليله للحياة الحديثة أكّد على التأثير الخبيث للصحافة. في مقدّمة مراجعته -التي توسّعت كي تُصبح أكثر من مئة صفحة، ووجب أن تُنشَر ككتاب- أكّد أنه كان المقصود بها «ألّا تكون لقرّاء الجرائد محبي الجمال والميالين للنقد بل للمخلوقات العقلانية»[40]. كان يعتقد بأن الحسد قد حثّ الهجمات عليه من

قبل مولر و*القرصان*، وكانت مراجعته قد ميّزت الحسد باعتباره «مبدأً موَحِّدًا» لعصره «عديم الأحاسيس»، «الكسول» «المتأمّل»؛ وبّخ الصحافة الفاحشة بوصفها «كلبًا بغيضًا» يحتفظ به العوام من أجل لهوهم. حين يهاجم هذا الكلب ضحيته «الرفيعة»، «العامّة يكونون غير نادمين، لأن السبب على أي حال ليس العامة، في الواقع، إنه الكلب؛ والعامة غير نادمين، لأنّ ذلك على أي حال ليس تشهيرًا فعلًا - إنه قليلٌ من اللهو ليس إلا».

على أي حال يتعيّن على المرء أن يعتقد أنّ هذا شيء تراجيدي، ويشفق على الإنسان الذي هوجم، واستطرد قائلًا:

> لا يسعني أن أؤيّد ذلك على الإطلاق[41] لأنّ الشخص الذي يروم أن تصل المساعدة إلى أعلى الفوائد المَرجوة من تجريب شيء كهذا، ويتعيّن عليه بالأحرى أن يرومه، حتى ولو كان من المحتمل أن ينزعج الآخرون نيابة عنه. كلا، إنّ الشيء الرهيب هو شيءٌ آخر، فكرة أنّ حيوات إنسانية كثيرة تبدّدت، أو قد تتبدّد بسهولة. لن أذكر حتى أولئك المفقودين أو الذين ضُلّلوا بحيث أدى ذلك إلى سقوطهم، الذين يؤدّون دورًا سيئًا من أجل كسب المال، بل أذكر الكثيرين الذين بلا جذور، السطحيين، الشهوانيين، الذين في تراخٍ مزهوٍّ لا يحصلون على انطباع عن الحياة أعمق من هذه البسمات العريضة السخيفة، كلّ أولئك الأشخاص من الدرجة الثانية الذين يُقادون إلى غواية جديدة لأنه في عجزهِم هم يستقون غطرستهم من كونهم يتعاطفون مع ضحايا الهجوم، من دون أن يفهموا أنه في موقف كهذا يكون الضحايا هم الأقوى على الدوام، ومن دون أن يفهموا أنه من المناسب هنا على نحو مُخيف وساخر في آن أن نقول: لا تبكوا عليه، بل ابكوا على أنفسكم.

في مطلع مايو 1846 قام برحلته المألوفة إلى برلين: كان يحلو له أن يكون بعيدًا لمناسبة عيد ميلاده. وبعد عودته إلى كوبنهاغن مباشرةً أمسى غارقًا في

حالة أدولف پيتر أدلر، وهو قس أبعده من مكتبه الأسقف مينستر في السنة الفائتة. كان كيركغارد يعرف أدلر منذ ما يزيد على عقدين: كانا زميلين في الصف في مدرسة الفضيلة المَدنية، وبعدها كانا زميلين درسا اللاهوت معًا في الجامعة؛ أصبح أدلر «هيغليًا متحمّسًا» إبان تلك الأعوام، ونشر محاضراته في منطق هيغل العام 1842. ومن ثم في ليلة ما تلقّى الكاهن أدلر إلهامًا: ظهر له يسوع المسيح وأملى عليه مبدأً جديدًا يتعلّق بالسقوط - وفيه ارتكب آدم الإثم لأنه استغرق في التفكير ولم يُبالِ بما حوله - ومن ثم أمره أن يحرق كتبه و«أن يلتزم بالإنجيل». أسبوعًا بعد أسبوع أعلن عن هذا الإلهام من على منبره. بعد أن نشر تلك المواعظ الدينية المُستوحاة في العام 1843، زار كيركغارد وقرأ واحدة منها بصوتٍ مرتفعٍ جزئيًا بهمسٍ غريبٍ، واقترح أنّ كيركغارد أشبه بيوحنا المُعمّدان بالنسبة إليه، الوعاء الحيّ لكلمة الله.

في يونيو 1846، شهور قلائل بعد إبعاده عن الكنيسة نشر أدلر أربعة كتب. اشتراها كيركغارد كلّها، وطوال ذلك الخريف والشتاء عمل على مقالة مطوّلة وسّعت التزامه بأن يكتب مراجعات أدبية فقط. عمله الموسوم بـ*كتاب عن أدلر* كان له عنوان ثانوي «الارتباك الديني للعصر الحاضر، كما صوّره الماجستير أدلر كظاهرة». موقف أدلر أثار أسئلة حول مَن الذي يمتلك التفويض كي يحكم ما الذي يأتي من الله، وما الذي هو مجرد وهم، وحول مسألة كيف أنّ العالَم -والكنيسة- يجب أن يستجيبا لشخصٍ يتلقى إلهامًا إلهيًا.

كانت هنالك أصداءٌ تتعلّق بالنبي إبراهيم في حالة أدلر، ورأى كيركغارد تناظرات معكوسة غريبة بينه وبين هذا المؤلِف المسيحي الآخر، المثير للجدل، غزير الإنتاج بقوة خارقة. كان على الدوام يتنازل عن التفويض في كتابته، في حين كان أدلر يُطالب بأعلى تفويض روحي كونه شاهدًا ليسوع المسيح؛ كان لا يزال يفكّر في البحث عن وظيفة ككاهن، في حين أنّ أدلر خسر رزقه كرجل دين. كان يعتقد بأنّ أدلر مرتبك، إلا أنه أحس بأنه يميل إلى دعمه[42]: «نحن بحاجة إلى شخصيات حيوية، أشخاص غير أنانيين ليسوا غارقين أو مُنهكين في انشغالات لا نهاية لها تتعلّق بالمهنة والزوجة والأطفال»، كتب في يومياته العام

الفائت، في صيف 1847. حيث أمضى معظم ذلك العام يُنقّح كتابه عن أدلر، وكان يفكّر في نشره تحت مجموعة متنوّعة من الأسماء المستعارة المُحتمَلة - إلا أنه خاف من أنّ الكتاب سوف يُضرّ أدلر، وهكذا بقيت المخطوطة في صندوق في غرفة مكتبه.

بدلًا من ذلك نشر *أعمال عن الحب*، الذي يبدو أنه يشبه طبعاته السالفة للخطابات الدينية بقلم س. كيركغارد، مع أنه أكبر حجمًا بكثير. إنما على غرار مراجعته لـ*عصران*، *أعمال عن الحب* يحمل ندوب معركة *القرصان*: إنه كتاب جدلي يسأل ما إذا «يعرف البشر حقًّا ما الحب»، ويسعى إلى «أن يقلبوا طرائق تفكيرهم المناسبة عاليها سافلها». أحد الخطابات يقارن الفهم الدنيوي لأنانية الحب مع الحب المسيحي الحقيقي: «*الرأي الإنساني المجرّد الخاصّ بنكران الذات*[43] هو ما يلي: تخلَّ عن رغباتك، أشواقك وخططك الأنانية - عندئذ سوف تنال التقدير والشرف وتُحَب بوصفك قويم الأخلاق وحكيمًا. *الرأي المسيحي عن نكران الذات* هو: تخلَّ عن رغباتك وأشواقك الأنانية، تخلَّ عن خطط وأغراض البحث عن الذات العائدة لك، بحيث إنكَ تعمل فعلًا من دون أنانية من أجل الخير - ومن ثم، لذلك السبب بالذات، تحمّل أن تكون مبغوضًا كمجرم تقريبًا، ومُهانًا وموضع سخرية».

***

منذ قضية *القرصان*، تصلّب شَكّه المتضارب بالعالَم إلى معارضة صادقة، مقاتلة. فيما كان العام 1848 يقترب من نهايته، يتجمّع جيرانه حول أشجار الكريسماس العائدة لهم، يأكلون زلابية التفاح، ويتكلّمون من دون كلفة حول سائر التغيّرات التي جلبها ذلك العام: ثورة، انتخابات، خطط من أجل دستور دنماركي، قوانين جديدة لحرية الكلام، سجالات حول فصل الكنيسة عن الدولة، إلغاء العبودية في المستعمرات الدنماركية. بالنسبة لكيركغارد، هذه الأمسيات الطويلة الكئيبة توفّر متسعًا من الوقت كي يستذكر «مضايقته من قبل الرعاع، عامة الناس، الجمهور[44]، باختصار حثالة المجتمع الذين كانت الصحافة اليومية قادرة على أن تلتقطهم من القاع». إنه الآن يعتبر الجرائد «شكلًا

من أشكال الشر»[45]، ويعلن بغضب أنّ *القرصان* علامة من علامات «تجريد الدنمارك من القيم الأخلاقية» و«تفسّخها»[46] و«حسدها، نزوتها، ضيق أفقها». في مزاج مختلف، بوسعه أن يصرّ قائلًا: «لا أحس بالمرارة على الإطلاق[47] عندما أفكّر في سائر الإهانات التي عانيت منها وسائر المرات التي خُدعتُ فيها؛ لم أفكّر قط في الإفلات من هذا كلّه مرةً واحدة، إذا جاز التعبير، من خلال الموت. لئن كان هنالك زمان ومكان للمزاح في الأبدية، أنا متيقّن أنّ التفكير في رِجليّ النحيلتين وسروالي المثير للضحك سيكون مصدر لهوٍ صحيٍّ بالنسبة لي». لكن في هذه الحياة سرواله نال كثيرًا من الاهتمام، أما تأليفه فلم ينل إلا قليلًا جدًّا منه[48]. تم تجاهل عمله من قبل أولئك المؤهّلين لأن يُثمّنوه -تجاهله هيبيرغ، ومارتينسِن، ومينستر أكثر من الباقين- لأنهم «حَسودون»[49]. شقيقه بيتر هو أقرب أقاربه، ومن الصعب أن يهلل له ابتهاجًا؛ بدلًا من ذلك، تذكّر كيف ردّ بيتر عليه[50] قبل عام مضى أو نحو ذلك حين كان يمزح قائلًا: «أعتقد بأني سأتخلّى نهائيًا عن كوني مؤلّفًا وأنخرط في ركوب الحصان أو أشياء من هذا القبيل»، «وردّ بيتر (بجدٍّ تامٍّ بكلّ معنى الكلمة): «سيكون هذا هو أفضل ما تفعله». هكذا كانت تبدو جهودي بلا طائل بالنسبة إليه».

كما لاحظ البروفيسور سيبيرن خلال أيام كيركغارد الجامعية، أنه جدلي بطبيعته، وفصاحته ودهاؤه الاستثنائيين جعلاه محاربًا مُرعِبًا في الميدان الأدبي. هو لا يزال يفكّر في الانسحاب من العالَم؛ منذ نشر *حاشية ختامية غير علمية*، لم يُضف إلى تأليف الأسماء المستعارة - بقطع النظر عن مقالة ذه *فاذرلاند* تلك عن مدام هيبيرغ التي سبّبت له آلامًا بالغة هذا الصيف. مع ذلك حوادث 1846 أظهرت له أنه هو نفسه، في معاناته، باستطاعته أن يكون اتهامًا لمدينته، لعصره، للعالَم. ويكتب: «لا بُد أنه سُمِح لهم بأن يدوسوني[51] - إلا أنه قُبِض عليهم، وأنا الأقوى». «في المصطلحات الفيزيائية ما من فرد يستطيع أن ينتصر على الجماعة. لكن إذا كان الفرد الوحيد هو الشخص القويّ الحجّة فعلًا، فهو الأقوى بلا حدود. آه يقينًا ما من شيء، ما من شيء يُمكن أن يهزّني، أحسّ كيف أكون هكذا الأقوى بشكل لا نهائي؛ كلّ سوء المعاملة تُزيد يقيني حصرًا

بهذا الأمر». بالطبع، مصيبته لا شيء مقارنةً بما عاناه يسوع المسيح؛ لم يُعلّق على صليب كي يراه الجميع، وأسنان *القرصان* لم تسحب منه دمًا حقيقيًا. على الرغم من ذلك سُخِر منه واحتُقِر وفُضح في العلن - وكان قد تذوّق القوة المُدّمرة للعذاب الشديد.

على الرغم من كلّ شيء، بمستطاعه أن يرى الجانب المُضحِك. كان قد أعطى لمدينته تأليفًا يُثير أعمق الأسئلة الوجودية؛ متفحّصًا أبعد مَديات القلب البشري؛ كان قد بحث وكشف روحه هو، بسط قدراته الشاعرية وبراعته الفلسفية، أنفق ماله، أنهك جسده في هذا المجهود الجبار كي يُحيي المسيحية، كي يجلب الروحانية إلى الحياة من جديد - والناس يسخرون من رجليه المغزليتين. إنه يتصوّر قرّاءه المستقبليين، «الذين سيكونون قادرين على أن يجلسوا بطمأنينة وهدوء[52] ويستمتعوا، بطريقة فكرية خالصة، بالمسرحية الهزلية بلا حدود التي، من خلال الحضور هنا، شاهدتُ كلّ كوبنهاغن تُؤدي أدوارها». فقط كان الاستمرار على مدى زمن طويل حتى الآن، يومًا بعد يوم، عامًا إثر عام. لن يكون هذا تسلية للجمهور، وهو أسوأ بالنسبة له، هو الذي يلعب دورًا رئيسًا. «من وجهة النظر الشاعرية، يجب أن تُختصر. وهكذا ستكون بالنسبة لقارئي. من الناحية الأخرى، الديني يبدأ بـالروتين اليومي ومعه، وهكذا أفهم حياتي: بالنسبة لي، هذه المسرحية الكوميدية بلا حدود هي عذاب شديد». إن لم يعتبر أن من واجبه أن يمكث في كوبنهاغن، إذًا سوف يسافر إلى مكان منعزل، يلتفت للوراء وينظر إلى مدينته الصغيرة جدًا في البُعد، «ويقهقه ويقهقه».

«الموت هو الشيء الوحيد الذي بوسعه أن يُنقّي الهواء»[53] أعلن هو في يومياته في وقت أبكر من هذا العام. وجوده مُزعج للجميع؛ حين يموت تأليفه العميق والمضحك والمعقّد، البليغ سوف يطفو حرًّا، لم يعد مربوطًا بعد الآن إلى حَجَر عثرة شخصيته. «في تلك اللحظة بالذات سأكون في مثاليتي، لأنّ المشكلة هي أني تطوّرتُ بشكل مثالي جدًا كي أحيا في سوق وسط المدينة... كلّ يوم أعيشه، ببساطة أصبح أكثر من عبء بالنسبة لحسد سوق وسط المدينة». يقول لنفسه إنه كان «غير أناني في حقيقة الأمر[54] من خلال التخلّي

عن سائر الحسنات الدنيوية»: الزواج من امرأة جميلة، أُبوّة، أسرة تعود له كي يقضي الكريسماس معها؛ ومسيرة مهنية من أجل منافسة مسيرة هيبيرغ، ومسيرة مارتينسِن، أو حتى مسيرة مينستر، وهو كان يفعل كل ما باستطاعته ليكون مقبولًا من العامة. ومع ذلك هو يعرف حق المعرفة إجهاد الأنانية، ويتوق للراحة. اللطف الذي سوف يُحرّر روحه، ويهدئ جسمه، لم يأتِ إليه بسهولة - وما من شخص آخر كي يناديه برقة حين يكون مستغرقًا في أفكاره، كي يقول له إنه أنجز ما يكفي بالنسبة لهذا اليوم، مثل زوجة القاضي وليم الصبورة، والتي تُغريه بلطف ليأتي إلى الفراش. بينما هو لا يزال يتوتّر إزاء رسن أو قيد توكيد الذات: الذي لن يرتخي، بل سيشتدّ وصولًا إلى الفداء.

القسم الثالث

1849 - 1855

الحياة تُعاش إلى الأمام

كم مرةً قلتُ إنّ السفينة الحربية لن تتلقّى أوامرها إلى أن تخرج إلى عمق البحر؟[1] *وبناءً على ذلك ربما يكون مسموحًا تمامًا لي أن أمضي كمؤلف أبعد مما نويتُ أصلًا.*

الفصل الثالث عشر

في خِصام مع العالَم

«السؤال هو: متى ينبغي أن تُنشر آخر الأعمال!»[1] طوال شتاء وربيع 1849 طارد هذا السؤال كيركغارد، ثبّته في مكانه، شَلّه. كدّس المخطوطات التي أنتجها إبان 1848 وها هي ترقد جاهزة، إلا أنه حصر نفسه في معضلة تتعلّق بمستقبله: إما يستمر في أن يكون مؤلفًا، أو يفتّش عن وظيفة في الكنيسة. الإغراء بالانسحاب من العالَم إلى أبرشية ريفية هادئة تسارعَ الآن بفعل الخوف من أنه بخلاف ذلك سوف تنفد نقوده. لم يكن وضعه المالي مُلحًّا للغاية على أي حال، ذلك أن وضعه فاقَ الهموم الوجودية وزنًا: «إذا ما تكلّمنا من الناحية الإنسانية، يوجد شيء سارّ في ما يتعلّق بالحصول[2] راحة مستديمة؛ ثمة شيء مقبول في ما يتّصل بالعمل من أجل الرزق. - وبعدئذ هناك فقط صنفان من البشر يأتيان معًا في النوع المعاكس من الحياة. النفوس المُدمَّرة، اولأشخاص الساقطون - وأولئك الذين يعيشون بجد وفعلًا من أجل فكرة ما. آه، وفي عيون العالَم، إنه شيء سهل بكلّ معنى الكلمة أن تخلط الاثنين».

كان كيركغارد مؤهّلًا بشكل جيّد لأن يكون قس أبرشية، أو أن يُعلّم في المعهد الديني الرَّعَوي الذي انتظم فيه سنة 1840: إنه لاهوتي خبير، واعظ موهوب، ومستشار حساس ذو «قدرة خاصة على التكلّم مع الناس العاديين»[3]. لكن، هل سيُمنَح وظيفة كنسية إذا ما طَلَب وظيفةً ما؟ هل تُلحِق كتبه المنشورة في العام 1848 ضررًا بتوقّعاته؟ وكيف يستطيع أن يواصل تأليفه المُدمِّر - الذي أنتجه تحت غطاء، من دون تفويض - إذا ما تقلّد موقعًا رسميًا في الكنيسة؟

ريجينه عمّقت ورطته أكثر. كلّما يراها في الكنيسة أو يتجاوزها في الشارع،

وجودها يجتاح روحه؛ كان واعيًا بشدة بأدنى حركاتها، وفي بعض الأحيان كان يشعر بأنّ عينيها عليه. لم يتكلّما أو يتبادلا الرسائل. وفي هذا الصمت كلّ إيماءة صغيرة أصبحت خطوة في رقصة خاصة، مُعبّرة بشكلٍ لا نهائي. من خلالها أصبح مؤلّفًا وكانت هي متشابكة مع، وفي داخل، كتاباته، ومع ذلك الحياة المهنية التي يتصوّرها الآن هي تلك الحياة التي كانت في العام 1840، مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالزواج منها. البحث عن وظيفة بدا أشبه بالعودة إلى ذلك الدرب المهجور، وكان مرتبطًا بنحو غامض برغبته في المصالحة مع ريجينه - في الصفح، إن لم نقل الصداقة، مع أنه تخيّل علاقةً أخوية معها، على غرار الحب الروحي بين راهب وراهبة.

لا يزال يشعر أنه مُجبر على الكتابة. إحساسه بأنّ القضاء الإلهي الذي وجّه تأليفه من الصعب أن يفرّقه عن حاجته إلى الكتابة كي يُخفّف قلقه العميق. ومهما تخيّل بجد أن دور المعاناة المسيحية - في ما يتعلّق بريجينه، هو آثم وتائب؛ في ما يتعلّق بـ*القرصان* هو شهيد[4] تحمّل المضايقة كي يقضي على القوى الشريرة للعصر الحاضر - بقيت الحقيقة أنّ الكتابة منحته لذةً عُظمى. «إنه شيء صحيح يقينًا أني كنتُ تعيسًا بنحو لا يُوصَف[5] منذ أن كنتُ طفلًا، إلا أنه على الرغم من ذلك لا بد لي أن أعترف بأنّ جادّة الهرب التي زوّدني بها الله من خلال السماح لي بأن أصبح مؤلّفًا كانت مليئة، مليئة بالمتعة. لذا فقد ضُحّي بي بالتأكيد، إلا أنّ عملي كمؤلف ليس تضحية - إنه في الحقيقة ما أحبّ حبًّا جمًا بكل معنى الكلمة أن أستمر في القيام به». وبطبيعة الحال كان هناك أيضًا كبرياؤه: «من الصعب أن أقرِّر ما إذا هو شيء مُهين أكثر[6] أن أعلن صراحةً أني لم أعد أتحمّل أن أكون مؤلفًا، ومن ثم أتولّى عبء القضايا المحدودة، أو أن أكشف نفسي لكلّ شيء من المحتمل أن يحصل لاحقًا إذا ما نشرتُ شيئًا ما». لم يكن يُريد أن يكون استثنائيًا، سيئ السمعة، مُساءٌ فهمه، وبدا أن تأليفه يطلبَ هذا منه. وفيما كان يتصارع مع ورطته صلّى من أجل الهداية، وبحث عن علامات لاستجابة الله. قرر أن يذهب، على غرار إبراهيم، حيثما يأمره الله: «كم عدد المرات التي قلتُ فيها إن السفينة الحربية لا تتلقّى أوامرها إلا عندما

تخرج إلى عمق البحر؟ وبناءً على ذلك، ربما يكون مسموحًا لي تمامًا أن أمضي كمؤلف أبعد مما نويتُ أصلًا».

سكن مسألة النشر كما لو أنه يسكن غرفة معزولة، جدرانها مُجصّصة بالاحتمالات. في تلك الغرفة أمضى أيامًا، أسابيع، شهورًا يذرعها جيئةً وذهابًا، يُعدّل ببؤس مخطوطاته ويعبث بحواشيها - يحذف كلمةً هنا، ويُغيّر عبارة هناك - ويتناقش مع نفسه في يومياته. هل بوسعه أن ينشر *وجهة النظر عن عملي كمؤلف* الآن، أم يَدَعه ينتظر حتى ما بعد وفاته؟ ماذا يتعيّن عليه أن يفعل بـ*الكتاب عن أدلر*؟[7]. على مدى فترة اعتبر نشر *المرض حتى الموت* وتتمّته المُؤلَفة من جزأين *تعال إليّ* و*مُباركٌ هو الذي لا يكون مُهانًا* معًا مع مقالة جديدة، *حيادية مُسلّحة*، في مُجلّد واحد تحت عنوان *أعمال مجموعة عن الإنجاز*. ومن ثم عدّل هذا العنوان إلى *أعمال مجموعة عن الاكتمال* - وحيث إن هذه الأعمال حقّقت رسالته في «إدخال العقيدة المسيحية إلى العالَم المسيحي»[8]، إلا أنها أنهكته أيضًا. كان مُرهَقًا من امتزاج نثره برشاقة الطاقة المتدفّقة لقوة حياته. ألّف لهذه المجموعة المُحتمَلة مقدّمةً موجزة: «مثلما يتنحّى وزير في التشكيلة الوزارية[9] ويُصبح مواطنًا عاديًا، أنا أيضًا لم أعد مؤلفًا وتخلّيتُ عن ريشتي - في حقيقة الأمر كانت بحوزتي حقيبة للأوراق والوثائق. كلمة واحدة أخرى، لكن لا، لم تعد هناك كلمات أخرى الآن، في الوقت الحاضر تخلّيتُ عن ريشتي».

مع ذلك وجد راحة وقتية من هذه الاجترارات القلقة من خلال إنتاج شيء جديد. عاد إلى ثلاث مواعظ دينية فريدة في زنبق الحقل وطائر الهواء كان قد كتب مسوّداتها في مطلع ربيع 1848، وعمل عليها ثانيةً كي تُصاحب الطبعة الثانية من *أما/أو*، التي نشرها ريتزل في مايو 1849. رأى هذه «الخطابات الإلهية» على أنها تكرار لأول «خطابات بناء» التي أعقبت *إما/أو* في العام 1843، مثل تلك التي كانت تحمل مُقدّمة مؤرخة في 5 مايو، تاريخ ولادته. بالإضافة إلى موازنة «يوميات مُغوِي» بتعاليم روحية مُستقاة من موعظة يسوع المسيح الدينية على (الجبل)، هذه التأملات الشعرية لأمثلة من الطبيعة عن التعبّد الهانئ أُنجزت خلال قلق كيركغارد على مستقبله.

بدأت بصلاةٍ توسّلية[10]: «أبانا الذي في السماء! هل من المحتمل أن نتعلّم ماذا يعني أن يكون أحدُنا إنسانًا». أخذ كيركغارد تعليمات يسوع المسيح كي «يفكّر في الزنبقة» باعتبارها دعوة للتفكير في الحالة الإنسانية مقارنة مع بقية الطبيعة، التي تُعبّر عن خير الله بنحو تلقائي في اللحظة الحالية من دون أسئلة أو أفكار للغد. واقترح قائلًا: بمستطاع الإنسان أن يتعلّم الصمت، والطاعة والسعادة من الزنبقة والعصفور. وهذه الخصائص بحاجة إلى أن يتعلّمها المرء ويتدرّب عليها، لأنّ الحياة الإنسانية دائمًا تسحبنا في الاتجاه المعاكس. نحن نُنتزع بعيدًا عن الصمت بواسطة الثرثرة الدائمة التي من حولنا وبواسطة أفكارنا المتدفّقة، ونحن متمرّدون بطبعنا: حتى أكثر الناس المتدينين الجادّين منقسمون بين تنفيذ إرادة الله واتّباع ميولهم. وبما أن الزنبقة والعصفور لا يعرفان شيئًا عن هذا التناقض يظلان مُطيعين «في المكان المُخصص»[11] لهما، كتب كيركغارد، مُكرّرًا الكلمات التي استعملها في يومياته في العام 1848 لمّا فكّر بأنّ كونه مؤلفًا في كوبنهاغن، مُعرّضًا إلى عيون العامة، هو «المكان المُخصّص له». وفي الختام كتب عن السعادة: الكائنات الحيّة الأخرى تأخذ السعادة في طبيعتها، بينما نحن نشعر بالقلق وعدم الرضا - ومع ذلك نحن نتقاسم المواهب نفسها كالزنبقة والعصفور، وأكثر منها بكثير فضلًا عن ذلك. «كونكَ أتيتَ إلى الوجود، كونك موجودًا [12]، كونك اليوم تتلّقى ضرورات الوجود، كونك أصبحتَ إنسانًا، كونك تستطيع أن ترى - فكّر في هذا: كونك تستطيع أن ترى، كونكَ تستطيع أن تسمع، كونك تمتلك حاسّة الشمّ، كونك تمتلك حاسّة الذوق، كونك تستطيع أن تحسّ؛ كون الشمس تشرق لك، ومن أجلك، وحين تُصبح مُرهِقة، يطلع القمر والنجوم تضيء؛ وحين يحلّ الشتاء، تُخفي الطبيعة نفسها، تتظاهر بأنها غريبة - تفعل هذا كي تُدخل السرور إلى فؤادك؛ ولمّا يأتي الربيع، تأتي الطيور في أسراب كبيرة - وهي تفعل هذا كي تجلب إليك الفرح؛ النباتات الخُضر تنبثق، والغابة تنمو وتتحوّل إلى جمال».

مهما يكن، ما من أحد يعرف أفضل من كيركغارد كيف يكون المرء إنسانًا ليس أمرًا بسيطًا كتفتح تويجات زهرة أو نشر جناحيْ طائر. كما شرح

في *المرض حتى الموت*، وهو مخطوطة أخرى من مخطوطاته التي لا تزال غير منشورة، البشر كلّهم عليهم أن يُصبحوا هم أنفسهم، وقلّما يستطيعون أن يتجنّبوا الوقوع في اليأس. بعض اليأس من الاحتمالات الكثيرة جدًّا، بعضه الآخر من الاحتمالات القليلة جدًّا: لمّا تغمرها الأفكار المتّصلة بما يُحتمل أنه حصل وما يُحتمل أن يحصل، «النفس تهرب من نفسها»[13]، «تُتعِب نفسها بالتخبط في المُمكن»، وتكون عاجزة عن الحركة - مع ذلك من دون إمكانات فإنّ «الإنسان لا يستطيع أن يسحب نَفَسًا». الرب فقط هو الوحيد الذي «بالنسبة له كلّ الأشياء مُمكنة»، والصلاة لهذا الرب تجعل روح الإنسان حيّة، لأنه «كي تُصلّي هو أن تتنفّس». الحتميون(*) والقدَريون لا يستطيعون أن يصلّوا؛ إنهم في حالة يأس، كونهم خسروا الله بالإضافة إلى إمكاناتهم كلّها. *المرض حتى الموت* ميّز بين اليأس الناجم عن الضعف واليأس الناجم عن التحدّي: بعض الأشخاص لا يستطيعون أن يواجهوا مَهمّتهم الوجودية، يستسلمون للكآبة، لا يُريدون أن يكونوا هم أنفسهم، في حين أنّ آخرين يُصيبهم اليأس عبر توكيد الذات المَشوب بالتمرّد، رافضين الاعتراف بحاجتهم إلى الله.

أنشأ كيركغارد هذا التصنيف للمرض الروحي في داخل مختبر روحه، وعندما تألّم على مستقبله بحيث أحسّ بأنه مُعرّض إلى كلّ نوع من أنواع اليأس. على مدى فترة من الزمن كان القرار المتعلّق بعدم نشر أيّ شيء أكثر من الطبعة الثانية من *إما/ أو* و*ثلاثة خطابات إلهية* هو القرار المهيمن. صلّى من أجل النجاح في الحصول على وظيفة في معهد لاهوتي رعوي - ومن أجل تسوية الخلاف مع ريجينه. إلا أنه في 5 مايو 1849، عيد ميلاده السادس والثلاثين، تأسّف على «الكآبة» و«المراوغة الوسواسية»[14] اللتين دفعتاه إلى التهرّب من تأليفه. قراءته التعبّدية اليومية سحبته صوب قرار جديد: مواعظ لوثر الدينية هيّأته إلى أن يقف ضد العالَم: ألغى توماس آكيمـپس مسألة السلام

(*) الحتميون determinists: هم المؤمنون بالحتمية، وهم مذهب يقول بأنّ أفعال المرء والتغيّرات الاجتماعية إلخ. هي ثمرة عوامل لا سلطة للمرء عليها.

الآتي من اتّباع إرادة الله بدلًا من اتّباع إرادته هو؛ فينيلون حذّر من القيام بأيّ شيء أقل مما يتوقّعه الله منه. «أود أن أكون ذكيًا بصورة رهيبة للغاية - بدلًا من الاعتماد على الإيمان والصلاة»، اعترف كيركغارد في يومياته:

أودّ أن أضمن مستقبلًا مُريحًا[15]... أودّ أن ألعب دور ملك، أتخذ القرار بنفسي... بسبب الخوف من الخطر، ووسواسي، وقلّة ثقتي بالله، وددتُ أن أعتبر نفسي أقل مستوى من المواهب التي مُنحت لي، كما لو أنّ امتلاك تلك المواهب من شأنه أن يحتال على الحقيقة، وكما لو أنّ رؤية نفسي بوصفي أدنى مستوى لم تكن في الواقع فعلًا من أفعال الاحتيال على الله والحقيقة... إذا ما تكلّمنا من الناحية الإنسانية، يقينًا لا يوجد شيءٌ مزاح أو سارّ في ما يتصل بأن يكون الفرد الاستثنائي في هذه الظروف التافهة التي نمتلكها في الدنمارك؛ الحال يغدو مؤلمًا. غير أنّ الله قد غمرني بلطفه، وهبني أكثر بكثير مما توقّعتُ؛ وقد قادني (في آن بواسطة الوفرة التي ضمنها لي خلال السنة الفائتة - ومعاناتها) كي أفهم مصيري بنحو حقيقي بما يكفي، إنه مختلف عما تصوّرته أصلًا... وجب عليّ أن أقترب كثيرًا جدًّا من فكرة التوقّف قبل أن أستعيد الزخم من جديد.

على الرغم من إلهام الزنبق والطائر، كان هذا مجرّد حلّ مؤقّت: الربيع دخل في الصيف، وكيركغارد ظلّ غير متأكّد من نشر *أعمال مجموعة عن الاكتمال*. «ما يجعل حياتي صعبة للغاية»، فكّرَ، «هو أنّ طبقة صوتي أرفع من طبقات أصوات الآخرين[16] من الأشخاص الآخرين، حيث إن ما يشغلني هو ليس الخصوصي أو الشخصي بل المبدأ أو الفكرة. معظم الناس يُفكّرون - في الغالب - في مَن هي المرأة التي يجب أن يتزوجوا منها. يتعيّن عليّ أن أفكّر في الزواج نفسه. وهكذا بالنسبة للأشياء كلّها. هذا جوهريًا هو موقفي الآن. السواد الأعظم من الناس يُفكّرون في الوظيفة التي يجب أن يتقدّموا إليها، في

حين أنّ نصيبي هو أن أكون منخرطًا في الكفاح، في معركة الآراء، في مسألة المبدأ المرتبط بما إذا كان ما يُسمّى بمكاتب التوظيف المسيحية ملائم للديانة المسيحية».

من الناحية الثانية وفي مستوى آخر، فُكِّكت أساسات العالَم المسيحي وأُعيد بناؤها عقب الثورة التي وقعت في ربيع 1848، إبان أسابيع كيركغارد الأخيرة في 2 نيتورف. في 5 يونيو 1849 وقّع الملك فريدريك السابع «دستور مملكة الدنمارك»، الذي ضمن حرية الدين للمواطنين كافة: حقوقهم المَدنية لم تعد تعتمد على عضوية الكنيسة اللوثرية. كنيسة الدولة الدنماركية أصبحت كنيسة الشعب الدنماركي[17]. غير أنّ «التجمّع الدستوري» لم يستجب لمطالب غرونتڤيج في فصل الكنيسة عن الدولة، ومؤسّسة الـدانسكي فولكيكركي(*) قُدّست في القانون المدني.

لاحقًا في يونيو، زار كيركغارد الأسقف مينستر في مقر إقامته الأسقفي مقابل كنيسة *سيدتنا*، وسأل عن وظيفة في المعهد اللاهوتي الرَّعوي. بصورة شخصية هو الآن يعتقد بأنّ مينستر[18] «متحالف مع الدنيوية بقدر أيّ شخص آخر»، واستهجنه في يومياته كونه «يحوّل الديانة المسيحية إلى رقّة شديدة». كان مينستر في سبعينياته: «سوف يكون في طريقه - إلى أن يُحكَم عليه. وأي أذى سبّبه للمسيحية من خلال شعوذة ظهور كاذب». طوال أعوام كان كيركغارد قد ربط هذا الرجل بقلقه هو في ما يتصل بعلاقته مع الكنيسة، منزلته في العالَم، استقبال تأليفه، ولائه لوالده الراحل؛ الآن الأسقف يبدو ذا أهمية أكبر مما كان عليه دائمًا في مخيلته، يرتعش بقلقه الوجودي، وبعد شهور من الاضطراب الداخلي في ما يتعلّق بالبحث عن منصب كان كيركغارد مهتاجًا حين دخل منزل مينستر. تعامل معه الأسقف بلطف، وبرقّة، وباقتدار: «طاب نهارك، صديقي العزيز، صديقي العزيز - وبعدها قال إنه لم يكن لديه الوقت

(*) دانسكي فولكيكركي Danske Folkekirke: بالدنماركية، وتعني كنيسة الشعب الدنماركي.

كي يتحدّث معي... وبعدها كرّر «صديقي العزيز» ست أو سبع مرات، طبطب على ظهري وربّت عليّ - أي، كان خائفًا من التحدّث معي لأنه خائف من كونه متورطًا جدًّا معي». أخبر كيركغارد أن يأتي «مرة ثانية»[19] - إلا أنها لن تكون في وقت قريب، لأن مينستر كان يهمّ بمغادرة كوبنهاغن لزيارة أبرشياته الأخرى في زيلاند. انصاع كيركغارد لمراوغة مينستر الحاذقة، وغادر مقر الإقامة الأسقفي ومعه أسئلته التي لم يُجَب عنها - ومع تصميمه المتجدّد على استئناف حملته ضد العالَم المسيحي.



الأسقف مينستر في أعوامه الأخيرة

بعد مضي ثلاثة أيام كتب إلى بيانكو لونو، الطبّاع، يطلب منه طباعة *المرض حتى الموت*. وافق لونو على استلام المخطوطة في اليوم التالي، 29 يونيو. في مساء ذلك اليوم عرف كيركغارد أنّ والد ريجينه قد فارق الحياة. تصميمه تهشّم مرةً أخرى وتحوّل إلى احتمالات: لو كان يعرف بموت المستشار أولسِن قبلًا، ربما كان سيعتبر هذا علامةً على أنّ الوقت قد حان كي يقترب من ريجينه،

ويمتنع عن الكتابة إلى المطبعة. أمضى ليلةً مؤرِقة[20] عاجزًا عن ترتيب أفكاره، محاولًا أن يمسك بـ / ويتبع الخيوط المتشابكة التي ربطت ريجينه بتأليفه. ظلّ مستلقيًا في الظلام طوال ساعات عدّة، عقلُه مُنشطر إلى اثنين: بدا أنه في حوار مع شخص آخر، إلا أنه لا يستطيع أن يجزم أيّ صوت يعود إليه. «انظر، الآن هو يُريد دماره هو... يقينًا باستطاعتكَ أن تنتظر أسبوعًا أو نحو ذلك... مَن يعتقد نفسه؟».

حين أشرقت الشمس كان مُنهَكًا ومضطربًا تمامًا. بدا أنه شيء سخيف للغاية أن يقضي شهورًا يتصارع مع مسألة النشر، وفي النهاية يتوصَّل إلى قرار، يعقد اتفاقًا مع لونو - ثمّ يُغيّر رأيه في اليوم التالي. مع ذلك أحسّ بأنّ شيئًا ما يُحذّره: هل هذه إشارة إلهية، أم إنه ببساطة جُبنه؟ كان كيركغارد يعرف أنّ هناك على الدوام رُعبًا في إرسال كتبه خارجًا إلى العالَم؛ الآن، في فجر معركة جديدة، هل يحثّه الله على التوقّف قليلًا، ربما كي ينسحب، أو يستجمع شجاعته من أجل خوض المعركة؟ فكرته الحاسمة هي هذه: «الحقيقة القائلة إنّ الله يُخيف شخصًا ما لا تعني أنّ عليه أن يمتنع عن الفعل، بل إنّ هذا الشيء بالذات هو الذي ينبغي له أن يفعله؛ إلا أنه يجب أن يخاف كي يتعلّم القيام به في خوف ورعشة». لذا بعث *المرض حتى الموت* إلى المطبعة، وصلّى لله من أجل الهداية في ما يتّصل بمسألة إلى أيّ مدى ينبغي له الذهاب.

«كنتُ أُريد أن أطلب من الله أن يُحرّرني[21] من هذه المهنة المُفزِعة، ولا زلتُ أُريد»، كتب كيركغارد في يومياته في وقت لاحق من ذلك الصيف، لمّا بدت الأشياء أوضح. «زيادةً على ذلك، أنا نفسي إنسان وإذا ما تكلّمنا من الناحية الإنسانية، أحب أن أعيش بسعادة هنا على الأرض. لكن بسبب الحالة المسيحية، العقيدة المسيحية، وهي واضحة في أرجاء أوروبا، قرّرتُ أن ألفت الانتباه إلى ثمن أن يُصبح المرء مسيحيًا، بدءًا من هنا في الدنمارك، بحيث إنّ المفهوم كلّه - كنيسة الدولة، المناصب الرسمية، الرواتب - قد فُجّر ودُمّر. طوال بضعة أعوام وحتى الآن أحملُ خيانة ونكران جميل بلد بالغ الصغر، حسد الأشخاص المحترمين وسخرية الرعّاع، بطريقة ما بحيث -بسبب الحاجة

إلى شخص أفضل– قد أكون مؤهّلًا لأن أُبجّل العقيدة المسيحية. دع الأسقف مينستر يحتفظ بسترة المخمل والصليب المهيب».

ربما كان كيركغارد يمتلك الحقّ في أن يُبجّل العقيدة المسيحية – لكن ربما لا. أضحت هذه مسألة تأليفه، وهي ملازمة لمسألة وجوده هو. لو تسنّى له أن ينشر *المرض حتى الموت* وتتمّته، هو الآن عمل واحد يحمل عنوان *تمرين في العقيدة المسيحية*، عليه أن يحسمه بشكل من الأشكال. الجواب جاء أخيرًا بصيغة اسم مستعار جديد: كليماكوس – المضاد، «مسيحي إلى درجة استثنائية»، مقارنة مع يوهانِس كليماكوس، مؤلّف *شذرات فلسفية* و*حاشية ختامية غير علمية*، الذي تفلسف في ما يرتبط بالمسيحية، في حين يزعم بأنه ليس مسيحيًا. مع أنّ كيركغارد وضع نفسه، بنحو مزعوم بوصفه «مسيحيًا بسيطًا بنحو مثالي»، بين هذين الاسمين المستعارين، العلاقة كانت معقّدة أكثر من ذلك – لأن اسمَيْه المستعارين عبّرا عن الصراع في داخل روحه. في مقدّمة إحدى مسوّدات *المرض حتى الموت*، كليماكوس – المضاد شرح قائلًا إنه هو ويوهانِس كليماكوس شقيقان في السنّ نفسه، يشتركان في كلّ شيء، ومع ذلك هما مختلفان تمامًا: «نحن لسنا توأمين، نحن ضدّان[22] توجد بيننا علاقة عميقة وجوهرية، غير أنه على الرغم من الجهود المستميتة في كلا الجانبين لم نبتعد أكثر، لم نقترب أكثر من *تماس منفّر*. توجد نقطةٌ ما ولحظةٌ ما نتلامس فيها، إنما في اللحظة ذاتها يهرب كلّ واحد منا من الآخر بسرعة لا نهائية. مثل نسرَيْن يندفعان بسرعة من قمة جبل إلى النقطة ذاتها، أو مثل نسر واحد يندفع بسرعة إلى الأسفل من قمة جرف، وتنطلق سمكةٌ مفترسة من عمق المحيط إلى السطح بالسرعة ذاتها، كلانا يفتش عن النقطة ذاتها، ثمة تماس وفي اللحظة ذاتها، نبتعد بسرعة كلّ واحد منا عن الآخر، كلّ واحد منا بأقصى سرعته». هذه الصورة للنفس المنقسمة، المنشطرة بين الضدين المتلازمين، كررت مقدّمة كيركغارد الحوارية لأول كتاب له، *من أوراق شخص لا يزال حيًا*.

في أثناء شتاء وربيع 1849، فيما كان كيركغارد يتمشّى جيئة وذهابًا حول شقته الواقعة في روزينبورغ غيد مُمزّقًا بين مستقبلين مُحتَملين –ونفسين مُحتَملتين–

فريدريكا بريمير كانت تزور أشهر كتّاب ومثقفي كوبنهاغن. بريمير، وهي مؤلفة سويدية، ومجدّدة أنثوية، كانت تدرس سلسلة من المقالات عن «الحياة في إسكندنافيا»: وحين كانت في الدنمارك حاورت الأسقف مينستر، وغرونتفيج، وأولينشلاغر، وهيبيرغ، وكارستِن هوخ، وهانس كريستيان أندرسِن، وج. س. أورستيد، وف. س. سيبيرن ومارتينسِن. رفض كيركغارد رؤيتها، لذا سألت الأشخاص الآخرين الذين حاورتهم عنه - بخاصة مارتينسِن، الذي دعاها إلى منزله مرات عدّة. في أغسطس 1849 التقط كيركغارد صحيفةً ورأى اسمه بعد اسم مارتينسِن:

بينما يُلقي مارتينسِن العبقري(*) ضوءًا على دنيا الوجود كلّها وعلى ظواهر الحياة كلّها، من وجهة نظره [23]، فإنّ سورين كيركغارد يقف على عموده المنعزل مثل سيمون ستايلايتز، نظرته مُثبتة بلا انقطاع على نقطة واحدة. إنه يضع مجهره على هذه النقطة، يستقصي بعناية أصغر الذرات، الحركات سريعة الزوال بكلّ معنى الكلمة، التغييرات الأعمق. وحول هذا الأمر يتكلّم هو ويكتب ملفات لا نهائية. بالنسبة له، كلّ شيء موجود في هذا النقطة. إلا أنّ هذه النقطة هي - القلب البشري. و- لأنه من دون انقطاع يمتلك هذا القلب المتغيّر الذي يتأمّل نفسه في «الأبدي» و«غير المتغيّر» الذي «أصبح جسدًا وأقام بيننا». لأنه في سياق رحلاته الديالكتيكية المُضنية يقول أشياءً مقدّسة - كان قد كسب جمهورًا لا يُستهان به في كوبنهاغن السعيدة، الجذّابة، وبالأخص وسط السيدات. فلسفة القلب ينبغي أن تكون مهمة بالنسبة لهنّ.

(*) الكويكرز Quakers: هي مجموعة من المسيحيين البروتستانت نشأت في القرن السابع عشر في إنجلترا على يد جورج فوكس. أما اليوم فإن معظم أتباعها يقطنون الولايات المتحدة، ويوجد في إنجلترا وكينيا العديد منهم، وتوجد جماعات أصغر في أماكن أخرى.

«في ما يتصل بالفيلسوف الذي يكتب في هذه القضايا»، تستطرد مقالة بريمير:

> الناس يتحدّثون بصورة حسنة وسيئة - وبشكل غريب. إنه مَن يكتب لـ«ذلك الفرد» الذي يعيش منفردًا، ويصعب الوصول إليه، وبعد كلّ الذي قيل والذي جرى، لا يعرفه أحد. في أثناء النهار يراه المرء يمشي وسط الزحام، يقطع الشوارع المزدحمة جدًا في كوبنهاغن رواحًا ومجيئًا طوال ساعات في كلّ مرة. وفي الليل مسكنه المنعزل يُقال إنه يتوهّج بالضوء. يبدو أنّ سبب هذا السلوك لا يُعزى إلى ثروته واستقلاله بقدر ما يُعزى إلى طبيعته المريضة وسريعة الغضب، التي تجد مناسبة كي تكون مستاءةً من الشمس نفسها حين تشرق أشعتها في اتجاه غير الاتجاه الذي يُريده.

ملاحظة بريمير عن طبيعته «المريضة» كرّرت مراجعة ب. ل. مولر لـ *مراحل في طريق الحياة*، التي أثارت قضية *القرصان*. كان كيركغارد يعتقد منذ أمد طويل بأنّ مارتينسِن، يحسده على موهبته، وكان متآمرًا بشكلٍ مستتر في هجوم *القرصان*، ومقالة بريمير دفعت تلك الشوكة أعمق بنحو أكثر. مارتينسِن، بروفيسور اللاهوت، واعظ المحكمة، فارس دانيبروغ[24] - مثال المسيحية ذاك! كيركغارد لم يكن باستطاعته أن يتحمّل فكرة نفاقه وغروره، إلا أنه فكّر في ذلك على أي حال. خلال صيف وخريف 1849، كتب تدوينات مطوّلة، قاسية في يومياته عن نجاح مارتينسِن.

كما أنه أمضى أسابيع وهو يكتب مسوّدات رسائل إلى ريجينه. طلب منها الصفح، قدّم تفسيرات، شكرها على «بساطتها المحببة» و«يأسها العميق»، وعَبّر عن رغبته في أن يتكلّم معها الآن وبعدئذ، وطمأنها أنه «لا أنا ولا التاريخ سوف ينساكِ». كانت الرسالة التي استقر عليها أخيرًا، في نوفمبر موجزة:

> كنتُ قاسيًا، هذا صحيح. لماذا؟[25]. في واقع الأمر إنكِ لا تعرفين ذلك.

كنتُ صامتًا، هذا مؤكد. الله وحده يعرف كم عانيتُ - عسى الله أن يجازيني لأنني لم أتكلّم حتى في الوقت الحاضر قبل الأوان!
لا يُمكنني أن أتزوّج. حتى لو كنتِ لا تزالين حرّة، لا يُمكنني.
على أي حال، لقد أحببتِني، مثلما أحببتُكِ. إني مدينٌ لكِ كثيرًا - والآن أنتِ متزوجة. حسنًا، إني أعرضُ عليكِ للمرة الثانية ما يُمكنني وما أجرؤ وما ينبغي أن أعرضه عليكِ: تسوية الخلاف بيننا.
إني أفعل هذا في الكتابة كي لا أُفاجئك أو أُربكِكِ. ربما شخصيتي كان لها ذات مرة تأثيرٌ قوي جدًا؛ ذلك ينبغي ألا يحدث ثانية. إنما في سبيل الله الذي في السماء، أرجوكِ فكّري تفكيرًا جادًا في مسألة ما إذا تجروئين أن تُصبحي منخرطة في هذا، ولئن كان الحال كذلك، ما إذا تُفضّلين، أن تتكلّمي معي حالًا أم بالأحرى تتبادلين معي بعض الرسائل أولًا.
إذا كان جوابكِ «لا» - هل يُمكنكِ إذًا من فضلكِ أن تتذكّري من أجل عالَم أفضل أني اتخذتُ هذه الخطوة أيضًا.
على أي حال، كما في البداية وكما في الوقت الحاضر،
الوفي لكِ، والمخلص لكِ تمامًا،

س. ك.

ختم هذه الرسالة وطواها في رسالة أخرى، إلى زوج ريجينه يوهان فريدريش شليغل، طالبًا منه أن يقرّر ما إذا يُعطيها إلى زوجته. أُعيدت الرسالة من دون أن تُفتَح، ومعها «رسالة أخلاقية وساخطة» من شليغل. كيركغارد سجّل بعناد في يومياته «خطوة أخيرة أخرى تتعلّق بـ«ها» - إنها وصيتي التي لا تتغيّر بأن تُهدى كتاباتي، بعد وفاتي، إليها وإلى أبي الراحل. ينبغي أن تنتمي هي إلى التاريخ».
في الشهر التالي قرأ كيركغارد مقالة صحافية أخرى تُقارنه مع مارتينسِن. هذه المقالة كتبها شقيقه: في حديث دار في اجتماع روسكيلده، مطبوع في *دانيش تشيرتش تايمز*، بيتر كريستيان كيركغارد أشار إلى أنّ البروفيسور مارتينسِن «ذو تفكير متّزن»، في حين أنّ سورين كيركغارد «مُنشرح». مع أنّ

كتابات كيركغارد خاطبت «الشخص الوحيد»، استمر خطاب شقيقه، كان ينال مُقلّدين وموالين[26]: رجالٌ من مثل راسموس نيلسِن، شرحوا فلسفته في بحوث أكاديمية.

في شتاء ذلك العام ثار كيركغارد غضبًا ضد سائر هؤلاء القساوسة الدنيويين في العالَم المسيحي. بعث إلى شقيقه - الذي انتُخِب لمجلس الأعيان التابع للبرلمان في الأيام الأخيرة من العام 1849 - رسالة مؤدّبة، لكن ساخطة، مقترحًا أنه إذا كان پيتر يُريد أن يُقارنه مع مارتينسِن يتعيّن عليه أن يُظهِر «الاختلاف الجوهري» بينهما: «إني ضحّيتُ إلى مدى استثنائي وأنّ [مارتينسِن] قد ربح إلى مدى استثنائي». احتفل في نهاية العام بتدوين يومياته الذي يتصدّره: «احتجاج ضد الأسقف مينستر»[27]: «كان قد تجنّب الواقع بجبن، رتّب نوعًا من عالَم خاصّ يتألّف من حَلَقات النخبة فيه - كما يعرف هو نفسه، بالمناسبة - العقيدة المسيحية لم تكن على وجه الدقة العامل المُهيمن: وهناك أقام»، كتب بتجهّم. كان مينستر يستمتع بـ«حياة حافلة بالمجد، الشرف، التقدير، الوفرة، السعادة الغامرة، التفوّق» - إلا أنه من وجهة نظر مسيحية تلك الحياة هي «كذبة». كان كيركغارد سئمًا من كوبنهاغن؛ «إنها مكان صغير، ضيّق كخم الدجاج، وطن الهراء[28]، بلدة ريفية بمنزلة سوق»، هواؤها ملوّث بالصحافة اليومية، «الماكينة القذرة للحكومة». هل يتعيّن عليه أن يحاول بنحو أكثر مثابرة كي يُدير الخَدّ الآخر؟ القديس أوغسطين[29] لاحظ هو، أشار إلى أنه حتى يسوع المسيح لم يكن يلتزم دائمًا بتلك الوصية(*).

وجد سلاحًا في مواعظ لوثر الدينية[30] التي واصل قراءتها بانتظام بالإضافة إلى مختلف الكتّاب الصوفيين - يوهان أرنت؛ شاعر القرن الثامن عشر والواعظ العلماني جيرهارد تيرستيغين؛ ورُهبان القرون الوسطى من مثل هوغ وريشارد القديس ڤيكتور، الذي اكتشف نصوصه في مختارات ألمانية للصوفية المسيحية. وفيما هو يكتشف جدلًا بين الروحانية الكاثوليكية القروسطية

(*) المقصود هنا وصية يسوع المسيح: «مَن ضربك على خدكَ الأيمن فأدرْ له الأيسر».

وابتعاد لوثر عن الحياة الرهبانية، بدأ يدرك مهمته بنحو أوضح: ومثلما صحّح لوثر حالات فساد وفظائع كنيسة القرن السادس عشر، يتعين عليه أن يُصحّح دنيوية لوثرية القرن التاسع عشر. وقد تصارع لوثر مع المسائل نفسها المتعلّقة بكيف يكون المرء مسيحيًا في العالَم. وفي واحدة من مواعظه الدينية النموذجية لإصلاح المبشّرين، الكاهن السابق ناقش قائلًا: «إنه الأحمق الكبير، غير العقلاني الذي يهرب من العالَم[31] ويدخل الصحراء أو غابة برية... لا، عليكَ أن تكون في أيّ محطة وترتيبات تُوجد فيها - لأنه على أية حال، يتعيّن عليك أن تكون في مكان واحد طوال الوقت الذي تعيش فيه على وجه البسيطة - لذا فإن الله لم يقذفك بعيدًا عن الناس، بل في وسطهم... ولا ينبغي لك أن تغطي نفسك بقلنسوة وتتسلّل إلى زاوية أو تُخفي نفسك في صحراء. لأنك في فعلتكَ هذه لا تتجنّب الشيطان والخطيئة - سوف يجدونكَ في الصحراء أيضًا بقلنسوة رمادية كما يفعلون في السوق بسترة حمراء». ومع ذلك أكّد لوثر أيضًا على أنّ الإنجاز الروحي لا صلةَ له بالنجاح الدنيوي: المسيحي يتعيّن عليه أن «يحترم هذه الحياة على وجه الأرض مثلما يحترم الحاج الأرض التي يقوم برحلته فوقها والنزل الذي يقضي فيه ليلته؛ لأنه لا يفكّر في البقاء هنا؛ هنا هو لا يتوقع أن يكون مواطنًا ولا رئيس بلدية». دعمت كلمات لوثر الآن رؤية كيركغارد المتعلّقة بمنزلته في العالَم.

وصل الربيع أخيرًا، وكلّ يوم ترتفع الشمس أعلى قليلًا في السماء. صديقه القديم إميل بويسين، الذي غادر كوبنهاغن مؤخّرًا كي يصبح راعي الأبرشية في يوتلاند، تزوج من لويزه هولترمان في كنيسة سيدتنا. كان إميل متحمّسًا له كي يزور لويزه، إلا أنه كان كارهًا لذلك[32]. في يوم خميس بارد، مشمس تحت الأشجار المزهرة فوق الأسوار، تخاصم مع راسموس نيلسِن[33] في أثناء مسيرتهما الأسبوعية الراجلة: في العام 1849 نشر بروفيسور الفلسفة كتابه الضخم، الذي عدّه كيركغارد «تقليدًا خانعًا» كونه «سرق» كتاباته وحواراته، «حارب الوضاعة بأسلحة مستعارة»، و«أفسد كلّ شيء بكلّ تلك الأدوات المدرسية». كونه كرّس لهذا ما يُناهز العام، قرر في يوم الخميس ذاك أن يوبّخ

نيلسِن لأنه سرق عمله وحوّله «إلى عقيدة»، والذي من المفترض ألا يكون هكذا. كان نيلسِن غاضبًا، وبعد بضعة أيام بعث له رسالة «يلغي فيها» مسيراتهما الراجلة. ومن ثم ظهرت الطبعة الثانية من كتاب مارتينسِن الجاد *العقائد المسيحية*، بمقدمة جديدة ألقت ظلًا على كيركغارد: «كلّ واحد منا يمتلك الإيمان بدرجة محدودة فقط[34]، وينبغي لنا يقينًا أن نحترس من أن نجعل من حياتنا، حياة الإيمان الفردية، ربما بالأحرى حياة الإيمان أحادية الجانب، ربما حتى بالأحرى حياة الإيمان المريضة كقاعدةً لسائر المؤمنين».

في أبريل 1850 انتقل كيركغارد إلى شقة أرخص في نورغيد[35] في روزينبرغ غيد. سكن في ست غرف، وفيها أيضًا مطبخ، وغرفة للخادمة وعِلّية -ودفع مئتي ريكس-دولار عن إجرة نصف سنة؛ في شقة نورغيد كانت لديه خمس غرف، وإيجار الشقة مئة وأربعون ريكس-دولار. في منزله الجديد عانى إزعاجات متجدّدة. «في أوقات ما بعد الظهر أعاني كثيرًا من نور الشمس المنعكس[36] بحيث إني خفتُ في أول الأمر من أن يُصيبني العمى»، كتب في يومياته بعد أسابيع قليلة من الانتقال إلى الشقة. والمستأجر الذي في الطابق الأعلى كان يقتني كلبًا يعيش في المنزل طوال اليوم: «إنه يرقد بجوار نافذة مفتوحة ويهتم بكلّ شيء. إذا مرّ إنسان وعطس بصوت عالٍ ينبح الكلب وقد يستمر في النباح لزمن طويل. إذا فرقع حوذي بسوطه، ينبح؛ إذا ما نبح كلبٌ آخر، ينبح هو أيضًا. وهكذا ليس هنالك أدنى حادثة صغيرة تقع في الشارع لا أستلمها في طبعة ثانية، بفضل هذا الكلب. في خصام مع العالَم -وكلبه- وجد كيركغارد السلوى في رسائل سينيكا، و*أفكار* پاسكال، ومقالات مونتاني، ورواية *إميل* لروسو.

الفصل الرابع عشر

«هكذا هو الحال معي»

الأسابيع بين 9 أغسطس - ذكرى وفاة أبيه، و10 سبتمبر - يوم خطوبته من ريجينه، هي دائمًا الوقت الأصعب في العام. معظم الدانماركيين «يتلهّفون بشوق إلى الصيف»[1]. إلا أنّ كيركغارد لا يحب أيام الصيف الاسكندناڤية عديمة الرحمة، حين تكون الشمس قوية جدًا بالنسبة له. يمكث في داخل مسكنه، في حجراته المظلمة، وفيما هو ينتظر الخريف - فصله المفضل، الحلو المُر في الاشتياق والتذكّر - يتذكّر كيف أنّ «الحكمة النبيلة» لرجل مُسن و«السخافة المحبوبة» لفتاة يافعة قد علّماه أن يُصبح مؤلفًا. بين أبيه وريجينه اللذين شكّلا روحه في «وحدة من الشيخوخة والشباب» من القسوة والاعتدال، يعرف الآن هو أيضًا، أنّ هذه التوليفة من التناقضات كانت عميقة أصلًا في داخله، وهي دائمًا «ضمن قدراته».

في العام 1850 أمضى هذه المدة يراجع *تمرين في العقيدة المسيحية* مراجعة شاملة أخيرة قبل أن يرسله إلى المطبعة: سوف يُنشر في أواخر سبتمبر باسمه المستعار الجديد، كليماكوس - المُضاد، و«س. كيركغارد» سيُوضع اسمه على صفحة الغلاف بوصفه مُحرّر الكتاب. يومًا بعد يوم كانت عتمة الخريف اللطيفة، الكئيبة تهبط على شوارع كوبنهاغن مثل مَدّ قادم، كلّ موجة من أمواج الظلام تغفرُ أكثر قليلًا من الموجة الأخيرة. كان كيركغارد قلقًا وخائفًا عندما أرسل إلى الأسقف مينستر نسخة من كتابه الجديد، المطبوع باهداء شخصي. *تمرين في العقيدة المسيحية* نشرَ تكتيكات أشجع، عدوانية أكثر من *المرض حتى الموت*، وهو يقوم بخطوات مهمة ضد مينستر وكذلك ضد مارتينسِن. سؤال هذا الكتاب هو كيف نقتدي بيسوع المسيح، وكَشَفَ «الكتاب» الاختلاف

بين المسيحية الصارمة والمُسامِحة،[3]، بين الزُهد والدنيوية، بين تقليد يسوع المسيح في معاناته والإعجاب به من مسافة آمنة. مينستر، وهو معروف جدًا باعتباره مؤلف كتاب *ملاحظات في التعاليم المسيحية*، هو ضمنيًا إنما بنحو لا ريب فيه يختار دور «مُلاحِظٍ» مُسامِحٍ، دنيويٍّ ليسوع المسيح، وأسلوبه المعهود في الوعظ يُسخَر منه ويُستهجَن بوصفه أسلوبًا غير مسيحي. «الموعظة المسيحية اليوم باتت بشكل رئيس [ملحوظات]: *دعونا في هذه الساعة نفكّر*؛ أدعو مُستمعيّ إلى ملحوظات في؛ موضوع احترامنا، إلخ. لكن شبه جملة «أن تلاحظ» يُمكن أن تعني بمعنى واحد أن تقترب كثيرًا جدًا من شيء ما؛ وبمعنى آخر، إنها تُشير إلى البقاء بعيدًا جدًّا، بعيدًا بنحو لا نهائي من شيء ما - أيّ، شخصيًا... الحقيقة المسيحية لا يُمكن أن تكون فعلًا موضوع [ملاحظات]».

طوال صفحات وصفحات كليماكوس-المضاد استمر في هذا المنوال بجلاء، بموافقة مُحرّره، س. كيركغارد. كان مينستر كالفنان -ربما أشبه بتورڤالسدين- الذي نحت أو رسم الشكل البشري ليسوع المسيح، ومن ثم تراجع كي يتفحّص عمله. إضفاء الصفة الجمالية على العقيدة المسيحية هو مراوغة، كذبة، انغماس في الملذات، رياء خالص. «لستُ أفهم هدوء الفنان هذا»، أعلن كليماكوس-المضاد، «هذه اللامبالاة الفنية هي في الواقع أشبه بقسوة قلب تجاه الانطباع الديني لـ... الورع. ومع ذلك أبدى الفنان إعجابه بنفسه، والجميع أعربوا عن إعجابهم بالفنان. إن وجهة نظر الوَرِع هي وجهة نظر مفكّكة تمامًا؛ المُشاهِد نظر إلى الصورة وهو يقوم بدور خبير فن: هل هذا عمل ناجح، هل هو تُحفة فنية، هل التلاعب بالألوان هو تلاعب صحيح، والظلال، هل هكذا يبدو الدم، هل تعبير المعاناة هو تعبير صادق فنيًا - إلا أنه لم يجد الدعوة إلى التقليد. الفنان نال الإعجاب، والمعاناة الحقيقية كانت أن الفنان قد تحوّل بشكل من الأشكال إلى مال وإعجاب». وناقش قائلًا: إنّ الشخص الذي يُعجب حصرًا بيسوع المسيح من مسافة معينة، «لن يُضحي، ولا يستهجن شيئًا، ولا يتخلّى عن أيّ شيء دنيوي، لن يُحوّل حياته، لن يكون ما ينال الإعجاب، لن يجعل حياته تُعبّر عن ذلك... المُقلّد وحده هو المسيحي الحقيقيّ».

كيركغارد نفسه عَلِق بين هاتين النسختين من الديانة المسيحية، وهو عاجز عن أن يعيش مع أيّ واحدة منهما. كتب في يومياته قبل نشر (تمرين في *العقيدة المسيحية*) مباشرةً: «آه الشخص يستطيع بالتأكيد أن يُنادي بالتسامح [4]. المرء يوفّر على نفسه، المرء يُحبّه الناس، يتلقّى اعترافهم بالجميل، إخلاصهم؛ بوسع المرء أن يطلّ من النافذة برضا ذاتي، أو على أي حال بسكينة، على الأشخاص السعداء والباسمين الكثيرين الذين يجدون الراحة والسكينة في ما يُصرِّح به المرء». إلا أنّ معلمًا كهذا لا يُقلّد يسوع المسيح، الذي «لا يستطيع أن يُطمئن فردًا واحدًا من [حوارييه] بشأن سعادة الحياة الآمنة». إن المناداة بتعاليم مسيحية صارمة على وجه الدقة، من الناحية الثانية، هي «محاكمة روحية خالصة: ما إذا باستطاعتكَ أن تتحمّلها أنت نفسك؛ ما إذا ينبغي لك أن توفّر على نفسك؛ ما إذا لا يُحتمَل أن ينتهي الحال بالفساد بدلًا من الاستفادة، بالهدم بدلًا من البناء. مجرّد الاضطراب والقلق والخوف والرعشة من أجل الآخرين في ما يتعلّق بمسألة ما إذا لم تكن تطلب منهم أشياءً كثيرة جدًا. وبعدها هذا المَشهد الكئيب، أن ترى غضبهم وقسوتهم - ألا تنال تقديرًا من أحد، لكنك تجد الجميع متلهّفين للابتعاد عنك».

ذات يوم في أكتوبر، سمع كيركغارد من جست پولي، وهو قس ولاهوتي تزوّج من أكبر شقيقات مينستر، أنّ الأسقف كان «غاضبًا جدًا» بخصوص كتاب تمرين في *العقيدة المسيحية*. «كانت هذه هي كلماته، لحظةَ دخل إلى حجرة المعيشة. انبرى قائلًا: 'الكتاب استفزني بشدّة؛ إنه يجعل من المقدّس تسليةً نجسة'. ولمّا سأله پولي بلطف إذا كان يُحتمل أن يقول لي هذا، بما أنه من المفترض أن يتحدّث إليّ، أجاب مينستر، 'أجل ومن دون شك سوف يأتي لزيارتي في وقتٍ ما وسأقول هذا بنفسي'». في صباح اليوم التالي زار كيركغارد مينستر[5] قلقًا أيما قلق. «قال لي القس پولي أمس إنكَ تعتزم حالما تراني أن تؤنّبني على آخر كتبي المنشورة. أود أن أطلب منك أن تعتبره تعبيرًا متجدّدًا عن الاحترام الذي أُبديه إليك دائمًا بحيث إنني أتيتُ لزيارتك حالما سمعتُ بهذا»، بدأ حديثه. كان الأسقف دبلوماسيًا ودمث الأخلاق كدأبه. ردّ قائلًا:

«لا، في حقيقة الأمر ليس لي الحق في أن أؤنّبك. كما قلتُ لك من قبل، ليس لديّ أيّ شي على الإطلاق ضد كلّ طائر ينشد أغنيته هو». وبعدها أضاف قائلًا: «في الحقيقة الناس باستطاعتهم أن يقولوا ما يشاؤون عني». قال هذا بلطف وببسمة، لكنه أضاف ملاحظة جعلتني أخاف من سخرية لاذعة قليلة على الرغم من ذلك، وفي الحال فتشتُ عن ردّ كي أُنقذ الموقف. أجبتُه قائلًا إن هذا لم يكن قصدي، وإني أتوسّل إليه كي أسأل إذا أزعجته بأيّ طريقة من خلال نشري كتاب كهذا. وعقب ذلك أجاب: «حسنًا، في الحقيقة لا أعتقد أنّ هذا الكتاب سيقدّم أيّ منفعة».

استنكار مينستر بدا كأنه امتدادٌ لحُكم أبيه من وراء القبر، إلا أنه كان خائفًا أكثر من حُكم الله، الآن وفي الأبدية. مع أنّ يسوع المسيح وهب أتباعه السعادة والمحبة، وعدهم بأنّ يُخفّف عنهم أعباءهم ويمنحهم الراحة، كانوا في البداية «متشظّين وممزّقين في رعب وخوف» - وشعر كيركغارد بتموّجات الرعب في روحه هو. في بعض الأحيان كان يسوع المسيح يظهر له بوصفه شكلًا بشريًا مُرعِبًا: «أصبحتَ سيفًا يخترق فؤاد أمك[6] فضيحةً لأتباعك»، كتب. «آه، لماذا لا تُخفّض السعر؟ عندما يكون لدّي شكوك حول نفسي، ويبدو لي كما لو أنه يتعين عليّ أولًا وقبل كلّ شيء أن أُخفّض السعر في سبيلي أنا، وعندما يبدو لي كما لو أني مدين بذلك للآخرين كي أخفّض السعر - الآن يُمكن أن يُسبب لي القلق أن أفكّر فيك، كما لو أنكَ ستغضب، أنت، الذي لم تُخفِّض السعر، وعلى الرغم من ذلك كنتَ تضمر لي الحب». أحسّ بأنه «بعيد بنحو لا نهائي» عن المثال المسيحي الذي يعتقد الآن أنه المثال الحقيقي الوحيد، والذي تجرّأ أخيرًا في الكتابة عنه بشكل مباشر - مع أنه لا يزال يكتب عنه بصوت اسم مستعار. هو، كيركغارد، ارتعد من فكرة أن يفنى بالنسبة للعالَم، يفنى بالنسبة للحِياة الإنسانية العادية: «من ناحيتي، أحب أن أكون إنسانًا[7] لا أملك شجاعة كاملة كي أكون روحًا على هذا النحو. لا أزال أحب أحبًا جمًا أن أرى الفرح الإنساني الخالص الذي يناله الآخرون في الحياة - وهو شيءٌ أمتاز برؤيته بعين خاصة، عين الشاعر».

أكثر فأكثر فكّر بأنّ الوضع في العالَم المسيحي يدعو إلى توكيد متجدّد على مثال الفناء بالنسبة للعالَم بحيث إنّ أرنت وتيرستيغين - الذي تخلّى عن ميراثه وعاش كناسك[8] على الخبز والحليب والماء - وأسلافهما القروسطيون تركوا انطباعًا فيه. مالت المسيحية الحديثة بعيدًا جدًّا نحو الدنيوية، وكيركغارد قاوم هذا من خلال الميل أبعد في الاتجاه المعاكس. استمر في دراسة مواعظ لوثر الدينية، وفي يومياته حلّل ابتكارات لوثر الدينية وتأثيراتها على الأجيال اللاحقة من المسيحيين.

لمّا كان شابًا، عذّبت لوثر مسألة خلاصه؛ في مسعى لكسب نعمة الله، دخل أخوية رهبانية أوغسطينية حازمة، دفعت ممارساته الزُهدية إلى حدودها القصوى، أمضى أيامه في الكُفّارة، نام في الثلج. ومن ثم هذه العاطفة الدينية ذاتها - وليس إلغاءها - ساقته خارجًا إلى العالَم. فقط بعد أن أعلن أطروحاته الخمس والتسعين ورفضه أن يتخلّى علنًا عن معتقده عند «حِمية الديدان»(*). غادر لوثر أخيرًا ديره فعلًا و- في تحدٍّ لكنيسته، في تحدٍّ للرأي العام - تزوّج من راهبة سابقة، كاترين ڤون بورا، التي حملت منه ستة أولاد. ومع ذلك إصلاحات لوثر زاوجت بين الدنيوية والدين بطرائق تناسبت مع العقلية الدنيوية التي زحفت أصلًا إلى أوروبا: «كان لوثر يمتلك يقينًا الحقيقة الداخلية[9] المتّصلة بأن يجرؤ على خوض مغامرة القيام بأشياء معاكسة، ومع ذلك يكون حرًّا تمامًا في القيام بها: أن يتزوّج ومع ذلك كما لو أنه غير متزوّج، في نطاق الدنيوي، ومع ذلك كما لو أنه دخيلٌ على الرغم من مشاركة كلّ شيء، إلخ. آه غير أنه شيءٌ

(*) حمية الديدان Diet of Worms: هي حمية إمبراطورية للإمبراطورية الرومانية المقدسة. سُميت من قبل الإمبراطور تشارلز الخامس. استُدعي مارتن لوثر إلى هذه الحمية كي يتخلّى أو يؤكد وجهات نظره ردًا على المرسوم البابوي للبابا ليو العاشر. في رد على التساؤل رفض التنازل عن وجهات نظره والتخلّي عنها معترفًا علنًا بالخطأ. في نهاية الحمية أصدر الإمبراطور «قرار الحمية»، وهو مرسوم أدان لوثر بوصفه «مهرطقًا سيئ السمعة». ومنع مواطني الامبراطورية من بث ونشر آرائه.

خطير ببساطة أن يُعلّم هذا بطريقة مباشرة، لأنّ هذا التعليم جعل الأشياء سهلةً جدًا بكلّ معنى الكلمة بالنسبة لكلّ الدنيوي».

خلال خريف وشتاء 1850 هذه التأمّلات أعادت كيركغارد ثانيةً إلى مسألة الزواج، التي كانت قبل عشرة أعوام منعطف حياته، واحتلت أكبر كتبه حجمًا. الآن مبدأ الحرية الدينية قد احتُفِظ به كما لو أنه شيءٌ مُقدّس في الدستور الدنماركي، الزواج قضية سياسية بالإضافة إلى كونه قضية شخصية. أصواتٌ مؤثّرة عديدة في كوبنهاغن كانت تدعو إلى إدخال الزواج المدني، بعضهم يستشهدون بمثال لوثر نفسه دعمًا لقضيتهم. «هل يتعين علينا أن نستمرّ في أن نُجبر سائر أعضاء كنيسة الشعب كي يخضعوا لمراسم زفاف الكنيسة[10] التي لا تعرف عنها الأناجيل شيئًا، والتي كان مارتن لوثر قد احتقرها بشكل صريح لمّا دخل هو نفسه في زواج مَدَني بحيث إنه، على غرار زواج بين راهب وراهبة، خرق سائر أفكار الزواج الكَنَسي في زمنه؟»، سأل غرونتڤيج. في العالَم الجديد الغريب لدنمارك ما بعد 1848، المسيحيون المتحمّسون الذين سعوا إلى حماية كنيستهم من تأثير الدولة، وأصحاب الفكر الحر يشنّون حملة كي يحرّروا الحياة المدنية من السيطرة الكَنَسية، وأن يُقدّموا حججًا مختلفة للإصلاح ذاته.

الدفاع عن الوضع التقليدي كان يقوده، بالطبع، الأسقف مينستر، الذي ناقش قائلًا إن زواج لوثر من كاترين ڤون بورا هو اتحاد مسيحي، وليس مجرد عقد مَدني. كيركغارد رأى هذا الزواج باعتباره ضروريًا لا لأنه ينتمي إلى داخل الكنيسة أو خارجها، بل لأنه فعلٌ ديني مُخرّب، مُخزٍ، كرر «الفضيحة المقدّسة» للمسيحية الأصلية. ناقش قائلًا إنّ لوثر كان بوسعه بالقدر نفسه أن يتزوّج من خادمة مطبخ، أو عضادة باب(*) (على الرغم من الأطفال الستة) - لأنّ هدفه الوحيد هو «تحدّي الشيطان، البابا، العالَم كلّه»[11]. هذا الزواج ليس لديه قاسم مشترَك مع الحياة الأسرية التقليدية التي تمتّع بها رجال الدين الدنماركيون في

(*) عضادة باب doorpost: وتُسمى بالعبرية mezuzah، وهي علبة مزخرفة نُقشت عليها أشعار محدّدة من (التوراة)، تُثبّت في إطار باب المنازل اليهودية كي تُنجز الوصية الكتابية بأن «تُكتب كلمات الله على أبواب بيوتكم وعضادات منازلكم».

القرن التاسع عشر. لمّا قارن كيركغارد الأسقف مينستر مع لوثر، رأى «رجلًا ذكيًا ومتعقّلًا[12] ينكمش من لا شيء، لا شيء، بقدر ما ينكمش من فضيحة». لم يذهب شوطًا أبعد بحيث يناقش قائلًا إنّ الحال الآن لوثري أكثر كي يمتنع عن الزواج - بالأخص بطريقة ما روَّعت الرأي العام بعمل لا أخلاقي، من مثل قراره هو بعدم الزواج.

في يناير 1851 نشر كيركغارد مقالة في ذه *فاذرلاند* هي ردّ على أندرياس روديلباخ، وهو لاهوتي ومؤرخ كنيسة ناقش الدوافع اللوثرية للزواج المدني. «بالتأكيد إن أعمق وأكبر مصلحة للكنيسة في يومنا هذا[13] هو أن تُصبح متحرّرة بالأخص مما سُمّي بشكل صحيح *المسيحية الاعتيادية* و*مسيحية الدولة*»، حث روديلباخ في كتابه المعنون في *الزواج المدني* قبل أن يُضيف قائلًا: «هذه هي نفس النقطة التي سعى واحدٌ من كتابنا المعاصرين البارزين، سورين كيركغارد لأن يغرسها في الذهن، لأن يبصمها، وكما يقول لوثر، أن يؤكد أهميتها لكلّ أولئك الذين سوف يستمعون». في مقالته في ذه *فاذرلاند* اعترض كيركغارد قائلًا إنه لم يدعُ، في كلّ مؤلفاته، إلى الإصلاح: «ببساطة لأني من البداية فهمتُ العقيدة المسيحية بكونها جوهرًا[14]، ومهمتي هي التعميق الداخلي للعقيدة المسيحية، التي تأكّدتُ بنحو كثير الشكوك بأنه لم تفلت فقرة، ولا جملة، ولا سطر، ولا كلمة، ولا حرف في تقديم اقتراح من أجل التغيير الخارجي». المسيحيون المستقلّون قد يشعرون بأنّ الضمير يدعوهم كي يُحاولوا إثارة الشعور العام من أجل الاصلاح الاجتماعي، السياسي أو الكَنَسي، غير أنه «بالأساس المسيحية هي الجوهر». أحسّ كيركغارد بأنه هو ودكتور روديلباخ - الذي عَرِفه شخصيًا، واحترمه بوصفه باحثًا - لن يفهم أحدهما الآخر دينيًا: «بالنسبة له مرّ زمن طويل منذ أن حسِم الأمر بأنه مسيحي[15]، والآن يُشغِل هو نفسه بتاريخ الكنيسة وأشكالها الخارجية. لم يحسّ قط باضطراب السؤال، في كلّ يوم فيما لو كان مسيحيًا فعلًا. لا أبدًا لأنّ الشخص الذي أحسّ بذلك ذات مرة، ذات يوم، ذات ساعة لن يتخلّى عن إحساسه في حياته كلّها، أو أن إحساسه ذاك لن يدعه وشأنه».

في مطلع مايو قام بزيارة أخرى للأسقف مينستر. ومرة ثانية كان مهتاجًا لمّا دخل مقر الإقامة الكَنَسي، إلا أنه هذه المرة كان يرتجف من الغضب أكثر مما يرتجف من الخوف. كتاب مينستر الحديث في الحرية الدينية والزواج المدني ذكر كيركغارد جنبًا إلى جنب مع مير هارون غولدشميت، الذي كانت صحافته - كما توقّع ب. ل. مولر منذ العام 1847 - قد اقتبس منها الأسقف باستحسان. غولدشميت، أشار مينستر، هو «واحد من أكثر مؤلفينا موهبة»[16].

كان كيركغارد «المؤلّف الموهوب» الذي عارض بعدل «الاختلاط المُفجِع للسياسة والمسيحية». كان هذا التجاور كافيًا كي يُغضِب كيركغارد؛ طوال أسابيع قبل زيارته، كان قد تدرّب على غضبه وأتقنه من خلال إعداد أجوبة جدلية عديدة لمينستر.

لمّا رأى الأسقف كان فخورًا جدًا بأن يُخبره أنه مُستاء بسبب تأييده لغولدشميت، وهو لا يزال مجروح المشاعر لأنه قبل خمسة أعوام لم يدافع عنه مينستر ضد هجوم *القرصان*. وبدلًا من ذلك انتقد مينستر في ما يتعلّق بسمعته: «كررتُ المرة تلو المرة[17] أنّ ما يهمني هو ما إذا كانت سمعتُه قد تأثّرت كثيرًا من خلال تقديم غولدشميت بهذه الطريقة. أشرتُ إليه أنه كان يتعيّن عليه أن يطلب تراجعًا [عن كتابات *القرصان*] من ناحية غولدشميت... ذلك أنه كان مستحيلًا بالنسبة لي أن أدافع عن تصرّفه هذا». كان مينستر مُراوِغًا، وقال إنه كي يطلب انسحابًا يتعيّن عليه أن يراجع مراجعة شاملة كتابات غولدشميت كلّها - «إذًا، هل بوسع م. فعلًا أن يكون جاهلًا بالحقيقة القائلة إنه كانت هناك جريدة تُدعى [*القرصان*]، كان غ. يُحرّرها طوال ستة أعوام، وهل بوسعنا أن نفترض أنّ م. لم يفهم أنّ هذا هو ما أُشير إليه!». ومن جديد كرّر كيركغارد اعتراضاته: «'أُريد أن يُقال، وبصورة واضحة، إني أُريد أن يكون ضميري نقيًا، يجبِ أن يُشار إلى أنني قلتُ إني لا أقدر أن أوافق عليه' (وبقولي هذا انحنيتُ على الطاولة وكتبتُه بيدي، إذا جاز التعبير)... في كلّ مرة أقول هذا، أتأكّد من أنه يُجيب ويُعلِن أنه سمعه».

قرب نهاية الصيف رجع إلى عتبة باب مينستر[18]، أيام قليلة بعد أن أرسل

إليه مطبوعين جديدين: عن عملي كمؤلف - نسخة صغيرة الحجم من وجهة *النظر عن عملي كمؤلف* - و*خطابان في العشاء الرباني يوم الجمعة*. (كما أرسل نسخًا إلى ج. ل. هيبيرغ: الخطابان له، والمقالة عن تأليفه إلى زوجته لويزه). كان قلقًا بشأن سماع رأي مينستر عن هذين الكتابين الصغيرين، إلا أنّ الأسقف نظر فقط إلى أحدهما. عاد كيركغارد إلى موضوع غولدشميت، ومن ثم «كانت هناك كلمات قليلة عن المعهد اللاهوتي الرَعَوي، إلا أنه حاول أن يتجنّب هذا وكان من رأيه أن أفضل شيء سيكون بالنسبة لي هو أن أبدأ بتأسيس معهد لاهوتي رَعَوي بنفسي». صَرَفه الأسقف بلطافة بـ«مع السلامة، صديقي العزيز».

بين هذه الزيارات المُوجِعة إلى مينستر، أعطى كيركغارد موعظة الأحد الدينية حول «ثبات الله»[19] في كنيسة الحصن في داخل الحامية عند مَدخل ميناء كوبنهاغن. في صبيحة ذلك الأحد صلّى إلى الله «عسى أن يُولد شيءٌ جديد فيّ» - لأنه أحس بأنّ خدمة الكنيسة هذه هي «ترسيخه». كانت الموعظة الدينية عن فقرته الكتابية الأثيرة من رسالة جيمس: «كلّ هدية جيدة ونموذجية هي من الأعلى وتنزل من «أب الأنوار»، الذي لا يكون فيه تغييرٌ أو ظلٌّ من الاختلاف». كان قد خطّط لموعظته الدينية «وهو يُفكّر 'بها'»:[20] عاجزًا عن التحدّث مع ريجينه مباشرةً، شعر بأن من المحتمل أن يُسرّها أن تسمعه وهو يعِظ، وبصورة غير اعتيادية سمح لاسمه أن يُسجَّل في القائمة بوصفه واعظًا حين تُعلَن الخدمة. «عانيتُ مُسبقًا بشدة من كلّ أنواع التوتر، كما هي الحال دائمًا حين يتعيّن عليّ أن أستعمل مظهري الخارجي الجسدي».

مع أنه لم يبلغ سن الأربعين بعدُ، وقف كيركغارد أمام مُستمعيه شكلًا بشريًا هشًّا: محدودب الظهر ونحيفًا أكثر من أيّ وقت مضى، شعرُه خفيف، ووجهه مُتعَب. خاطب الجمهور بصوت ضعيف جدًّا بحيث وجب عليهم أن يبذلوا جهدًا كي يسمعوه، غير أنّ كلماته كانت طافحةً بالإحساس. تحدّث بتفصيل تام عن «الخوف الخالص والرعشة» التي تُسبّبها فكرة ثبات الله «لنا نحن البشر الطائشين وغير المستقرّين».

والآن الواحد الثابت الأبدي - وهذا القلب البشري! آه أيها القلب البشري، ما الشيء الذي لا تُخفيه في حصونك السرّية، المجهولة بالنسبة للآخرين -ربما لن يكون هو الأسوأ- إلا أنه غالبًا يكون مجهولًا لصاحبه نفسه! إنه تقريبًا، حالما يبلغ صاحبه بضعة أعوام إنه تقريبًا كالقبر هذا القلب البشري! هناك يرقد مدفونًا، مدفونًا في النسيان، والوعود، والنيات، والقرارات، والخطط الكاملة وشذرات من الخطط، والله يعرف ماذا - نعم، هكذا نتكلّم نحن البشر، لأننا نادرًا ما نفكّر في ما نقول؛ نحن نقول: هناك يكمن ما يعرفه الله. ونحن نقول هذا بشبه طيش، شبه سأم من الحياة - وبعدها إنه شيء صحيح بنحو مُخيف جدًّا أنّ الله يعرف ما هو. إنه يعرف حتى أدنى تفصيل ما نسيتَه، يعرف ماذا تغيّر في تذكّركَ؛ إنه يعرف أنه لم يتغيّر... «الواحد كلّي الوجود»، وذاكرة ثابتة لا يسعكَ أن تفلت منها، وأقل من كلّ شيء أن تفلت منها في الأبدية - شيءٌ مُخيف!

تحدّث هكذا طوال خمس عشرة دقيقة - «بدا تقريبًا كما لو أنه بعيدٌ، بعيدٌ جدًّا عن القُدرات البشرية أن يكون المرء منخرطًا بثبات على هذا النحو؛ في الحقيقة، يبدو كما لو أنّ هذه الفكرة يجب أن تُغطِس المرء في القلق والاضطراب إلى درجة اليأس». ومن ثم توقّف عن الكلام هنيهةً، ومع ذلك، قال: «*هناك أيضًا توكيد وإسعاد في هذه الفكرة*. إنه فعلًا الحال كذلك حين يكون بوسعك، أنت الضَجِر من كلّ هذا الثبات والاختلاف البشريَّين، المؤقتين والدنيويين، الضَجِر من عدم استقرارك، أن تُريد مكانًا يُمكنكَ أن تُريح فيه رأسكَ الضَجِر، أفكاركَ الضَجِرة، كي تستريح، كي تنال راحة جيدة - آه في ثبات الله توجد راحة!».

الكِنيسة كلّها ساكنة، مليئة بالوجوه التي التفتت إليه، وبدا كما لو أنّ أفئدتهم قد التفتت إليه أيضًا. «كُن كالطفل»، قال لهم، «الذي يعرف بعمق فعلًا أنه في وضع يكون فيه وجهًا لوجه مع رغبته حيث شيء واحد فقط يُساعد، كي يُطيع. ذلك أنّ فكرة ثبات الله فكرةٌ مباركة، في الحقيقة، مَن يشك في ذلك؛ فقط تأكد

من أنكَ أصبحتَ هكذا كي تستطيع أن ترتاح بسعادة في هذا الثبات! آه، شخصٌ كهذا يتكلّم مثل فرد لديه منزل سعيد: منزلي مُصان بنحو سرمديّ؛ أستريحُ في ثبات الله. ما من أحد سواكَ بوسعه أن يُعكّر هذه الراحة». وستكون هنالك، بصورة متناقضة في الظاهر، حريةٌ في هذا الخضوع: «إن كان باستطاعتكَ أن تكون مُطيعًا تمامًا في طاعة ثابتة، سوف ترتاح بحرية في الله في كلّ لحظة بالضرورة نفسها مثلما يهبط جسمٌ ثقيل إلى الأرض، أو بالضرورة ذاتها مثل شيء خفيف يصعد نحو السماء». بالطبع، هذا الاستقرار صعب للغاية، ربما مستحيل، بالنسبة للبشر كي يُحقّقوه، مع أنهم يتوقون إلى الله كما يتوق الإنسان العطشان في الصحراء إلى ينبوع ماء بارد. ومع ذلك، ختم كيركغارد حديثه، مفارقة أخرى تتعلّق بكليّة وجود ثبات الله وهي أنّ جلالته ليس خاملًا، إنما يفتش باستمرار بنشاط عن أولئك الذين يشتاقون إليه:

لا أحدَ، سواء أكان في الحياة أو في الموت[21] يسافر بعيدًا جدًّا مثلك، أيها الرب، بحيث لا يُمكن أن يجدك المرء، كونكَ لستَ هناك، إنكَ في الحقيقة، في الأمكنة كلّها - هذه ليست هي الطريقة التي تُوجد فيها الينابيع في هذه الأرض، الينابيع توجد فقط في أمكنة خاصة. وزيادةً على ذلك - يا له من أمان غامر! - إنكَ لا تبقى في البقعة كالينبوع؛ إنكَ تسافر قُدُمًا. ما من أحد يضلّ بعيدًا جدًا بحيث إنه لا يستطيع أن يجد طريق عودته إليك، أنتَ الذي لستَ فقط كالينبوع الذي يُتيح لنفسه بأن يُعثر عليه -يا له من وصف بائس لكينونتك!- أنتَ الذي تشبه ينبوعًا بحيث إنه حتى في حالات التعطش والضلال، تكون أشبه بينبوع لم يُسمَع عنه. وهكذا أنتَ ثابت ويُمكن العثور عليكَ في كلّ مكان. وكلّما يأتي إليكَ شخصٌ ما، في أيّ عصر، في أيّ وقت من اليوم، في أيّ ظرف - إذا ما أتى بصدق، سوف يجد دائمًا «مثل برودة الينبوع الثابتة» حبكَ دافئًا بالقدر ذاته، أنتَ «الواحد الثابت»! آمين.

كانت موعظة الأحد الدينية تلك منعطفًا في تأليف كيركغارد. كتب لاحقًا في يومياته، «حين مضيتُ إلى المنزل، أحسستُ بأني بخير، نابضٌ بالحيوية[22]... في يوم الاثنين كنتُ ضعيفًا ومُرهَقًا للغاية بحيث كان ذلك مُخيفًا... أصبحتُ أضعف فأضعف... وعقب ذلك أصبحتُ عليلًا فعلًا. الوجع الجدير بالرثاء، المُعذِّب الذي يشكّل الحدّ الأقصى لذاتي بدأ يتراجع على نحوٍ مُخيف، شيءٌ لم يحصل لي منذ زمن طويل، طويل. على مدى لحظة، فهمتُ هذا بوصفه عقابًا كوني فشلتُ في أن أتصرّف بسرعة كافية». مهما يكن من أمر، شعر هو بأنّ صلاته قد أُجيبت: تلّقى «تثبيته» وكتب: «شيءٌ جديد وُلِد فيّ»، «لأني فهمتُ مهمتي كمؤلف بصورة مختلفة؛ إنها الآن مُكرّسة بطريقة مختلفة تمامًا لدينٍ يتقدّم باستقامة. وكذلك ثُبِّتُ في هذا: هكذا هو الحال معي».

في ذلك الأسبوع تلقّى رسائل من امرأتين مجهولتين ذهبتا، كونهما قرأتا كتبه، إلى كنيسة الحصن كي تسمعانه وهو يعِظ. كانت إحدى الرسائل من شابة غامرت بمخاطبته لأنها شرحت قائلةً: «قيل لي إنكَ شهم ولطيف مع الشبيبة[23] ومتساهل مع أولئك الذين ضلّوا السبيل». واستطردت قائلةً إن كتابة كيركغارد ساعدتها على اليقظة الروحية:

> في الروح التافهة، أو ربما كما أشرتَ في مكانٍ ما، الروح الكئيبة للأزمنة، تجاهلتُ طويلًا الله وعلاقتي به، وكان هذا وضعًا تعيسًا، كما أدركتُ حالًا. بحثتُ عن الراحة في الصلاة، إلا أنني أحسستُ بأنّ الله لن يسمعني؛ مضيتُ إلى الكنيسة، بيد أنّ أفكاري المُشتتة لم تكن تتابع أفكار الواعِظ؛ حاولتُ في الكتب الفلسفية التي باستطاعتي أن أفهمها، كي أجد الراحة لروحي الضائعة، ووجدتُ بعضًا منها. كنتُ قرأتُ *إما/أو* بإعجاب شديد، وحاولتُ أن أحصل على بعض أعمالك من خلال استعارتها، بما إنني لا أقدر على شرائها. تلقيتُ *خطابات مسيحية* الصادر في العام 1848، الذي لم يكن ما أردتُه، إلا أنني قرأتُه – وكيف يتسنّى لي، يا ترى، أن أشكرك

كفاية؟ وجدتُ فيها مصدر الحياة الذي لم يخذلني منذ ذلك الحين. لمّا يتعكّر مزاجي، أبحث عن الملاذ هناك وأجد الراحة؛ حين تأتي بي الحاجة أو الفرصة إلى الكنيسة وأقضي الوقت بالمشي مكتئبةً، واعية بخطيئة أخرى لأني كنتُ في «منزل الرب» من دون توقير أو تواضع، عندئذ أقرأ خطاباتك وأجد الراحة. في كلّ شيء يحصل لي، في الحزن أو في السعادة، هذا الجزء الصغير من الثروات التي ورّثتها للعالَم باتت مصدرًا ثابتًا أستقي منه الراحة والمؤازرة.
في يوم الأحد الفائت كان اسمك مُسجّلًا في اللائحة كواعظ في «الحصن». ما الذي يُمكنني أن أفعله غير الذهاب إلى هناك، ولم يخبْ أملي. لم تكن هذه واحدة من مواعظك الدينية التي سمعتُها مرات كثيرة جدًا ونسيتُها قبل أن تنتهي. لا، من القلب الغني، الدافئ انسكب الكلام مروِّعًا، ومع ذلك مُؤسِّسًا ومُلطِّفًا في الوقت عينه؛ اخترق القلب كي لا يُنسى.

«ليتكَ تعظ مرات أكثر، لكن أرجوك، ليكن اسمكَ مُعلنًا على الدوام»، توسَّلت كاتبة الرسالة الأخرى، التي تكلّمت أيضًا عن قلبها فيما هي تفكّر في موعظة كيركغارد الدينية. «منذ البداية تحديدًا لمّا بدأتَ تنشر أعمالكَ بالاسماء المستعارة»، كتبت قائلةً:

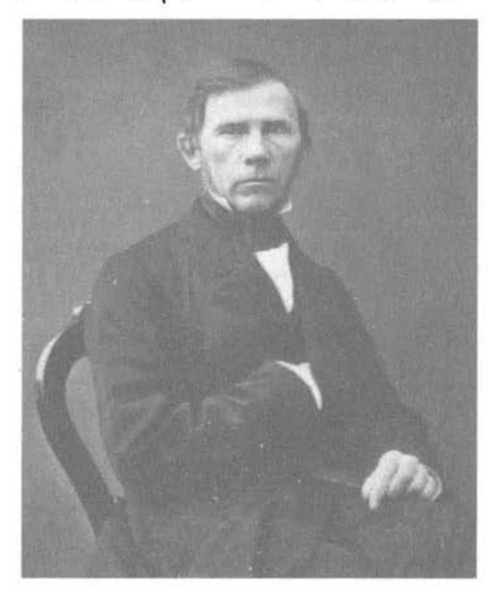
أرهفت سمعي وأصغيتُ[24] كي لا أفوّت أيّ صوت، حتى أضعف الأصوات، من هذه الإيقاعات البديعة، لأنّ كلّ شيء يرّن في فؤادي. هذا هو ما كان مطلوبًا أن يُقال - هنا وجدتُ أجوبةً عن أسئلتي كلّها؛ لم يُحذف شيء من تلك الأشياء التي أثارت اهتمامي كثيرًا جدًا... أشكُّ في أنّ هناك خيطًا واحدًا في القلب البشري لا تعرف كيف تنتزعه، أيّ فجوة لم تخترقها قط. فكّرتُ أني أعرف ماذا يعني أن أضحك قبل العام 1843 أيضًا، لكن لا، لم تكن لديّ إلى أن قرأتُ *إما/أو* أيّ فكرة عن معنى أن أضحك من أعماق قلبي؛ وبقلبي

توصّلتُ إلى فهم كلّ شيء قلتَه. مرات عدّة أحسستُ بالارتباك تقريبًا لدى سماع أشخاص أذكياء يقولون إنهم لم يفهموا س. كيركغارد، لأني كنتُ أعتقد بأني فهمتَه. لستُ وحيدة أبدًا حتى وأنا بمفردي على مدى فترات زمنية طويلة، شريطة فقط أن أكون بصحبة هذه الكتب، لأنها وبالنسبة لباقي الكتب كلّها، تشبه إلى حدّ بعيد صحبة شخص حيّ. لكن أرجوك لا تحسب أنّ هذه الكتب قد علّمتني فقط أن أضحك؛ آه لا، أرجوك صدّق ذلك فالمرة تلو المرة حفّزتني كي أرى نفسي بوضوح أكثر وكي أفهم واجبي، كي أحسّ بأني مرتبط بإحكام أكثر بـ«الحقيقة، بـالسبيل، بالحياة»؛ أصبحتُ متحرِّرًا بصورة لا نهائية من خلال تأمّلها -لكنني- أيضًا أُغريتُ بصورة لا نهائية بأن أتخلّى عن سائر ذلك المجتمع المُحبّ للقطيع الذي يعيش فيه المرء، وهو بعيد جدًّا عن معرفة ماذا يعني حقًّا أن يعيش تلك الحياة. بالأحرى، هي تشبه تقريبًا محاكاة ساخرة لها. مع ذلك ليس بالهَرَب يُظهِر المرء قوّته.

منذ يوم الأحد وهذه المرأة كانت تتكلّم عن موعظة كيركغارد الدينية لكلّ شخص تقابله؛ عبّر هو عن حقائق خالدة، مع ذلك «ما من أحد جاهر بتلك الحقائق لي من قبل كما فعلتَ أنت بطريقة ما، بحيث يُمكنني أن أسمعها، هكذا، بآذان روحي». الآن، مع أنها كانت تعرف أنه لن يسمح بذلك، كانت بها حاجة لأن تشكره شخصيًا. «لو كنتُ رجلًا، وبالتالي شخص ما بوسعه أن يفكّر ويكتب بشكل متماسك، يقينًا سيكون الأمر عندئذ مسألة مختلفة، لأنه بوسعي أن أنشر شيئًا ما عنكَ ولن تكون هنالك حاجة لأن أزعجكَ شخصيًا».

فِي مطلع خريف العام 1851 زار إميل بويسين كوبنهاغن على مدى أيام معدودة. أعطى كيركغارد صديقه القديم نسخة من *فحص الذات: موصّى به للعصر الحالي* الذي كان نشرَه للتو. هنا تخيّل لوثر يعود إلى اختبار إيمان اللوثريين الدنماركيين في القرن التاسع عشر: «إنكَ تعرف أنّ الإيمان هو شيءٌ

لا يهدأ»[25] يقول لوثر. «ما الغاية أن يكون لديك إيمان، أنتَ الذي تقول إنّ لديك إيمانًا، هذا الإيمان الذي يجعلكَ قلِقًا، أينَ شهدتَ الحقيقة؟ أين كنتَ ضد الزيف؟ أيّ تضحيات تلك التي قدّمتَها؟ أيّ مضايقات تلك التي عانيت منها بسبب عقيدتك المسيحية؟ وهل تشعر بأنكَ مرتاح في حياتك الأسرية بما فيها من إنكار ذات وتخلٍ لافتيَن للنظر؟». هذا الكتاب احتوى على ثلاثة خطابات، في نصوص «العهد الجديد» التي خصّصتها الكنيسة للأحد الخامس بعد عيد الفصح، لـعيد الصعود، ولـعيد العنصرة. قَدّمتْ تفسيرًا صارمًا للديانة المسيحية باعتبارها طريقًا عسيرًا، ضيّقًا اقتفى أثر يسوع المسيح صوب المعاناة. وُلد يسوع المسيح في فقر وبؤس، وكان يعرف مصيره من البداية بالذات - «وهذا الطريق، وهو طريق يسوع المسيح، هذا الطريق الضيق[26] فيما هو يستمر، يُصبح أضيق فأضيق حتى النهاية، حتى الموت». سوف تجلب الروح القدس وَعَدَ يسوع المسيح، راحةً لطيفة، حياةً جديدة، الإيمان، المحبة - غير أنّ هذه النِعم تأتي فقط إلى أولئك الذين ماتوا أولًا بالنسبة لأنفسهم، وماتوا بالنسبة للعالَم.



إميل بويسين

في هذه الأثناء كان كيركغارد حيًّا، لأول مرة في حياته، خارج أسوار المدينة، في الطابق الثاني من ڤيللا مُشيّدة حديثًا في أوستيربرو. إنها مكان هادئ في طرف بحيرة سورتيدام، محاطٌ بالحدائق الشخصية. لما عرّج عليه إميل هناك ظلّا يتكلّمان حتى ساعة متأخرة من الليل[27]، وطلب منه كيركغارد أن يرجع في المساء التالي، ومرةً أخرى في المساء التالي. كانت لديه فرصٌ قليلة هذه الأيام، كي «يعبّر عن مشاعره وأفكاره» كما تعوّد أن يفعل.

حين أقام في عنوانه القديم في نورغيد، كان يُشاهد ريجينه عادةً في أثناء مسيراته اليومية الراجلة - غالبًا «كلّ يوم سعيد»[28] على مدى أسابيع في كلّ مرة. بعد انتقاله إلى أورستربرو مباشرةً بدأ يُصادف ريجينه في نحو الساعة العاشرة صباح كلّ يوم وهو في طريقه عائدًا من البلدة إلى المنزل. في الأول من يناير 1852 قرّر أن يُغيّر مَساره، مُتلهّفًا لأن يتجنّب ظهور أيّ ملاحظة غير لائقة، والآن بات يسلك طريق شاطئ البحيرة. وذات صباح شاهد ريجينه هناك، وغيّر مَساره من جديد. إلا أنه عندئذ بدأ يقابلها في الساعة الثامنة صباحًا في أوستربورت، البوابة الشرقية للمدينة، أو بعدها بقليل عند الأسوار، فيما هو يمشي صوب البلدة. «ربما كانت مُصادفة[29]، ربما، لم يكن بوسعي أن أفهم ماذا كانت تفعل في ذلك الطريق في تلك الساعة»، كتب في يومياته. كما استمر في رؤيتها في الكنيسة أيام الآحاد.

«بعدئذ حلّ عيد ميلادي[30] كقاعدة، أكون على الدوام بعيدًا في عيد ميلادي، إلا أنني لم أكن أشعر أني بصحة جيدة. لذلك لبثتُ في المنزل؛ كالعادة، مضيتُ إلى البلدة كي أتحدّث مع الطبيب لأني فكّرتُ بالاحتفال بعيد ميلادي مع شيء جديد، شيء لم أتذوّقه من قبل، زيت الخروع. خارج الباب مباشرةً، على الرصيف أمام الجادة، قابلتني. كما يحدث في أحيان كثيرة من عهد قريب، لم أتمالك نفسي من الابتسام لمّا رأيتُها - آه إلى أيّ مدى صارت تعنيني! بادلتني الابتسام وأومأت برأسها. اتخذتُ خطوةً باتجاهها، ومن ثم رفعتُ قبعتي وتابعتُ المشي». بعد أعوام من الاتصالات غير المباشرة للغاية، لقاء النظرتين، البسمتين والتحيّتين الصامتتين هذا أضاء فؤاد كيركغارد. ربما

تسوية الخلاف والصداقة لم يكونا مستحيلين على أي حال. بدا كما لو أنّ نافذةً فُتِحت على حين غرّة كي يتدّفق نسيمُ الربيع إلى داخل حجرة فاسدة الهواء، جالبًا معه سعادةً لمناسبة عيد ميلاده.

في يوم الأحد التالي، كانت ريجينه هناك في الكنيسة، جالسة بالقرب من المكان الذي يقف فيه هو على الدوام. أعطى القس پولي، زوج ابنة الأسقف مينستر، الموعظة الدينية - ومثل موعظة كيركغارد المُغيّرة للحياة في كنيسة الحصن العام الفائت، كان النص هو فقرته المفضّلة من رسالة جيمس، «كلّ هدية جيدة ونموذجية تأتي من الأعلى». «تلتفت هي إلى الجانب وتنظر إليّ، بحماسة شديدة. نظرتُ للأمام مباشرةً، لم أنظِر إلى شيء مُحدّد». ومن ثم بدأ پولي موعظته الدينية بأسلوب غير مُتوقَّع، بحيث إنّ كيركغارد وجده «غير قابل للتفسير»: هذه الكلمات المقدّسة حول هدايا الله الجيدة، قال القس: «مزروعةٌ في قلوبنا - نعم، مُستمِعيّ، إذا توجّب أن تُنتزع هذه الكلمات من قلبكَ، ألن تفقد الحياة سائر قِيمها بالنسبة لك؟».

لا بد أنّ ريجينه أحسّت بأنها مغلوبة لدى سماعها هذا، فكّر هو تاليًا. «لم أتبادل معها كلمة واحدة قط، وكنتُ أسلك طريقي، وليس طريقها - إنما هنا بدا كما لو أنّ قوةً عليا قالت لها ما لم أكن قادرًا على قوله». أما إحساسه هو - «بدا كما لو أني واقف على جمرات متوهّجة».

الفصل الخامس عشر

المعركة الأخيرة

في ليلة خريفية من العام 1853، يفتح كيركغارد دفتر يومياته ويكتب عنوانًا في أعلى الصفحة: «’خوف ورعشة’ جديد»[1].

إنه يتخيّل إبراهيم، في طريقه إلى جبل المروه، وهو يُخبر إسحق بأنّ الله يُريده أن يكون الضحية؛ ولمّا يصلان إلى الجبل يقطّع إبراهيم الخشب، يربط إسحق، يُشعِل النار - ويغرس السكين في ابنه. يظهر يهوه ويسأل إبراهيم ما إذا لم يسمع أمره بالتوقف، وأن يذبح كبشًا بدلًا من إسحق - لا، يُجيب إبراهيم، لم أسمع ذلك. يهوه يُعيد إسحق إلى الحياة، إلا أنّ هذا ليس نفس إسحق التي تبع أباه بثقة إلى المروه: كونه فهم أنّ «الله قد اختاره كتضحية»، الغلام الخالي من الهموم أصبح أشبه برجل مُسن. يحزن إبراهيم على ابنه الضائع؛ يُعطي يهوه وعدًا بأنهما سوف يتّحدان في الأبدية، حيث ستُعاد السعادة كلّها إليهما. «كونكَ سمعتَ صوتي، كونكَ امتنعتَ - إذًا عليكَ أن تُحافظ على إسحق من أجل هذه الحياة»، يشرح إله إبراهيم، «لكن ما يتعلّق بالأبدية لم يوضَّح لك. لقد مضيتَ شوطًا بعيدًا، حطّمتَ كلّ شيء - ومع ذلك إني أجعلها أفضل لو لم تكن قد ذهبتَ شوطًا بعيدًا: توجد أبدية». في إعادة قول الإصحاح 22، لا يتوقّف إبراهيم إلى أن يُنجز مهمته المروِّعة، وحتى تجاوز الحدّ المسموح الذي قصده الله. كلّ شيء ضائع، والراحة لا تكمن إلا ما وراء هذا العالَم.

يرفع كيركغارد بصره: عبر نافذته يرى، في ضوء القمر، برج كنيسة سيدتنا قبالة سماء الليل. قبل عام، في أكتوبر 1852، انتقل إلى منزل جديد مرةً أخرى، متخلّيًا عن ڤيلّته الهادئة القريبة من البحيرة كي يستأجر مسكنًا رخيصًا في قمة

مبنى سكني في مركز كوبنهاغن، يبعد خطوات قليلة عن الكنيسة ومقر الأسقف مينستر الكَنَسي. هذه الحجرات واطئة السقوف، التي كان يستأجرها عادةً الطلبة الجامعيون، يقدر أن يشتريها الآن. مسيراته الراجلة الصباحية تبدأ عند كاتدرائية المسيحية الدنماركية - هذه الكنيسة التي أمضى فيها ساعات لا تُعدّ ولا تُحصى منذ سنوات شبابه، جالسًا مع أفراد أسرته تحت الحواريين الشاهقين، مُستمعًا إلى مواعظ مينستر الدينية؛ حيث كان يقف في كثير من الأحيان على مبعدة ياردات عن ريجينه ويحسّ بأنّ نظراتها عليه؛ حيث أعطى المواعظ الدينية ثلاث مرات عند القربان المقدّس يوم الجمعة في الأعوام العصيبة التي أعقبت هجوم *القرصان*.

في حجراته الضيقة الكائنة في كليديبودرني، يُلقي نظرة شاملة على العدو ويستعد للمعركة. يتأمّل مينستر - دنيويته ونفاقه وملاحظته المؤيدة لغولدشميت - فيما هو يشحذ هجومه الجدلي العنيف ضد المسيحية، ويتأمّل علاقته مع الله. في العام 1843، لمّا بدأ خوف ورعشة في برلين، أُعجب كيركغارد بالنبي إبراهيم باعتباره «فارس الإيمان» الذي يعود بسعادة إلى العالَم الذي تركه وراءه، ويتلقّى ابنه المحبوب ثانيةً بعد أن تخلّى عنه. وحتى إنه اشتاق إلى إيمان إبراهيم اللافت هذا، الذي سيسمح له - لو كان ذلك ممكنًا - أن يُحقّق علاقته مع الله في نطاق العالَم، هذه العلاقة التي طالما حلم بها وتمنّاها، مُبهمًا، في مظهره الخارجي يبدو رجلًا عاديًا. في خوف ورعشة قارن إبراهيم بمريم، أم يسوع المسيح، كما تبدو عليه في بداية إنجيل لوقا: شابة، غير متزوّجة وحامل فجأةً، يطلبُ منها الله أن تحمل طفلًا مقدّسًا، غير شرعي. الاثنان معًا، إبراهيم ومريم ذهبا طوعًا إلى مهمتيهما المُقدّستين، أسرتاهما وأصدقاؤهما أساؤوا فهمَهما، وواجه الاثنان فقدان ابنيهما.

لكِن الآن، بعد مضي عشر سنوات، يعتبر كيركغارد محاولة إبراهيم «صنفًا صبيانيًا» مُقارنة بالمعاناة التي تتطلّبها المسيحية الحقيقية: «إبراهيم يستلّ السكين - بعدها يسترجع إسحق؛ لم يكن ذلك عملًا جادًّا. إنّ الشيء الجاد إلى أقصى حدّ هو المحاولة، إلا أنه وقتئذ أصبح ذلك مرةً أخرى مُتعة هذه

الحياة». كان الأمر مختلفًا في العهد الجديد، حيث «السيف... في الحقيقة وصل كي يثقب قلب مريم، كي يخترق قلبها - إلا أنه في ذلك الحين كانت قد حصلت على إحالة إلى الأبدية؛ إبراهيم لم يحصل على تلك الإحالة». في رأيّ كيركغارد، الإيمان المسيحي يعني الآن «حرفيًا بكلّ معنى الكلمة صرف الذهن والتخلّي[2] وفقدان الدنيوي، والمعاناة الخالصة، والتلاشي [عن العالَم]».

تدوينه في اليوميات عن إبراهيم ليس خطة من أجل كتاب جديد - إنما لو تسنى له أن يكتب كتاب «'خوف ورعشة' جديد» في العام 1853، سوف يشرح قائلًا إنّ السيف الذي اخترق روح مريم، الذي كان النبي سمعان قد توقّعه في طفولة يسوع المسيح، هو أكثر من وجع الأم لدى رؤية ابنها وهو يُصلَب. كما أنه شكّها «فيما لو كان كلّه خيالًا[3] وخداعًا، قصة جبريل كلّها كونه أُرسِل من قبل الله كي يُعلن لها أنها المرأة التي وقع عليها الاختيار. وفيما يصرخ يسوع المسيح: إلهي، إلهي، لماذا تخلّيت عني - وأصبح على مريم العذراء أن تعاني من الشبه الإنساني لهذا». في العام 1843 جعل شخصيته الأدبية يوهانِس دِي سايلينتيو يتعجّب من إيمان إبراهيم، الذي لم يكن يتوق إلى الآخرة لكنه توقّع السعادة في هذه الحياة. إنه الآن يؤمن بأنّ «المسيحية هي معاناة حتى النهاية[4] - إنها وعي الأبدية». لا توجد حاجةٌ أخرى للوثبات الجدلية لأسمائه المستعارة، لأنّ وجوده كوّن صيغةً دينيّة بسيطة: «كلّما تكون أقرب إلى الله، تزداد معاناتك»[5].

على مدى عامين لم ينشر شيئًا، وكتب قليلًا[6]، ونتيجة لذلك، يُلاحظ في يومياته، «نتاجٌ ضخم[7] تراكم إن جاز التعبير، في رأسي وفي أفكاري - في الواقع أعتقدُ أنه في هذه اللحظة يُمكن أن نشكّل مني مجموعةِ من الأكاديميين والشعراء». منذ رجوعه إلى المدينة كان قد عاش بتقشّف أكثر من قبل، حرم نفسه من وسائل راحة مادية عديدة -حتى، على مدى فترات قصيرة، تنصّل من كتابته- «كلّ ذلك كي أرى ما الذي أستطيع أن أتحمّله». في هذا الخريف من العام 1853، يتفكّر: «إنّ الزهد سفسطة»، لأن هذا الاعتزال المحدود يضعه في حالة ذهنية حذرة، حاسبًا كلّ امتناع عن الملذّات، كما لو أنّ الاعتزال هو

غايةٌ بحد ذاته. «وهكذا أرجع مرةً أخرى إلى الفضيلة»، كتب في ليلة أخرى من ليالي أكتوبر. ما يهم هو موقفه تجاه العالَم؛ كلّ ما يجب أن يهمه هو مسألة إلى أيّ مدى يحتاج الذهاب كي يُنجز مهمّته التي عيّنها له الله. «تجاوزتَ الحدّ المسموح به، حطّمتَ كلّ شيء»، إنه الآن يتخيّل الله وهو يُخاطب إبراهيم الذي كانت يداه مُلّطختين بالدم - هل كان هو المقصود بهذه الكلمات؟ إنه يفكّر في «قطْع صِلاته مع كلّ شيء»، كي يُنادي بنصرانية صارمة، مُروِّعة، غير أنّ «شيئًا واحدًا» يُعطيه مُهلة: ريجينه. «لم تكن لديها فكرة عن ذلك النوع من المسيحية. إذا ما أمسكتُ بها (أيّ المسيحية) بقوة، إذا ما تابعتُها، عندئذ سيكون هنالك اختلاف ديني بيننا». في هذا الخريف أحسّ كيركغارد أنه يخضع لتوتر أشد فأشد. الكتابة تجعله ضجرًا؛ إنها تبدو «تقريبًا أشبه بالسخافة»[8].

يتخلّى عن يومياته على مدى شهر، وبعدها يفتحها من جديد في ليلة باردة من ليالي نوفمبر كي يكتب صفحتين عن الأسقف مينستر - وكذلك، بالطبع، عن نفسه. حتى العام 1848، يسجّل هو، ظلّ مُخلصًا لـ«النظام الراسخ». على الرغم من ازدواجيته تجاه مينستر، كان قد احترمه أكثر مما يحترم أيّ قس، وقد وفّرَ عليه الجدل إلى أن ظهر *تمرين في العقيدة المسيحية*. كانت قضية *القرصان*، ومن بعدها رفض مينستر شجب غولدشميت، منعطفَيْن حاسمين. وحيث كان تفسير كيركغارد للعقيدة المسيحية قد مال أكثر في اتجاه مُثُل التضحية، والمعاناة والاستشهاد، أصبح عنيدًا أكثر فأكثر في «نبذ العالَم»، توصّل إلى الاعتقاد بأنّ مينستر نفسه «من دون شخصية»: ليس معلّمًا دينيًا حقيقيًّا بل هو ببساطة خطيب، كاتب بليغ - باختصار، «صحافي». إنه يعرف أنّ «دفاعه» عن المسيحية الحقيقية هو «شيء أشبه بالبلاء بالنسبة للأسقف م.[9] - ذلك أنّ الحقيقة وقضايا من هذا القبيل لا تُهمه». ينام الأسقف، بلا ريب، نومًا عميقًا في مقرّ إقامته المُريح في زاوية الشارع. كيركغارد، الحارس الليلي اليقظ، لا يستطيع أن ينام. يُغلق يومياته، ولا يكتب شيئًا طوال مدة زمنية تزيد على ثلاثة أشهر.

***

«هو الآن ميت»[10]، بدأ ثانيةً في الأول من مارس 1854، تحت عنوان «الأسقف مينستر». «لو كان بالإمكان أن يُقنَع بأن يُنهي حياته بالاعتراف بأنّ ما يُمثلّه لم يكن المسيحية فعلًا بل نسخةٌ مُسامِحةٌ منها، كانت ستكون مرغوبًا فيها إلى أبعد حدًّ، لأنها حملت عصرًا كاملًا». كان كيركغارد يعتقد بأنه «في الأعماق» كان مينستر يُسلّم بما يقوله هو «في ما يتصل بقضايا الروح»، إلا أنه يرفض الاعتراف بهذا بشكل صريح. دعت مقدّمة *تمرين في العقيدة المسيحية* إلى «القبول والاعتراف المتعلّقين بالنفس» - وإذا كان مينستر قد قَبِل أنه هو أسقف زيلَند، قصّر عن بلوغ أعلى المُثُل المسيحية، إذًا مهمة كيركغارد بوصفه مؤلّفًا قد أُنجزت. إلا أنه انتظر هذا الاعتراف بلا طائل. الآن، ختم كلامه قائلًا: «كلّ شيء تغيّر: الآن الشيء الوحيد المتبقّي هو أنّ مينستر وعظ بالديانة المسيحية بصرامة محوّلًا إياها إلى وهم». شجب الأسقف لا لأنه أخفق في اتباع التعاليم الراديكالية جدًا ليسوع المسيح والحواريين -لأنه بالطبع هو أيضًا فشل في هذا الأمر - بل لأنه مرَّر المزيَّف باعتباره حقيقيًا.

توفي الأسقف مينستر في نهاية يناير، أربعة أسابيع قبل عودة كيركغارد إلى يومياته كي يكتب هذا التدوين. أعطى مينستر موعظته الدينية الأخيرة في 26 ديسمبر 1853؛ لمرة واحدة، كيركغارد لم يذهب لسماعه وهو يَعِظ، وفي استعادة حوادث ماضية والتأمل فيها اعتبر هذا إشارةً من الله: «الآن يجب أن يحصل[11]، يتعيّن عليك أن تقطع العلاقة مع تقليد أبيك». في مطلع فبراير، يومان قبل جنازة مينستر، ضمّ مارتينسِن تأبينًا للأسقف الراحل في موعظة الأحد الدينية التي أعطاها[12]، حاثًا جمهوره على أن «يُقلّدوا إيمانه». «من الرجل الذي كانت ذكراه الثمينة تملأ أفئدتنا»، أعلن مارتينسِن، «أفكارنا أعادتنا إلى سلسلة كاملة من شهود الحقيقة بحيث إنها مثل سلسلة مقدّسة تمتد عبر العصور، بدءًا من أيام الحواريين إلى يومنا هذا». واستطرد أنّ الأسقف مينستر كان حلقة في هذه السلسلة المقدّسة: «شاهد أصيل على الحقيقة».

في غضون أيام كتب كيركغارد مسوّدة هجوم قاسٍ جدًا على الخطاب الاستذكاري لمارتينسِن. «الأسقف مينستر شاهد على الحقيقة!»[13] - حين

عنى هذا شخصًا «يعاني بنحو غير مشروط في سبيل العقيدة»، إيمانُه يقوده «إلى محاكمات روحية، وإلى شتى ضروب قلق الروح، وإلى عذابات الروح». كي يُبرهن على خطأ مارتينسِن في ربط مينستر بالحواريين، اقتبس كيركغارد من «الرسالة الأولى للكورنثيين»، حيث كان القديس بولس فظًّا بنحو واضح في مقارنة القدرة الدنيوية والغطرسة مع ضروب إذلال التلمذة المسيحية. «أنتم مُقيَّدون بشرف، أما نحن فمقيَّدون بفقدان السمعة الجيدة»، كتب بولس إلى الإغريق المقيمين في كورنثوس، «نحن جياع وعطشانون، ملابسنا رثة ومُرهَقون ومُشرّدون... أصبحنا أشبه بنفاية العالَم». كيركغارد اتهم مارتينسِن باللعب على الديانة المسيحية «بكلّ معنى الكلمة. بالمعنى نفسه كما يلعب الطفل دور جندي» - من خلال إزالة المخاطر كلّها.

طوال ربيع 1854 كتب مسوّدات مقالات جدلية أكثر تُقارن المسيحية المعاصرة مع تعاليم «العهد الجديد» إلا أنه لم ينشرها. أزعج أقاربه من خلال انتقاده الأسقف مينستر إلى مائدة الغداء. ومن الناحية الثانية، أتقن انتقاده للدنيوية في يومياته، مؤكّدًا على المتطلّبات الراديكالية جدًا للمسيحية الأصلية. كان هذا دِينًا طَلَب من الموالين له بأن يصرفوا الذهن عن «التوافه الأنانية» التي يملأ بها معظم البشر حيواتهم: «التجارة، الزواج، إنجاب الأطفال، بلوغ شيء ما في العالَم» - أحجار زاوية مجتمع محترم مرّر نفسه الآن بوصفه مجتمعًا مسيحيًا. ألقى اللوم على النساء لكونهنّ فرضن على الرجال «كلّ الهراء المتعلّق بالتناهي»[14]، واستهجن «الأنانية العدوانية» للزوجة والأم التي تُحب نفسها «من خلال حبّها للأشخاص الذين يحضّونها». النساء يملن بشكل طبيعي إلى الحياة الأسرية، التي تُبعد الرجال عن شؤونهم الروحية - ولهذا السبب، أضاف كيركغارد، الراهبات يستحققن أن يُوضعنَ في منزلة أعلى من منزلة الرهبان، «لأنّ المرأة حين ترفض هذه الحياة، وهذا الزواج، تُعطي أكثر بكثير مما يُعطيه الرَجل».

وجد بعض الدعم لهذه الرؤى في مقالات شوبنهاور، التي أوضحت تشاؤمًا أُخرويًا (وكرهًا للنساء) في النثر الألماني الشفّاف بنحو جميل. ثمّن

النزعة الجدلية عند شوپنهاور - انتقاداته لهيغل، للفلسفة الأكاديمية، للاهوت المسيحي - بالإضافة إلى تأكيده على الزهد، والمعاناة والحنان، المُستقى من الروحانية الهندية الموغِلة في القِدم ناهيك عن تعاليم يسوع المسيح. إلا أنه تذمّر من أنّ طريقة شوپنهاور المنعزلة في الحياة أظهرت أنه ليس لديه سِمة أخلاقية:

> إنه يتصدّر وجودًا منطويًا[15]، فيطلق في بعض الأحيان عاصفة مدوّية من الألقاب التي يتم تجاهلها. لا، قارب المسألة بصورة مختلفة. اذهب إلى برلين. زلزِل الأرض تحت أولئك الأوغاد في الشارع. تحمّل أن تكون الشخص ذا السمعة الأسوأ من بين الكلّ، ممن يعرفونك... هذا، كما ترى، يُقوّض خِسة التجاهل. هذا ما تدرّبتُ عليه -على مقياس أصغر، بالطبع- هنا في كوبنهاغن: باتوا أغبياء بتجاهلهم. ومن ثم كنتُ قد تجرّأتُ على القيام بشيء إضافي - على وجه الدقة لأني وُضعتُ تحت تسلّط ديني - تجرّأتُ طوعًا بأن أُظهِر نفسي كي يرسمني الرعاع كلّهم بصورة كاريكاتورية وكي يسخروا مني؛ الرعاع كلّهم، من الأشخاص العاديين إلى الأرستقراطيين، كلّ ذلك كي يفجّروا الأوهام.

بعد أكثر من عقد خوف ورعشة، كان وجود كيركغارد لا يزال عالقًا في ديالكتيك بين الإنجاز الدنيوي والاعتزال الزُهدي. كان لا يزال يؤمن بأن لا أحدَ من هذين البديلين، مع أنهما معًا إغراءان كبيران بالنسبة له، هما أسمى طريقة لأن تكون إنسانًا، وأنه لا أحدَ منهما هو المسيحية الحقيقية. في العام 1843 كان قد ألهمه النبي إبراهيم كي يتخيّل عودةً إلى العالَم، معانقة الحياة المحدودة التي مكّنتها النعمة الإلهية؛ كان قد قارن رحلة الأب المُسنّ وهو يصعد جبل المروه وينزله بقفزة رقصة الباليه، نشّطته حركة باطنية خفيّة ضحّت بالعالَم ومن ثم استعادته من جديد كهدية. الآن الجدل نفسه دفع كيركغارد إلى طريقة مختلفة من الكينونة في العالَم: الصدام مع النظام الراسخ، ازدراء الحياة السياسية، المعاناة الظاهرة للعيان، «استشهاد الضحك»[16].

مهما يكن من أمر، كفّ عن نشر مقالاته التي تهاجم العقيدة المسيحية. في أول الأمر فعل ذلك كي يترفّع عن الجدال حول خليفة الأسقف مينستر: مارتينسِن هو المُرشَّح المُفضَّل للمحافظين، الذين يقودهم رئيس الوزراء آ. س. أورستيد، في حين أنّ ج. ن. كلاوسِن، الذي علّم كيركغارد تفسير الكتاب المقدس في الجامعة، كان مدعومًا من الحزب الليبرالي القومي ومن الملك. ولكن حتى بعد أن عُيّن مارتينسِن بمنصب أسقف زيلاند، رئيس كنيسة الشعب الدنماركي، في أبريل 1854، كان كيركغارد لا يزال يحتفظ بالنار[17]، لأنه كانت هناك أيضًا ريجينه. كان بمستطاعه أن يُضحّي بأشياء كثيرة، إلا أنّ ارتباطه بها - مرور أحدهما بالآخر الذي تكرّر كثيرًا، إحساسه بالمسؤولية وبالمصالحة العميقة، غير المُعلَنة بينهما - هو نوع من المرساة في العالَم. اهتمامه بروحه، إحجامه عن استهجان الدين الذي تمارسه، جعله يتأنّى قبل الاندفاع في المعركة.

انتظر طوال صيف وخريف 1854. وبعدها في ديسمبر بعث مقالته الأولى محتجًّا فيها ضد تأبين مارتينسِن لمينستر. بعث المقالة إلى صديقه جودڤاد، مُحرّر ذه *فاذرلاند* كي تُنشر في الجريدة. في تلك الأثناء كان زوج ريجينه يوهان فريدريش شليغل قد رُقّي من «رئيس المكتب الكولونيالي» إلى «حاكم الجزر الهندية الغربية». في العام 1855 سيتوّلى شليغل هذا المنصب - وريجينه سوف تغادر الدنمارك[18].

كان الأسقف مينستر محبوبًا خلال حياته، وعمليًا «مُقدّسًا» في وفاته، ومع ذلك استهجنته مقالة كيركغارد بوصفه مُخادِعًا[19]. كان وعظ مينستر بحسب كيركغارد، «قد حجبَ وكبتَ وحذفَ شيئًا مما هو مسيحي حتمًا، ما هو غير مناسب لنا كبشر، ما يجعل حيواتنا شاقة، يمنعنا من الاستمتاع بالحياة»، ووجود مينستر أسقطه أكثر كمسيحي حقيقي - «لم تكن له خاصّية مميزة، وَلا حتى خاصّية مميزة في وعظه، ولا حتى مع السمعة الحسنة لوعظه. شاهد على الحقيقة، مسيحي، صادق، أصيل»، أكّد كيركغارد، «هو شخص يشهد في الفقر على الحقيقة، لا ينال التقدير بتاتًا، مكروه، ممقوت، مخدوع جدًا،

مُهان، يُعامَل بأقصى الازدراء». كان خطاب مارتينسِن الاستذكاري، أضاف قائلًا، خدمة ذاتية - «مفخرة جديرة للبروفيسور مارتينسِن نفسه، الذي أعاد إلى الذاكرة البروفيسور مارتينسِن بسبب الأسقفية الشاغرة». انتهت المقالة بأنّ تسمية مينستر بـ«شاهد - حقيقة»، استبدل مارتينسِن خطر العقيدة المسيحية ومجازفتها «بالسلطة (وهي خطر بالنسبة للآخرين)، بالسلع، المصالح، الاستمتاع الوفير حتى بأفخر التحسينات»، وهكذا «مارس لعبةً» مع القداسة والحقيقة: «في الواقع، يوجد شيء هو ضد المسيحية أكثر مما هو ضد الهرطقة والانشقاق الديني، ضدها أكثر من ضد سائر الهرطقات والانشقاقات الدينية مجتمعةً، وهذا هو الأمر: أن يتلاعب بالديانة المسيحية».

ظهرت مقالة كيركغارد في ذه *فاذرلاند* قبل الكريسماس بأسبوع، وثمانية أيام قبل أن يُكرَّس مارتينسِن كأسقف في «كنيسة سيدتنا». قبل أن ينتهي العام الأسقف مارتينسِن نشر ردًا مُطوّلًا، متكبرًا[20] في برلينغس *تايمز*، مدافعًا فيه عن مينستر - وعن نفسه - متوقِّعًا أنّ كيركغارد سوف يُبرر هجومه «القذر» بـ«نبوغ آخر، ذي مبادئ أخلاقية أعلى، ربما حتى بمُتطلّب ديني آخر... يُعطيه مقياسًا لسلوكه أعلى بكثير فوق الاعتيادي». قرأ كيركغارد مقالة مارتينسِن، وبعدها مزّقها إلى قطع صغيرة[21] كي تكنسها المرأة التي تنظّف حجراته. بعد مضي يومين نشر مادة صحافية ثانية في ذه *فاذرلاند*، مُكرِّرًا اعتراضاته على الزعم بأن مينستر هو شاهد - حقيقة، وأضاف بازدراء أنّ انتقاد مارتينسِن لسلوكه، «لا يُعطي أنطباعًا عني على الإطلاق»[22]: كان مستندًا إلى سوء فهم، وعلى أي حال، «مارتينسِن هو شخصية ثانوية، مرؤوسة غير قادرة على أن تكون مؤثّرة». وواصل وابلًا من النيران عبر مقالات *فاذرلاند* على «تجديف» مارتينسِن[23] في السنة الجديدة، 1855، إلا أنه في نهاية يناير أوقف إطلاق الكلمات العنيفة. كان هجومه قد أثار كثيرًا من الغضب والسخط: قساوسة عديدون تقدّموا للأمام كي يُدافعوا عن أسقفهم - الذي لم يُقدّم جوابًا آخر هو نفسه - بينما كتب راسموس نيلسِن مُدافعًا عن كيركغارد[24] في جريدة ذه *فاذرلاند*.

ذات صباح في منتصف مارس صادف كيركغارد ريجينه في الشارع بالقرب

من منزله[25]. مشت بنحو هادف إليه ومرّت قريبةً منه بما يكفي كي تقول بهدوء «ليباركك الله - عسى أن تلائمك الأشياء كلّها». إزاء صوت ريجينه، الذي لم يسمعه منذ أربعة عشر عامًا، توقّف، كاد أن يخطو خطوة واحدة إلى الوراء، وبعدها حيّاها قبل أن تسرع مبتعدة. وهكذا في لحظة، نظرة عين، صمتهما الطويل انقطع. في وقت لاحق من ذلك اليوم ريجينه وزوجها أبحرا، قاطعين بحر الشمال إلى ساوثهامپتون، ومن ثم واصلا رحلتهما عبر المحيط الأطلسي. لن يراها كيركغارد ثانيةً. فقد ركيزته في العالَم.

بعد رحيل ريجينه بيوم أو يومين بعث إلى جينس جودڤاد مقالةً أخرى. بدلًا من التركيز على فكرة شاهد - حقيقة، هذه المقالة أعلنت «بصوتٍ عالٍ وعلنًا» ما قاله كيركغارد شخصيًا للأسقف مينستر: إن «المسيحية الرسمية ليست بأيّ معنى من المعاني المسيحية في 'العهد الجديد'». كان يُريد من مينستر أن يعترف بهذا التباين بين تعاليمه هو وتعاليم يسوع المسيح والحواريين، شرح قائلًا؛ من دون هذا الاعتراف، كان بيان الكنيسة - ربما «بنحوٍ غير واعٍ، أو عمدًا» - وهمًا. طوال بقية شهر مارس، «ظلّ يُطلِق كلمات عنيفة ضد المسيحية الرسمية»[26]، ناشرًا سبع مقالات في أقل من أسبوعين. هذا الهجوم المتجدّد، المُكثّف، الذي كان مستقلًا عن اهتمامه بتأثير هذا الهجوم على إيمان ريجينه، تضمن المسيحية الدنماركية كلّها. شن هجومًا جارحًا على «قساوسة الحرير - والمخمل[27] - الدنماركيين الذين كانوا بأعداد متزايدة باضطراد جاهزين للخدمة حين يظهر أنّ الفائدة لصالح المسيحية!»، مقالته العاشرة «أطروحة - فقط شخص مفرد واحد»[28]، سُمّرت بصورة مجازية على باب كنيسة سيدتنا: هنا كيركغارد أفاد قائلًا إنه فيما كانت أطروحات لوثر الخمس والتسعين «مروِّعة» بما يكفي، الآن «القضية مروِّعة أكثر بأكثير - توجد أطروحة واحدة لا غير. مسيحية «العهد الجديد» غير موجودة على الإطلاق».

مع أنّ كيركغارد هجر إبراهيم في سعيه وراء حياة دينية فعلًا، ظلّ قريبًا أكثر من أيّ وقت مضى من سقراط، الشخص المزعج المنتمي لأثينا. كتب في يومياته في ديسمبر 1854، قبل أن يبدأ هجومه على المسيحية الرسمية مباشرةً

«كامل وجودي هو بالفعل السخرية الأعمق»- وأظهرَ سقراط ماذا يعني أن نقول إن السخرية هي طريقةٌ عميقة للحياة:

> ممَ تتكوّن سخرية سقراط؟[29]. من أساليب تعبير مناسبة وما إلى ذلك؟ لا. براعةٌ فنية كهذه في مزاح ساخر وتفاصيل شفوية لا تكوّن سقراط. لا، مجمل وجوده هو السخرية. في حين أنّ كلّ زير نساء ورجل أعمال، إلخ. في زمنه - باختصار، هؤلاء الآلاف - كانوا مُتيقنين تمامًا من إنسانيتهم، وكانوا متأكدين من أنهم يعرفون ماذا يعني أن يكون المرء إنسانًا، كان سقراط يتباطأ (بصورة ساخرة) ويُشغِل نفسَه بمسألة ماذا يعني أن يكون المرء إنسانًا... كان سقراط يشك في أنّ المرء هو إنسان عند الولادة - المرء لا يُصبح إنسانًا من خلال التسلل أو يكتسب معرفة ماذا يعني أن يكون إنسانًا بسهولة شديدة.

كان كيركغارد مدينًا بيقظته الفلسفية الأولى إلى هذا المعلم غريب الأطوار، الذي أدخله إلى أعمق الأسئلة المتعلّقة بالوجود وعلّمه كيف يكشف أوهام عصر بأكمله. سقراط لم يُضِف صوتًا آخر إلى هرج ومرج التعليم في السوق الأثيني، إلا أنه تحرّك وسط هذه الأصوات بطريقة ما بحيث إنه ارتاب في صحّتها كلّها. بينما في الجامعة تعلّم كيركغارد من سقراط أن يسأل ما إذا يُمكن أن نجد الحكمة في أيّ قاعة محاضرات، في أيّ بحث أكاديمي فلسفي، في أيّ حجة منطقية؛ سأل الآن ما إذا يُمكن أن نجد العقيدة المسيحية في أيّ كنيسة بأوروبا. أطروحته الوحيدة - كون العقيدة المسيحية لم تعد موجودة - هي أطروحة مُدمّرة حالها حال أيّ تحريض سقراطي، لأنها تَحدّت الادّعاء الذي يشكّل أساس ثقافته كلّها. وعلى خطى سقراط، وجد طريقًا كي يطرح أسئلته وسط الجمهور. ومثلما تفلسف سقراط في ساحة السوق - وهو مكان جسّد قِيَم عصره - بدأ كيركغارد أيضًا هجومه على مسيحية القرن التاسع عشر في الصحف اليومية.

في أواخر مايو 1855 أرسل كيركغارد مقالته الحادية والعشرين إلى ذه فاذرلاند، موبّخًا بقسوة مارتينسِن بسبب إخفاقه في الرد على انتقاده للمسيحية الرسمية، على الرغم من كون هذا «جادًّا أكثر بكثير» من الشجار بشأن سمعة الأسقف مينستر في بداية العام. ولما ظهرت هذه المقالة الصحافية الأخيرة بدأ كيركغارد هجومًا جديدًا، ناشرًا أول كراس في سلسلة من الكراسات الجدلية التي حملت عنوانًا إجماليًا هو *اللحظة*. ومرةً أخرى استجمع قواه الأدبية والفلسفية، بادئًا العدد الأول بمقدّمة أنيقة[30]، مستذكرًا ملاحظة أفلاطون بأنّ الأشخاص الملائمون لأن يحكموا هم وحدهم أولئك الذين لا يرغبون بأن يفعلوا ذلك، معبّرًا عن نفوره من الدخول في معركة – «في أن يعمل في اللحظة». كان مُغرمًا بالكتابة، شرح قائلًا إن «طبيعته الجدلية» جعلته ميّالًا إلى «السجال مع الناس»، إلا أنه أيضًا كان يودّ أن «يُشبع العاطفة التي في داخل روحه: الازدراء». الآن، أيضًا، مهمته المُلحّة تطلّبت منه أن يتخلّى عن «المسافة المحبوبة» التي منها احتقرَ العالَم. كما يتعيّن عليه أيضًا أن يتخلّى عن رفاهية تأليفه السابق، التي كان فيها «دائمًا متسعٌ من الوقت لأنتظر ساعات وأيامًا وأسابيع حتى أجد التعبير الذي أُريده على وجه الدقة». في صيف ذلك العام، نحّى كيركغارد جانبًا شكوكه وسكب طاقاته في نشاط أدبيّ، كرّسه الآن لأطروحته الوحيدة، التي كرّرت النتاجات العميقة لأربعينيات القرن التاسع عشر.

طوال يونيو، يوليو، أغسطس نشر تسعة أعداد من *اللحظة*، كلّ كراس هو مجموعة مقالات تسعى إلى تبديد «الوهم الهائل» للعقيدة المسيحية المعاصرة[31]، «كلّ دِين فيه أيّ حقيقة يهدف إلى التحويل الكامل الفرد التام»، الأمر الذي عنى ليس فقط التغيير الباطني بل علاقة جديدة مع العالَم، وقطع الصِّلة بكلّ الارتباطات مع الأسرة، والممتلكات، والنجاح المهني. الحواري بولس، أشار هو قائلًا، لم يكن متزوّجًا، ولم يكن لديه منصب رسميّ، ولم يكسب المال من عمله الروحي. ومع ذلك بدلًا من تعليم هذا الطريق الصعب، الضيّق، قساوسة العالَم المسيحي عرضوا «أن يلصقوا الأُسر معًا بنحو أناني أكثر فأكثر[32]، وأن يُرتّبوا احتفالات أسرية رائعة – على سبيل المثال، التعميد والتثبيت، اللذان

قورنا، على سبيل المثال، مع النزهات ومَسرّات الأسرة الأخرى، لهما سحرهما الخاص - ذلك أنها دينية «أيضًا»». والقساوسة لم يعودوا ميّالين أكثر من أيّ شخص آخر لاتباع طريق التنسّك: «لا يقدر المرء أن يعيش على لا شيء[33]، يسمع المرء هذا في أحيان كثيرة جدًا، بخاصة من القساوسة. والقساوسة هم بالذات الذين ينّفذون هذا العمل الفذّ: العقيدة المسيحية غير موجودة على الإطلاق - ومع ذلك هم يعيشون عليها». يدعو كيركغارد قراءَه أن يتوقّفوا عن الذهاب إلى الكنيسة؛ هو نفسه لم يعد يذهب إليها[34]. وكان يُرى عادةً في أثينايوم، وهي مكتبة خاصة، في صباحات الآحاد.

هذه الكراسات المتفجرة «أثارت حساسية كُبرى»[35] مُحدِثةً الغضب، الحماسة، وكثيرًا من اللغط. طلبة جامعيون كُثر استلهموا الرسالة الراديكالية لـ*اللحظة*، في حين أنّ الجيل الأكبر سنًا جنح لأن يكون مُتشكّكًا وساخطًا. «إني مؤيد تمامًا لحُكمكَ على سلوك كيركغارد»[36]، كتب الشاعر البارز كاسترون هاوخ إلى صديقه بيرنهارد سيڤيرن إنجمان، الذي تذمّر من «صفاقة وبذاءة» الهجوم الجدلي العنيف على الكنيسة. الإجلال كلّه من المفترَض أن يُستأصَل من القلب، تحسّر هاوخ: «إذا لم يُحترَم شيء على الأرض، لن تكون هناك حاجة لأن يُحترَم شيء في السماء أيضًا. كم هو محظوظ الجيل الأصغر سنًا، الذي تعلّم ونشأ في ظل هذه التكهنات». لا يزال البروفيسور سيبيرن، الذي يقترب الآن من سبعينياته، يرى الجيد في طالبه الجامعي السابق، إلا أنه تأسّف أنّ «تحيُّز» كيركغارد هيمن الآن على فلسفته[37] - وسيبيرن عدَّ «الغضب الذي أثاره ضد نفسه بوصفه برهانًا جيدًا على إحساس الشعب الدنماركي بالحقيقة، والعدالة والامتنان [للأسقف مينستر]».

آخرون، أيضًا - ليس فقط طلبة اللاهوت المتمردين - كانوا متعاطفين مع قضية كيركغارد وأخذوا استفزازاته على محمل الجد. أحد معارفه، القس بيركيدال شعر بأنّ «الكلمات القوية قد ألقت ظلًا عميقًا»[38] عليه عندما قرأ *اللحظة*: «لم يكن باستطاعتي أن أتخلّص من هذه الأسئلة، إلا أنه تعيّن عليَّ أن أُخضِع وضعي الروحي كلّه إلى اختبار متجدّد». ماجدلين هانسِن، وهي

من أتباع غرونتفيج وزوجة الفنان قسطنطين هانسِن، قالت إلى أحد أصدقائها: «كان مصدرًا متواصلًا للحزن بالنسبة لي[39] أن أسمع أن الناس يمزقون س. ك. إربًا إربًا وإذا جاز التعبير، وبجدّية يُصمّون آذانهم حيال الحقيقة في سلوكه كي يتبينوا ضعفه الإنساني بجلاء بكلّ معنى الكلمة - كما لو أنّ القضية هي، أيّ نوع من الأشخاص هو س. ك.؟ وليست، هل أنا مسيحي؟ هل أنا مسيحية؟؟»

أولئك الأشخاص الذين قابلوا كيركغارد بالمصادفة في شوارع كوبنهاغن وسط أوج هجومه على الديانة المسيحية وجدوه «كما هو تمامًا في الحوار[40] مع أنّ صوته أضعف، ونظرات عينيه أكثر حزنًا». لمّا قابله هانس بروشنر خارجًا وهو يتمشّى في مساء صيفي[41] دُهِش من «الوضوح والهدوء» الكبيرين اللذين ناقش بهما *اللحظة*. مع أنّ بروشنر عرف أشخاصًا كثيرين كانوا في «تعاطف عميق» مع هجوم كيركغارد الجدلي العنيف، رأى كيف أنّ هذه «المعركة الشرسة» عطّلت بكلّ معنى الكلمة حياة صديقه واستنفدت طاقاته - ومع ذلك كيركغارد لا يزال يُظهِر «اتزان عقله وبشاشته»، وأيضًا حسّ الدعابة المُذهِل لديه.

في سبتمبر 1855 قيّم صديقه السابق وخصمه القديم م. آ. غولدشميت، «جدال كيركغارد» بسرعةِ فهمِه المعهودة في يومياته المعنونة *الشمال والجنوب*. كتب غولدشميت، «حتى الوقت الحاضر لم يكن واضحًا ما إذا ك. شخصية نبيلة أم لا[42] إنه يُقيم في العالَم من دون المساهمة في عمل العالَم. لم يقم بأيّ أفعال، كان متحرّرًا من العيوب الواضحة إلا أنه أيضًا متحرّر من إغراءات العالَم، لأنه لم يكن يهتم بها، لم يُناضل. على العكس، كان يُنظَر إليه باعتباره مفكّرًا نبيلًا. مع ذلك... يُمكن القول - في الحقيقة، من دون أيّ قسوة، ربما بفظاظة (لكن هو نفسه خدم بوصفه مثالًا للفظاظة) - إنه مفكّر تعيس. كثيرٌ من الانفجارات الصادرة منه تشهد على المعاناة التي لن يعترف بها كبرياؤه».

إلا أنه في تلك الآونة كان كيركغارد يكتب العدد العاشر من *اللحظة*. كان مُنهَكًا، ولديه سُعال مؤلِم. ذات مساء، انهار خلال تجمّع في منزل جودڤاد؛ وفي اليوم التالي سقط ثانيةً، وعانى بشدة من «شعور بالضَعف التام». بدأ يشعر

بخدر وآلام حادّة في رِجليه. ومع ذلك واصل سعيه باستمرار، مجهّزًا الكرّاس التالي للنشر. كان يحتوي على مقالة معنونة بـ«مهمَّتي». «مثال القياس الوحيد المتاح أمامي هو سقراط»[43] صرّح كيركغارد هنا: «مَهمتي هنا مَهمة سقراطية، استوضح تعريف ما معنى أن يكون المرء مسيحيًا - أنا لا أسمّي نفسي مسيحيًا أُبقي المثال حرًّا، إلا أنه باستطاعتي أن أُظهِر أنّ الآخرين هم حتى أقل من ذلك. أنتَ، الروح البسيطة النبيلة للعصور القديمة، أنتَ، *الإنسان* الوحيد الذي أعترف به بإعجاب بوصفه مفكّرًا - كم تقتُ لأن أكون قادرًا على التحدّث معك مدة نصف ساعة ليس إلا، بعيدًا عن طوابير المفكّرين الذين تضعهم «العقيدة المسيحية» في هذا المجال تحت مُسمّى معلمين مسيحيين! «العقيدة المسيحية» تقع في هوّة من السفسطة هي أسوأ، أسوأ بكثير لمّا كان السفسطائيون مزدهرين في اليونان. جحافل القساوسة والأساتذة المساعدين المسيحيين أولئك كلّهم سفسطائيون، يسترزقون من خلال جعل أولئك الذين لا يفهمون شيئًا يؤمنون بشيء ما، ومن ثم يجعلون هذا العدد الإنساني سلطةً لِما هي الحقيقة، لِما هي العقيدة المسيحية.

كان قد أكمل هذا العدد من *اللحظة*، مع أنه لم يرسله بعدُ إلى المطبعة، حين انهار في الشارع في الثاني من أكتوبر. أخذته عربة إلى منزله، حيث تمكّن من أن يخلع قبعته في تحية لصاحبة مبناه السكني، «بنظرةٍ ساحرة»[44]، ومن ثم يؤخذ بالعربة إلى «مستشفى آل فريدريك». أُدخِل في غرفة خاصة تطلّ على حدائق المستشفى. وصف حالته المرضية لأحد الأطباء، الذي أخذ الملاحظات باهتمام: «المريض لا يستطيع أن يُعطي أيّ سبب محدّد لمرضه الحالي[45] على أي حال، لم يربطه بشرب الماء المعدنيّ الفوّار البارد في الصيف المنصرم، لم يربطه بمقر الإقامة المُعتم، بالإضافة إلى العمل الفكري المُرهِق الذي يعتقد بأنه مُرهِق جدًا لبُنيته الجسمانية الهشّة. إنه يعتبر المرض قاتلًا. موته ضروري للقضية التي كرّس لها كلّ قابليته الفكرية كي يجد لها حلًّا، القضية التي عَمِل من أجلها بمفرده، وهي وحدها التي يعتقد بأنه كان يقصدها؛ ومن هنا الفكرة الثاقبة بالاقتران مع بُنية جسمانية هشّة للغاية. إذا ما استمر في العيش، ينبغي

له أن يواصل معركته الدينية؛ إلا أنها في تلك الحالة سوف تنضب، بينما على العكس، بموته تُحافظ على قوَّتها ويعتقدُ، أنها ستنتصر».

ابنا شقيقته ميخائيل وهنريك لوند كلاهما طبيب في المستشفى، وكانا يزورانه يوميًا. ابنة شقيقته هنرييته لوند زارته أيضًا، وأحسّت بأنّ «شعورًا بالانتصار[46] قد اختلط مع الوجع والحزن»، لأن وجهه «توّهج» و«عينيه لمعتا كالنجوم[47]». شقيقه پيتر كريستيان أتى إلى المستشفى، إلا أنّ كيركغارد رفض رؤيته. كان يعرف على أي حال، أنه عاجلًا أم آجلًا پيتر كريستيان سوف يمضي إلى مقرّه المتواضع في كلاديبودرني، ويجد في طاولة مكتبه وثيقة مُقفلًا عليها مختومة موجّهة إليه مكتوب عليها: «تُفتَح بعد وفاتي»[48] - وأنّ پيتر كريستيان سوف يفتحها، ويقرأ:

شقيقي العزيز،

إنها بالطبع مشيئتي أنّ خطيبتي السابقة، السيدة ريجينه شليغل، ترثُ كلّ ما أتركُه مهما كان صغيرًا من دون أي شرط. إن لم تقبله هي نفسها، يُطلَب منها ما إذا ترغب بأن توجّه بأن يوزَّع على الفقراء.

ما أود التعبير عنه هو أنه بالنسبة لي أنّ الخطوبة كانت، وهي فعلاً، ارتباطٌ كالزواج، ومن هنا فإن عقاري الريفي هو من حقّها، على وجه الدقّة كما لو أنني كنتُ متزوجًا منها.

شقيقك

س. كيركغارد

كما توقّع كيركغارد أنّ يجد پيتر كريستيان في طاولة مكتبه وثيقةً مختومة ثانية، مؤرخة في أغسطس 1851، تحتوي على وصيته الأدبية: «المرأة غير المُعرَّفة التي سوف يُعرَّف اسمها في يوم ما - التي أهدي إليها نشاطي كلّه بوصفي مؤلِّفًا - هي خطيبتي السابقة، السيدة ريجينه شليغل».

لمّا سمع إميل بويسين بمرض صاحبه، قام بالرحلة الطويلة من منزله في

يوتلاند إلى كوبنهاغن. وبعد مضي أسبوعين في المستشفى شُلّ الجزء السفلي من جسم كيركغارد، وشعر بأنّ الموت بات قريبًا منه؛ وجده إميل «لطيفًا وهادئًا». «بدا كما لو أنه كان يُريدني أن آتي كي يكون باستطاعته أن يقول شيئًا ما»[49]، كتب إميل إلى زوجته لويزه المقيمة هناك في يوتلاند. «كم هو غريب الآن، وهو يكاد - ربما - يموت، أني، أنا الذي كنتُ مؤتمن أسراره طوال سنوات طويلة جدًّا وبعدها انفصلتُ عنه، أتيتُ إلى هنا تقريبًا كي أكون أب اعترافه... كثيرٌ مما يتحدّث عنه ربما لن أُشير إليه».

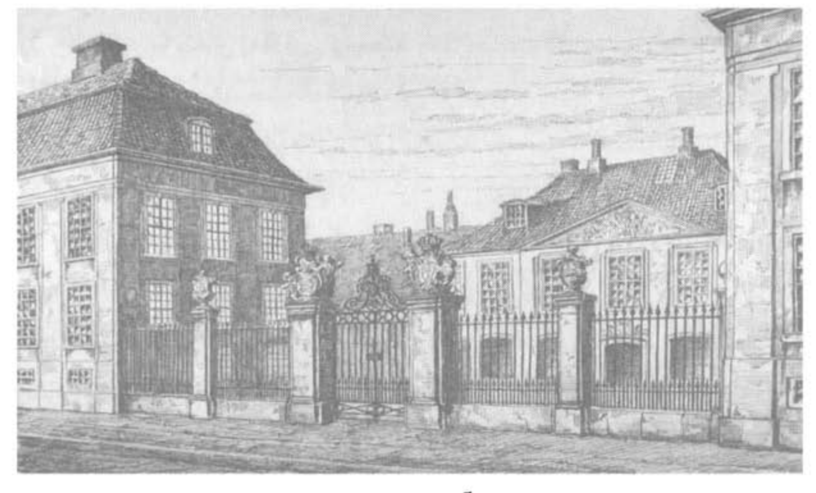
تكلّم كيركغارد مع صديقه القديم عن «الشيء الذي ينغّص حياته»، وهي معاناة سرّية منعته من أن تكون له علاقات اعتيادية. «وهكذا استنتجتُ أنّ مهمتي هي أن أكون استثنائيًا[50]، وهي مهمةٌ سعيتُ إلى أن أنجزها بأحسن ما أستطيع»، قال لصديقه إميل. «كنتُ أُلعوبة القضاء(*)... وكان هذا أيضًا أحد الأخطاء في ما يتعلّق بعلاقتي بريجينه. فقد حسبتُ أنّ هذا بالإمكان أن يتغير إلا أنه لم يتغير، لذا فسختُ العلاقة». في الأعوام الأخيرة كان قد أَلمح إلى هذا «الشيء الذي ينغّص حياته» مرارًا في يومياته[51]، غير أنه صمّم على أن يُخفي طبيعته عن الأجيال القادمة كلّها.

«أنا مُحطّم ماليًا»، استطرد كيركغارد قائلًا، «والآن لا أملك شيئًا، لديّ ما يكفي فقط لدفع تكاليف دفني. بدأتُ بمبلغ قليل، عشرين ألفًا ونيفًا، ورأيتُ أنّ هذا المبلغ يُمكن أن يبقى مدةً معينة من الزمن - عشرة إلى عشرين عامًا. مرَّت حتى الآن سبع عشرة سنة، وهذا شيء عظيم». الأطباء لم يفهموا مرضه، قال لي: «إنه مرض نفسي، والآن يُريدون أن يعالجوه بالأسلوب الطبي المعهود. إنه لشيءٌ سيئ. صلِّ لي بأن ينتهي كلّ شيء حالًا... ما يهمّ هو أن أكون قريبًا من الله أكثر ما يُمكن».

بحلول زيارة إميل الثالثة، في 18 أكتوبر، كان كيركغارد غاية في الضعف. نام نومًا سيئًا تلك الليلة وكان دائخًا قليلًا في أثناء النهار. تدلّى رأسه على صدره

(*) دائمًا هو يستخدم القضاء بمعنى قضاء الله.

وارتعشت يداه. سأله إميل ما إذا ثمة شيء لا يزال يوّد أن يقوله. «لا. بلى، بلّغ تحياتي للجميع، أحببتُهم حبًّا جمًا، وقلْ لهم إن حياتي معاناة كبرى، مجهولة، وعصيّة على الوصف بالنسبة الآخرين. كلّ شيء بدا كالكبرياء والغرور، إلا أنه لم يكن كذلك. أنا بكلّ معنى الكلمة لستُ بأفضل من الأشخاص الآخرين، وقد قلتُ ذلك ولم أقل أيّ شيء آخر». هل بمستطاعه أن يُصلّي بهدوء وسكينة؟ «نعم، بوسعي أن أفعل ذلك. لذا أنا أصلّي أولًا من أجل غفران الخطايا، ذلك أنّ كلّ شيء يُمكن أن يُغفَر؛ ومن ثم أصلّي عسى أن أتحرّر من اليأس في وقت وفاتي، وكنتُ أُصاب بالذعر عادة حيال القول بأنّ الموت ينبغي أن يكون مُرضيًا لله. وبعدها أُصلّي لشيء أُريده كثيرًا جدًا، أيّ، عسى أن أعرف مُسبقًا قليلًا متى يأتي الموت».



مستشفى آل فريدريك، كوبنهاغن

ظلّ إميل يزوره يوميًا على مدى أسبوعين. كانت هناك على الدوام أزهار نضرة بجوار سريره، تجلبها إيليا ماري فيبيجر، وهي كاتبة خدمت بصفة مُرافقة مستشفى - «في الليل تكون هي المشرفة على المستشفى. في النهار تُشرف عليّ»، قال كيركغارد متندّرًا. كان إميل منزعجًا من رفضه أخذ «القربان

المقدَّس» من أحد الكهنة - لا، ولا حتى من صديقه الأبدي - مع أنه يتقبّله من رجل علماني. سيكون هذا شيئًا من الصعب أن نرتّبه، قال إميل. «إذًا سوف أموت من دونه». بعد مضي أيام قلائل تكلّموا عن هجوم على الكنيسة، وهو شيء لم يكن باستطاعتهم تأييده. كان كيركغارد قد استعمل آخر المئات القليلة من ريكس - دولارات التي بحوزته. ستمئة كي ينشر *اللحظة*؛ كم هو غريب، أشار إميل بلطف، أنّ موارده المالية كانت كافية تمامًا. «أجل»، أجاب، «وأنا سعيد جدًا بذلك، وحزين جدًا لأني لا أستطيع أن أشارك سعادتي مع أيّ شخص».

بعد هذه الزيارة مباشرةً تقلّص الحوار الذي تدفّق طوال أربعة عقود بغزارة شديدة من شفتيه إلى جُمل قليلة، كلمات قليلة، إلى أن بات عاجزًا تقريبًا عن الكلام. رجع إميل إلى زوجته. يومًا إثر آخر، فيما كانت أوراق الشجر اليابسة تسقط خارج نافذته، ازداد شلل كيركغارد سوءًا وتضاءلت قوّته. انزلق إلى حالة من فقدان الوعي، ومات بعد أفول الشمس يوم الحادي عشر من نوفمبر: عيد القديس مارتن، في اليوم الأخير من الخريف. بعد أن غادر النور عينيه، تألّق في يده تحت ضوء القمر خاتم ريجينه الألماسي الذي لبسه ذات مرة.

آخرة كيركغارد

طوال حياته تصارع كيركغارد مع سؤال الوجود: كيف يكون إنسانًا في العالَم؟ بالنسبة له، كما هو الحال بالنسبة لمعاصريه - ولكثيرين منا الآن - سؤال آخر يتعلّق بالوجود رفرف خلف، فوق، تحت هذا السؤال، مرتبط به بشكلٍ معقّد إلا أنه أيضًا يُشير إلى اتجاه آخر. ماذا يحدث للبشر بعد أن يموتوا؟ هل إنّ هذه الحياة مرحلة في رحلتنا نحو الأبدية؟ هل تحمل آثار حيوات ماضية لا تُعد ولا تُحصى، وتزرع بذورًا للتجسيد التالي للروح؟ أم إنّ الحياة تنتهي مع الموت، ولا شيءَ أكثر من ذلك؟

محاضرات هيغل في فلسفة الدين، التي نُشرت بعد وفاته في العام 1832، أثارت جدالًا ضاريًا حول المبدأ المسيحي المتعلّق بالخلود[1]. أنهى لودڤيج فيورباخ مسيرته الأكاديمية مناقشًا أنّ البشر يدومون بعد الموت كذكريات تاريخية جماعية، في حين أنّ فريدريك ريختر اقترح أنّ حياتنا الأبدية تتكوّن من ذرّيتنا وأعمالنا. في الدنمارك هذا الجدال اللاهوتي قيّدته قوانين الرقابة التي تمنع بعقوبة النفي، أيّ منشور يُنكر خلود الروح. لكن في العام 1837 أستاذ كيركغارد في الفلسفة، پول مارتِن مولر نشر مقالة مُطوّلة بعنوان «أفكار في احتمال براهين الخلود»، حيث ناقش أنّ الفلسفة الهيغلية هي فلسفة تجريدية جدًّا كي تتعامل مع هذه المسألة. في العام 1841 كتب ج. ل. هيبيرغ «الروح بعد الموت»، قصيدة رؤيوية، كتب عنها مارتينسِن مراجعة في ذه *فاذرلاند*.

تابع كيركغارد هذه النقاشات، بالطبع، إلا أنه لم يُسهم فيها حتى العام 1844، في مفهوم *القلق*، حيث زعم أنّ «الجهود الميتافيزيقية والمنطقية» الحديثة من أجل إثبات الخلود الشخصي كانت تنهزم من ذات نفسها: «بنحو غريب بما يكفي، وبينما يحصل هذا، يتراجع اليقين»[2]. لمّا حلل الإيمان المسيحي في

حاشية ختامية غير علمية، أعلن أنّ «الخلود هو الاهتمام المتحمّس جدًا للفرد غير الموضوعي»، وناقش قائلًا إن قوة إيمان الفرد في مصيره الأبدي تكمن في هذا الشغف، وليس في أيّ إثبات منطقي. حين نُشرت هذه الأفكار كان كيركغارد في سن الثالثة والثلاثين تقريبًا - واعتقد بأنه يُشارِف على الموت؛ على مدى سنوات طوال توقّع أن يموت قبل عيد ميلاده الرابع والثلاثين.

في العام 1847، مندهشًا من كونه لا يزال حيًا، رجع إلى سؤال الخلود في خطاب من (*خطابات مسيحية*)، وهو واحد من كتبه نشره في ربيع 1848. موعظته الدينية المعنونة (سيكون هنالك بعثٌ للموتى، للصالحين - وغير الصالحين)، كان يقصد بها، كما صرّح أن «ينتهك أمانًا»، وأن «يقلق راحة البال». كلّ دليل على الخلود عالج مصير الروح بوصفه مسألة كونية، غير أنّ كيركغارد ناقش أن هذه المسألة تخصّ دائمًا فردًا واحدًا: «في رأيي إنها تخصّني أكثر من أيّ شخص آخر، مثلما هي في رأيكَ تخصّكَ أكثر من أيّ شخص آخر». وما من أحد ينبغي أن يكون متيقنًا جدًا من خلاصه بحيث إنه يبدأ في تأمّل احتمالات أُخروية أخرى: «أنقذني، يا إلهي، من أن أكون متيقّنًا تمامًا أكثر من أيّ وقت مضى؛ أَبقني غير متيقّن إلى النهاية بحيث إنه في ذلك الحين، إذا ما تلقّيتُ السعادة الأبدية، ربما أكون متيقنًا تمامًا أني امتلكتُها بفعل النعمة الإلهية!».

في كتابه *خطابات إلهية* 1849، حول الزنبقة والعصفور، كانت عقيدته روحية موحِّدة يقترح فيها أن العقيدة المسيحية حول الحياة الأبدية تعني «الالتزام بالله» أكثر في هذه الحياة وكذلك في ما وراءها. «إذا التزمت بالله، إذًا سواء عشتَ أم مُتَّ، سواء أكانت الأشياء تسير بشكل حسن أو سيئ بالنسبة لك فيما أنت على قيد الحياة؛ سواء مُتَّ اليوم أو بعد سبعين عامًا؛ وسواء أنكَ وجدتَ موتك في قاع البحر، في أعمق أعماقه، أو انفجرتَ في الهواء: فأنتَ لن تكون خارج الله، إنكِ تبقى - التزامك يعني حضورك بالنسبة لنفسك في الله».

كما بالنسبة لمسائل كثيرة، ارتفع كيركغارد فوق النقاش الأكاديمي في الخلود وسط أقرانه، وأظهر لماذا النقاش كلّه كان مُضَلًا. مع ذلك تصريحاته العلنية في ما يتصل بآخرته لم تكن جدلية ببساطة. خادمه الموثوق به، أنديرس

ڤيسترغارد، طلب منه ذات مرة[3]، باعتباره رجلًا مُتعلّمًا، أن يُعطي تأكيدًا في ما يتعلق بخلود الروح - هذا الشيء سوف يُريحه إلى حدّ كبير، قال أنديرس. لا، أجاب كيركغارد: نحن كلّنا جهلاء بالتساوي في ما يتصل بهذه المسألة. كلّ فرد يتعين عليه أن يختار بين احتمالٍ وآخر، والقناعة سوف تتبعُ وفقًا لاختياره.

كيركغارد اختار الحياة الأبدية، فضلًا عن القلق العميق والسلام العميق الذي جلبه إليه هذا الاعتقاد. مهما كان مصير روحه، آخرتُه في هذا العالَم كانت آخرة استثنائية. أكتبُ هذا الفصل الختامي في أبريل 2017 في (مركز بحث سورين كيركغارد) في جامعة كوبنهاغن، التي انتقلت هذا العام من مركز المدينة إلى حرم جديد وواسع في أماجيربرو(*)، جنوب الأسوار القروسطية. أجزاءٌ من هذا الموقع لا تزال تحت التأسيس، وفي المروج الممدودة حديثًا باستطاعتكَ أن ترى الروابط بين مساحات العشب. في اليوم الذي وصلتُ فيه إلى الحرم الجامعي كان يشقّ عليّ أن أجد المبنى الصحيح، وما إن أصبحتُ في داخله - هو واحد من الكتل الكهفية العديدة، المليئة بالضوء من الزجاج والكونكريت الكرِيمي - لم يكن باستطاعتي أن أجد (مركز بحث سورين كيركغارد). سألتُ طالبة قانون كانت مارّة من هناك: لم تكن متأكدة، إلّا أنها بعدئذ هتفت قائلة: «آه هوذا!»، وأشارت إلى تمثال نصفي لكيركغارد خارج مدخل (المركز). كانت قد تعرّفت إليه بسهولة مثل معارفه في شوارع كوبنهاغن القرن التاسع عشر.

يؤوي مركز البحث مكاتب لما يقرب من دزينة من الباحثين المتخصّصين في كيركغارد وظّفتهم الجامعة، وطاولات كتابة للطلبة الجامعيين الخريجين. إيتوري روكا، وهو بروفيسور إيطالي سمح لي بلطف أن أجلس في مكتبه حين يكون خارجه: جدار واحد مليءٌ بأعمال عن كيركغارد بلغات عدّة، وكانت هناك تسعة رفوف لكتابات كيركغارد باللغة الدنماركية. المكاتب تنفتح على مكتبة تتكدّس فيها ترجمات كتبه: أحاول أن أفك شيفرات العناوين، وأجد *التكرار*

(*) أماجيربرو Amagerbro: منطقة في الجزء الشمالي من جزيرة (أماجيربرو) ومقاطعة في كوبنهاغن. تُسمّى المنطقة «منطقة الطبقة العاملة».

باللغة الروسية، خوف ورعشة بالآيسلندية، *إما/ أو* بالسلوفينية، *شذرات فلسفية* بالبرتغالية، مفهوم *القلق* بالكورية، *الكتاب عن أدلر* باليابانية، *مفهوم السخرية* بالبولندية، *المرض حتى الموت* بالليتوانية، يوميات مُغوي بالتركية، *من أوراق شخص لا يزال على قيد الحياة* بالهنغارية، *وأعمال الحب* بالصينية.



خارج (مركز بحث سورين كيركغارد)

هنا أستطيع أن أستشير المجلدات الأكاديمية كلّها عن تلّقي كيركغارد في شمال، غرب، جنوب، شرق ووسط أوروبا، الشرق الأدنى، آسيا، أستراليا والأمريكتين. لا بد أن تكون هناك عشرات الآلاف من الدراسات، الفصول، والمِقالات عن كلّ جانب مفهوم من عمله - فلسفته، علم اللاهوت العائد له، سياسته؛ آراؤه حول شكسبير، علامات الترقيم، والترانيم التُقَوية؛ تأثيره في الوجوديين الفرنسيين، الكاثوليك الإيطاليين ولاهوتيي تحرير أميركا اللاتينية في القرن العشرين. كما كانت هنالك كتب عن رجال من مثل ج. ب. مينستر،

ج. ل. مارتينسِن، ج. ل. هيبيرغ وف. س. سيبيرن، الذين كانوا ذات يوم أبرز الشخصيات في الدنمارك، الآن يتم تذكّرهم بشكل رئيس بسبب علاقتهم بالشخص المزعج الشاعري الذي حاولوا أن يُبقوه على بعد ذراع عنهم. بوسعي أن أقرأ كتالوغًا إنكليزيًا عن مكتبة كيركغارد، يتألّف من أكثر من ألفَيْ كتاب، بيعت بالمزاد بعد أشهر قليلة من وفاته.

هناك في مركز مدينته، معظم زائري متحف كوبنهاغن يُريدون أن يروا «المجموعة» الدائمة لسورين أ. كيركغارد[4]، التي تضم منضدة كتابته العالية، مفتاح 2 نيتورف، خصلة شعره، غليونه، نظارات القراءة العائدة له، بعض أكواب القهوة العائدة له، حامل ريشة من الفضة، وخاتم الخطوبة الذي أعطاه إلى ريجينه، ولاحقًا لبسه هو في أصبعه. مخطوطاته، يومياته وبقاياه الأدبية الأخرى أُرشفت في «المكتبة الدنماركية المَلَكية» - مع أنه لمّا أعطى أقاربه إلى المكتبة في العام 1856 أربعةً من كتبه مزوّدة بتعليقات حواشي مكتوبة باليد، رفض مدير المكتبة استلامها «خشية أنّ يرغب عدد غفير من الأشخاص[5] بأن ينظروا إليها».

أوراق كيركغارد، التي ملأت منضدة كتابة وخزانتين كبيرتين مزودتين بأدراج في حجراته في كليديبودرني، انتهت في منزل شقيقه. في العام 1859، بيتر كريستيان كيركغارد، في ذلك الحين كان أسقف آلبورغ، رتّب كي يُنشر كتاب *وجهة النظر عن عملي كمؤلف*. بيتر كريستيان لم يكن متأكّدًا ماذا يفعل ببقية الأوراق، وعلى مدى أعوام ظلت مُكدّسة في مقر إقامة الأسقف الريفية. وفي خاتمة المطاف عيّنَ محرّرًا سابقًا في إحدى الصحف، ج. ب. بارفود[6]، بأن «يُعاين ويُسجّل، إلخ. أوراق كيركغارد». صادف بارفود حالًا تدوين يوميات من 1846 عن والد كيركغارد: «القصة المُخيفة للرجل - الذي لمّا كان غلامًا صغيرًا يشاهد الأغنام في أرض يوتلاند الخضراء، بمعاناة كبيرة، وبجوع، وبرد، وقف ذات مرة على قمة هضبة وسبّ الله - والرجل لم يكن قادرًا على نسيان هذا الأمر حين بلغ سن الثانية والثمانين». أظهر هذا التدوين لـبيتر كريستيان، الذي انخرط في البكاء وقال: «هذه قصة أبي، وقصتنا، أيضًا».

المجلّد الأول من *أوراق ما بعد موت سورين كيركغارد* ظهر[7] في العام 1869، ونال انتقادًا قويًا، ذلك أنّ بارفود، كونه أمضى أعوامًا طويلة يسكن في وعي كيركغارد، كتب مقدّمة للمجلّد الثاني مدافعًا عن جهوده في إظهار «ورشة العمل الهائلة والسرية لروح هذا المفكر، هذا الناسك الكئيب، في عذاباته اليومية». على الرغم من الجدل الذي استمر في تعقّب كتابات كيركغارد عقدين بعد وفاته، «المكتبة الدنماركية المَلَكية»، وافقت على استلام مخطوطاته ويومياته في العام 1875. ومنذ 1918 أتكأ تمثال كيركغارد، بطريقة دنماركية، على كرسي في حديقة المكتبة.

مَدخل «المكتبة الدنماركية المَلَكية» يقع الآن في «ساحة سورين كيركغارد»، التي تؤدّي على طول شارع كريستيانز بريجه إلى بورسغيد)، الشارع الواسع الذي أقامت فيه ريجينه حين كانت فتاة. خلال أيامي في حجرة قراءة المكتبة تصفّحتُ، ونبضات قلبي تتسارع، صناديق رسائل كيركغارد إلى ريجينه، ودفاتر الملحوظات التي تحتوي على *التكرار*، و*خوف ورعشة*، و*المرض حتى الموت* و*تمرين في العقيدة المسيحية*، وآخذ استراحة لتناول طعام الغداء في المقهى في الامتداد الزجاجي الحديث، المُسمّى تيمنًا باسم آخر سجالات كيركغارد *اللحظة* أو حرفيًا أكثر، *نظرة عين*. جلستُ عند النافذة الضخمة لمقهى أويبليكت المُطلّ على الماء وشاهدتُ المارّة، وراكبي الدراجات الهوائية وراكبيْ زوارق «الكاياك» المكسوّة بالخيش وهم يمرون من هناك. الباب المتاخم للمقهى هو سورين ك.، وهو مطعم أنيق وشديد البساطة.

في الأمس، وهو يوم الأحد، مشيتُ عبر نوريبرو إلى مقبرة أسيستينس، حيث وُوري جثمان كيركغارد. يقع قبره في أقدم جزء من المقبرة، الذي شاركه فيه والداه، وشقيقته الكبرى مارين، وشقيقه سورين ميخائيل، الذي فارق الحياة في أثناء طفولته، مع أنّ قطعة الأرض المخصّصة للأسرة قد استحوذت عليها شاهدة قبر زوجة ميخائيل بيدرسِن كيركغارد الأولى، كريستين. في أثناء أربعينيات القرن التاسع عشر كتب كيركغارد تعليمات من أجل إجراء إصلاحات لقطعة الأرض - المدفن، ومن أجل شاهدة قبر جديدة كي تضم اسمه، الذي

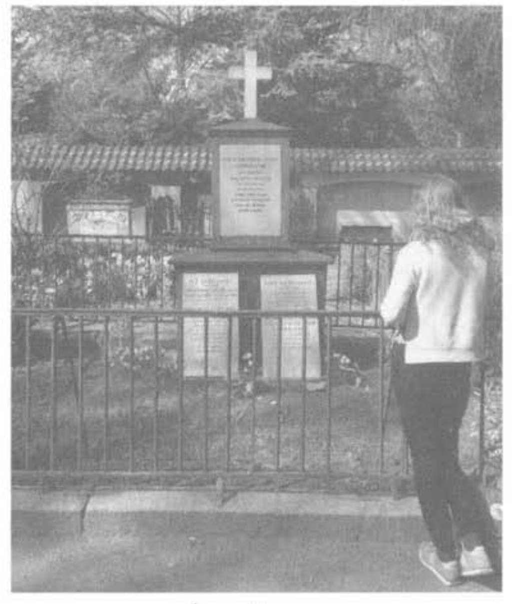
يُعلّم الآن قبره. تحت «سورين آبي» نُقش، كما طلب هو، مقطعٌ شعري من ترنيمةٍ تعود للقرن الثامن عشر من تأليف برورسون[8] كان ينشد ترنيماته مع أبيه في مبنى الاجتماعات الموراڤي:

في برهة لا تزال صغيرة
كنتُ سأفوز؛
بعدها المعركة كلّها
ستنتهي فجأةً.
بعدها قد أرتاح
في تعريشات من الورود
وعلى الدوام
وعلى الدوام
أتحدث مع يسوعي.



كيركغارد في حديقة «المكتبة الدنماركية الملَكية»

كما أعطى كيركغارد تعليمات بأنّ تُسوّى «قطعة الأرض - المَدفن كلّها[9]، وتُزرع بأنواع لطيفة من الحشائش الواطئة، إلا أنّ بقعةً شديدة الصغر من التربة الجرداء ينبغي أن تظهر في الأركان الأربعة، وفي كلّ واحد من هذه الأركان تُزرع أجمة صغيرة من الورود التركية، كما أعتقد بأنهم يدعونها بهذا الاسم، بعضها ورود صغيرة جدًا، حُمر قاتمة». القبر ليس مكانًا منعزلًا مع أنه هادئ: خلال الساعة التي كنتُ فيها هناك، ما يُقارب اثني عشر زائرًا كانوا يتنزّهون في شمس أبريل، متوقّفين قليلًا كي يقرأوا الكلمات التي اختارها كيركغارد كي تكون بمنزلة علامة لرحيله عن العالَم. زهور النرجس البرّي الصُفر تتورّد في قطعة الأرض الصغيرة، إلى جانب الزهور الحُمر في كلّ ركن من الأركان.



بجوار القبر، أبريل 2017:
شاهدة قبر كيركغارد في جهة اليسار

لم تكن جنازة كيركغارد في الأسبوع الأول من شتاء 1855، هادئة. بنحو ساخر، كان خصمه القديم م. آ. غولدشميت الذي عزّز في شكلِ مطبوعة أمنية

كيركغارد في ما يتصل بمغزى موته: «الجزء الأخطر من أفعاله[10] ضد رجال الدين والكنيسة الرسمية يبدأ الآن تحديدًا، لأنّ مصيره كان يمتاز بنحو لا يُنكَر بصفة من صفات الشهيد: صدق عاطفته ساعد في أن يُسرّع تقدّم مرضه وأن يُحدِث موته»، كتب غولدشميت في يومياته المعنونة *الشمال والجنوب* بعد أيام قليلة من وفاة كيركغارد. في هذه الأثناء، أقارب كيركغارد المحترمون جدًّا – بيتر كريستيان كيركغارد، زوج شقيقته يوهان كريستيان لوند وابنا شقيقته كارل فرديناند لوند وهنريك فرديناند لوند – قرروا أن يتولّوا خدمة الجنازة في كنيسة سيدتنا.

«ثمة جمهورٌ غفير في المماشي الكائنة بين كراسي الكنيسة»[11]، أخبر هانس كريستيان أندرسِن راقص الباليه أوغست بورنفيللي، مع أنّ نساءً ليست لهن علاقة بالمتوفين ليس من المفترض بهنّ أن يحضرن الجنائز، «سيدات بقبعات حُمر وزُرق كن يأتين ويذهبن». الأسقف مارتينسِن لم يحضر، إلا أنه ظلّ يراقب عن كثب مُجريات الحوادث: «اليوم، بعد خدمة كبيرة في كنيسة سيدتنا[12] دُفِن كيركغارد؛ كان هنالك موكب جنائزي كبير من المُعزّين (بأسلوب مهيب، يا للسخرية!)»، كتب إلى صديقه القس غود في 18 نوفمبر 1855. «قلّما رأينا نظيرًا لانعدام *اللياقة* الذي أبدته أسرته في أن يدفنوه في يوم *أحد* بين خدمتين دينيتين، من *أهم* كنيسة في البلد... الجرائد سوف *تنطلق* حالًا في فيضان من قصص الدفن. فهمتُ أنّ الموكب الجنائزي كان مؤلّفًا بشكل رئيس من الشبيبة وعدد كبير من الشخصيات الغامضة. لم يكن هناك أصحاب مقامات رفيعة إلا لو اعتبرنا ر. نيلسون واحدًا منهم»، كتب الأسقف ساخرًا.

أحد الشبان الغامضين في كنيسة سيدتنا(*) في ذلك اليوم هو فرانتز سوديمان، وهو طالب جامعي يدرس اللاهوت، كتب بشوق إلى والد خطيبته عن أخبار «الفضيحة» التي شَهدها توًا:

(*) كنيسة سيدتنا: وردت بالدنماركية في النص الإنكليزي Vor Frue Kirke. وهي كاتدرائية كوبنهاغن.

حضر حشدٌ غفير[13]، الكنيسة ممتلئة إلى حد الانفجار؛ كان ذلك هو كلّ ما أستطيع أن أفعله كي أحصل على موضع في الطابق الأعلى عند واحد من الأعمدة في الخلف، ومن هذا الموضع كان باستطاعتي أن أرى التابوت. سرت شائعة مفادها أنّ رجال الدين رفضوا أن يتحدّثوا. بعضهم يقول باقتراح من الأسقف مارتينِسن... لم يحضر واحد من رجال الدين يلبس رداءً كهنوتيًا باستثناء رئيس الشمامسة تيراد ودكتور [پيتر كريستيان] كيركغارد، الذي ألقى التأبين... في أول الأمر شرح العلاقات الأسرية، كيف أنّ أباهم، الذي كان يرعى الأغنام في وقت من الأوقات في الأراضي البور في يوتلاند، قد أحبّ الأولاد حبًا جمًّا، لكن شيئًا فشيئًا كلّهم غادروا الحياة باستثناء اثنين منهم... وتاليًا قال إنّ هذا ليس الوقت أو المكان الذي يناقش فيه أفعال سورين؛ ذلك أننا لا نجرؤ على، ولا نستطيع: أن نقبل كثيرًا مما قاله سورين...؛ ذلك أنّ [سورين] نفسه لم يكن واعيًا إلى أيّ مدى تجاوز فيه الحدود؛ وقد تجاوز الحدود كثيرًا... ومن ثم حملوا الجثمان وأخذوه بعيدًا.

مؤلّف هذه الرسالة ندم لأنه لم يتبع الحشود إلى المقبرة، حيث «تأزّمت الأشياء فعلًا». بعد أن أُهيلت حفنة من التراب على التابوت الصغير، ابن اخت كيركغارد هنريك فرديناند لوند، الذي كان يعمل في مستشفى آل فريدريك ويقضي الوقت مع خاله حتى نهاية حياته، خطا خطوةً للأمام كي يحتجّ على الإجراءات. رئيس الشمامسة تراد حاول أن يُوقفه، لأنّ رجال الدين المُقدّرون فقط مسموح لهم بالتحدّث بجوار القبر - إلا أنّ الحشد حثّوا هنريك بصيحات «براڤو! براڤو»، وتابع الشاب حديثه قائلًا: «هو، صديقي الراحل، يقف ويسقط مع كتاباته. إلا أنني لم أسمعها تُذكر في كلمة واحدة!».

قرأ هنريك بصوت مرتفع من «كتاب الإلهام» واقتبس من *اللحظة*. «هل إنّ ما نشهده جميعًا اليوم - أي، هذا الرجل المسكين، على الرغم من احتجاجاته

الحيوية في الفكر، والكلمة والفعل، في الحياة والموت، تدفنه الكنيسة الرسمية بوصفه عضوًا محبوبًا - هل هذا بموجب كلماته؟»، سأل جموع المُعزّين. ملوّحًا بالإنجيل وبكراسات خاله، أعلن أنّ كيركغارد قد «استباحته» كنيسةٌ تشبه «المومس العظيمة من بابل، التي نام معها كلّ ملوك الأرض».

بعد مضي أربعة أيام، جينس جودڤاد طبع كلام هنريك لوند بجوار القبر[14] في ذه فاذرلاند. «في رأيي، القضية كلّها هي صورة مشوّهة لسورين ك.[15] أنا لا أفهمها!»، كتب هانس كريستيان أندرسِن في رسالة أخرى. الأسقف مارتينسِن حرص على أن تُقام دعوى على لوند[16]، والشاب يتعيّن عليه أن يقدّم اعتذارًا علنيًا ويدفع غرامة قيمتها مئة ريكس - دولار. مارتينسِن المسكين: حتى في الوقت الحاضر رأسه كبير الحجم المصبوب بالبرونز ومُثبّت بمحاذاة مينستر بجوار كنيسة سيدتنا، يبدو متوتر الأعصاب، كما لو أنه في أيّ لحظة يتوقّع أن يسلك كيركغارد طريقًا غير مباشر، ملوّحًا بعصا المشي العائدة له.

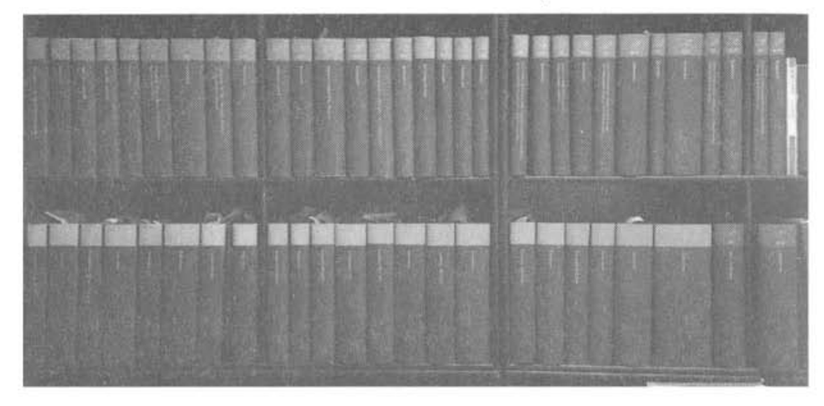


الأسقف مارتينسِن خارج كنيسة سيدتنا

كما لو أنّ هجمات كيركغارد المتواصلة وجنازته العسيرة لم تكن عقوبةً كافية لخطايا مارتينسِن، في يوم الأحد 5 مايو 2013، خدمةٌ أخرى قُدّمت لكيركغارد في كنيسة سيدتنا: الاحتفال بذكرى عيد ميلاده المئتين. من منبر الكنيسة الصقيل أسقف كوبنهاغن الذي يلبس المخمل أعطى موعظة دينية للجمهور الذي ضمّ الملكة مارغريت الثانية وعددًا من الوزراء. باحثون متخصّصون بكيركغارد من جميع أنحاء العالَم كانوا حاضرين - وبالنسبة لهم على الأقل، سخرية المناسبة القومية العظيمة كانت مفهومة. من كنيسة سيدتنا أبرز شخصيات النخبة انتقلوا إلى قاعة الاحتفالات في جامعة كوبنهاغن، حيث توجد طبعة مُدقّقة جديدة لخمسة وخمسين مجلدًا لكتابات كيركغارد، أُعدّت على مدى أعوام في ظل الإدارة الحكيمة لنيلز يورغين كاپيلورن، تقف كاملة. كاپيلورن، قس لوثري ولاهوتي، أسّس «مركز بحث سورين كيَركغارد» في العام 1994، وجعله عمل حياته كي يُتيح ليوميات كيركغارد ودفاتر ملحوظاته أن تُقرأ جنبًا إلى جنب مع أعماله المنشورة: كَتَب 41 ألفًا و512 من الملحوظات التفسيرية البالغة 72 ألفًا و628 التي احتوت عليها الطبعة الجديدة. بعد هذه المأثرة المُجلّدة بالأزرق للزمالة التي قُدّمت رسميًا للجامعة، استمرّت احتفالات عيد ميلاد كيركغارد[17] حتى المساء مع عرض افتتاحي لـ*هاوية المتنزّه*، وهي أوبرا من مَشهد واحد مصحوبة بأغانٍ مستوحاة من *المرض حتى الموت*.

تم إحياء ذكرى ولادة كيركغارد في مدن كثيرة أخرى حول العالَم؛ في لندن، جرى الاحتفال قبل أسبوع من هذه الذكرى في كنيسة سانت كاترين، الكنيسة اللوثرية الدنماركية المجاورة لـمتنزّه ريجنت. فقرة كيركغارد الأثيرة من «العهد الجديد» المستقاة من «رسالة جيمس» هي واحدة من النصوص لخدمة صباح الأحد، والموعظة الدينية استذكرت حياته وأعماله. كانت خدمة جميلة: أحببتُ الأناقة البسيطة للكنيسة البيضاء غير المزخرفة، وتأثّرتُ بالانفتاح الذي دعا فيه القس الجميع لأخذ القربان المقدّس. بعد وجبة طعام تتألّف من خبز الشوفان، وسمك الرَّنكة والجبن الدنماركي، كانت هناك محاضرات من قبل ثلاثة أكاديميين: يواكيم غارف، كاتب سيرة كيركغارد من كوبنهاغن، وجورج

باتيسون، ومن ثم بروفيسور من أوكسفورد؛ وأنا. أعطيتُ حديثًا عن مريم، أُم يسوع المسيح، التي كان إيمانها وشجاعتها محط إعجاب كيركغارد طوال مدة تأليفه، مع أنني بدأتُ بتذكّر آن كيركغارد، الريفية متوسطة العمر التي أنجبت فيلسوف الدنمارك الأعظم.



كتابات سورين كيركغارد، 2013: النصوص والتفسيرات

يواكيم غارف، الذي كانت سيرته الغيرية الغنية، المتحذلقة *SAK*(*) هي سيرة مطوّلة بحجم *إما/ أو* تقريبًا، وقد تحدّثت عن المهمة الفريدة[18] المتعلّقة بكتابة حياة كيركغارد. مع أنّ الكتابة هي نوع من العلاج بالنسبة له، إلا أنه أيضًا وبحسب غارف: «كيركغارد في يومياته لم يتكلّم فقط كي يكشف بل كي يُخفي أيضًا»، كتب وحرّر أوراقه «كما لو أنّ القراء المستقبليين كانوا يقفون وينظرون من فوق كتفه»، و«خطّط لتجدّده الروحي بعد الموت». بينما كانت اليوميات تعود المرة تلو المرة إلى ريجينه، إلى مينستر وإلى «نفسي»، أغفلت مدىً استثنائيًا من المواضيع، من النساء السليطات إلى «التجسّد»، و«حتى نقاط ذروة السيرة الذاتية لم تكن سهلة المنال». على سبيل المثال، وصف كيركغارد ريجينه فقط بطريقة مُجزَّأة خلال خطوبتهما، والقراء «يتعين عليهم أن

(*) SAK: هي اختصار لثلاث كلمات: KnowledgeSkills, Abilities التي تعني: مهارات، قابليات، معرفة.

يمضوا إلى نهاية أغسطس 1849 قبل أن يتفضّل على الأجيال القادمة بـ«علاقته معـها» - في تدوين أشار إلى «شيء شاعري». وصف غارف كيف حاول أن «ينتزع بالملاطفة العناصر السردية وهلّم جرا» من «المادة الهائلة» فيما هو يُتيح لكيركغارد بأن يبقى شخصية مُبهَمة، قابلة للتعديل.

كشفت محاضرة جورج پاتيسون حب كيركغارد للمسرح، وقد كتب لهذه المناسبة إعدادًا مسرحيًا لـ*التكرار*، قدّمته في الكنيسة ذلك المساء مجموعة صغيرة من الممثلين هم طلبة في جامعة أكسفورد. أعادت المسرحية كيركغارد إلى الحياة بطريقة لم أكن أتخيّل أنها ممكنة. وفيما كان نظيره قسطنطين قسطنطينوس يمشي على خشبة المسرح ذهابًا وإيابًا، تعجبتُ حيال هذه المحاكاة في كنيسة كامدن، وتعجّبتُ بالمسائل التي تَعقبَتها قبل قرنين من الزمن شخصيةٌ صغيرة الحجم، محدودبة الظهر، لامعة العينين، ترتدي سروالًا غريب الأطوار - تعقّبت من كوبنهاغن إلى برلين، وعادت ثانيةً عبر بحر البلطيق، عبر سلسلة من الشقق السكنية في نورغيد، ونيـتورف، وروزينغيد، وأوسترغيد، وكليدبودرني، في مسارح مدينته، كنائسها، جرائدها، عبر صفحات عدد لا حصر له من الكتب، ذهابًا وإيابًا عبر الامتدادات الواسعة لروحه. وجدتني أذرف الدموع.

من دون جورج پاتيسون لم يكن باستطاعتي أن أكون في الكنيسة الدنماركيةذلك اليوم، ولا أن أكتب أطروحة دكتوراه عن كيركغارد - وما كان ليخطر ببالي أن أؤلف هذا الكتاب. قابلتُ جورج قبل أكثر من عشرين عامًا، لمّا علّمني ما وراء الطبيعة خلال سنتي الأولى في الجامعة. قس أنغليكاني بالإضافة إلى كونه باحثًا، كان عميد كنيسة صغيرة في كنغس كوليج، جامعة كمبردج، ومحاضرًا في قسم اللاهوت. شغل هذه الأدوار بمزيج من الخفة والعمق، الجدّ والسخرية، الذي (أيّ المزيج) يصدمني بكونه كيركغارديًا بنحو جليّ. ثمة شيء ظاهري التناقض في ما يتصل بخبير كيركغارد وهو يتولّى منصبًا حكوميًا في الجامعة والكنيسة: هذا الوضع يُثير بنحو طبيعي سؤال الوجود، وجورج بشكلٍ من الأشكال بدا كأنه يجد طريقةً لأن يعيش ذلك السؤال بشكل حسن. لمّا

أنهيتُ دراسة البكالوريوس في الفلسفة وافق على أن يُشرف على أطروحتي لنيل الدكتوراه. مع أنني لم أكن طالبة خريجة مجتهدة جدًّا، ظلّ جورج شهمًا وصبورًا؛ نصحني أن أحضر المؤتمرات، التي كانت تُفزعني، ورتّب دروسي الدنماركية، التي أهملتُها. أخبرني أن أفكّر في نشر أطروحتي، إلا أنني أحسستُ بميل أكثر إلى أن أحرقها - أدعو أصدقائي وصديقاتي، ونرقص حول النار. البقاء في كامبرج وعمل شهادة الدكتوراه كانا سبيلي في الحدّ الأدنى من المقاومة: كانت طريقة في تأجيل سؤال ماذا أفعل بحياتي. كنتُ مهتمةً بالسفر والوقوع في الغرام أكثر من متابعة مسيرة معينة. لم تكن لديّ نية أو طموح في أن أصبح باحثة متخصّصة بكيركغارد، أو مُحاضِرة في مادة الفلسفة، أو أيّ نوع من أستاذة جامعية.

أصبحتُ تلك الأشياء على أي حال، ويظلّ كيركغارد ممتعًا بنحو لا نهائي بالنسبة لي. هذا لأنه تحدّث عن، وإلى، حاجةٍ ماسّة لله في داخل القلب البشري - حاجة إلى الحب، إلى الحكمة، إلى السلام - وقد فعل هذا بإلحاح نادر ومتحمس. مع أنه كان يُتابع بلا شفقة «مهمّة أن يُصبح مسيحيًا»، لم يرَ هذا بوصفه قضية تتعلّق بالهوية المسيحية أو بالانتماء المسيحي. ربما كان لديه قدرٌ كبير من الازدراء للدين المؤسساتي، لكن من خلال النظر إلى مكان آخر كان يروق للأشخاص الذين، على غرار المرأة التي كتبت باستحياء كي تشكره على موعظته الدينية في كنيسة الحصن، أحسوا بأنهم غير مُلهَمين بواسطة المسيحية التقليدية. من خلال تأليفه، الذي دام أكثر من عشرة أعوام، أفشى أشياءَ لا نهائية من قلبه البشري تحديدًا - في النثر المُذهِل، بحساسية ودقة استثنائيتين، وبأثر قليل من الدوغمائية أو الحكمة الأخلاقية.

من الصعب القول ما الذي جعلني أذرف الدموع فيما كنتُ أشاهد *التكرار* في الكنيسة الدنماركية العام 2013، إلا أنه كان ذا صلة بإلقاء نظرة جانبية على حياتي ككل، ورؤية المعنى هناك. طوال أعوام كنتُ أرتاب في قيمة العمل الفكري، أرتاب في مسألة ما إذا كانت الدراسات الفلسفية التي غرقت فيها هي ما يجب أن أفعله، أرتاب في مسألة كوني أمتلك أشياءً كثيرة يُمكنني أن

أُعطيها للطلبة الجامعيين. وفيما كنتُ جالسة في تلك الكنيسة البيضاء مع سائر الأشخاص الآخرين الذين اهتموا بما يكفي بكيركغارد كي يقضوا نهارًا محتفلين بعيد ميلاده، أحسستُ بثقة جديدة في السبب الذي أتى بي إلى هناك، مهما كان هذا السبب. وفي الأسابيع الأخيرة، فيما كنتُ أدنو من نهاية هذا الكتاب كنتُ متأثرة بطريقة مشابهة، مع أنها لم تكن كبيرة جدًا في ما يتّصل بعلاقتي بحياتي. فيما كنتُ أتابع كيركغارد عبر شهوره الختامية إلى أيامه الأخيرة في «مستشفى آل فريدريك»، أحسستُ بالأهمية المُبهَمة للحياة الإنسانية، ولمحتُ تماميتها. إنها مُراوِغة وحميمة، تافهة وعميقة، هشّة ومُذهِلة.

صلاة(*)

أبانا الذي في السماء! تلك الصلاة التي في صحبة الناس الآخرين، بخاصة في ازدحام الجنس البشري، لدينا صعوبةٌ كبيرة في تعلّمها، والتي لو كنا تعلّمناها في مكان آخر، سوف ننساها بسهولةٍ شديدة بصحبة الناس الآخرين - ماذا يعني أن يكون المرء إنسانًا وما هو، من وجهة نظر إلهية، الشرط الأساسي من أجل أن يكون المرء إنسانًا - هل من المحتمل أن نتعلّمها، أو إذا ما نُسيت، هل من المحتمَل أن نتعلّمها من جديد من الزنبقة والعصفور؛ هل يُحتمل أن نتعلّمها، إن لم يكن حالًا، إذًا نتعلّم في الأقل شيئًا منها، شيئًا فشيئًا - هل إننا في هذه المناسبة قد نتعلّم من الزنبقة والعصفور الصمت، الطاعة، الفرح!

(*) من بداية كتاب كيركغارد المعنون *زنبق الحقل وطير الهواء: ثلاثة خطابات إلهية* (1849)، ترجمة بروس ج. كيرمسي - (الكاتب). هنا تُشير الكاتبة إلى الصلاة الربانية، وهي صلاة مسيحية أوصى بها يسوع المسيح عندما سأله التلاميذ كيف يُصلّون وهي مذكورة في «الأناجيل الأربعة».

قائمة الصور الإيضاحية

ص89: ملك الدنمارك كريستيان الثامن، 1845. (الـ«غيسلفيلد كلوستر»)

ص96: بورتريه لميخائيل پيدرسِن كيركغارد (صور AKG)

ص96: بورتريه لآن كيركغارد. (المكتبة الدنماركية المَلَكية)

ص111: كنيسة الثالوث والروندي‌تارن (البرج المدوّر) في 1749. (المكتبة الدنماركية المَلَكية)

ص113: يعقوب پيتر مينستر: قسطنطين هانسِن. (المكتبة الدنماركية المَلَكية)

ص115: كنيسة سيدتنا (Vor Frue Kirke)، كوبنهاغن. (المكتبة الدنماركية المَلَكية)

ص115: (دار عدل) و(قاعة مدينة) س. ف. هانسِن(*): كارل بالسغارد، 1850. (متحف كوبنهاغن)

ص116: داخل (كنيسة سيدتنا) (Vor Frue Kirke)، كوبنهاغن. (المكتبة الدنماركية المَلَكية)

ص118: «كريستوس»: بيرتيل تورڤالسدين، 1838. (المكتبة الدنماركية المَلَكية)

ص129: يوهانه لويزه هيبيرغ. (المكتبة الدنماركية المَلَكية)

ص157: كليشيه خشبية لقناع جبسي عائد لـپول مارتن مولر: ج. ب. هانسِن. (المكتبة الدنماركية المَلَكية)

ص162: هانس كريستيان أندرسِن، رسم بالألوان المائية: كارل هارتمان، 1845. (مجموعة فن التصوير/ مخزن صور آلامي)

ص167: بنايات في ساحة (جيندَرمين ماركت) ببرلين، نقش على الفولاذ؛ رسم: ج. هنتزه، 1833. (المكتبة المركزية، زيورخ)

(*) كريستيان فريدريك هانسِن Christian Frederik Hansen: معمار دنماركي بارز.

ص199: مَشهد لـ(سـپري)[*] و(لوستغارتِين)[**] من (أوتيل دِي ساكس) (مخزن صور آلامي)

ص202: سورين كيركغارد يقرأ في مقهى، تخطيط بقلم كريستيان أولافيوس زيوثين، 1843. (المكتبة الدنماركية المَلَكية)

ص206: الصفحة الأولى من مخطوطة *التكرار*، 1843. (المكتبة الدنماركية المَلَكية)

ص221: صفحة من مخطوطة *التكرار*، يظهر فيها الموضع الذي شطب فيه كيركغارد انتحار الشاب، 1843.

ص224: رسم توضيحي لطبعة القرن الثامن عشر من كتاب أرنت (*الديانة المسيحية الحقيقية*)

ص224: بورتريه ليوهان أرنت، 1621.

ص240: «الطريق المجاور لغيلز باكي»: أندرياس جول، 1851. (من مجموعة متاحف روديرسدال؛ تصوير فوتوغرافي أوله تيغ هارتمان)

ص247: محررا جريدة *القرصان*، ب. ل. مولر وم. آ. غولدشميت. (المكتبة الدنماركية المَلَكية)

ص251: صفحة من جريدة *القرصان*، العدد 278، 16 يناير1846. (المكتبة الدنماركية المَلَكية)

ص252: تفصيل من جريدة *القرصان*، العدد 278، 16 يناير 1846. (المكتبة الدنماركية المَلَكية)

ص253: صفحة من جريدة *القرصان*، العدد 285، 6 مارس 1846. (المكتبة الدنماركية المَلَكية)

(*) سـپري Spree: نهر في ألمانيا، وهو الرافد الرئيس من نهر (هاڤل).

(**) لوستغارتين Lustgarten: متنزّه في «جزيرة المتحف» بوسط برلين، ومعناها حديقة اللذّة.

ص272: يعقوب پيتر مينستر، أسقف كوبنهاغن، رسم ج. ف. جيرتنر، 1853. (المكتبة الدنماركية المَلَكية)

ص295: إميل بويسين: فريدريش ڤيلهيلم شميت، 1863. (المكتبة الدنماركية المَلَكية)

ص316: (مستشفى آل فريدريك)، بريغيد، كوبنهاغن. (المكتبة الدنماركية المَلَكية)

ص322: تمثال نصفي لكيركغارد خارج (مركز بحث سورين كيركغارد)، (جامعة كوبنهاغن)

ص325: تمثال جالس لكيركغارد: لويس هاسيلريس، في حديقة (المكتبة الدنماركية المَلَكية)، كوبنهاغن. (مخزن صور آلامي)

ص326: قبر كيركغارد، (مقبرة أسيستينس)، كوبنهاغن.

ص329: تمثال نصفي للأسقف هانس لاسين مارتينسِن: تيوبالد شتاين، 1888.

ص331: كتابات سورين كيركغارد، في (مركز بحث سورين كيركغارد)

شكر وعرفان

هذا الكتاب كُتب في لندن، فيلادلفيا، كوبنهاغن وجزيرة سكايي(*). أنا ممتنة لأشخاص كثيرين في هذه الأمكنة - في المكتبات العامة والجامعات، استوديوات اليوجا والمقاهي - على اللطف الذي لا حصرَ له، وعلى منحي الزمان والمكان كي أفكّر وأكتب. كنغز كوليج لندن، سينت هاوس لايبرري (المكتبة المركزية لجامعة لندن)، جامعة پينسيلڤانيا، جامعة كوبنهاغن و(المكتبة المَلَكية الدنماركية)، كلّها زوّدتني بالمراجع كي أدعم بحثي في حياة كيركغارد. سكايي، كالعادة، قدّمت نفسها فقط: مكانٌ للراحة والاشتياق، والآفاق البعيدة، كي يُكمل فيها المرء كتابه.

أشخاص عديدون ساعدوا يستحقون شكرًا خاصًّا: دانييل كريوي وستيوارت پروفيت في (بنجوين) ساعدا في تخيّل هذه السيرة الذاتية، وبوصفه مُحرّرها أعطى ستيوارت نصائح وقورة خلال كتابتها؛ ريتشارد ماسون حرّر النص؛ ستيفان ريان نقّح التجارب الطباعية بشكل رائع؛ أماندا رُسُل بحثت عن الصور؛ بِن سينيور وفرانشيسكا مونتييرو حرصا على أن يكون النص والصورة يعملان معًا على الصفحة؛ وريتشارد دوغويد أشرف على الانتاج. جوزيف سنكلير ساعدني في تصنيف الفهرس. سارة شالفنت وألبا زيغلر- بيلي قدّمتا لي العون في أن تأتيا بالكتاب - وبي - إلى العالم.

في ربيع 2017 يواكيم غارف استقبلني بشهامة في (مركز بحث سورين كيركغارد)، إيتوري روكا أعارني غرفة مكتبه، ونيلز يورغن كاپيلرون أعطاني إلهامًا متأخّرًا. في (المكتبة المَلَكية الدنماركية)، إيريك پيترسِن جلب لي

(*) جزيرة سكايي Isle of Skye: جزيرة تقع في شمال غربي اسكوتلندا.

صندوقًا إثر صندوق من مخطوطات ورسائل كيركغارد، وكنتُ متأثّرة بحماسته لكتابي. لونا هڤيد زوّدتني بمنزل دافئ في كوبنهاغن، وحرصت على أن أرى تفتح الكرز.

أليس ألبنيا، نورين خواجه، كيت كيركپاتريك، سيمون أوليڤر، جورج پاتيسون وجون تريش قرأوا المخطوطة في مراحل مختلفة وزوّدوني بملحوظات لا تُقدّر بثمن. جون كالنان وأندي كووپر قرآ أجزاءً منها.

أصدقاء وزملاء رائعون كثيرون من كلا الجنسين دعموني فيما كنتُ أؤلف الكتاب - شكري الجزيل بخاصة لروپرت شورت على صداقته المخلصة وتشجيعه الجبار؛ لآمي مريمان على تحمّلها في أثناء إجازة بحثي؛ لفيونا إليس، سارة كواكلي وإيدي هولِز، لأنهم جعلوني أفكر ودفعوني إلى الضحك؛ لجون كوتنغهام على حكمته ومحبته. كما أنني ممتنة بشكل أبدي إلى رُسُل وليمز. وأشكر زوجي جون وابني جوزيف شكرًا كبيرًا، على كونهما يعيشان سؤال الوجود معي.

كلير كارلايل

لندن، خريف 2018

المترجم

ولد علي عبدالأمير صالح في مدينة الكوت - واسط سنة 1955. يمارس كتابة القصة القصيرة والرواية والترجمة منذ منتصف سبعينيات القرن العشرين. نال جائزة وزارة الثقافة العراقية في الترجمة سنة 2000، وفي الإبداع الروائي سنة 2009، وجائزة دار الشؤون الثقافية العامة في النقد الأدبي سنة 2009، وجائزة الإبداع العراقي / وزارة الثقافة والسياحة والآثار لعام 2017، في حقل الترجمة. ترجم ونشر أكثر من أربعين كتابًا. من ترجماته المنشورة: الطيور الحُمر (بيروت - بغداد، 2021)؛ طقوس فارسية - سووشون (بيروت - بغداد، 2021)؛ الآثم المقدس (بيروت - بغداد، 2021)؛ في ضوء ما نعرفه (بيروت، 2021)؛ حوارات مع التاريخ والسلطة (بيروت - بغداد، 2021)؛ هرمان هيسّه: في صنعة الرواية (بغداد، 2021)؛ عيون العدو وقصص أخرى (البصرة، 2022)؛ أمس واليوم وغدًا: حياتي، مذكرات صوفيا لورين (بيروت - بغداد، 2020)؛ نادني الأمريكي، مذكرات عبدي نور إفتين (بيروت - بغداد، 2020)؛ قبل أن نزور الإلهة (الكويت، 2019)؛ فريدا: سيرة حياة فريدا كاهلو (بيروت - بغداد، 2019)؛ المطيرجي (بيروت، 2019)؛ «طقوس» (بيروت، 2019)؛ العمى (بيروت، 2018)؛ لا تقولوا إننا لا نملك شيئًا (بيروت - بغداد، 2018). من أعماله المنشورة: الهولندي الطائر (قصص، دمشق، 2000)؛ يمامة الرسّام (قصص، بيروت، 2010)؛ خميلة الأجنّة (رواية، بيروت، 2008)؛ أرابيسك (رواية، عمّان، 2009)؛ ثقافة واسط: الماضي والحاضر (جزءان) (دمشق، 2017)؛ العوالم الثلاثة: تجربتي في الكتابة والترجمة والنقد (دمشق، 2018).

الهوامش

المقدمة

1 «العلاقة الغرامية»: س. كيركغارد، (حاشية ختامية غير علمية للنتف الفلسفية)، تحرير وترجمة ألاستير هاناي (مطبعة جامعة كمبردج، 2009)، ص. 222.

2 «خلال النهار يراه المرء يمشي»: (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد 6: اليوميات (NB11-NB14، تحرير وترجمة نيلز يورغِن كاپيلورن، ألاستير هاناي، ديڤيد كانغاس، بروس أج. كيرمسي، جورج پاتيسون، جويل دي. أس. راسموسين، ڤانيسا رومبل وكي. بريان سودركويست (مطبعة جامعة پرينستون، 2013)، ص. 550.

3 «هذا المساء كان لي حوارٌ مع الماجستير سورين كيركغارد»: (لقاءات بالمصادفة مع كيركغارد)، تحرير بروس كيرمسي، ترجمة بروس كيرمسي وڤيرجينيا لاورسين (مطبعة جامعة پرينستون، 1998)، ص. 59.

4 «يفهم سرّ المعاناة»: (حاشية ختامية غير علمية)، ص 372.

5 «لأنّ أكثر تعابير العلاقة بالرب تواضعًا»: المصدر السابق، ص. 413.

6 «إنك تتقدّم في السن، حدّثتُ نفسي»: م. س.، ص. 156– 157.

7 «السكون»: أنظر نيلز يورغِن كاپيلورن، «حاشية» لسورين كيركغارد، (زنبق الحقل وطير الهواء: ثلاثة خطابات إلهية)، ترجمة بروس كيرمسي وصور إيضاحية من قبل ماجا ليزا إنجلهارت (نيويورك: غاليري إليزابيث هاريس، 2013)، ص. 69 – 72. أنظر أيضًا س. كيركغارد، (الكتاب عن أدلر)، تحرير وترجمة هوارد ڤي. هونغ وإدنا أج. هونغ (مطبعة جامعة پرينستون، 1998)، ص. 280.

القسم الأول

1 «*كي تكون قادرًا على السقوط بطريقة ما*»: س. كيركغارد، (خوف ورعشة)، تحرير سي. ستيفين إيڤانز وسيلڤيا والش، ترجمة سيلڤيا والش (مطبعة جامعة كمبردج، 2006)، ص. 34.

1 «كرسي عجيب ذي مسندين»: س. كيركغارد، (*رسائل ووثائق*)، تحرير وترجمة هنريك روزينمير (مطبعة جامعة پرنستون، 2009)، ص. 152 – رسالة من س. كيركغارد إلى أيّ. أف. كريغر، مايو 1843.

2 السكك الحديد عبر العالَم المسيحي: أول سكة حديدية پروسية فُتحت في 1838، من برلين إلى پوتسدام. خط برلين – شتيتين، الذي سافر فيه كيركغارد 1843، أُفتتح في مطلع أربعينيات القرن التاسع عشر؛ أول سكة حديدية دنماركية فُتحت في 1844. في 1850 كتب كيركغارد في يومياته: «هوس سكة الحديد هو بكلّ معنى الكلمة محاولة بابلية. كما أنه ارتبط بنهاية حقبة ثقافية، إنه الاندفاع الأخير. لسوء الحظ، بدأ شيءٌ جديد في اللحظة ذاتها تقريبًا: 1848. سكك الحديد لها صلة بفكرة تكثيف المركزية». (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد)، المجلد 7: اليومياتNB15–NB20، ص. 1123.

3 «سوف يعود سورين كيركغارد إلى كوبنهاغن»: في تفاصيل رحلة كيركغارد إلى الديار – بواسطة قطار، مركبة عمومية تجرّها الأحصنة وباخرة – أنظر (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد 2: يوميات EE– KK)، ص. 491.

4 «الشخص الذي يُفسّر أحجية إبراهيم»: يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد 2: يومياتEE– KK، ص. 154 – 155: جيّ جيّ 87(1843).

5 «صباحًا أخرجُ برهةً من الوقت»: س. كيركغارد، ص. 154 – رسالة إلى إميل بويسين، 25 مايو 1843.

6 «بعدها فجأةً تنشط فكرةٌ»: (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد) 2، ص –158 159: جَيّ جَيّ 99. (1843)

7 «لو كان لديّ إيمان لبقيتُ مع ريجينه»: م. س.، ص. 164: جَيّ جَيّ 115 (17 مايو 1843).

8 الأسوار القروسطية العالية: أنظر نيلز تولستروپ، (كوبنهاغن كيركغارد)، تحرير ماري ميكلوڤا تولستروپ، ترجمة روث ماتش – زاغال (ريتزل، 1986)، ص. 24 – 26. معلم كيركغارد الأثير في مادة الفلسفة، پول مولر، كتب قصيدة عن الأسوار، تبدأ بـ:

سياج شجيرات الربيع مخضوضر
المعطف يُطرح بعيدًا،

العذراوات يُشمسن أنفسهن على الأسوار.
الهواء محبب للغاية،
تنهّدات الشوق العائدة لهن
تعرفها فساتينهن الحرير.

9 كرّس سقراط نفسه للسؤال القائل: من أجل تفسير أوضح من جانب كيركغارد لتكريس سقراط لـ «مسألة ماذا يعني أن يكون المرء إنسانًا»، أنظر (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد العاشر: اليوميات NB31 – NB36)، ص. 2:371 ،NB35، ديسمبر 1854.

10 «تصوّر كهفًا»، يقول سقراط: قراءتي لكهف سقراط مدينة بها لجوناثان لير: أنظر «المجاز والأسطورة في [جمهورية] إفلاطون» و«الفعالية النفسية لكهف أفلاطون»، في كتاب جوناثان لير، (الحكمة المكتسبة من المرض: مقالات في الفلسفة والتحليل النفسي)، (مطبعة جامعة هاڤارد، 2017)، ص. 206 – 243.

11 «طالما أنا على قيد الحياة، لن أتخلّى عن الفلسفة»: أفلاطون، (دفاع)، 29d – 31 a..

12 أيّ كلام ساخر يشكك في نفسه: كما عبّر كيركغارد في بحثه الأكاديمي، «الطبيعة التي تسود السخرية كلّها هي أنّ الظاهرة ليست هي الجوهر بل عكس الجوهر»: بمعنى آخر، المعنى الظاهري هو عكس المعنى الحقيقي. أنظر س. كيركغارد، (مفهوم السخرية مع إشارة مستمرة إلى سقراط)، ترجمة هوارد ڤي. هونغ، وإدنا أچ. هونغ (مطبعة جامعة برينستون، 1992)، ص. 247.

13 «تستقصي كلّ شيء وترتفع بشكل لا نهائي فوق»: فريدريش ڤون شليغل، (لوسينده والشذرات العائدة لشليغل)، ترجمة پيتر فيرتشو (مطبعة جامعة مينيسوتا، 1917)، ص 148. في ردّ كيركغارد على السخرية الرومانسية، أنظر كتاب جويل راسموسين الممتاز المعنوَن (بين السخرية والشهادة: شاعرية الإيمان، الأمل والحب لدى كيركغارد)، (تي. آند تي كلارك، 2005).

14 «لا يُمكن أن تكون هنالك حياة إنسانية أصيلة من دون سخرية»: (مفهوم السخرية)، ص 326.

15 «شيئًا حيًا، قلِقًا»: اقتباس من رونالد بينتون في (هنا أقف: حياة مارتن لوثر)، (مطبعة أبينغدون – كوكسبيري، 1951)، ص. 331، ومن كيركغارد في (من أجل الفحص الذاتي / أحكم على نفسك!)، تحرير وترجمة هوارد ڤي. هونغ

وإدنا أج. هونغ (مطبعة جامعة برينستون، 1991)، 17 - 18. في محاضراته في الرومان (-1515 1516) أكد لوثر قائلًا إنّ الإيمان هو حركة باطنية مستمرة. مُعلّقًا على الرومان 12: 2، في سبيل المثال، يلاحظ لوثر أنّ بولس «يُخاطب أولئك الأشخاص الذين أصبحوا مسيحيين مؤخرًا، حياتهم مُريحة لكنها متحركة من حسن إلى أحسن»؛ أنّ المراحل المختلفة للنمو الروحي لدى الإنسان هي «دومًا في حالة حركة»؛ وأنّ المسيحي يتعيّن عليه دومًا أن «يواصل سعيه باستمرار» في الصلاة، كي تكون الصلاة «فعلًا عنيفًا متواصلًا للروح»، مثل «سفينة تمضي عكس التيار». مُعلّقًا على الرومان 4: 7، ناقش قائلًا إنه حين «يكون الناس واثقين يكونون معذورين أصلًا، يبلغون مرحلة الدمار من قبل شعورهم بالأمان».

الفصل الثاني

1 «إنه شيء صحيح بكلّ معنى الكلمة ما تقوله الفلسفة: «(يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد 2: اليومياتEE-KK)، ص. 179: جيّ جيّ 167 (1843). في مقالته المنشورة العام 1838 عن هانس كريستيان أندرسِن، اقتبس كيركغارد من اللاهوتي الألماني كارل داوب، الذي، وفقًا لكيركغارد، لاحظ أنّ «الحياة تُفهم إلى الوراء عبر الرأي»، أنظر (من أوراق شخص لا يزال حيًا) في س. كيركغارد (كتابات جدلية مبكرة)، تحرير وترجمة جوليا واتكين (مطبعة جامعة برينستون، 2009)، ص.78، 255.

2 كان «قد تمكن من الوصول إلى ر»: (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد 1: اليوميات AA-DD) ص 47: (1837) .54 ،AA ر- قد تعني ريجينه، أو آل رورردام؛ إذا كان المعني هو الأخير، فربما يُشير هذا إلى إنه في هذا الوقت كان كيركغارد مهتمًا أشد الاهتمام في بوليت رورردام - أو إلى إنه في ذلك الحين كان يزور آل رورردام على أمل أن يرى ريجينه هناك. في تدوين آخر في هذه اليومية يذكر كيركغارد «الذهاب إلى منزل آل رورردام من أجل التحدّث مع بوليت»: أنظر ص. 47: 53 ،AA. في 1849 اعترف قائلًا إنه أحس بـ «مسؤولية» معينة تجاه بوليت: كانوا قد تركا «إنطباعًا» كلّ واحد منهما على الآخر، مع إنّ هذا الانجذاب كان «بريئًا بكلّ معنى الكلمة» و«فكريًا خالصًا»: أنظر (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد 3: دفاتر الملحوظات 1 - 15)، ص. 431، دفتر الملحوظات 15، 4 (أغسطس إلى نوفمبر 1849).

3 «إلهي، لماذا يجب أن تستيقظ هذه الأحاسيس الآن تحديدًا»: (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد 1: اليومياتAA – DD)، ص 47، (1837) AA 54.
4 «حين سُئل سقراط هذا السؤال»: أنظر (مينو) أفلاطون – ك. مينو. Meno
5 «كم سيكون شيئًا حزينًا لو أنّ البشر لا يستطيعون أن يجدوا الطمأنينة إلا في ما يوجد خارج ذواتهم»: (يوميات وأوراق سورين كيركغارد)، ص. 528: الورقة 3، A 10 5 يوليو، 1840.
6 «كان كيركغارد مهووسًا بـ (دون جيوڤاني) لموزارت»: في ولع كيركغارد بـ (دون جيوڤاني) ومناقشته المتعلّقة بـ (دون جوان) في كتاباته، أنظر يكوبو زَبالو، «دون جوان (دون جيوڤاني): الإغراء وبيئته الطاغية في الموسيقى»، في (كتالين نون وجون ستيوارت)(تحرير)، (شخصيات كيركغارد الأدبية ومواضيعه الرئيسة، الجزء 1: أجامنون إلى غوادالكويڤير)، (أشغيت، 2014)، ص. 141 – 157.
7 «إنّ [الحياة الحقيقية] للإنسان»: (يوميات وأوراق سورين كيركغارد)، ص. 213 – 214: الورقة 3، A 1 يوليو 1840.
8 «سافر خارجًا إلى الساحل الغربي من (يوتلاند)»: كيركغارد احتفظ بيومية في أثناء رحلته، أنظر (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد 3: دفاتر ملحوظات 1 – 15)، ص. 187 – 198؛ ص. 567 – 573. تدوين واحد في (يومية يوتلاند) هذه، مُعلّم بصليب صغير، يقول: «إليكَ، يا إلهي، نعود من أجل السلام... لكن هِبنا أيضًا التوكيد المُبارك بأنّ لا شيءَ بوسعه أن يأخذ هذا السلام منا، لا نحن أنفسنا، ولا أمنياتنا البائسة، الدنيوية، رغباتي الجامحة، ولا التوق القلِق لفؤادي!» – ص. 189، 6، NB6 يوليو إلى أغسطس 1840.
9 «في 8 سبتمبر غادرت المنزل»: م. س.، ص. 431 – 4 432NB 15، (أغسطس إلى نوفمبر، 1849). في حافة هذا التدوين كتب كيركغارد: «لا بد أنها في اليوم العاشر ذكرت شليغل أولَ مرة، لأنها لم تقل كلمة واحدة في اليوم الثامن».
10 «كان يحس بغضب مشوب بالحزن»: (لقاءات غير متوّقعة مع كيركغارد)، ص 36 – من وصف ريجينه شليغل لعلاقتها مع كيركغارد، قيل إلى هانّه موريير في 1896 عقب وفاة زوجها في ذلك العام، نُشر لاحقًا في هيلمار هيلڤيج،Kierkegaard: En psykiatrisk Studie Søren، (أج. هاغروپس فورلاج، 1933)، ص 385 – 392.

11 «الذي كان يُحبه حبًا جمًا»: (لقاءات غير متوّقعة مع كيركغارد)، ص 40.
12 «ما كان هو نفسه يُريد أن يفعله»: م. س.، ص. 29 - من رسالة من إميل بويسين إلى أج. بي. بارفود، 22 مايو 1868.
13 زنبق من كولونيا الوادي: أنظر س. كيركغارد، (رسائل ووثائق)، ص. 64. كان بحوزة كيركغارد كتاب ألماني في «اللغة»، أو رمزية الزهور، Die neuesteBlumensprache، نُشر في 1838؛ أنظر نيلز يورغِن كابيلورن، غِيرت بوسيلت وبينت روهده؛
Kierkegaard som bogtilerettelægger, boggiver og bogsmaler Søren Om Tekstspejle: (روزيندالز فورلاغ، 2002)، ص 155.
14 «إنه غير متعوّد على التبغ»: (رسائل ووثائق)، ص 74 - رسالة إلى ريجينه أولسِن، 30 ديسمبر 1840.
15 كلّ أسبوع يقرأ كيركغارد بصوت عال لريجينه: أنظر يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد 2: اليوميات EE - KK، ص. 174: جَيّ. جيّ 145. (1843)
16 «مع إنّ عزفكِ قد لا يكون مثاليًا»: (رسائل ووثائق)، ص. 78 - 79، رسالة إلى روجينه أولسِن، غير مؤرخة.
17 «أعرف أنكِ كلّما تكررين أنكِ مُغرمةٌ بي»: م. س.، ص. 65 - رسالة إلى ريجينه أولسِن، غير مؤرخة.
18 «أنا الآن آمن، الآن سوف أستقر»: م. س.، ص. 67 - 68 - رسالة إلى ريجينه أولسِن، غير مؤرخة.
19 «شعور بنذير شؤمٍ»: (لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد)، ص. 162 - من هنرييته لوند، Eringer Fra Hjemmet غليدندال، 1909.
20 «إذًا، على أية حال، لقد لعبتَ لعبةً رهيبة معي»: أنظر (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد 3، دفاتر الملحوظات 1 - 15)، ص. 434: NB15، 4 أغسطس إلى تشرين الثاني 1849.
21 «وصل الخال سورين حالًا»: (لقاءات غير متوّقعة مع كيركغارد)، ص. 162 - 163 - من هنرييته لوند، Eringringer Fra Hjemmet غلديندال، 1909.
22 «إنه قطعُ علاقة مُهين»: م. س.، ص. 177 - 178 - من ترويليس فريدريك ترويليس - لوند،Barndom og Ungdom Et Liv. (أج. هاجيروپس فورلاغ، 1924). ترويليس - لوند، وُلد في 1840، وكان طفلًا وليدًا في زمن فسخ الخطوبة، لذا فإن روايته استندت إلى أسطورة عائلية.

23 «في هجومي، أبدأ بالدنو منها شيئًا فشيئًا»: س. كيركغارد، *إما/أو*، القسم الأول، تحرير وترجمة هوارد ف. هونغ، وإدنا أچ. هونغ (مطبعة جامعة برينستون، 1988)، ص 355 - 356.

24 «أني أود كثيرًا أن أتدّبر الأشياء»: م. س.، ص 367 - 368، 377.

25 «لن أُسميكَ [يوهانِسي] بعد الآن لأني أعرف يقينًا أنكَ لم تكن يوهانِس ذاك»: م. س.، ص. 312.

26 كانت بحوزته كابينة مرتفعة مصنوعة من خشب الورد: أنظر (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد 3: دفاتر الملحوظات 1 - 15)، ص 438NB15، 6 أغسطس إلى نوفمبر 1849.

27 «واحدة لها وواحدة لي»: م. س.

28 تاجًا من الأشواك يرتفع من أحد الحقول: شاهدتُ «تاج الأشواك» هذا لمّا أخذتُ قطارًا من برلين إلى أنغرمونده في ربيع 2016، مُتعقبةً رحلة كيركغارد في مايو 1843.

29 «العيون الزرق اللافتة العميقة وشديدة العاطفة»: أنظر (لقاءات غير متوّقعة مع كيركغارد)، ص. 111. هنا تايكو سپانغ، ابن صديق كيركغارد پيتر يوهانيس سپانغ، قس (كنيسة الروح القدس) في كوبنهاغن، يستذكر زيارات كيركغارد إلى منزل طفولته: «جهزَ الطعام مع شقيقتي، تذوّق طعام الأطفال، وكان سعيدًا وجذلًا للغاية بحيث أنّ المرء يُمكن أن يميل إلى الاعتقاد بأنه شخص سعيد جدًا بمزاج مرتاح البال، مرح. بعدها، في أثناء هذا الضحك السعيد، المبتهج كان بوسع رأسه أن يغطس بين كتفيه فيما هو يميل للوراء في كرسيه ويدعك يديه بحيث يسطع الماس في خاتمه كثيرًا جدًا بحيث ينافس عينيه العميقتين، شديدتيْ العاطفة، اللتين كانتا زرقاوين ولطيفتين... نحن كلّنا أحببناه، وكانت تقول له خالة مُسنة دومًا، «عزيزي، لكن أليس س. ك. ذاكَ شخصٌ لطيف حقاًُ!» بنحو مماثل، أوتو ڤروبلڤيسكي، الذي عَمِل في مخزن كتب ريتزل خلال أربعينيات القرن التاسع عشر، استذكر «عينيْ كيركغارد الزرقاوين العميقتين، الحزينتين»: أنظر (لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد)، ص 110.

30 «خليط من الطبيعة الحَسَنة والخُبث»: من سيرة مير هارون غولدشميت المكتوبة بقلمه: أنظر (لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد)، ص. 65؛ أنظر أيضًا م. س. ، ص. 111، 116.

1 «ثمة اختلاف في الرأي وسط المتعلمين فيما يتعلّق بأيّ مقعد في مركبة الجياد العمومية هو المريح أكثر»: س. كيركغارد، (خوف ورعشة) / (التكرار)، ص. 150 – 151.

2 سميون ستايلايتس، الناسك الشهير: في صفحة عنوان مخطوطة (خوف ورعشة)، كتب كيركغارد قائلًا «سميون ستايلايتس، راقص منفرد وشخص منعزل»، إلا إنه شطب هذا واستبدله بالاسم المستعار «يوهانيس دِي سايلنتيو».

3 «يا إلهي، يا له من كتاب سميك»: جريدة (كورسايين) [القرصان]، 10 مارس 1843. كانت (القرصان) تُطبع أسبوعيًا في كوبنهاغن بين 1840 و1846.

4 يوهان لودڤيغ هيبيرغ: من أجل مُلّخص لعلاقة كيركغارد بـ جيّ. أيل. هيبيرغ، أنظر جون ستيوارت، «يوهان لودڤيغ هيبيرغ: نقد كيركغارد للمدافع الدنماركي عن هيجل»، في (كيركغارد ومعاصروه الدنماركيون، الجزء الأول: الفلسفة، السياسة، والنظرية الاجتماعية)، ص. 35 – 76.

5 «لن أنسى أبدًا أن أوّظف الولع بالتهكم»: س. كيركغارد، (رسائل ووثائق)، تحرير وترجمة هنريك روزينمير، ص 155، رسالة إلى إميل بويسين، 25 مايو 1843.

6 «حين كان هيجل على طاولتي وفي عقلي»: هذا الوصف السيريذاتي نُشر أولًا في مقالة العام 1840 حملت عنوان (يوهان لودڤيغ هيبيرغ) بقلم كريستيان مولبيخ، في (Dansk Poetisk Anthologie) تحرير مولبيخ. أنظر ستيوارت (تحرير)، (Johan Ludvig Heiberg: Philosopher, Littérateur, Dramaturge, and Political Thinker)، (مطبعة متحف توسكولانوم، 2008)، ص. 222 – 223.

7 تابع كورسات مارتينسِن المؤثرة في اللاهوت وتاريخ الفلسفة: أنظر جورج پاتيسون، «كيف كيركغارد أصبح [كيركغارد]: أهمية العام 1838»، (Revista Portuguesa de Filosofia)، 64 (2008)، ص. 741 –761. لا نعرف يقينًا كيف أنّ كيركغارد حضر بضمير محاضرات مارتينسِن في الفلسفة واللاهوت في 1837 – 1838 و1838 – 1839، ذلك أنه مع كونه يمتلك ملحوظات مُستقاة من هذه المحاضرات، الملحوظات ربما نسخها أو استعارها من طالب جامعي آخر.

8 «عزيزي پيتر، شيلنغ، يتكلّم هُراءً لا يُحتمَل على الإطلاق»: (رسائل ووثائق)، ص. 141 – رسالة إلى پي. سي. كيركغارد، فبراير 1842.

9 «ماذا يقول الفلاسفة عن الواقع»: س. كيركغارد، (إما/ أو)، ص. 32.

10 «لم أحضر بكلمات متغطرسة أو بحكمة إنسانية»: الرسالة الأولى إلى الكورنثيين 2: -1 5.

11 (خوف ورعشة) سوف يرد على قراءة عمانوئيل كانط لـ (الإصحاح 22 من [سِفر التكوين]): مدى قراءة كيركغارد لكانط ناقشه الباحثون؛ الحالة الفعالة جدًا في صالح انهماكه الجاد في أعمال كانط، وبالأخص كتابه المعنون (صراع القدرات العقلية)، أنجزه رونالد أم. غرين في (كيركغارد وكانط: الدَيْن المخفي)، (مطبعة جامعة نيويورك الحكومية، 1992)، ولُخصت في مقالة غرين المعنونة «كانط: دَيْن غامض وهائل معًا»، في كتاب (كيركغارد ومعاصروه الألمان، الجزء الأول: الفلسفة)، تحرير. جون ستيوارت (أشغيت، 2007)، ص. 179 - 210.

12 نقدًا أخلاقيًا للدغمائية الدينية: أنظر دومينيك إردوزين، (روح الشك: الجذور الدينية للكفر من لوثر إلى ماركس) ص. 69 - 172.

13 من دون الله، البشر سوف يُتركون وحدهم في العالَم من دون نظام إلهي، من دون عدالة كونية: في نهاية القرن التاسع عشر أعلن فريدريك نيتشه «موت الله»، مناديًا بنفسه كونه نبيَّ عصرٍ عَدَمي جديد - إلا إنّ كيركغارد رأى أنّ ذلك أتى قبل أربعة عقود.

14 «إن كان هنالك وعي خالد لدى الإنسان»: س. كيركغارد، (خوف ورعشة)، ص. 12.

الفصل الرابع

1 «ماذا أنجز إبراهيم؟»: س. كيركغارد، (خوف ورعشة)، ص. 106.

2 إيمان إبراهيم بدا مستحيلًا: أنظر (خوف ورعشة)، ص. 13: «ما من شخص عظيم في العالَم سوف يُنسى، غير أنّ كلّ شخص يُصبح عظيمًا بالنسبة إلى توقعه. يُصبح الشخص عظيمًا من خلال توّقع المستحيل، ويُصبح شخص آخر عظيمًا من خلال توّقع الأبدي، إلا إنّ الشخص الذي توّقع المستحيل يُصبح أعظم من الجميع».

3 «نجمًا هاديًا»: م. س.، ص. 18.

4 «الشيء المهم هو أن يكون قادرًا على أن يؤمن بالله فيما يتعلق بأشياء أصغر»: (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الثاني: اليوميات EE -KK)، ص. 168: جيّ جيّ 124. (1843)

5 «توجه إلى المنزل بسرور، بابتهاج، وبالثقة في الله»: (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الثاني: اليومياتKK- EE)، ص. 121 - 122:. HH8 (1840)

6 إنه يستلم هذه الهدية سرًّا، بصمت: رجع كيركغارد إلى هذا الوصف المتعلّق بشخص متستر بالإيمان، مقارنةً بالشخص الذي ينسحب إلى دير، في (حاشية ختامية غير علمية) (1846): أنظر س. كيركغارد، (حاشية ختامية غير علمية للنتف الفلسفية)، مثال ص. 344 - 345، -396 398، 419 - 420.

7 «أتفحص شكله من الرأس إلى القدم»: (خوف ورعشة)، ص. 32

8 «حكمة دنيوية»، وليس *«عزاءً دينيًا أصيلًا»*: (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الثاني، اليوميات *EE-KK*)، ص.: 153جيّ جيّ 82 (1843).

9 *«أليس صحيحًا أيضًا هنا أنّ الشخص الذي يُباركه الله يلعنه في النَفَس ذاته؟»*: (خوف ورعشة)، ص. 57.

10 *«أول شيء تفعله الحياة الدينية هو أنها تغلق بابها وتتكلّم سرًا»*: (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الثاني: اليوميات *EE-KK*)، ص. 158: جيّ حيّ 96 (1843).

11 *«الجوهر غير متناسب مع المظهر*: م. س.، ص. 158: جيّ جيّ 96 (1843).

12 *«أجلسُ وأرهف السمع إلى الأصوات في كياني الداخلي»*: م. س.، ص. 159 - 160، جيّ جيّ 103 (1843)

13 *«بعد وفاتي، ما من أحد سيجد في أوراقي»*: م. س.، ص. 157: جيّ جيّ 95 (1843).

14 *«زيجات كثيرة جدًا تُخفي تواريخ صغيرة»*: م. س.، ص. 165: جيّ جيّ 115 (17 مايو 1843).

15 *«أحد [عيد الفصح] عند أنشودة»*: م. س.، ص. 161: جيّ جيّ 107 (أبريل 1843).

16 *«أبحروا إلى (غرينلاند)، إلى (أميركا الشمالية)، إلى الصين، إلى البرازيل»*: في أثناء طفولته، سمع كيركغارد قصصًا عن مُبشرين دنماركيين في (غرينلاند)؛ في 1841 كتب إلى إميل بويسين، الذي كان يُعاني من حبه لامرأة ما، «أدخل في زورقك نوع (كياك) (يقينًا إنكَ تعرف زوارق غرينلاند تلك)، إلبس زي السباحة، وغادر حالًا إلى محيط العالَم. غير أنّ تلك يقينًا ليست أغنية رعوية.

إن لم تكن قادرًا على نسيان حبيبتك، لا تقدر أن تكتب الشعر عنها، حسنًا إذًا، انصب الأشرعة كلّها» (س. كيركغارد، [*رسائل ووثائق*]، ص 103. پول مولر، معلم كيركغارد الأثير في مادة الفلسفة بـ (جامعة كوبنهاغن)، أبحر إلى الصين بعد خيبة أمل رومانسية. پيتر ڤيلهيلم لوند، شقيق زوجيْ شقيقتيْ (صهري) كيركغارد ذهب إلى البرازيل كي يدرس علم الأنواء، البيولوجيا وعلم الحيوان: أنظر (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الأول، اليوميات AA - DD*)، تحرير وترجمة نيلز يورغِن كاپيلورن، ألاستير هاناي، ديڤيد كانغاس، بروس أچ. كيرمسي، جورج پاتيسون، ڤانيسا رومبل وكيّ. بريان سوديركويست (مطبعة جامعة پرينستون، 2007)، ص. 319.

17 «*يغور في المياه الداكنة*»: (*رسائل ووثائق*)، ص. 93 - رسالة إلى إميل بويسين.

18 «*كل شيء يُزبِّد في داخلي*»: م. س.، ص. 122 - رسالة إلى إميل بويسين.

القسم الثاني

1 «*خُصصت لي من سنوات الطفولة حياةَ عذاب*»: س. كيركغارد، (*وجهة النظر*)، ص. 162.

الفصل الخامس

1 «*نسخة لها، ونسخة لي*»: أنظر (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الثالث: دفاتر الملحوظات 1 - 15*)، ص. 438: NB 15، 6 (أغسطس - نوفمبر 1849).

2 «*بُعد منسي في بيت ريفي يعود لكاهن*»: أنظر س. كيركغارد، (*وجهة النظر*)، ترجمة هوارد ڤ. هونغ وإدنا أچ. هونغ (مطبعة جامعة پرينستون، 2009)، ص. 157 (تدوين اليومية، 1847).

3 *ظلّ هنا كمستأجر*: كيركغارد وشقيقه پيتر كريستيان كيركغارد ورثا المنزل، 2 نيتورڤ، حين تُوفي أبوهما في 1838، وفي 1843، اشترى كيركغارد حصة شقيقه.

4 «*الذي أغواني بطريقة غريبة بكلّ معنى الكلمة*»:(*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الخامس: يوميات NB6 -NB19*)، ص. 144: NB7،114 (1848). في 1849 تذكر كيركغارد في يوميته أنه «منزلي هو سلواي، أن أمتلك منزلًا لطيفًا هو تشجيعي الأكبر»، أنظر (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد*،

المجلد السادس: اليوميات NB11-NB14)، ص. 234: 143 ،NB12(يوليو إلى سبتمبر 1849).

5 «*الحركة كلّها لن تمس الملوك على الإطلاق*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الخامس، اليوميات NB6-NB10*)، ص. 230: 42 ،NB9 (1849)).

6 «*شيءٌ بائس أن يكون عبقريًا في مدينة هي سوق تجاري*»: م. س. ص. 228: (NB9، 41 (1849).

7 *في صبيحة الحادي والعشرين من مارس 1848، تجمع آلاف الأشخاص*: هذا الملخص لـ «ثورة» الدنمارك المسالمة (والدائمة) مُستقاة من روايات أطول في بروس أج. كيرمسي، (*كيركغارد في دنمارك العصر الذهبي*)، (مطبعة جامعة أنديانا، 1990)، ص. 64-68، ويواكيم غارف (*سورين كيركغارد: سيرة ذاتية*)، ترجمة بروس كيرمسي (مطبعة جامعة پرينستون، 2005)، ص. 493 - 495.

8 «*الوزارة الجديدة تحتاج إلى حرب كي تبقى في السلطة*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الرابع: اليوميات NB-NB5*)، تحرير وترجمة نيلز يورغِن كاپيلورن، ألاستير هاناي، ديڤيد كانغاس، بروس أج. كيرمسي، جورج پاتيسون، ڤانيسا رومبل وكيّ. بريان سوديركويست (مطبعة جامعة پرينستون، 2011)، ص. 348: (1848) 123 ،NB4.

9 «*هناك كلّ شيء مهتاج*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الرابع، اليوميات NB-NB5*)، ص. 347 - 348، 118 (27 مارس 1848).

10 *يوجد ورق، وريش وحبر في كلّ غرفة*: أنظر نيلز يورغِن كاپيلرون، يواكيم غارف وجوني كوندروپ، (*صور مكتوبة: يوميات، دفاتر ملحوظات، كُتيبات، أوراق، نتف، وقصاصات صغيرة عائدة لسورين كيركغارد*)، ص. 112: هنا تايكو سـپانغ يستذكر «شقة كيركغارد الكبيرة الأنيقة المزوّدة بسلسلة من الغرف المؤثثة التي كانت تُدفأ وتُضاء في الشتاء، وكان يمشي فيها كثيرًا ذهابًا وإيابًا. بقدر ما تسعفني الذاكرة، في كلّ حجرة يوجد حبر، ريشة، وورق، كان يستعملها في أثناء تجواله كي يرتب رأيًا ما بواسطة كلمات سريعة قليلة أو رمز».

11 «*ثمة كلام كثير جدًا عن تبديد الحياة*»: س. كيركغارد (*المرض حتى الموت*)، ص. 26 - 27.

12 «*هل اليأس امتياز أم عيب؟*»: م. س.، ص. 14 – 15.

13 «*بالضبط مثلما يُحتمل أن يقول الطبيب*»: م. س.، ص. 22 14– «*أكبر الأخطار كلّها، خسارة النفس*»: م. س.، ص32 – 34.

15 «*تصوّر منزلا*»: م. س.، ص. 43.

16 «*في كثير من الأحيان الشخص اليائس ربما تكون لديه فكرة غامضة عن حالته هو*»: م. س.، ص. 48.

17 «*أحبُ بلادي*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الخامس: اليوميات NB6 – NB10*)، ص. 101: 18 – (1848) NB7، 41 «*ذلك الانتاج الضخم، العميق جدًا الذي يبدو لي كما لو أنه ينبغي أن يُحرّك الحجر*»: م. س.، ص. 95: (1848) NB7، 31.

19 «*كانت تشعر برضا خاص حين تضعهم بسلام في الفراش*»: (*لقاءات غير متوّقعة مع كيركغارد*)، ص. 153.

20 «*صبيًا مُدللًا وسيئ السلوك*»: م. س.، ص. 228. هذه الإشارة ذكرها ابن عم هانس بروشنر، الذي كان صديق كيركغارد منذ سنوات الدراسة الجامعية.

21 «*لم أعرف سعادة كوني طفلًا*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الخامس: اليوميات NB6–NB10*)، ص. 211: NB9، 8 (يناير أو فبراير 1849).

22 «*كانت بُنيته قوية*»: (*لقاءات غير متوّقعة مع كيركغارد*)، ص. 151: هذا من وصف هنرييته لوند لميخائيل پيدرسِن كيركغارد. أنظر أيضًا الوصوفات من قبل پيتر برون (م. س.، ص. 6) وفريدريك ويلدنغ (م. س.، ص. 7).

23 «*آه، كم هو مُخيف حين أفكر لحظةً بالخلفية الكئيبة لحياتي*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الخامس، اليوميات NB6 – NB10*)، ص. 166: NB8، 36 (نوفمبر أو كانون الأول 1848).

24 *كان يعتني بفناء كنيسة (churchyard) [كيركغارد]* الأبرشية: أنظر توركيلد أندرسِن، «Kierkegaard – Slægten og Sædding «*Hardsyssels Aarbog*، (1933) 27؛ مُقتبَس في الإنكليزية في كريستوفر بي. بارنيت، (*كيركغارد، التُقوية والقداسة*)، (أشغيت، 2011)، ص 47 – 48.

25 في نهاية القرن الثامن عشر جمع ثروة ضخمة: أنظر (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الأول، اليوميات AA – DD*)، ص. 533.

26 *هكذا عرف كيركغارد أباه دومًا*: أنظر (*لقاءات غير متوّقعة مع كيركغارد*)،

ص. 3 – من سيرة فريدريك هاميرسيش (وُلد العام 1809) الذاتية المكتوبة بقلمه (*Et Levnedsløb*)، المجلد الأول (Forlagsbureaet i، København، 1882)، ص 58 – 59.

27 «*شيءٌ يفتن اللب أن يسمعوا الرجل العجوز يتجادل مع الأبناء*»: أنظر (*لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد*)، ص. 137 – من رواية إيلين هيرامب بويسين، التي زارت أسرة كيركغارد مرارًا في شتاء 1833 – 1834.

28 *رؤية كيركغارد للعالَم كميدان معركة*: عن «الموسيقى العسكرية»، أنظر س. كيركغارد (*رسائل ووثائق*)، ص. 124 – رسالة إلى إميل بويسين، 16 يناير 1842؛ س. كيركغارد، (*إما/ أو*)، القسم الأول، ص. 349.

29 «*عندما لا أستطيع النوم، أستلقي وأتحدّث مع أولادي*»: أنظر (*لقاءات غير متوّقعة مع كيركغارد*)، ص. 6. هذه الرواية تأتي بطريقة غير مباشرة من پيتر مونثي برون (وُلد العام 1813)، نقلًا عن شخصين أو ثلاثة أشخاص متعاقبين.

30 *كان يقوم بالتسوق اليومي للأسرة هو نفسه*: م. س.، ص 3 – من سيرة فريدريك هامريش الذاتية المكتوبة بقلمه.

31 *كان مستقلًا بطبيعته ولا يُبالي بالقواعد الاجتماعية السائدة*: أنظر (*رسائل ووثائق*)، ص. 4 – 5 – تقرير كيركغارد المدرسي، كتبه مدير مدرسته ميخائيل نيلسِن.

32 «*لم يكن يكشف شخصيته بالطريقة التي يقوم بها الشبيبة عادةً*»: أنظر (*لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد*)، ص. 7 – من رسالة كتبها فريدريك ويلدنغ (وُلد العام 1811) إلى أج. پي. بارفود في ض 1869. فيما يتصل بالثياب التي كان يلبسها كيركغارد، أنظر (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الخامس: اليوميات NB6 – NB10*)، ص. 344: 153، NB10 (ربيع 1849).

33 «*يُغلّف حياته بوجود خارجي من الاستمتاع بالحياة والابتهاج*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الخامس: اليوميات NB6– NB10*)، ص. 259: 78، NB9 (1849)؛ ص. 166: 36، NB8 (شتاء 1848)؛ ص. 368 – 369: 191، NB10 (ربيع 1849).

34 «*جعل طفولتي عذابًا لا نظير له*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الرابع: اليوميات NB–NB5*)، ص 401 – 2: 68، NB5 (مايو إلى يوليو 1848).

35 «*اكتسبتُ قلقًا بالغًا حيال العقيدة المسيحية*»:(*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الخامس: اليوميات* NB6-*NB10*)، ص 166: 36 ،NB8 (شتاء 1848)؛ ص. 259: (1849) 78 ،NB9؛ ص 368 - 369: 191 ،NB10 (ربيع 1849).

36 «*إلا إنه تحت نمط [العباءة الريفية] العائد له أخفى خيالًا متقدًا*»: س. كيركغارد، (*شذرات فلسفية / يوهانِس كليماكوس، أو De omnibus dubitandum est*)، ص. 120. في هذه الفقرة من يوهانس *كليماكوس*، المصطلح الدنماركي *en enkelt Gang* - هنا تُرجم إلى «مرةً في كلّ حين» - يُمكن أن يعني أيضًا «في مناسبة واحدة». النزهة الواقعية مع أبيه جرت تقريبًا بشكل مؤكد أثناء طفولة كيركغارد على الأقل مرة واحدة، بما إنه يُشير إلى رحلة مُتخيّلة إلى (فريدريدكسبيرغ) في رسالة العام 1844 إلى زوجة شقيقه پيتر كريستيان هنرييته: أنظر (*رسائل ووثائق*)، ص. 174: «عادةً في طفولتي لم يكن يسمح لي أبي أن أمشي خارجًا إلى (فريدريكسبيرغ)، إلا إنني سرتُ معه يدًا بيد الأرض ذهابًا وإيابًا - إلى فريدريكسبيرغ». في رسالة العام 1847 إلى پيتر كريستيان، كتب كيركغارد «إنّ الشيء الغريب فيما يتعلّق بأبي هو أنّ أكثر ما يملكه، وهو أقل ما يُمكن أن نتوقعه، هو الخيال، مع إنه خيال كئيب... مع إنني قليلًا بخلاف ذلك اتفقت مع الأب، في آراء فردية كانت لدينا نقطة تماس جوهرية، وفي حوارات كهذه الأب مُعجَب بي على الدوام، إذ كان باستطاعتي أن أصف رأيًا ما بخيال حيوي وأتابعه باطراد جريء»: أنظر (*رسائل ووثائق*)، ص. 211.

37 (*الأسرة الغامضة*): (*يوميات ودفاتر ملحوظات، المجلد الثاني EE-KK*)، ص. 174: جيّ جيّ 147 (1843). من أجل تفسير فلسفي وسيكولوجي فاتن لتدوين يومية عن «الأسرة الغامضة»، أنظر جورج پاتيسون، «الأسرة الغامضة أو لماذا لم يكتب كيركغارد مسرحية: سؤال قديم مُراجَع» في (*كيركغارد وأزمة القرن التاسع عشر الدينية في أوروبا*)، ص. 187 - 201.

38 «*الذنب يجب أن يقع على الأسرة كلّها*»: (*يوميات وأوراق سورين كيركغارد: سيريذاتية، 1829 - 1848*)، 141: الورقة (1838) 806 ،A 805 II.

39 *نحن نتعلّم الحب أولًا*: ابنة شقيقة كيركغارد هنرييته لوند رأت مرةً وحدها إلى أيّ مدى كان كيركغارد يثمن القدرة على الحب: «ذات يوم، لمّا قابلتُ الخال سورين في شبابي المبكر، ضايقني من خلال كونه غير راغب في أن

أعترف بحقي في أن يكوّن لي رأي بشأن موضوع ما أو سواه هو شائع في الوقت الحالي. في النقاش الناتج عن ذلك، الذي حاولتُ فيه أن أُظهِر كرامتي ونضجي، كانت هنالك حجة واحدة استحوذت عليّ. قلتُ [نعم، لأني تعلّمتُ أن أقدّر الحب]. بتعبير مُتغيّر، وبنبرة صوت جادة، أجاب قائلًا: [تلك قضية أخرى. إذًا أنتِ على حق. إني أُدركُ الآن أنكَ قد كبرتِ!] لا أزال أتذكر ذلك. بدا كما لو أنه نزع قبعته وانحنى لي باحترام هائل»: (*لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد*)، ص. 170 - من هنرييته لوند، (*Eringringer Fra Hjemmet*)، (كوبنهاغن: غليدندال، 1909).

الفصل السادس

1 *لا، مهمة الشخص المسيحي هي أن يتبع يسوع المسيح، أن يُقلّده*: أنظر س. كيركغارد، (*تمرين في العقيدة المسيحية*)، ص. 201 - 232.

2 *ميخائيل پيدرسِن كيركغارد ساعد في توجيه الشؤون المالية لـ (الجماعة)... عُدّ واحدًا من أكثر أعضاء المجموعة إخلاصًا*: في رسالة مؤرخة في 28 أغسطس 1838 (بعد وفاة ميخائيل پيدرسِن كيركغارد بمدة قصيرة)، قائد (جماعة أخوان كوبنهاغن) كتب قائلًا، «جماعتنا تفقد فيه واحدًا من أكثر الأعضاء إخلاصًا، قلبًا وقالبًا على السواء... يقينًا أنه أنجز مهمته تمامًا بنحو جيد أكثر مما اعتقده الآخرون، الذين أعلنوه واعتبروه بخيلًا... أفتقد فيه أخًا مُخلصًا بالمعنى الحقيقي للكلمة، الذي كان يُخبرني في كلّ فرصة برأيه بصراحة، إنما بطريقة بسيطة للغاية، والذي في شؤون جماعتنا، التي شملها بمحبة استثنائية وبنحو جاد، أعطانا نصيحة حسنة على مدى أعوام طويلة». مُقتبسة في كريستوفر بي. بارنيت، (*كيركغارد، التقوية والقداسة*)، (أشغيت، 2011)، ص. 60 - 61.

3 «*نحن نعرف بأننا آثمون، كبيرٌ هو نقصنا وضعفنا*»: من خطاب كتبه جيّ. سي. ريوس، مُقتبس في بارنيت، (*كيركغارد، التقوية والقداسة*)، ص. 52.

4 «*حضور مينستر ألهم الإجلال*»: أنظر أندرو هاميلتون، (ستة عشر شهرًا في *الجُزر الدنماركية*)، الجزء الثاني (ريتشارد بينتلي، 1852)، ص. 187.

5 *مضى ميخائيل پيدرسين كيركغارد إلى مينستر من أجل الاعتراف والعشاء الرباني*: أنظر نيلز يورغِن كاپيلرون، Die ursprüngliche Unterbrechung، في (*الكتاب السنوي لدراسات كيركغارد*، 1996)، ص. 315 - 388.

6 *وهكذا مينستر هو الذي ثبت تعميد كيركغارد في كنيسة الثالوث*: في تثبيت عماد

كيركغارد في العام 1828 ووجهة نظره الناضجة للتثبيت، أنظر نيلز تولستروب، «التثبيت»، في (مفاهيم لاهوتية عند كيركغارد)، ص. 247 – 253.

يتذكر كيركغارد كيف أنّه، حين كان صبيًا، وَعَده أبوه بـ «ريكس - دولار» إذا ما تمكن من قراءة واحدة من هذه المواعظ الدينية بصوتٍ عالٍ له: أنظر (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الخامس، اليوميات *NB6*–*NB10*)، ص. 299: (1849) 59 ،NB10.

7 «*مكان العبادة المُطابق جدًا للطراز الحديث في كوبنهاغن*»: هاميلتون، (ستة عشر شهرًا في الجزر الدنماركية)، ص. 180.

8 في *1834*، عقب موت والد زوجته: توفي والد زوجة مينستر في 1830 وحلّ محلّه پيتر إراسموس مولر، ومن ثم حلّ مينستر محلّه في 1834.

9 *بالنسبة للوثر، كلماتٌ كهذه عبّرت عن اليقين الواضح بالخلاص*: أنظر ريتشارد ريكس، (صنع مارتن لوثر)، (مطبعة جامعة پرينستون، 2017)، فيما يخص تحليل اليقين في لاهوت لوثر.

10 *على الرغم من ذلك بالنسبة لكيركغارد إنها تضم أسئلة لا نهاية لها*: ناقش كيركغارد هذا المقطع الشعري من إنجيل متي مرارًا في تأليفه، في سبيل المثال، س. كيركغارد (حاشية ختامية غير علمية لنتف فلسفية)، ص. 361، 367، بالإضافة إلى س. كيركغارد، (خطابات مسيحية/ الأزمة وأزمة في حياة ممثلة).

11 «*إن الحقيقة التي مفادها أنّ الحُكم الإلهي يشمل كلّ ما يحدث على الأرض*: جَي. پي. مينستر، (*Betragtninger over de christelige Troesærdomme*) [*ملحوظات على مبادىء العقيدة المسيحية*])، الطبعة الثالثة، المجلد الأول (ديخمانز، 1846)، ص. 311؛ مُقتبسة في بروس أج. كيرمسي، (كيركغارد في عصر الدنمارك الذهبي)، ص. 107.

12 «*اليقين للشكاك، القوة للمكافح، الراحة للحزين*»: جَي. پي. مينستر، المجلد الثاني (الطبعة الثالثة، غلدينال، 1837)، ص. 403. من أجل مزيد من النقاش فيما يتعلّق بهذه الموعظة الدينية وردّ كيركغارد عليها، أنظر كريستيان فِنك تولستروپ، «[ممارسة لعبة مُنتهِكة للمُحرّمات مع أشياء مُقدّسة]: فهم مواجهة كيركغارد الحاسمة مع الأسقف مينستر»، في (تفسير كيركغارد العالَمي، المجلد العشرون: تمرين في العقيدة المسيحية)، ص. 245 – 274.

13 «*السعادة والبركة*»: مينستر (*paa alle Søn og Hellig-Dage i Aaret*

Prædikener)، ص 414 – 14 «مع إنه كان يمتلك البركة، كان أشبه بلعنة لكلّ فرد اقترب منه»: س. كيركغارد، (خطابات بناء في أمزجة عقلية متنوّعة)، ص 254.

15 «المسيحية أُخذت بلا جدوى، صُيّرت معتدلة جدًا»: أنظر (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الخامس، اليوميات NB6 – NB10)، ص. 57: NB6، 74 (يوليو أو أغسطس 1848).

16 كم هو مهدئ، كم هو مُريح - وا حسرتاه، وكم حجم الخطر في هذا الأمان!: (خطابات مسيحية)، ص. 163 – 165.

17 في المناسبة الأولى ألقى موعظة عن إنجيل متي 28: 11: هذه الموعظة الدينية الأولى لم تُوّثق، إلا إنها ربما جرت في 18 يونيو 1847. أنظر نيلز يورغِن كاپيلرون، «كيركغارد في العشاء الرباني يوم الجمعة في (كنيسة سيدتنا)»، ترجمة كي. بريان سودريكويست، في (تفسير كيركغارد العالَمي، المجلد الثامن عشر: من دون تفويض)، تحرير روبرت أيل. پيركنز (مطبعة جامعة ميرسر، 2007)، ص. 255 – 294.

18 «لا أعرف ما الذي يُزعجكَم تحديدًا»: (خطابات مسيحية)، ص. 266.

19 «مثل عازف ناي يُسلّي نفسه بنايه»: (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد التاسع، اليومياتNB26 – NB30)، ص. 419: 1854) NB30، 41).

20 «صوته الضعيف بنحو متزايد إنما المُعبّر بنحو مُذهِل»: پي. سي. زاهلي، ص. 9 – 10، مٌقتبس في كاپيلرون، «سورين كيركغارد في العشاء الرباني يوم الجمعة في [كنيسة سيدتنا]». يقترح كاپيلرون أنّ زاهلي لم يسمع موعظة كيركغارد الدينية الأولى في (Vor Frue Kirke)، ويعتقد أنه «في الأرجح سمع كيركغارد يعظ في (كنيسة الحِصن) في يوم الأحد الثامن عشر من مايو، 1851»، أنظر م. س.، –285 286.

21 «بنحو مكشوف أمام أعين الجميع، ومع ذلك سرًا، كغريب»: (خطابات مسيحية)، ص. 269 – 270. هذا من خطاب العشاء الرباني في الجمعة الثانية الذي وعظه كيركغارد في (Vor Frue Kirke)، في 27 أغسطس 184722

«حين يكون أبي في بالي أود إلى حدّ كبير أن أفعل هذا»: أنظر (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الرابع، اليومياتNB–NB5)، ص. 263: NB3، 36 (نوفمبر أو ديسمبر، 1847).

23 «لم يسبق له أن كان أقرب إلى التوقف عن كونه مؤلفًا»: أنظر (يوميات ودفاتر

ملحوظات كيركغارد، *المجلّد الخامس، اليوميات*:262 ،(*NB6 – NB10*
79(9 ،NB9 فبراير 1849): «التوقف عن أن أكون مؤلفًا كانت فكرة خطرت ببالي من أيامي المبكرة جدًا؛ كنتُ أقول دومًا إنه لا يزال هنالك حيز للمؤلف الذي يعرف متى يتوقف. في حقيقة الأمر، كنتُ فكرتُ أصلًا بالتوقف مبكرًا منذ (*إما/أو*). إلا إني لم أكن أقرب إلى التوّقف أكثر مما أنا عليه لدى نشر (*خطابات مسيحية*)، [في أبريل 1849]».

24 «*دعنا نُعبر عن إجلالنا للأسقف مينستر*»: أنظر (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الرابع، اليوميات NB – NB5*)، ص. 16:252 ،NB3.

25 *إنه يعتقد أنه، بالنسبة ليسوع المسيح، أن يُصبح كاهنًا أو ناسكًا هو الإغراء بعينه*: أنظر (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الرابع، اليوميات NB6 – NB10*)، ص. 164: 29 ،NB8.

26 *إنه يتساءل ما إذا يُريد يسوع المسيح أتباعه*: أنظر (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الرابع، اليوميات NB – NB5*)، ص. 377: 14 ،NB5 (مايو إلى يوليو 1848) – 27 «*رجلًا تعيسًا إلى حد كبير*»: أنظر (*تمرين في العقيدة المسيحية*)، ص. 275؛ (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الخامس، اليوميات NB6 – NB10*)، ص. 57: 74 ،NB6.

الفصل السابع

1 «*مع الأسف، كان عليّ بالأحرى أن أكتب ملفًا بدلًا من أن أنشر صفحة*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الخامس، اليوميات NB6–NB10*)، ص. 19: 24 ،NB6.

2 *هذه الممثلة «المعبودة» فهمت أنّ شهرتها «فارغة»*: س. كيركغارد (*خطابات مسيحية / الأزمة وأزمة في حياة ممثلة*)، ص. 304 – 305.

3 «*حين يتعلّق الأمر بما هو أنثوي*»: م. س..

4 *حين قدّمت لويزه پاتيجيس أداءها الأول بدور جولييت*: عن حياة يوهانه لويزه هيبيرغ وارتباطها بكيركغارد، أنظر كتالين نون، (*نساء عصر الدنمارك الذهبي: الأدب، المسرح وتحرير النساء من العبودية*)، (مطبعة متحف توسكولانوم، 2013)، ص. 62 – 84.

5 *أضحى شخصية مألوفة في مخزن كتب ريتزل*: أنظر نيلز تولستروب، (*كوبنهاغن كيركغارد*)، ص. 110 – 111: مُقتطَف مُترجم من أوتو ب. ڤروبليڤيسكي (*Ti*

(Aar i C.A. Reitzels Blogade [عشرة أعوام في مخزن كتب سي. أيّ. ريتزل] (1889). ڤروبليڤيسكي، بائع كتب في مخزن ريتزل من 1843 إلى 1853، استذكر أنّ «الشخصية الاستثنائية لسورين كيركغارد هي من النوع الذي لا ينساه المرء حتى ولو رآه مرةً واحدة لا غير – وحتى أنه من المُستبعَد أكثر أننا، نحن الذين كنا نراه باطراد في مخزن الكتب. لم يكن ودودًا جدًا. مع ريتزل، بالطبع، كان يتحدّث فقط عن مهنة الصحافة، ومعنا في مخزن الكتب كان يتحدّث فقط عن شراء الكتب. غير أنني، على أية حال، تأثرت بنحو غريب ببسمة ودية من العينين الزرقاوين العميقتين، الكئيبتين التي كان بوسعه أن ينظر بهما إلينا، نظرةٌ كانت أحيانًا تتضاعف بخط ساخر قريب من فمه لمّا تُسليه ملحوظةٌ ما».

6 *أخذ كتبه الجديدة، بأغلفتها الورقية الخالية من الزخرفة*: كثيرٌ من كتب كيركغارد المُقتناة هي الآن في (أرشيف كيركغارد) في (المكتبة الدنماركية المَلَكية) في كوبنهاغن. وصف مُصوّر بنحو جميل لكيركغارد بوصفه عاشقًا وجامعًا للكتب يُقدّم في نيلز يورغِن كاپيلرون، غيرت پوسيلت وبينت روهدي، (روزيندالز فورلاغ، 2002)، ص. 105 – 219. فيما يتصل بتفضيل كيركغارد لتجليد الكتب من قبل مولر، أنظر نيلز يورغِن كاپيلرون، يواكيم غارف وجوني كوندروپ، (*صور مكتوبة: يوميات، دفاتر ملحوظات، كُتيبات، أوراق، نتف، وقصاصات صغيرة عائدة لسورين كيركغارد*)، ترجمة بروس أج. كيرمسي، ص 163 – 164.

7 «*المناقش الداهية من الشمال*»: أنظر توركيلد سي. ليبي، «پيتر كريستيان كيركغارد: رجلٌ ذو إرث عائلي صعب»، في (*كيركغارد ومعاصروه الدنماركيون، الجزء الثاني: اللاهوت*)، ص. 189 – 209.

8 «*كلّ إنسان، الشاعر نوڤاليس حُثّ في العام 1798،[يجب أن يكون فنانًا]*»: نوڤاليس، [*الإيمان والحب*] (1798)، في (*Novalis Schriften*)، تحرير پول كلوكهون وريتشارد صموئيل، المجلد الثاني (كولهامر، 1981)، ص. 497. نوڤاليس هو الاسم المستعار لفريدريش ڤون هاردينبيرغ.

9 *الحياة الحديثة باتت «مُملة» و«لا دينَ لها»*: هنريك ستيفنز، (*Indledning til philospphiske* Forelesninger) [*مدخل إلى محاضرات فلسفية*] (غلدينداالز تراني – كلاسيكيري، 1968)، ص 6، 134 – 135، 143؛ مُقتبسة في بروس أج. كيرمسي، (*كيركغارد في عصر الدنمارك الذهبي*) (مطبعة جامعة أنديانا، 1990)، ص 82 – 84.

10 «*تطوير قابلية الإنسان على الإحساس*»: فريدريش شيللر، (مقالات)، تحرير والتر هنديرير ودانييل أو. دالستروم (كونتينوم، 1993)، ص. 107، 131 – 132.

11 «*شعورًا ليس شهوانيًا، بل روحانيٌ*»: فريدريش ڤون شليغل، (*حوار في الشعر والأمثال الأدبية*)، ترجمة إرنست بيهلر ورومان ستروك (مطبعة جامعة پينسلڤانيا الحكومية، 1968)، ص. 99.

12 «*الشعر غير الواعي الذي يتحرّك في النبات*»: م. س.، ص. 54.

13 «*شعورًا بتلك الكينونة الأبدية والمقدّسة*»: فريدريش شليرماخر، (*في الدين: أحاديث إلى مُحتقريه المُثقفين*)، ترجمة ريتشارد كروتر(مطبعة جامعة كمبردج، 1996)، ص. 3.

14 «*الاختفاء الهادئ للوجود التام للمرء في اللا متناهي*»: م. س.، ص. 23.

15 «*يجاهدون كي يُوقظوا البذرة الهاجعة الخاصة ببشرية أفضل*»: م. س.، ص. 7.

16 *كلّ شيء «موجود في الله»*: أنظر (*الأعمال المجموعة لسپينوزا، المجلد الأول*)، ترجمة إدوين كيورلي (مطبعة جامعة پرينستون، 1985)، ص. 424- 420 (*الأخلاق*، القسم الأول، الاقتراح الخامس عشر). يُوصَف سپينوزا بصورة أصح بكونه مؤمنًا بوحدة الوجود (كلّ شيء في الله) أكثر من كونه مؤمنًا بوحدة الوجود (كلّ شيء هو الله) - غير أنّ الإيمان بوحدة الوجود هو نسخة السپينوزية التي فهمها (الرومانسيون) فهمًا تامًا.

17 *أج. سي. أورستيد تابع بحثًا في«الروح في الطبيعة»*: هو عنوان مجموعة من أوراق أج. سي. أورستيد نُشرت قبيل وفاته مباشرةً في العام 1851. اكتشف هو الجاذبية الإلكترونية في 1820. فيما يتصل بعلاقة كيركغارد بـ أج. سي. أورستيد، أنظر بيارني ترويلسن، (*هانز كريستيان أورستيد: كيركغارد و[الروح في الطبيعة]*) في (*كيركغارد ومعاصروه الدنماركيون، الجزء الأول: الفلسفة، السياسة والنظرية الاجتماعية*)، ص. 215- 227.

18 *في 1833 أعلن بيانه الخاص*: أنظر كتاب هيبيرغ المعنون (*في أهمية الفلسفة للعصر الحاضر ونصوص أخرى*)، ترجمة وتحرير جون ستيوارت، الذي أعقب النقاش الأكاديمي الذي أثارته مقالة هيبيرغ.

19 *أستاذيه الجامعيين پول مولر وفريديريك كريستيان سيبيرن*: فيما يتعلّق بعلاقات كيركغارد بأستاذيْ الفلسفة المهمين هذين، أنظر ڤِن غريدال جينسِن، «پول مارتن مولر: كيركغارد وصديق سقراط الحميم»، وكارل هنريك كوخ،

«فريدريك كريستيان سيبيرن:[المفكر المحبوب، الاستثنائي، المستشار سيبيرن] و[سيبيرن بطرس البسيط، السياسي]» - كلاهما في (*كيركغارد ومعاصروه الدنماركيون، الجزء الأول*)، ص. 101 - 167 و229 - 260.

20 *أستاذًا «عصيًا على النسيان»*: في مذكراته، هانس لاسين مارتينسِن يتذكر، «پول مولر العبقري، العصيّ على النسيان، الذي نرنو إليه بإعجاب، والذي، من دون أن يحاول، فرض تأثيرًا مثمرًا علينًا» في *Af mit Levnet* [من حياتي]، المجلد الأول، (غيلدندال، 1882)، ص. 16.

21 *وحين استودعت «غضبها العميق» حيال الكيفية التي «أساء فيها كيركغارد معاملة روحها»*: أنظر (*لقاءات غير متوّقعة مع كيركغارد*)، ص. 213 - 216.

22 *«حماسة شبابي»*: س. كيركغارد (*مفهوم القلق*)، ترجمة ريدار ثومته (مطبعة جامعة پرينستون، 1981)، ص. 178.

23 *كتب إلى ريجينه عن «جني الخاتم» الساكن في داخله*: أنظر س. كيركغارد (*رسائل ووثائق*)، ص. 66 - رسالة إلى ريجينه أولسِن، 28 أكتوبر 1840. فيما يتصل بعلاقة كيركغارد بأولينشلاغر، أنظر بيارنه ترولسِن، «آدم أولينشلاغر: كيركغارد وصيّاد كنز الحدس» في (*كيركغارد ومعاصروه الدنماركيون، الجزء الثالث: الأدب، الدراما وعلم الجمال*)، ص. 255 - 271. فيما يتعلّق بشخصية علاء الدين في كتابة كيركغارد، أنظر جنيڤر ڤينينغا، «علاء الدين: وقاحة الرغبات الأكثر جموحًا»، في كتالين نون وجون ستيوارت (تحرير)، (*شخصيات وموضوعات كيركغارد الأدبية، الجزء الأول، أجا ممنون إلى غواداالكويڤر*) (أشغيت، 2014)، ص. 31 - 40.

24 *«لم يحصل في حياتها قط أن رأت إنسانًا مُصابًا بحزن شديد»*: (*لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد*)، ص. 196، من سيرة مارتينسِن التي كتبها بقلمه (*Af mit Levnet*)، المجلد الأول، ص. 79.

25 *وفي يوم من الأيام جرّب كيركغارد هذه «الحماسة الفتية، الرومانسية»*: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الأول: اليوميات AA - DD*)، ص. 128 - 130: BB 42 (1837).

26 *«شاهدتُ البحر وهو ينقلب أزرق - رماديًا»*: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الأول: اليوميات AA - DD*)، ص. 7 - 8: AA 4 (1835).

27 *«لأنه كان باستطاعتي أن أوفره، وكانت هي تحتاجه»*: م. س.، ص. 9: AA 7

25) يوليو 1835) – 28 «*أجراس الكنائس تدعو إلى الصلاة*»: م. س.، ص. 12: AA 7، (يوليو 1835).

29 لا يزال في شخصية شاعر رومانسي، كيركغارد يذهب في مسيرة راجلة مسائية: أنظر م. س.، ص. 29 (AA 6: 9 يوليو، 1835).

30 «*كنتُ أقف هناك عادةً وأتأمل حياتي الماضية*»: م. س.، ص. 9 – 10: (AA 6 29 يوليو 1835)؛ الاقتباس مُختَصر.

31 «*ما أحتاج إليه فعلًا هو أن أكون واضحًا فيما يتصل بـ [ماذا ينبغي لي أن أفعل]*»: م. س.، ص. 19 – 20: (1835) AA 12؛ الاقتباس مُختَصر.

32 كشف كيركغارد ثيمات من أسطورة فاوست القديمة: فيما يتعلق باهتمام كيركغارد بفاوست، أنظر ليوناردو أف. ليسي، «فاوست: إغواء الشك»، في نون وستيوارت (تحرير)، (*شخصيات ومواضيع كيركغارد الأدبية، الجزء الأول*)، ص. 209 -- 210.

33 «*النسبية التعيسة في كلّ شيء*»: (*يوميات كيركغارد ودفاتر ملحوظاته، المجلد الأول: اليوميات DD – AA*)، ص. 223؛ 14) DD 30 يوليو 1837).

34 «*سورين في أيامنا هذه ربما أكثر من أيّ وقت مضى مُرهَق بالتأمل*»: أنظر (*لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد*)، ص. 142 – -143 من يوميات بي. سي. كيركغارد، أغسطس 1837.

35 «*إن لم يكن الكاتب يمتلك ذخيرةً ضخمة من الأفكار ولا هو دؤوبٌ*»: (*خطابات مسيحية / الأزمة وأزمة في حياة ممثلة*)، ص. 316.

الفصل الثامن

1 *لا يُريد أن يعتقد الناس أنه بدأ بوصفه متذوّقًا جريئًا للجمال، وبعدها أصبح كاتبًا دينيًا*: أنظر (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الخامس: اليوميات NB 10 –NB6*)، ص. 17 – 18: NB6، 24، ص 45 – 46: NB6، 64؛ ص. 56 – 57؛ NB6، 74، 75؛ ص. 66: NB6، 87.

2 *يحاول أن يواسي نفسه بفكرة صداقة ووفاء راسموس نيلسِن*: من أجل موجز ممتاز لعلاقة كيركغارد المعقدة مع نيلسِن، أنظر جون ستيوارت، (راسموس نيلسِن: من موضع «قلق استثنائي» إلى «متبجح»، في (*كيركغارد ومعاصروه الدنماركيون، الجزء الأول: الفلسفة، السياسة والنظرية الاجتماعية*)، ص. 179 - 213.

3 «*غير أنّ أسوأ شيء يتعلّق بهذا هو إني تمكنتُ من أن أجعل القضية مشوّشة للغاية في الفكرة*»: (*يوميات ودفاتر، المجلد الخامس: اليوميات – NB10 NB6*)، ص. 24: NB6، 28 (يوليو أو أغسطس 1848).

4 «*إنها فكرةٌ تُريد أن تجعلني استثنائيا*»: م. س.، ص. 19: NB6، 24.

أورلا ليمان: في علاقة كيركغارد بليمان، أنظر جولي. كّيّ. ألين، «أورلا ليمان: الصديق السياسي الوفي لكيركغارد»، في (*كيركغارد ومعاصروه الدنماركيون، الجزء الأول*)، ص 85 – 100.

5 «*الفلسفة الحديثة هي احتمالية بنحو خالص*»:(*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الخامس، اليوميات*DD – *AA*)، ص. 230: 51 ،DD (سبتمبر 1837)، ص. 232: DD، 62 (السابع من أكتوبر1837).

6 *كان يبحث عن مشروع جديد*: أنظر م. س.، ص. 231: 20) 55 ،DD سبتمبر 1837)، ص. 232: 25) 58 ،DD سبتمبر 1837)، ص 240 – 241: 87، ،DD 7) 90 إلى 10 ديسمبر 1837).

7 «*السبب الذي يجعلّني أُفضّل كثيرًا الخريف على الربيع*»: م. س. ص. 236: 29) DD، 74 أكتوبر 1837).

8 «*مجددًا مرّ وقتٌ طويل جدًا*»: م. س.، ص. 243: DD، 96 (أبريل 1838).

9 *رواية هانز كريستيان أندرسن الجديدة*: الرواية الأدبية كانت لا تزال نوعًا جديدًا نسبيًا في الدنمارك في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، وأج. سي. أندرسِن كان واحدًا من الكتاب القلائل الذين – بتشجيع من نجاح ترجمات روايات والتر سكوت التاريخية – حاولوا أن يُجرّبوا أيديهم في كتابة القصة النثرية. فيما يتصل بعلاقة كيركغارد بأندرسِن، أنظر لونه كولدتوفت، «هانس كريستيان أندرسِن: أندرسِن كان مجرّد استثناء»، في (*كيركغارد ومعاصروه الدنماركيون، الجزء الثالث: الأدب، الدراما وعلم الجمال*)، (أشغيت، 2009)، ص. 1 – 32.

10 *النثر ثقيل الوطأة، المعقد*: صديق كيركغارد في المدرسة أج. بي. هولست وصف تاليًا أسلوب كيركغارد النثري بكونه «لاتينيًا – دنماركيًا» مليئًا بأسماء الفاعل والجمل المعقدة، وزعم أنه ساعد كيركغارد على إعادة كتابة مراجعة لـ (*عازف كمان فقط*): أنظر س. كيركغارد، (*كتابات جدلية مبكرة*)، تحرير وترجمة جوليا واتكين ص. xxxi.

11 «توفي أبي يوم الأربعاء، الثامن من الشهر الجاري، في الساعة الثانية صباحًا»: (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الأول: اليوميات AA–DD)، ص. 249: 11) DD، 126 أغسطس 1838).

12 «آراؤنا تختلف تقريبًا على الدوام ونحن أبدًا في نزاع»: (كتابات جدلية مبكرة)، ص. 55.

13 «إنكَ تعرف حق المعرفة، قال، أني أعتبرُ تأليف الكتب أكثر الأشياء سخافةً التي يُمكن أن يفعلها المرء»: م. س.، ص. 57.

14 «بيضة تحتاج إلى الدفء»: م. س.، ص. 81.

15 «ذلك أنّ العبقرية ليست شمعة السمّار التي تنطفئ في هبّة هواء»: م. س.، ص. 88 – 16 «الـ[رؤية للحياة] هي أكثر من تجربة»: م. س.، ص. 76.

17 «فقط هذا الشخصية الميتة والمتغيّرة»: م. س.، ص. 75 – 85.

18 وجده «صعب القراءة بأسلوبه الهيجلي العسير»: أنظر (لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد)، ص. 28.

19 «فردًا أحبطه العالَم»: أنظر (كتابات جدلية مبكرة)، ص. 202 – 204.

20 «مواعظ كيركغارد قد حُكِم عليها بأنها»: أنظر س. كيركغارد، (رسائل ووثائق)، ص. 19 – 20 – من تسجيلات (المعهد اللاهوتي الرعوي)، فصل الشتاء الدراسي 1840/ 1841. عن المعهد اللاهوتي الرعاوي وزمن كيركغارد هناك، أنظر نيلز تولستروپ وماري ميكلوڤا تولستروپ، (كيركغارد والكنيسة في الدنمارك)، ترجمة فريدريك أچ. كراير (ريتزل، 1984)، 107 – 111.

21 ركّز هو انتقاده لـ (الرومانسية) في رواية ڤون شليغل التجريبية: في تحليل كيركغارد لـ (لوسينده)، أنظر فيرناندو مانويل فيريرا دِي سيلڤا، لوسينده: [كي تحيا بصورة شاعرية هو أن تحيا بلا نهاية]، أو (مفهوم كيركغارد للسخرية كما وُصِف في تحليله لعمل فريدريش شليغل)، في كتالين نون وجون ستيوارت (تحرير)، (شذرات وموضوعات أدبية عائدة لكيركغارد، الجزء الثاني: غوليفر إلى زيرلينا)، (أشغيت، 2015)، ص. 75 – 83.

22 «مثلما يؤكد العلماء قائلين إنه لا يُمكن أن تكون هنالك حياة بشرية أصيلة من دون شك»: س. كيركغارد، (مفهوم السخرية مع إشارة مستمرة إلى سقراط)، ص. 326.

23 مُمتحنو كيركغارد: أنظر (لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد)، ص. 29 – 32 – من أرشيف (جامعة كوبنهاغن).

24 شهادة الماجستير: شهادات «الماجستير» الدنماركية أصبحت شهادات دكتوراه في ثمانينيات القرن التاسع عشر.
25 «الشيء الوحيد الذي أستطيع أن أقوله إني أفتقده بين الحين والآخر هو (مؤتمراتنا)»: (رسائل ووثائق)، ص. 102 - رسالة إلى إميل بويسين، 14 ديسمبر 1841.
26 «أنا لم أحوّلها إلى موضوع شاعري»: ص. 93 - رسالة إلى إميل بويسين.
27 «في أثناء هذه الأحداث الحديثة تلّقت روحي تعميدًا مطلوبًا»: م. س.، ص. 93 - رسالة إلى إميل بويسين، 16 نوفمبر 1841.
28 «سواء أكانت روحي مغرورةً جدًا أو عظيمةً جدًا»: ص. 95 - رسالة إلى إميل بويسين.
29 بعث إلى هنرييته رسالة عذبة، مُضحكة: م. س.، ص. 100 - 101 - رسالة إلى هنرييته لوند، 13 ديسمبر 1841.
30 «مسألة أنّ أسرتها تكرهني هي شيء جيد»: م. س.، ص. 102 - رسالة إلى إميل بويسين.
31 في رسالته إلى سيبيرن أصبح طالبًا جامعيًا مُجتهدًا، مُراعيًا: (رسائل ووثائق)، ص. 106 - رسالة إلى أف. سي. سيبيرن، 15 ديسمبر 1841.
32 الكلاب الضخمة التي تجرّ المركبات التي تنقل الحليب: م. س.، ص. 99 - رسالة إلى كارل لوند، 8 ديسمبر 1841.
33 تلّقىّ ڤيلهيلم، ذو الأعوام العشرة، رسالةً أنيقة: م. س.، ص. 110 - رسالة إلى ڤيلهيلم لوند، خريف 1841.
34 «حاولنا بالأخص أن نُبهِج أنفسنا»: م. س.، ص. 111 - رسالة إلى ميخائيل لوند، 28 ديسمبر 1841.
35 «فقط أكتب بحرية عن كلّ ما يجري لك»: ص. 112 - 113، رسالة إلى كارل لوند.
36 «إني أمسك بحياتي بنحو شاعريّ في يدي»: م، س.، ص. 121 - 122 - رسالة إلى إميل بويسين، 16 يناير 1842.
37 «برد، بعض الأرق، أعصاب مُنهَكة»: ص. 134 - 135 - رسالة إلى إميل بويسين.
38 «عزيزي إميل، شيلنغ يتكلّم هراءً لا نهائيًا»: ص. 139.

39 «أخذني هاجسٌ غير قابل للتفسير إلى هناك»: (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الخامس، اليوميات – NB 10 NB6)، ص. 83: 10 ،NB7 (أغسطس 1848).

40 «لقد ترعرعتُ وتطوّرتُ في أثناء عملي»: ص. 48 – 49، 56: 74 ،NB6، 66.

41 «كم مرة حدث لي ما يحدث لي الآن تحديدًا مرةً أخرى؟»: ص. 47: 65 ،NB6.

الفصل التاسع

1 «كم مرة حدث لي ما يحدث لي الآن تحديدًا مرةً أخرى؟»: م. س.، ص. 47: NB6، 65.

2 «الآن أرى طريقي صوب الكتابة»: (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الخامس: اليوميات(NB6 – NB10)، ص. 85: 13 ،NB7.

3 «المسيحية ليست عقيدة»:(يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الخامس: اليوميات NB6 – NB10)، ص. 39: 56 ،NB 6.

4 «سائر البشر قريبون بالتساوي من الله»: م. س.، ص. 45، 63 ،NB6.

5 «أُجبرُ شخصًا ما على رأيّ معين، على قناعة معينة، على معتقد معين – في الأبدية كلّها، هذا الشيء لا يُمكنني القيام به»: (وجهة النظر)، ص. 47، 52، 50.

6 القارئ من النوع الذي «يعتقد أنه مسيحي»: م. س.، ص. 54.

7 «ما من شيء يتطلّب معالجةً لطيفة كإزالة وَهَم ما»: م. س.، 43.

8 «ألا يفهموا المسيحية، بل أن يفهموا أنهم لا يستطيعون أن يفهموها»: (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الخامس: اليوميات NB6–NB10)، ص. 70، 93، NB6.

9 «المرء لا يبدأ مباشرة بما يرغب أن يتواصل معه»: (وجهة النظر)، ص. 54.

10 «بوسع المرء أن يخدع إنسانًا خارج ما هو حقيقي»: م. س.، ص. 53.

11 «العالَم يمتلك آلاف المراوغات والأوهام»: (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الخامس، اليوميات NB6–NB10)، ص. 45: 63 ،NB6.

12 «الحياة ليست رواية رومانسية»: س. كيركغارد، (إما/ أو)، القسم الأول، ص. 45.

13 «تتزوّج أو لا تتزوج، سوف تندم في كلتا الحالتين»: م. س.، ص. 38 – 39.

14 «كنتُ أجلس عادةً بجوار جدول صغير جارٍ»: س. كيركغارد، (إما/ أو)، القسم الثاني، ص. 144.

15 «جدّية الروح... سوف تفوتك أعظم الأشياء»: م. س.، ص. 6، 168.

16 «*الكتابة في أعقاب نضال ثوري طويل في هاييتي*»: أنظر سوزان بَك - مورس، (هيجل، هاييتي، *والتاريخ الشامل*) (مطبعة جامعة پتسبورغ، 2009).

17 «*عقلي يهدر مثل بحر هائج في عواصف الوجد*»: (*أما/ أو*)، القسم الأول، ص.324 - 325.

18 «*أمضي إلى هناك في أيام السبت كي أهيئ موعظتي الدينية، وكلّ شيء يتوّسع أمامي*»: (*إما/ أو*)، القسم الثاني، ص. 338.

19 *ثمة شخص فعال آخر ألا وهو هنريك نيكولاي كلاوسِن*: عن أج. أن. كلاوسِن وعلاقة كيركغارد به، أنظر هوغ أس. پيپر، «هنريك نيكولاي كلاوسِن: صوت العقلانية المُهذبة»، في (*كيركغارد ومعاصروه الدنماركيون، الجزء الثاني: اللاهوت*)، تحرير جون ستيوارت (أشغيت، 2009)، 41 - 48.

20 «*غرونتڤيج ينظر إلى تطوّر الفهم المسيحي*»: (*يوميات وأوراق سورين كيركغارد: مادة سيرذاتية -1829 1848*)، تحرير وترجمة هوارد ڤ. هونغ وإدنا أج. وبمساعدة من غريغور مالانتشوك (بلوومنغتون، مطبعة جامعة أنديانا، 1978)، ص. 19، ورقة. A 1.

21 *يرشح نفسه إلى انتخابات (الهيئة الدستورية) للدنمارك*: في أكتوبر 1848 غرونتڤيج فاز بمقعد في (الهيئة الدستورية) الدنماريكية، حيث جلس بجانب خصمه القديم كلاوسِن، الذي كان من الأعضاء غير المُنتخَبين في (الهيئة) وقد عُيّن من قبل (التاج). فيما يتصل بعلاقة كيركغارد بغرونتڤيج، أنظر أنديرس هولم (نيكولاي فريدريك سيڤيرين غرونتڤيج: «العملاق منقطع التظير» في (*كيركغارد ومعاصروه الدنماركيون، الجزء الثاني*)، ص. 95 - 151.

22 «*مرةً في كلّ حين يظهر مُناصر مُتدّين*»: (*وجهة النظر*)، ص. 47، 42.

23 «*قد لا يمتلك صوتي قوةً وحماسة كافيتين كي يتغلغل إلى فكرك الأعمق*»: (*إما/ أو*) القسم الثاني، ص.354.

24 «*يتعين على المرء أن يتخيّل كيف يكون الحال حين يجعل الجريدة جاهزة*»: (*لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد*)، ص 56 - هذا من هوثر پلوغ، ابن وكاتب سيرة كارل پلوغ: أنظر (*Carl Ploug. Hans Liv og Gerning*)، المجلد الأول (1813 - 1848)، ص. 110 ف ف. فيما يتصل بعلاقة كيركغارد بجيودڤاد، أنظر أندريا سكاراموتشيا، «جينس فينستين جيودڤاد: صديق لطيف وصحافي جدير بالازدراء»، في (*كيركغارد ومعاصروه الدنماركيون، الجزء الأول: الفلسفة، السياسة والنظرية الاجتماعية*)، تحرير. جون ستيوارت، ص. 13 - 33.

25 «*لا أعتقد أنّ كتابًا أحدث فتنةً كهذه*»: أنظر (*لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد*)، ص. 57 – 58.

26 «*ثمة كثيرٌ مما يجب أن ننساه*»: أنظر س. كيركغارد، (*خطابات عند العشاء الرباني في أيام الجُمع*)، ترجمة سيلفيا والش (مطبعة جامعة أنديانا، 2011)، ص. 119ف – 27 «*مُستمعي، أنتَ، الذي يتوّجه إليه خطابي!*»: م. س.، ص. 125 ف.

الفصل العاشر

1 «*لمّا يبذل البحر بأسه كلّه*»: س. كيركفارد، (*المرض حتى الموت*)، تحرير وترجمة هوارد ڤ. هونغ وإدنا أج. هونغ (مطبعة جامعة پرينستون، 1983)، ص. 82، وأنظر أيضًا ص. 14، 49، 131؛ س. كيركغارد (*ثمانية عشر خطاب بناء*)، (جامعة پرينستون، 1992)، ص. 399؛ س. كيركغارد (*خطابات بناء في أمزجة مختلفة*)، (جامعة پرينستون،2009)، ص. 121.

2 «*استأجر شقة أخرى*»*راقية وغالية الثمن*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الخامس، اليوميات*(*NB6–NB10*)، ص. 144 – 114:145 ،NB7 (سبتمبر إلى نوفمبر 1848)؛ أنظر أيضًا ص. 450 – 451.

3 «*حين يستبدل كلّ أثاث المدينة الأحياء السكنية*»: أنظر أندرو هاميلتون، (*ستة عشر شهرًا في الجزر الدنماركية*)، المجلد الثاني (ريتشارد بينتلي، 1852)، ص. 170.

4 «*هنا، أيضًا، (القضاء) أتى لمساعدتي*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الخامس*، يوميات(*NB6–NB10*)، ص. 145: 114 ،NB7 (سبتمبر إلى تشرين الثاني 1848).

5 «*الأهم يبدو عادةً جد غير ضروري*»: س. كيركغارد، (*وجهة النظر*)، (مطبعة جامعة پرينستون، 2009)، ص. 36 – 37.

6 *ذلك الشخص الوحيد*: م. س.، ص. 37، 69.

7 پي. جِي. فيليپسين، *الذي كان يُدير مخزن كتب ودار نشر حديثين إلى حدّ ما*: (*كوبنهاغن كيركغارد*)، تحرير ماري ميكلوڤا تولستروپ، ترجمة روث ماتش – زاغال (ريتزل، 1981)، ص. 50 – 51. فيليپسين نشر بحث كيركغارد الأكاديمي (*في مفهوم السخرية مع إشارة مستمرة إلى سقراط*) في 1841، وخمس مجموعات من خطابات كيركغارد خلال أربعينيات القرن التاسع عشر.

8 *إحدى الموعظتين الدينيتين في «ترّقب الإيمان»*: استند إلى الرسالة الإنجيلية

إلى الغالاتيين 3: 23 – النهاية، و«كلّ هدية جيدة ونموذجية» عن جيمس 1: 17 – 22. أنظر (ثمانية عشر خطاب بناء)، ص. 1 – 48.

9 «*ذلك الشخص الوحيد الذي أسميه بفرح وعرفان بالجميل قارئي*»: م. س.، ص. 5.

10 «*شيءٌ غريب بكلّ معنى الكلمة. قررتُ أن أغيّر تلك المقدّمة الصغيرة*»: جيّ جيّ 93 (أبريل 1843).

11 «*لديّ غرفة تطلّ على الماء*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الثاني، اليوميات EE–KK*)، ص. 162: جيّ جيّ 109 (10 مايو 1843).

12 «*إلا إنّ صاحب المبنى السكني تزوّج ولهذا أنا أعيش كالناسك*»: س. كميركغارد (*رسائل ووثائق*)، ص. 151 – 152 – رسالة إلى إميل بويسين، 15 مايو 1843.

13 *منذ افتراقهما كان يصلّي لها يوميًا، عادة مرتين في اليوم*: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الثالث، دفاتر الملحوظات 1 – 15*)، ص. 435: NB 15، 4 (أغسطس إلى نوفمبر 1849).

14 «*قهوة أفضل من تلك التي في كوبنهاغن، جرائد أكثر، خدمة ممتازة*»: س. كيركغارد، (*رسائل ووثائق*)، ص. 97 – رسالة إلى بي. جيّ. سپانغ، 18 نوفمبر 1841.

15 «*عندما لا يمتلك المرء أيّ وظيفة مُحدّدة في الحياة مثلما لا أملك*»: م. س.، ص. –151 رسالة إلى إميل بويسين، 15 مايو 1843.

16 *استعمل دفتر ملحوظات، حمل رقعة «فيلوسوفيكا»*: هذا (دفتر الملحوظات 13)، الذي يبدو أنه يؤرخ من ديسمبر 1842، مع إنه في 1846 أضاف كيركغارد ملحوظات عن سپينوزا؛ أنظر (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الثالث: الملحوظات: 1 – 15*)، ص. 731 – 739. الملحوظات من كتاب تينيمان المعنون *(Geschichte der Philosophie)* تستمر في (دفتر الملحوظات 14) (أنظر م. س.، ص.767 – 768)، التي تؤرخ من الشهور الأولى لعام 1843، وفي اليومية جيّ جيّ أنظر(*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الثاني: اليوميات EE– KK*)، ص. 453 – 466، جزء منها كُتب في أثناء ربيع 1843.

17 «*سلسلة من الأسئلة غير المحلولة*»: أنظر (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الثالث: الملحوظات 1 – 15*)، ص. 409 – 411.

18 «*سر الوجود كلّه: الحركة*»: م. س.، ص. 307: 34 ،NB13.

19 *يده الصغيرة، المائلة*: كانت كتابة يد كيركغارد مختلفة بصورة استثنائية: تغيرت ليس فقط على مَرّ الأعوام، بل حتى في سياق نصوص منفردة. أناليز غاردي يزوّدنا بتحليل شخص متخصص بدراسة الخط بوصفه تعبيرًا عن شخصية الكاتب لخط يد كيركغارد (باللغة الدنماركية، مع موجز إنكليزي وبعض النماذج الشيّقة)، في «Grafologiskundersøgeelse af Søren Kierkegaards håndskrift I årene 1831 – 1855)، (*Kierkegaadiana*)، 10)، (1977)، ص. 200 – 238.

20 «*مسألة التكرار سوف تلعب دورًا مهمّا للغاية في الفلسفة الحديثة*»: س. كيركغارد، (*خوف ورعشة / التكرار*)، ص. 131، 148.

21 *النفق الجديد تحت (التايمز)*: النفق الأول تحت نهر (التايمز) فُتح في 25 مايو 1843، قبل أن يغادر كيركغارد برلين مباشرة.

22 «*إحتمال ومعنى التكرار*»: (*خوف ورعشة / التكرار*)، ص.150.

23 (*جيندرمين ماركت*) *هي يقينًا أجمل ساحة في برلين*: م. س.، ص.151 – 152.

24 «*ذهني عقيم، خيالي المضطرب يستحضر باستمرار*»: م. س.، ص. 169 – 170.

25 «*مظهره الوسيم، عيناه الكبيرتان البراقتان، وسيماؤه الوقحة*»: م. س.، ص. 133 – 135.

26 «*من الجليّ أنه سوف يكون تعيسًا*»: م. س.، ص. 136.

27 «*إبداعٌ شاعري استيقظ فيه*»: م. س.، ص. 137 – 138.

28 «*أن تحوّل نفسك إلى شخصٍ حقير*»: م. س.، ص. 142.

29 «*لأنه لا يوجد أثرٌ من أيّ شيء مُثير فعلًا*»: القسم الأول من هذه الفقرة أُلغي من حاشية المخطوطة، ولم تدخل في النسخة المطبوعة. أنظر م. س.، ص. 184، 277.

30 «*إذا ما تكلّمنا من الناحية الإنسانية كنتُ مُنصِفًا معها*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الثاني: اليوميات EE–KK*)، ص. 164– 165: جيّ جي 115 (17 مايو 1843).

31 «*مضطربًا بكلّ معنى الكلمة، مثل شخص مُصاب بالكآبة*»: (*خوف ورعشة / التكرار*)، ص. 180.

32 «*لم أعد قادرًا على تحمّل المزيد. كياني كلّه يصرخ بتناقض الذات*»: (*خوف ورعشة / التكرار*)، ص. 201.

33 «اجعلني مناسبًا حتى أكون زوجًا»: م. س.، ص. 214.

34 في ذلك العام أشار في يومياته إلى ملاحظة سقراط «الرائعة للغاية»: أنظر (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الثاني: اليوميات *EE- KK*)، ص. 169: جَيّ جَيّ 131 (1843).

35 «الشيء الرئيس هو أنّ يكون المرء صريحًا فعلًا مع الله»: م. س.، ص. 171: جيّ جي 141 (1843) - الكاتبة.

36 «لأني بخلاف ذلك سأموت»: (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الخامس: اليوميات *NB6 – NB10*)، ص. 189: 87 ،NB8 (نوفمبر أو ديسمبر 1848).

37 «مُطنبة للغاية بالنسبة لي»: م. س.، ص. 25: 29 ،NB6 (يوليو أو أغسطس 1848).

الفصل الحادي عشر

1 «لا أزال مُنهَكًا جدًا، إلا إنني أكاد أصل إلى هدفي»: (يوميات ودفاتر، المجلّد الخامس، اليوميات*NB6–NB10*)، ص. 98: 36 ،NB7 (أغسطس إلى نوفمبر 1848).

2 «بعد أن أصبحتُ مؤلفًا، في الحقيقة لم يسبق لي أن خبرتُ مرةً واحدة»: س. كيركغارد، (وجهة النظر)، ص. 75.

3 «عندئذ أغدو هادئًا تمامًا»: م. س.، ص. -71 73.

4 «العالَم، إن لم يكن شريرًا، فهو متوسط القيمة... هذه الإنسانية»: م. س.، ص. 71 – 72، 88.

5 «كانت خطتي حالما يُنشر (إما/ أو)»: م. س.، ص. 162.

6 «فهمتُ أن مهمتي هي أن أنفذ الكفارة: م. س.، ص. 162.

7 أحسَّ بـ «حاجة مُلّحة» إلى الكفارة: م. س.، ص. أنظر (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الرابع، يوميات(NB–NB5)، ص. 139 – 140: NB 2، 9 (1847).

8 «هذه هي الطريقة التي أخدم فيها العقيدة المسيحية»: (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الخامس، يوميات(*NB6–NB10*)، ص. 44: 62 ،NB6 (يوليو أو أغسطس 1848).

9 «أظهرتُ للفتاة ثقتي فيها»: (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد

الثاني، *اليوميات EE– KK*)، تحرير وترجمة نيلز يورغِن كاپيلورن، ألاستير هاناي، ديڤيد كانغاس، بروس أچ. كيرمسي، جورج پاتيسون، جويل دي. أس راسموسين، ڤانيسا رومبل وكيّ. بريان سوديركويست (مطبعة جامعة پرينستون، 2008)، ص. 174: جيّ جيّ 145 (1843). التدوين سُبر غوره من قبل باحثين حديثين مستعملين مِجهرًا.

10 «*فردٌ يمتاز بروح الفكاهة يلتقي فتاة*»: م. س.، ص. 176: جيّ جيّ 155 (1843).

11 «*كان يُسليه يوميًا أن يرى السُكّر يذوب*»: (*مقابلات غير متوقعة مع كيركغارد*)، تحرير بروس كيرمسي، ص. 208. فيما يتعلق بإسرائيل ليڤن، أنظر نيلز يورغِن، كاپيلرون، يواكيم غارف وجوني كوندروپ، (*صور مكتوبة: يوميات، دفاتر ملحوظات، كُتيبات، أوراق، نتف، وقصاصات صغيرة عائدة لسورين كيركغارد*)، ترجمة بروس كيرمسي (مطبعة جامعة پرينستون، 2003)، ص. 150 - 158.

12 كيركغارد «*لم يكن يناسبه بوضوح ركوب الحصان*»: (*لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد*)، ص. 232 – من ذكريات هانس بروشنر عن كيركغارد، كُتبت في 1871 - 1872.

13 (*المسيحية الحقيقية*)... *مرّت بأكثر من مئة طبعة*: أنظر كريستوفر بي. بارنيت، (*كيركغارد، التُقوية والقداسة*) (أشغيت، 2011)، ص. 12.

14 «*أرنت حثّ أجيالًا من المسيحيين البروتستانت على أن يُطهروا أرواحهم*»: أنظر يوهان أرنت، (*المسيحية الحقيقية*)، ترجمة پيتر إرب (لندن، SPCK، 1979)، ص. 70 – 82 وهنا وهناك.

15 «*المسيحي يوجد فعلًا في العالَم إلا إنه لا ينتمي للعالَم*»: م. س.، ص. 75. عن قراءة كيركغارد لأرنت، أنظر جوزيف بالون، «يوهان أرنت: الحافز التُقَوي في كيركغارد»، في (*كيركغارد والنهضة والتقاليد الحديثة، الجزء الثاني: اللاهوت*)، تحرير جون ستيوارت (أشغيت، 2009)، ص. 21 – 30.

16 *في أثناء زمن حياته كانت كوبنهاغن قد اكتسبت ملامح حياة مدينية*: أنظر پاتيسون، «*باريس المسكينة!*»(والتر دِي غرويتر، 1998)، ص. 21 -46.

17 «*أنواع من (الكابات) الحرير السود*»: أنظر نيلز تولستروپ، (*كوبنهاغن كيركغارد*)، تحرير ماري ميكلوڤا تولستروپ، ترجمة روث ماتش – زاغال (ريتزل، 1981)، ص. 53 – 58. في كتابها الصغير (*Lif I Norden*) [الحياة في

اسكندنافيا]، الكاتبة السويدية فريدريكا بريمير روت تجربتها في المشي على طول (أورسترغيد) في 1849، ووصفت الشارع باعتباره «نوعًا من الجحيم»، «عدائيًا بكلّ معنى الكلمة للجنس البشري».

18 يستحضر *كيف لعب دور متسكع في شوارع كوبنهاغن*: أنظر (*وجهة النظر*)، ص. 61.

19 «*ليس أكثر من كاتب صفحة التسلية موهوب جدًا وله جمهور واسع من القراء*»: أنظر پاتيسون، (*كيركغارد، الدين، وأزمة الثقافة في القرن التاسع عشر*) (جامعة كمبردج، 2002)، ص. 30 – 49.

20 «*ما من [مُحقق كبير] يمتلك عذابات مروِّعة كهذه في حالة استعداد مثلما يمتلكها القلَق*»: س. كيركغارد، (*مفهوم القلق*)، (جامعة پرينستون، 1981)، ص. 115 – 116.

21 «*وهذا هو الشيء المدهش المتعلّق بالحياة*»: م. س.، ص. 78 – 79.

22 «*هذه مغامرة ينبغي أن يمر بها كلّ إنسان*»: م. س.، ص. 155.

22 «*الإنسان الأعظم هو الذي يكون شديد القلق*»: م. س.، ص. 156.

23 حين «*يمرّ الإنسان عبر قلق المحتمل*»: م. س.، ص. 158.

24 «*عندئذ يدخل القلق في ثنايا روحه*»: م. س.، ص. 159.

25 «*مع ك. حدث ذلك مرارًا بحيث أنه لمّا يتأمل قضية ثانوية*»: أنظر (*لقاءات غير متوّقعة مع كيركغارد*)، ص. 61، نوفمبر 1871.

26 *شخصية تُسمى سورين كيرك في (جينبورن)*: «أتذكر أنه في مساء ما»، كتب هانس بروشنر، «لمّا كنتُ في طريقي إلى التدريب على المسرحية، قابلتُ كيركغارد في (هوجبروپلادس) وتكلّمتُ معه». قال لي بنبرة ضاحكة: «حسنًا، أنتَ إذًا سوف تؤدي دور شخصيتي في كوميديا هوستروپ؟» حكيتُ له مضمون الدور له وأخبرتُه بفهمي له. في ذلك الحين لم يكن لديّ إنطباع بأنّ مزحة هوستروپ قد أثرت عليه». في مذكراته لعام 1891، هوستروپ يستذكر لقاءه مع كيركغارد صحبة إميل بويسين: «الشيء الغريب فيما يخص هذا اللقاء هو أنه برهن على كونه ودودًا إلى حدّ كبير معي، على الرغم من الحقيقة القائلة إنه – بحسب يومياته – يشعر بغيظ شديد فيما يتصل بـ(جينبورن). نظرتُ إلى هذا الرجل الغريب باهتمام بالغ، ومعًا قبل ومنذ أن تأثرتُ تأثرًا عميقًا بعدد من كتبه». أنظر (*لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد*)، ص. 61، 287.

27 حذف اسمه من صفحة العنوان في كلا الكتابين وأعطى لكلّ واحد منهما اسمًا مستعارًا: أنظر س. كيركغارد، (*شذرات فلسفية/ يوهانيس كليماكوس*)، ص. 176 – 177 (الورقة V B 39)، (*مفهوم القلق*)، ص. 177 (الورقة V B 42).

28 «*إنكَ في شرنقة من التفكّر*»: س. كيركغارد، (*مقدّمات/ جامع عينات الكتابة*)، (جامعة پرينستون، 1997)، ص. 9.

29 «*كتابٌ لا يدين بأصله إلى حاجة داخلية متعذر تفسيرها*» ص. 13.

30 «*لأنه سيكون في الحقيقة شيئًا سيئًا للغاية إذا كان قيل وقال الجمهور يذهب إلى القمامة*»: م. س.، ص. 19.

31 «*المجهود المتغطرس لتعويض الأرواح المنسية بالنسبة للمجتمع*»: م. س.، ص. 178.

32 «*أن تكون مؤلفًا في الدنمارك هو شيء مُرهِق مثل أن تعيش في مَشهد علني*»: م. س.، ص. 15.

33 قرر أن يتوقف عن كتابة خطابات البناء: أنظر (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الثاني: اليوميات EE – KK*)، ص. 194، 203: جيّ جيّ 220، 255 (1844).

34 في خطابه، «*أن تحتاج الله هو أرقى اكتمال بالنسبة للإنسان*»: أنظر كيركغارد، (*ثمانية عشر خطاب بناء*)، (مطبعة جامعة پرينستون،1992)، ص. 321 – 325.

35 *الإنسان الذي يكون في حالة قلق وحدُه الذي يجد الراحة*: س. كيركغارد، (*خوف ورعشة*)، (جامعة كمبردج، 2006)، ص. 21.

36 «*أنك تجمع كلّ شيء مرةً واحدة وتُحيط نفسك بها*»: س. كيركغارد، (*رسائل ووثائق*)، تحرير وترجمة هنريك روزينمير (مطبعة جامعة پرينستون، 2009)، 164 - رسالة إلى إميل بويسين، غير مؤرخة.

37 «*تأكدي من أنك تُحبين نفسكِ*»: م. س.، ص. 236 – رسالة إلى هنرييته كيركغارد، ديسمبر 1847.

38 «*لقد فهم مثلما يفهم قليلون*»: (*لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد*)، ص. 242 – من ذكريات هانس بروشنر عن كيركغارد، مكتوبة في 1871 – 1872.

الفصل الثاني عشر

1 «*العام 1848 رفعني إلى مستوى آخر*»: أنظر س. كيركغارد، (*وجهة النظر*)، ص. 207، ورقة 1849) X^2 A6 6). هذا التدوين يحمل عنوان «عن سنة 1848».

2 «*بعض أفضل الأشياء*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الخامس، اليوميات NB6-NB10*)، ص. 144: 114 ،NB7 (أغسطس إلى نوفمبر، 1848). في 1849 كتب كيركغارد في دفتر يومياته أنّ «منزلي هو سلواي، إنّ إمتلاك منزل لطيف كان تشجيعي الدنيوي الأعظم» - أنظر (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد السادس، اليوميات NB11- NB14*)، ص. 234: (1849) 143 ،NB12.

3 «*الأحوال بائسة للغاية هنا في الدنمارك*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الخامس، اليوميات NB6-NB10*)، ص. 196 - 197: ،NB8 106(ديسمبر 1848).

4 «*لعله واجبي تجاه الله*»: ص. 321: 105 ،NB10 (فبراير إلى أبريل 1849).

5 «*في علاقة مع الله مثلما يعيش طفل في علاقته مع أب (أم)* »: م. س..

6 «*تقريبًا حياتي كلّها ضاعت بنحو رهيب للغاية*»: م. س.، ص. 211، 8 ،NB9 (يناير أو فبراير 1849).

7 كان كيركغارد جالسًا في الكنيسة في يوم الأحد لمّا قُرىء لها إعلان الزواج: أنظر (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الثالث، دفاتر الملحوظات 1 - 15*)، ص. 436: دفتر الملحوظات 15، 4 (أغسطس إلى نوفمبر 1849).

8 «*حجر زاوية زواجها هو وسيبقى أني حقير*»: (*يوميات ودفاتر، المجلد الخامس: اليوميات NB6 - NB10*)، ص. 83: 10 ،NB7 (أغسطس إلى نوفمبر 1848).

9 «*اللحظة التي أموت فيها (التي توقعتُها باستمرار سوف تحصل حالًا)*»: م. س.، ص. 91: 20 ،NB7 (أغسطس إلى نوفمبر 1848).

10 «*يا له من عذاب مستدام كان بالنسبة لي*»: م. س.، ص. 90: 20 NB7 (أغسطس إلى نوفمبر 1848).

11 «*إنه يبقى ذنبي على الرغم من ذلك*»: م. س.، ص. 91: 20 ،NB7 (أغسطس إلى نوفمبر 1848).

12 إنه «*خُطِب أصلًا*» *إلى الديانة المسيحية*: أنظر م. س.، ص. 368- 369: ،NB10 191(فبراير إلى أبريل 1849).

13 «*عيد (الكريسماس)*»: م. س.، ص. 192: 97 ،NB8(ديسمبر 1948)- 14 «*ثمة اختلاف لا نهائي بينها وبيني*»: م. س.، ص. 184: 76 ،NB8 (ديسمبر 1848).

15 «*إني باستمرار أعيد كتابة أجزاءً منه، إلا إنه لم يُرضيني*»: أنظر س. كيركغارد، (*مراحل في طريق الحياة*)، ص. 515.

16 «*الآن تعلّمتُ ألا أحتاج إلى الليل حتى أجد السكون*»: م. س.، ص. 16 – 17.
17 «*لحظة واحدة لا غير، حبيبتي، لحظة واحدة لا غير*»: م. س.، ص. 183 – 184.
18 «*خاتم ذهب خالص بتاريخ منقوش*»: م. س.، ص. 189 – 190.
19 «*كما أنه استذكر كلمةً كلمة المذكرة التي بعثها إلى ريجينه*»: أنظر م. س.، ص. 329 – 330؛ وأيضًا (*يوميات ودفاتر، المجلد الثالث: دفاتر الملحوظات 1 – 15*)، ص. 433: دفتر الملحوظات 15، 4 (أغسطس إلى نوفمبر 1849). هنا يكتب كيركغارد، «إذا كان لا بد أن ترى الكتاب، ما أُريده على وجه الدقة هو أنها ينبغي أن تُذكّر به».
20 «*الثامن عشر من يونيو. هل أنا مُذنب، إذًا؟*»: (*مراحل في طريق الحياة*)، ص. 381.
21 «*بكلّ طاقتي كي أبقى مُخلصًا لتجربتي الروحية*»: م. س.، ص. 397.
22 «*فقط الشخص الذي يبحث بجدارة يجده*»: م. س.، ص. 16 – 17.
23 «*هو، في الحقيقة، جسدي*»: (*لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد*)، ص. 232 – من ذكريات هانس بوشنر عن كيركغارد، كُتبت في 1871 – 1872.
24 «*قد يعتقد المرء أنّ الماجستير كيركغارد يمتلك نوعًا من عصا سحرية*»: أنظر س. كيركغارد، (*قضية القرصان*)، ص. 274 – 275.
25 «*حين يكون القارئ الشرعي في الأدب الدنماركي*»: م. س.، ص. 24 – 27.
26– *بوحيّ من الصحافة الجمهورية والاشتراكية الساخرة في باريس*: (*الأوهام الضائعة*)، رواية أونوريه دِي بلزاك، التي كتبها بين عاميْ 1837 و1843، تُعطي وصفًا حيويًا للصحافة الباريسية في عشرينيات القرن التاسع عشر.
27 *أسطورة الإغريق (نمسيس)*: جَي. أيل. هيبيرغ نشر مقالة عن (نمسيس) في 1827. فيما يتعلق بولع كيركغارد بأسطورة (نمسيس)، أنظر لورا ليڤا، «نمسيس: من الربة الغابرة إلى مفهوم حديث»، في كتالين نون وجون ستيوارت (تحرير)، (*شخصيات ومواضيع كيركغارد الأدبية، الجزء الثاني: غوليفر إلى زيرلينا*)، (أشغيت، 2015)، ص. 155 – 162.
28 *پيدر لودڤيج مولر*: أنظر روجر پول، «سورين كيركغارد وپي. أيل. مولر: الفضاء الإيروتيكي تحطم»، في (*تفسير كيركغارد العالمي، المجلد الثالث عشر: قضية القرصان*)، ص. 141 – 161؛ ترويْ ويلنغتون سميث، «پي. أيل. مولر: الخصم البيروني لكيركغارد»، (*ذه بيرون جورنال*)، 42. 1 (2014)، ص. 35 – 47.پي. أيل. مولر يُقتبَس أحيانًا بوصفه قدوة كيركغارد ليوهانيس

المُغوي: روجر پول يصف هذه النظرية باعتبارها «شبه قانونية» في بحث كيركغارد.

29 مراجعة لـ (*مراحل في طريق الحياة*): أنظر (*قضية القرصان*)، ص. 96 – 104.

30 «*هل هذا يعني أني من المحتمل أن أتورّط في (القرصان) قريبًا!*»: م. س.، ص. 46.

31 «*قابلَ غولدشميت في الشارع وناقشا هذه الخصومات الأدبية*»: من وصف في سيرة غولدشميت المكتوبة بقلمه(Livs Erindringer og Resultater)، (غليدندال، 1877): أنظر (*قضية القرصان*)، ص. 146.

32 «*إنه لشيءٌ غريب حقًا ألا يكون للإنسان سيطرة على الكتاب الذي يشتريه ويدفع ثمنًا له*»: (*قضية القرصان*)، ص. 132 – 133 (المقتطف مُختَصر).

33 «*في قسوة تلك النظرة*»: من سيرة غولدشميت المكتوبة بقلمه: أنظر م. س.، ص. 149.

34 «*عاصمتي المحبوبة ومقر إقامتي*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الثاني، اليوميات EE–KK*)، ص. 172 – 173: جَيّ جَيّ 143 (1843).

35 «*كونه موضوعًا بنحو صائب في الأدب قدر الإمكان*»: م. س.، ص. 12، NB، 7 (9 مارس 1846).

36 «*بهذه الطريقة باستطاعتي أن أتحاشى أن أكون مؤلفًا*»: أنظر س. كيركغارد، (*خطابات بناء في أمزجة مختلفة*)، ص. 356، ورقة 9 V11[1] A (فبراير، 1846).

37 «*توماسين غيلمبورغ، أُم هيبيرغ*»: أنظر (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الخامس اليومياتNB6– NB10*)، ص. 38: 55 ،NB6 (يوليو أو أغسطس 1848): «ومن ثم أخذتُ أُم هيبيرغ واحتفيتُ بها». في غياب اسم توماسين غيلمبورغ، أنظر كتالين نون، (*نساء عصر الدنمارك الذهبي: الأدب، المسرح وتحرير النساء*) (مطبعة متحف توسكولانوم، 2013).

38 «*ينذهل لوسارد بالأضواء البراقة... في حدائق تيڤولي*»: أنظر (*To Tidsaldre*) في جَيّ. أيل. هيبيرغ (تحرير)، (*كتابات*)، المجلد الحادي عشر (ريتزل، 1851)، ص. 156 – 158. هذه الترجمات أنجزها جورج پاتيسون: أنظر كتابه المعنون (*كيركغارد، الدين وأزمة الثقافة في القرن التاسع عشر*)، (مطبعة جامعة كمبردج، 2002)، ص. 54 – 61.

39 «*مقالة هيبيرغ المنشورة في 1842 المعنونة «الشعب والشعبي»*»: أنظر جَي. أيل.

هيبيرغ، «Folk ogPublicum، *Intelligensblade* 6، 1 يونيو 1842، ص. 137. ترجمة جورج پاتيسون: أنظر كتابه المعنون (كيركغارد، *الدين وأزمة الثقافة في القرن التاسع عشر*)، ص. 65.

40 «*ألا تكون لقراء الجرائد الجماليين والمياليين للنقد بل للمخلوقات العقلانية*»: س. كيركغارد (*عصران*)، ص. 5.

41 «*لا يسعني أن أؤيد ذلك على الإطلاق*»: الإحالة الإنجيلية (الكتابية) هنا إلى لوقا: 23: 28.

42 «*كان يعتقد أنّ أدلر مرتبك، إلا إنه أحس أنه يميل إلى دعمه*»: فيما يتصل بعلاقة كيركغارد بأدلر، أنظر كارل هنريك كوخ، «أدولف پيتر أدلر: حجر عثرة وإلهام لكيركغارد»، في (*كيركغارد ومعاصروه الدنماركيون، الجزء الثاني: اللاهوت*)، (أشغيت، 2009)، ص. 1- 22.

43 «*الرأي الإنساني المجرد الخاص بنكران الذات*»: س. كيركغارد، (*أعمال الحب*) تحرير وترجمة هوارد ف. هونغ وإدنا أچ. هونغ (مطبعة جامعة پرينستون،1998)، ص. 194 - 44 «*مضايقته من قبل الرعاع، عامة الناس، الجمهور*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الرابع: اليوميات NB-NB5*)، ص. 317 :1848) NB4، 62).

45 «*شكلًا من أشكال الشر*»: م. س.، ص. 111: NB7، 63 (سبتمبر إلى نوفمبر 1848).

46 «*تجريد الدنمارك من القيم الأخلاقية*»، «*تفسخها*»: أنظر م. س.، ص. 102 - 103: NB7: 46 (سبتمبر إلى نوفمبر 1848)، ص. 177. NB8، 57 (ديسمبر 1848).

47 «*لا أحس بالمرارة على الإطلاق*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الرابع، اليوميات NB-NB5*)، ص. 398-399. NB5،61 (مايو إلى يوليو 1848).

48 *في هذه الحياة سرواله نال كثيرًا من الاهتمام، أما تأليفه فلم ينل إلا قليلًا جدًا من الاهتمام*: أحس كيركغارد أنّ كتاباته قد تم تجاهلها: ذلك شيء صحيح، في حين أنّ (*إما/أو*) و(*خوف ورعشة*)، (*التكرار*) و(*أعمال الحب*) قد تمت مراجعتها بشكل واسع، أما الأعمال الأخرى من مثل (*مفهوم القلق*)، (*عصران: مراجعة أدبية*) و(*خطابات مسيحية*) فلم تتم مراجعتها. أنظر (*يوميات ودفاتر، المجلد السادس: اليوميات NB11 - NB14*)، ص. 453.

49 «*لأنهم حَسودون*»: (*يوميات ودفاتر، المجلد الخامس: اليوميات NB6- NB10*)، ص. 197: NB8، 108 (ديسمبر، 1848).

50 إنه يتذكر كيف ردّ پيتر عليه: أنظر م. س. 198: 108 ،NB8 (ديسمبر، 1848).
51 «*لا بد أنه سُمِح لهم بأن يدوسوني*»: م. س.، ص. 200: 110 ،NB8 (ديسمبر، 1848).
52 إنه يتصوّر قراءه المستقبليين، «*الذين سيكونون قادرين على أن يجلسوا بطمأنينة وهدوء*»: م. س.، ص. 97:191 NB8 (ديسمبر، 1848)؛ أنظر أيضًا تدوين كيركغارد في دفتر يومياته، مطلع 1849، عن «استشهاد الضحك» العائدة له - م. س.، ص. 289 - 290: 42 ،NB10 (فبراير إلى أبريل 1849).
53 «*الفناء هو الشيء الوحيد التي بوسعه أن يُنقي الهواء*»: م.س.، ص. 9:11،NB6 (يوليو أو أغسطس، 1848).
54 «*غير أناني في حقيقة الأمر*»: م. س.، ص. 181: 69 ،NB8 (ديسمبر 1848).

القسم الثالث

1 «*كم مرةً قلتُ إنّ السفينة الحربية لن تتلّقى أوامرها إلى أن تكون خارجًا في عمق البحر*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الخامس، اليوميات NB6-NB10*)، ص. 60:300 ،NB10 (فبراير إلى أبريل 1849).

الفصل الثالث عشر

1 «*السؤال هو: متى ينبغي أن تُنشر آخر الأعمال!*»: (*يوميات ودفاتر كيركغارد، المجلّد الخامس، اليوميات NB6-NB10*)، ص. 242.
2 «*إذا ما تكلّمنا من الناحية الإنسانية، يوجد شيء سارّ فيما يتعلّق بالحصول على تعيين مُستدام*»: م. س. ص. 14.
3 «*قدرة خاصة على التكلّم مع الناس العاديين*»: أنظر (*لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد*)، ص. 109 - من أج. سي. روستيد، (***Den gamel Postgaard***
in Hørsholm) (أو. كوهين وإي. هَسفيلت، 1925)، ص. 27. أنظر أيضًا (*لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد*)، ص. 111، حيث يستذكر تايكو سپانغ «موهبة كيركغارد الاستثنائية وغير العادية بكلّ معنى الكلمة في التحدّث مع الناس من الأعمار كلّها ومن كلّ مشارب الحياة».
4 فيما يتعلّق بـ (*القرصان*)، هو شهيد: عن استشهاد كيركغارد على أيدي جريدة (*القرصان*)، أنظر في سبيل المثال (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الخامس، اليوميات NB6-NB10*)، ص. 349: 166 ،NB10 (فبراير

إلى أبريل 1849): «أحس أني ضعيف بنحو لا يُوصَف ويبدو لي أنه لن يمر وقت طويل حتى يضع الموت نهايةً لهذه القضية. وفي الحقيقة الرجل الميت هو ما تحتاج إليه كوبنهاغن والدنمارك إن لم تكن هنالك أيّ نهاية لكلّ هذه الحقارة الخبيثة، الحسودة، المُكشّرة إزدراءً». كان كيركغارد يفكر أنه قدّم نفسه بوصفه قربانًا «كي يضمن أنّ يبقى الاثنان پي. أيل. مولر وغولدشميت منسجمين»، مع إنه كان يحسب أنه «مصير كئيب» بحيث أنه بدلًا من كسب الثروة والشهرة بسبب فنه، «نتيجة كونه وُلد في مدينة واهنة العزيمة هي بمنزلة سوق»، «أهانه كلّ الأولاد الأشرار في الشارع، حيث أعقب ذلك الحسد وتفاخر بانتصاره».

5 «*إنه شيء صحيح يقينًا أني كنتُ تعيسًا بنحو لا يُوصَف*»: م. س.، ص. NB9، 78:259 (فبراير، 1849).

6 «*من الصعب أن يقرر ما إذا هو شيء مُهين أكثر*»: م. س.، ص. 300:60، NB10 (فبراير إلى أبريل 1849).

7 ماذا يتعين عليه أن يفعل بـ (*الكتاب عن أدلر*)؟: فيما يتعلّق بتنقيح كيركغارد (*الكتاب عن إدلر*)، أنظر م. س.، ص. 525.

8 «*إدخال العقيدة المسيحية إلى العالَم المسيحي*»: م. س.، ص. 242: 56، NB9 (يناير أو فبراير 1849).

9 «*مثلما يتنحى وزير في التشكيلة الوزارية*»: م. س.، ص. 237: 45، NB9 (كانون الثاني أو فبراير 1849).

10 صلاة توسلية: أنظر س. كيركغارد (*زنبق الحقل وطير الهواء: ثلاث خطابات إلهية*)، ترجمة بروس كيرمسي (جامعة پرينستون، 2016)، ص. 5.

11 «*في المكان المُخصص*»: م. س.، ص. 52.

12 «*كونكَ أتيتَ إلى الوجود، كونكَ موجودًا*»: م. س.، ص. 78 – 79.

13 «*النفس تهرب من نفسها*»: س. كيركغارد، (*المرض حتى الموت*)، ص. 35 – 36.

14 تأسف على «*الكآبة*» و«*المراوغة الوسواسية*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد السادس،اليوميات NB11 – NB14*)، ص. 8:8، NB11؛ ص.105:55،NB11 (مايو إلى يوليو 1849). في ما يتصل بمسألة كيف أثرت قراءة كيركغارد التعبدية على قراره في نشر (*المرض حتى الموت*)، أنظر پيتر ساجدا، «[الرجال الحكماء مضوا في طريق آخر]، حوار كيركغارد مع فينلون

وتيريستيغن في صيف 1849»، في (*كيركغارد والعقيدة المسيحية*) - تحرير رومان كراليك، إبراهيم أچ. خان، پيتر ساجدا، جامي تيرنبول وأندرو جَي. بورغيس (أكتا كيركغاردیانا، المجلد الثالث، 2008)، ص.89 - 105.

15 «*أود أن أضمن مستقبلًا مُريحًا*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد السادس: اليوميات NB11 - NB14*)، ص 8 - 14: 20 - 8 ،NB11 (مايو إلى يوليو 1949).

16 «*ما يجعل حياتي صعبة للغاية*»، *تفكرَ*، «*هو أنّ طبقة صوتي أرفع من طبقات أصوات الآخرين*»: م. س.، ص. NB11،174:101 (مايو إلى يوليو 1849).

17 (*كنيسة الدولة الدنماركية*) *أصبحت* (*كنيسة الشعب الدنماركي*): أنظر (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الثامن، اليوميات NB21 - NB25*)، ص. 679 - 681.

18 بصورة شخصية هو الآن يعتقد أنّ مينستر: أنظر (*يوميات كيركغارد ودفاتر ملحوظاته، المجلد السادس: اليوميات* NB11 - NB14)، ص. 17، 35، 42، 45، 87:47، NB11، 25، 59، 61، 77، 80، (مايو إلى يوليو 1849).

19 أخبر كيركغارد أن يأتي «*مرة ثانية*»: م. س.، ص113: 193 ،NB11 (مايو إلى يوليو 1849).

20 أمضى ليلةً مؤرقة: أنظر (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الثامن: اليوميات NB21 - NB25*، ص 356 - 54:357 ،NB24 (أبريل إلى نوفمبر 1851).

21 «*كنتُ أُريد أن أطلب من الله أن يُحرّرني*»: (*يوميات ودفاتر ملخوظات كيركغارد، المجلد السادس: اليوميات NB11 - NB14*)، ص. 138 - 139: NB11، 233 (مايو إلى يوليو 1849)، الفقرة مُختصرة.

22 «*لسنا توأم، نحن ضدّان*»: م.س.، ص. NB11، 204:124 (مايو إلى يوليو 1849)؛ س. كيركغارد (*تمرين في العقيدة المسيحية*)، تحرير وترجمة هوارد ف. هونغ وإدنا أچ. هونغ (مطبعة جامعة پرينستون، 1991)، ص. 282: الورقة (X B 48 (1849.

23 «*في حين... من وجه نظره*»: أنظر (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد السادس: اليوميات NB11 - NB14*)، ص. 550 - 551. على غرار كيركغارد فريدريكا بريمير رفضت الزواج في ثلاثينيات القرن التاسع عشر كي تُصبح كاتبة؛ كانت قد استلهمت الفلسفة الألمانية الحديثة ومذهب المنفعة

الإنكليزي. لمّا غادرت كوبنهاغن في العام 1849 أبحرت بريمير إلى نيويورك وتجولت في أنحاء أميركا: كتبت عن الرِّق، السجون، الكويكرز (جمعية الأصدقاء) والشيكرز (الهزازين) والجاليات الاسكندنافية في (الغرب الأوسط). في طريق عودتها إلى السويد أمضت بضعة أسابيع في بريطانيا، وزارت ليڤرپول، منشستر ولندن، وقابلت جورج إليوت وإليزابيث غاسكيل. وصف فريدريكا بريمير لكيركغارد كرره معاصرها الإنكليزي أندرو هاميلتون، الذي سافر إلى الدنمارك في نحو 1849، وتاليًا نشر كتابًا مطولًا عن رحلته في مجلدين. لم يقابل كيركغارد، إلا إنه كان يراه مرارًا وهو يمشي في الشارع، مستغرقًا في حوار ما: «هو كاتب فلسفي مسيحي، مركزًا دائمًا، وحتى بمستطاع المرء أن يقول إنه يضرب على وتر واحد، على ثيمة القلب البشري. لا يوجد كاتب دنماركي أكثر جدية منه، مع ذلك لا يوجد شخص واحد يتحمل بطريقته أشياء أكثر كي يحول من أن يُصبح شعبيًا. إنه يكتب أحيانًا بجمال غير دنيوي، لكن في أحيان كثيرة جدًا بتباهٍ مُبالغ فيه بالمنطق الأمرُ الذي يُثير اشمئزاز الجمهور... تلقيتُ أعلى المباهج من بعض كتبه... عادات كيركغارد الحياتية هي عادات فريدة بما يكفي كي تُعير ولعًا (ربما كاذبًا) بأعماله. هو لا يُصاحب أحدًا، لا يزوره أحد في منزله، الأمر الذي يُلبي كلّ غايات المسكن غير المرئي؛ لم يكن باستطاعتي أن أعرف أنّ أحدًا موجودًا في داخله. على الرغم من ذلك أنّ دراسته العظيمة الوحيدة هي الطبيعة البشرية؛ لا أحدَ يعرف أناسًا أكثر منه. الحقيقة هي إنه يتمشى في أنحاء المدينة طوال النهار، وعمومًا في صحبة شخص ما؛ في الأمسيات فقط يكتب ويقرأ. حين يتمشى، يكون متواصلًا مع الآخرين، وفي الوقت نفسه يتمكن من سحب كلّ شيء من رفيقه وهذا من المرجّح أن يكون مفيدًا له هو نفسه». أندرو هاملتون، (*ستة عشر شهرًا في الجزر الدنماركية*)، المجلد الثاني (ريتشارد بينتلي، 1852)، ص. 269.

24 *مارتينسِن، بروفيسور اللاهوت، واعظ المحكمة، فارس دانيبروغ*: مارتينسِن سار على خُطى مينستر كي يُصبح (واعظ محكمة) في 1845، و(فارس دانيبروغ) في 1847.

25 «*كنتُ قاسيًا، هذا صحيح. لماذا؟*»: أنظر س. كيركغارد، (*رسائل ووثائق*)، ص. 335 – 336 – رسالة إلى ريجينه شليغل، 1849. من أجل سلسلة مسوّدات الرسائل المُرسَلة إلى ريجينه وزوجها، أنظر م. س.، ص. 322 – 337.

26 *كان ينال مُقلّدين ومُوالين*: أنظر (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد السادس: اليوميات (NB11–NB14* ص. 658. پيتر كريستيان كيركغارد هو أيضًا نُوّه به بوصفه واحدًا من «مُقلدّي ومُوالي» كيركغارد بالاسم المستعار أچ. أچ.، الذي تحته نشر كيركغارد كتابه (*مقالتان دينيتان – أخلاقيتان صغيرتان*) – وهو نسخة مُختصرة بشدة من كتابه غير المنشور (*الكتاب عن أدلر*) – في مايو 1849. فيما يتصل بأعماله المبكرة ذوات الاسماء المستعارة، صديق كيركغارد جينس جيودڤاد أخذ المخطوطة إلى الطبّاع كي يحمي هوية مؤلفها. (*مقالتان دينيتان – أخلاقيتان صغيرتان*) قدّم «وجهة نظر» عن تأليف كيركغارد من خلال مقارنة الشخصيات ذوات النبوغ الشعري، الحواري منها والشهيد، وكشف علاقاتها المختلفة مع الحقيقة. إنه شيء شخصي أقل بكثير من (*وجهة النظر عن عملي كمؤلف*)، كاشفًا فقط «بأني عبقري – لستُ حواريًا، لستُ شهيدًا»، أنظر كيركغارد (*من دون تفويض*)، تحرير وترجمة هوارد ڤ. هوانغ وإدنا أچ. هونغ (مطبعة جامعة پرينستون، 1997)، ص. 238.

27 تدوين يوميته الذي يتصدّره: «*احتجاج ضد الأسقف مينستر*»: أنظر (*يوميات ودفاتر، المجلد السادس: اليوميات NB11–NB14*)، ص. 385: NB14، 63 (نوفمبر 1849 إلى يناير 1850).

28 «*مكان صغير، ضيّق كخِن الدجاج، وطن الهراء*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد السابع: اليوميات NB15 – NB20*)، ص. 120 – 121: NB16، 38 (فبراير إلى مارس 1850).

29 *القديس أوغسطين*: أنظر م. س.، ص. 158: NB16، 92 (فبراير إلى مارس 1850). هنا يُعلّق أوغسطين على لوقا: 5: 39.

30 وجد سلاحًا *في مواعظ لوثر الدينية*: فيما يتصل بقراءة كيركغارد للوثر وتيرستيغين، أنظر ديڤيد يوون – جونغ كيم وجويل دي. أس. راسموسين، «مارتن لوثر: الإصلاح، العلمانية ومسألة [خليفته الحقيقي]»، وكريستوفر ب. بارنيت، جيرهارد تيرستيغين: استقبال رجل «التقوى النبيلة والحكمة البسيطة» من قبل كيركغارد، كلاهما في (*كيركغارد والنهضة الأوربية والتقاليد الحديثة، الجزء الثاني: اللاهوت*)، تحرير جون ستيوارت (أشغيت، 2009)، ص. 173 – 217 و245 – 258.

31 «*إنه الأحمق الكبير، غير العقلاني الذي يهرب من العالَم*»: أنظر (يوميات

ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد السابع: اليوميات NB15- NB20)، ص. 528؛ أنظر مارتن لوثر، (En christelig Postille)، ترجمة جَي. ڤيستِد (والسكه بوغهاندلنغ، 1828)، المجلد الثاني، ص. 242؛ 246.

32 كان إميل متحمسًا له كي يزور لويزه، إلا إنه كان كارهًا لذلك: أنظر (رسائل ووثائق)، ص. 344 - 346 - رسالة من إميل بويسين إلى س. كيركغارد، 7 مارس 1850؛ وص. 357 - 358 - رسالة من س. كيركغارد إلى إميل بويسين، 12أبريل 1850.

33 تخاصم مع راسموس نيلسِن: أنظر (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الخامس، اليوميات NB15-NB20)، ص. 219 - 222: 71 ،NB17 (مارس إلى مايو 1850). كتب كيركغارد تدوينات عدة في يومياته عن كتاب نيلسِن، الذي في نظره «قاتل القدرة المعتدلة - جزئيًا بأسلحة مستعارة» و«أفسد الشيء برمته بكلّ تلك الأدوات الأكاديمية والتفصيل»: أنظر (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الخامس: اليوميات .9 ،(NB6 - NB10 283: NB10، 33؛ (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد السادس: اليوميات NB11 - NB14)، ص. 28: 46 ،NB11.

34 «كلّ واحد منا يمتلك الإيمان فقط بدرجة محدودة»: أنظر (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد السابع، اليوميات NB15 - NB20)، ص. 681. ظهر كتاب مارتينسِن في مايو 1850.

35 شقة أرخص في (نورغيد): م. س.، ص. 695.

36 «في أوقات ما بعد الظهر أعاني كثيرًا جدًا من نور الشمس المنعكس»: م. س.، ص. 287، 324: 92، 48، NB18 (مايو إلى يونيو 1850).

الفصل الرابع عشر

1 معظم الدانماركيين «يتلّهفون ويصلون للصيف»: أنظر أندرو هاميلتون، (ستة عشر شهرًا في الجزر الدنماركية)، المجلد الثاني (ريتشارد بنتلي، 1852)، ص. 138. كما لاحظ هاميلتون أنّ «الخريف هو فصل بهيّ، إلا إنّ الدنماركيين نادرًا ما يُقيّمونه القيمة ذاتها كما نفعل نحن في إنكلترا» (ص. 141).

2 «الحكمة النبيلة» لرجل مُسن و«السخافة المحبوبة» لفتاة يافعة: (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد السادس، اليوميات NB11- NB14)، ص. NB11:41 (مايو إلى يوليو 1849). فيما يتعلّق بكفاح كيركغارد السنوي بين 9

أغسطس و10 سبتمبر، أنظر م. س.، ص. 159: NB12 (يوليو إلى سبتمبر 1849).

3 كشف (الكتاب) *الاختلاف بين المسيحية الصارمة والمُسامِحة*: أنظر س. كيركغارد، (*تمرين في العقيدة المسيحية*)، ص. 233 – 257.

4 «*آ، الشخص يستطيع بالتأكيد أن يُنادي بالتسامح*»: ص. 271 – 27:272، NB18 (مايو إلى يونيو 1850).

5 زار كيركغارد مينستر: أنظر (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الثامن، اليوميات NB21–NB25*)، ص. 68–69. أنظر أيضًا تعليق مارتينسِن في رسالة إلى صديقه القس غود، 26 نوفمبر 1850: «هذا الكتاب دفع الآن المطران إلى أن يتخلّى تمامًا عن عمل ك.، بطبيعة الحال، الآراء الوقحة المتعلّقة بمواعظ الكنيسة الدينية هي التي جعلته يغتاظ» – ص. 787.

6 «*أصبحتَ سيفًا يخترق فؤاد أمك*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد السابع، اليوميات NB15 – NB20*)، ص. 271 – 27:272، NB18 (مايو إلى يونيو 1980).

7 «*من ناحيتي، أحب أن أكون إنسانًا*»: م. س.، ص. 276: NB18،33 (مايو إلى يونيو 1850).

8 تيرستيغين – *الذي تخلّى عن ميراثه وعاش كناسك*: أنظر كريستوفر ب. بارنيت، «جيرهارد تيرستيغين: استقبال رجل [التقوى النبيلة والحكمة البسيطة]»، في (*كيركغارد والنهضة الأوروبية والتقاليد الحديثة. الجزء الثاني: اللاهوت*)، تحرير جون ستيوارت (أشغيت، 2009)، ص. 245 – 257.

9 «*كان لوثر يمتلك يقينًا الحقيقة الداخلية*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد السابع، اليوميات NB15 – NB20*)، ص. 329 – 330: 101 ،NB18 (مايو إلى يونيو 1850).

10 «*هل يتعين علينا أن نستمر في أن نُجبر سائر أعضاء (كنيسة الشعب) كي يخضعوا لمراسم زفاف الكنيسة*»: أنظر (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الثامن: اليوميات NB21 – NB25*)، ص. 682.

11 «*تحدّي الشيطان، البابا، العالَم كلّه*»: أنظر (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الثامن: اليوميات NB21– NB25*)، ص. 371- 372: NB24،75 (أبريل إلى نوفمبر 1851).

12 «*رجلًا ذكيًا ومتعقلًا*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد السابع:*

اليوميات *NB15 – NB20*)، ص. 376: 58، NB19 (يونيو إلى يوليو 1850).

13 «*يقينًا أعمق وأعلى اهتمام للكنيسة في يومنا هذا*»: أنظر س. كيركغارد (*قضية القرصان*)، ص. 51.

14 «*ببساطة لأني من البداية فهمتُ العقيدة المسيحية بكونها جوهرًا*»: م. س.، ص. 53.

15 «*بالنسبة له مرّ زمن طويل منذ أن حُسم الأمر بأنه مسيحي*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد الثامن، اليوميات NB21 – NB25*)، ص. 212: 20، NB23 (يناير إلى أبريل 1851). فيما يتصل بارتباطات كيركغارد بروديلباك، أنظر سورين جينسِن، أندرياس غوتليب روديلباك: رأي كيركغارد بـعالِم لاهوت «أرثوذوكسي» في كتاب (*كيركغارد ومعاصروه الدنماركيون، الجزء الثاني: اللاهوت*)، تحرير جون ستيوارت (أشغيت، 2009)، ص. 303 – 333.

16 «*واحد من أكثر مؤلفينا موهبة*»: جَي. پي. مينستر، (*Yderligere Biding til Forhandlingerne om de kirkelige Forhold i Danmark*) [*إسهام إضافي في المفاوضات المتعلقة بالوضع الكَنَسي في الدنمارك*] (ريتزل، 1851)، ص. 44؛ أنظر (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الثامن: اليوميات NB21 – NB25*)، ص. 759.

17 «*كررتُ المرة تلو المرة*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الثامن: NB21 – NB25*)، ص. 337 – 339: 30، NB 24 (أبريل إلى نوفمبر 1851)؛ ص. 759.

18 *قرب نهاية الصيف رجع إلى عتبة باب مينستر*: أنظر م. س. ص. 402 – 404: 121، NB24 (أبريل إلى نوفمبر 1851).

19 *أعطى كيركغارد موعظة الأحد الدينية حول «ثبات الله»*: نشر كيركغارد هذه الموعظة الدينية في أغسطس تحت عنوان «ثبات الله: خطاب»، أنظر س. كيركغارد (*اللحظة وكتابات متأخرة*)، (جامعة پرينستون، 1998)، ص. 263 – 281.

20 «*كان قد خطّط لموعظته الدينية وهو يُفكر بـ[ها]*»: أنظر (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الثامن: NB21 –NB25*)، ص. 370 – 371: 74، NB24 (أبريل إلى نوفمبر، 1851).

21 «*لا أحدَ، سواء أكان في الحياة أو الموت*»: (*اللحظة وكتابات متأخرة*)، ص. 277 – 281.

22 «حين مضيتُ إلى المنزل، أحسستُ أني بخير، نابضٌ بالحيوية»: (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الثامن: اليوميات NB21 - NB25)، ص. 370 - 371:74 ،NB24 (أبريل إلى نوفمبر 1851).

23 «قيل لي إنكَ شهم ولطيف مع الشبيبة»: (رسائل ووثائق)، تحرير وترجمة هنريك روزينميير (جامعة پرينستون، 2009)، ص. 379 - 380.

24 «أتلعتُ أُذنيّ وأصغيتُ»: م. س.، ص. 381 - 384.

25 «إنكَ تعرف أنّ الإيمان هو شيءٌ لا يهدأ»: (من أجل فحص ذاتي/ أحكم على نفسك!)، (جامعة پرينستون،1991)، ص. 17 - 18.

26 «وهذا الطريق، وهو طريق يسوع المسيح، هذا الطريق الضيق»: م.س.، ص. 58 - 59.

27 لما عرّج عليه إميل هناك ظلاّ يتكلّمان حتى ساعة متأخرة من الليل: أنظر (لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد)، (جامعة پرينستون، 1998)، ص. 100- 101 - من رسالة من إميل بويسين إلى لويزه بويسين، خريف 1851.

28 غالبًا «كلّ يوم سعيد»: أنظر (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الثامن: اليوميات NB21 - NB25)، ص. 177: 146 ،NB22 (نوفمبر 1850 إلى يناير 1851).

29 «ربما كانت مُصادفة»: م. س.، ص. 532:109 ،NB25 (مايو 1852).

30 «بعدئذ حلّ عيد ميلادي»: م. س.، ص. 532 533-: 109 ،NB25 (مايو 1852).

الفصل الخامس عشر

1 «'خوف ورعشة' جديد»: أنظر (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد التاسع، اليوميات NB26 - NB30)، (جامعة پرينستون، 2017)، ص. (NB28، 41(1853:250.

2 «حرفيًا بكلّ معنى الكلمة صرف الذهن والتخلّي»: أنظر (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد التاسع، اليوميات NB26 - NB30)، ص. 29، 25، 26، NB (يونيو إلى أغسطس 1852).

3 «ما إذالم يكن فنتازيا بكلّ معنى الكلمة»: أنظر (يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلّد التاسع، اليوميات NB26 - NB30)، ص. 290: (1853) NB28،99.

4 «المسيحية هي معاناة حتى النهاية»: م. س.، ص. 52: NB26،51 (يونيو إلى أغسطس 1852).

5 «*كلّما تكون أقرب إلى الله، تزداد معاناتك*»: م.س.، ص. 151: NB27،39 (أغسطس 1852 إلى فبراير 1853).

6 على مدى عامين لم ينشر شيئًا، وكتب قليلًا: بصرف النظر عن يومياته قطعة كيركغارد الجوهرية الوحيدة من الكتابة بين 1852 و1854 هي «*أحكم على نفسك!*»، وهي مجموعة من الخطابات مشابهة لـ «*من أجل فحص الذات*»، التي تركها غير منشورة.

7 «*نتاجٌ ضخم*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد التاسع: اليوميات (NB26 – NB30)*، ص. NB28،16:230 (يوم الاثنين من عيد الفصح 1853).

8 «*تقريبًا أشبه بالسخافة*»: م. س.، ص. 261 - 262:(1853) NB28،54.

9 «*شيء أشبه بالبلاء بالنسبة للمطران مينستر*»: م.س.، ص. 262 – 263: NB28،55 (2 نوفمبر 1854).

10 «*هو الآن ميت*»: م.س.، ص. 264 – 266: NB28،56 (الأول من مارس 1854).

11 «*الآن يجب أن يحصل*»: م. س.، ص. 264: NB28،56 (الأول من مارس 1854).

12 *ضمّ مارتينسِن تأبينًا للمطران الراحل في موعظة الأحد الدينية التي أعطاها*: أنظر هانس لاسين مارتينسِن، «موعظة دينية أُعطيت في [كنيسة الحصن بكريستيانبورغ] في [الأحد الخامس] بعد [عيد الظهور، الخامس من فبراير، 1854، الأحد الذي يسبق جنازة الأسقف الدكتور مينستر»، في كتاب س. كيركغارد، (*اللحظة وكتابات متأخرة*)، (جامعة پرينستون، 1998)، ص. 359 – ك.

13 «*الأسقف مينستر شاهد – حقيقة!*»: م.س.، ص. 3- 6؛ أنظر الرسالة الأولى إلى الكورنثيين 4: 10 – 13.

14 *ألقى اللوم على النساء لكونهن فرضن على الرجال* «*كلّ الهراء المتعلّق بالتناهي*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد التاسع: اليوميات (NB26–NB30)*، ص. 353 – 354: NB29، 92 (مايو – يونيو 1854).

15 «*إنه يعيش وجودًا منطويًا*»: م. س.، ص. 358 – 359: NB29، 95 (مايو إلى تموز 1854).

16 «*استشهاد الضحك*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد الخامس: اليوميات (NB6–NB10)*، ص. 289 – 290: NB10، 42 (فبراير إلى أبريل، 1849).

17 *كيركغارد لا يزال يحتفظ بالنار*: في هذا الوقت تقريبًا، أبريل 1854، تلّقى كيركغارد نسخة من مذكرات مينستر، (*Meddelelser om mit Levnet*) [من حياتي]، الذي نشره بعد وفاته نجله أف. جَيّ. مينستر، وهو قس. أعاد كيركغارد الكتاب إلى القس مينستر، شارحًا له أنه ليس بوسعه أن يقبله: «كانت علاقتي بأبيك الراحل علاقة خاصة جدًا. منذ أول مرة تحدّثتُ فيها معه حكيتَ له سرًا... كم كنتُ لا أؤيده. حكيتُ له سرًا المرة تلو المرة – ولن أنسى أنه كان يمتلك رغبة جيدة للغاية في الاستماع إليّ بعاطفة – بحيث أنّ اهتمامي الرئيس هو ذكرى أبي الراحل. الآن [مينستر] فارق الحياة، ويتعين عليّ أن أتوقف. الآن يتعين عليّ وأرغب في نيل الحرية، سواء أرغب باستعمالها أم لا، كي أعبّر عن أفكاري ومشاعري من دون أن آخذ شيئًا كهذا في نظر الاعتبار... مثلما أنكَ في إرسال [هذا الكتاب] إليّ تؤكد (وهذا نُبل منك!) بأنّ كلّ شيء كما كان عليه، لذا، في قبوله، أؤكد أنّ كلّ شيء كما اعتاد أن يكون – إلا إنّ هذه ليست هي الطريقة الفعلية». كما شكر كيركغارد القس مينستر على نبرته «الرقيقة»، التي وجدها «في الإخلاص كلّه، مؤثرة للغاية». أنظر كيركغارد، (*رسائل ووثائق*)، تحرير وترجمة هنريك روزينمير، ص. 417 – رسالة إلى أف. جَيّ. مينستر، 1854؛ (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد التاسع: اليوميات NB26 – NB30*)، ص. 672. نحن لا نعرف ما إذا نظر كيركغارد إلى مذكرات مينستر قبل أن يُعيد الكتاب؛ لو فعل ذلك، لوجد أنه لم يُذكَر اسمه، وهنالك مديح كثير لمارتينسِن.

18 *في 1855 سيتّولى شليغل هذا المنصب – وريجينه سوف تغادر الدنمارك*: أنظر يواكيم غارف، (*مُلهِمة كيركغارد*)، ترجمة ألاستير هاناي، ص. 24.

19 *مقالة كيركغارد استهجنته بوصفه مخادعًا*: انظر (*اللحظة وكتابات متأخرة*)، ص. 3 – 8.

20 *الأسقف مارتينسِن نشر ردًا مُطوّلًا، متكبرًا*: هانس لاسين مارتينسِن، «المناسبة مقالة دكتور س. كيركغارد في [فيدريلانديت]، العدد 295»، انظر م. س.، ص. 360 – 366 – ك. فيدريلانديت Fædrelandet: جريدة دنماركية ليبرالية صدرت بين عاميْ 1834 و1882، في كوبنهاغن بالدنمارك، ولعبت دورًا جوهريًا في النضال من أجل (دستور حر) في أربعينيات القرن التاسع عشر.

21 *مزقها إلى قطع صغيرة*: انظر (*لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد*)، (مطبعة

جامعة پرينستون، 1998)، ص. 116 - 117 - من ماتيلده رينهارت، (*Familie Erindringer 1831 - 1856*)، المنشور بصورة شخصية في 1889.

22 «*لا يُعطي أنطباعًا عني على الإطلاق*»: (*اللحظة وكتابات متأخرة*)، ص. 9 - 10.

23 «*تجديف*» *مارتينسِن*: انظر م. س.، ص. 25.

24 *كتب راسموس نيلسِن مُدافعًا عن كيركغارد*: نُشرت مقالة نيلسِن في (فيدريلاندیت) في العاشر من يناير 1855:انظر (*اللحظة وكتابات متأخرة*)، ص. 651.

25 *صادف كيركغارد ريجينه في الشارع بالقرب من منزله*: انظر كتاب غارف، (*مُلهِمة كيركغارد*).

26 *ظلّ يُطلِق كلمات عنيفة ضد النصرانية الرسمية*: م، س.، ص. 60.

27 «*قساوسة الحرير - والمخمل*»: م. س.، ص. 43.

28 «*أطروحة - فقط شخص مفرد واحد*»: م. س. 39.

29 «*ممَ تتكوّن سخرية سقراط؟*»: (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد العاشر، اليوميات NB31 - NB36*)، ص. 371:2، NB35(ديسمبر، 1854).

30 *بادئًا العدد الأول بمقدّمة أنيقة*: انظر (*اللحظة وكتابات متأخرة*)، ص. 91 - 92.

31 «*الوهم الهائل*» *للعقيدة المسيحية المعاصرة*: م.س.، ص. 105.

32 «*أن يلصقوا الأُسر سويةً بنحو أناني أكثر فأكثر*»: م.س.، ص. 248 - 249.

33 «*لا يقدر المرء أن يعيش على لا شيء*»:م. س.، ص. 204 - 205.

34 *هو نفسه لم يعد يذهب إليها*: انظر نيلز يورغِن كاپيلورن، «سورين كيركغارد في العشاء الرباني يوم الجمعة [كنيسة سيدتنا]» في (*تفسير كيركغارد العالَمي، المجلد الثامن عشر: من دون تفويض*)، تحرير روبرت أيل. پيركنز (مطبعة جامعة ميرسير،2007).

35 *هذه الكراسات المتفجرة* «*أثارت حساسية كُبرى*»: انظر (*لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد*)، ص. 119 - من يوميات هانسين أندريه، 18 أكتوبر، 1855.

36 «*إني مؤيد تمامًا لحُكمكَ على سلوك كيركغارد*»: م.س.، ص. 103 - من رسالة من كارستين هوك إلى بي. أس. انجرمان، 25 مارس 1855.

37 *إلا إنه تأسف أنّ* «*تحيّز*» *كيركغارد هيمن الآن على فلسفته*: م. س.، ص. 103 - 105 - من رسالة من أف. سي. سيبيرن إلى پيترونيللا روس، 26 مارس 1855.

38 *القس بيركيدال شعر بـ* «*الكلمات القوية قد ألقت ظلًا عميقًا*»: م.س.، ص.

107 – من ڤيلهيلم بيركيدال، Personlige Oplevelser i et (langt)، المجلد الثاني (كوبنهاغن: كارل شونبيرغس فورلاغ، 1890).

39 «*كان مصدرًا متواصلًا للحزن بالنسبة لي*»: م. س.، ص. 106 – من رسالة من مجدلين هانسِن إلى إليزه ستامبه، 20 يونيو 1855.

40 «*ذاته الاعتيادية هي نفسها في الحوار*»: م.س.، ص. 111 – من أوتو بي. ڤرودوڤيسكي، (1889) (*Ti Aar i C. A. Reitzels Bolgade*).

41 *لمّا قابله هانس بروشنر خارجًا وهو يتمشى في مساء صيفي*: انظر، م.س.، ص. 247 – 248 – من ذكريات هانس بروشنر عن كيركغارد، كُتبت في 1871 – 1872.

42 «*حتى الوقت الحاضر لم يكن واضحًا ما إذا ك. شخصية نبيلة أم لا*»: انظر م.س.، ص108 – 109 – من (*Norog Syd*) [*الشمال والجنوب*]، 15 سبتمبر 1855.

43 «*الشبه الوحيد الذي أملكه أمامي هو سقراط*»: (*اللحظة وكتابات متأخرة*)، ص. 341.

44 «*بنظرةٍ ساحرة*»: انظر (*لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد*)، ص. 117 – من ماتيلده رينهارت، (*Familie Erindinger 1831 – 1856*).

45 «*المريض لا يستطيع أن يُعطي أيّ سبب محدد لمرضه الحالي*»: انظر (*رسائل ووثائق*)، ص. 28 – 32 – من التقرير الطبي في (مستشفى آل فريدريك). هذا التقرير يوضح سبب وفاته كونه «التدرن الرئوي».

46 «*شعورًا بالانتصار*»: انظر (*لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد*)، ص. 172 – من هنرييته لوند (*Eringringer Fra Hjemmet*) (غليدندال، 1909) – 47 «*عينيه لمعتا كالنجوم*»: م. س.، ص. 157.

48 «*تُفتَح وتُقرأ بعد وفاتي*»: (*رسائل ووثائق*)، ص. 33، 450. وصية كيركغارد لم تكن مؤرخة، غير أنّ كتابه (*رسائل ووثائق*) أوحى أنها كُتبت في 1849، تقريبًا في نفس وقت رسائل كيركغارد إلى ريجينه وجَيّ. أف. شليغل.

49 «*بدا كما لو أنه كان يُريدني أن آتي كي يكون باستطاعته أن يقول شيئًا ما*»: انظر (*لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد*)، ص. 121 – من رسالة من إميل بويسين إلى لويزه بويسين، 17 أكتوبر 1855.

50 «*وهكذا استنتجتُ أنّ مهمتي هي أن أكون استثنائيًا*»: م. س.، ص. 121 – 128

- من وصف إميل بويسين لحواراته في المستشفى مع كيركغارد، نُشرت أصلًا في (*Af Søren Kierkgaaards Efterladte Papier , 1854 – 1855*) (ريتزل، 1881)، ص. 593 – 599.

51 *في الأعوام الأخيرة كان قد ألمح إلى هذا «الشيء الذي ينغص حياته» مرارًا في يومياته*: انظر على سبيل المثال، (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد التاسع: اليوميات NB26 – NB30*)، ص. 207: 88 ،NB27 (أغسطس 1852 إلى فبراير 1853). المصطلح «الشيء الذي ينغص حياته» أو «الشوكة في اللحم» يأتي من الرسالة الثانية للكورنثيين 12: 2 – 7؛ ذكر كيركغارد هذا في (*حاشية ختامية غير علمية*)، حيث يصف الشوكة في اللحم باعتبارها «معاناة دينية تُصبح علامة على المباركة»، انظر س. كيركغارد، (*حاشية ختامية غير علمية*)، (جامعة كمبردج، 2009)، ص. 381.

آخرة كيركيغارد

1 *جدالًا قويًا حول المبدأ المسيحي المتعلق بالخلود*: انظر لودفيغ فيورباخ، (*أفكار عن الموت والخلود*)، تحرير وترجمة جيمس أيّ. ماساي (مطبعة جامعة كاليفورنيا، 1980)؛ استيفان ساكو، «أن تُصبح خالدًا: السياق التاريخي لمفهوم كيركغارد»، في (*كيركغارد والعقيدة المسيحية*)، تحرير رومان كراليك، إبراهيم أج. خان، بيتر ساجدا، . بورغيس (أكتا كيركغارديانا، المجلد الثالث، 2008)، ص. 60 – 65.

2 «*بنحو غريب بما يكفي، فيما يحصل هذا، الثقة تضمحل*»: س. كيركغارد، (*مفهوم القلق*)، ترجمة رايدر ثومتي (جامعة پرينستون، 1981)، ص. 139.

3 *أنديرس ويسترغارد، طُلِب منه ذات مرة*: هذا الحوار سجلّه أندرياس فرديناند شيوته، الذي عرف ويسترغاد، في رسالة إلى أج. پي. بارفود في 1869: انظر (*لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد*)، ص. 195. انظر أيضًا (*يوميات ودفاتر ملحوظات كيركغارد، المجلد السابع، اليوميات NB15 – NB20*)، ص. 58:433 ،NB20 (يوليو إلى سبتمبر 1850): «*سقراط في العالم المسيحي*». لم يكن بمستطاع سقراط أن يُبرهن على خلود الروح؛ قال ببساطة: هذه القضية تُشغلني كثيرًا جدًا بحيث أنني سأرتب حياتي كما لو أنّ الخلود هو حقيقة – هل ينبغي ألا يكون هناك خلود، *أوه حسنًا*، مع ذلك لا أزال غير نادم على خياري، لأنّ هذه هي القضية التي تهمني. يا للمساعدة الكبيرة التي

ستكون موجودةً أصلًا في العالَم المسيحي إن كان هنالك شخصٌ ما تكلّم وفعل هكذا: لا أعرف ما إذا النصرانية صحيحة، إلا إنني سأرتب حياتي كلّها كما لو أنها كذلك، وأراهن بحياتي عليها - ومن ثم إذا ما برهنت على كونها صحيحة، *أوه حسنًا*، مع ذلك لا أزال غير نادم على خياري، لإنّ هذه هي القضية الوحيدة التي تهمني.

4 *(المجموعة) الدائمة لسورين أ. كيركغارد*: مقتنيات كيركغارد بيعت في مزاد علني بعد وفاته. لائحة مكونة من 280 مادة وأسماء مُشتريها يُمكن أن نجدها في فلمنغ كريستيان نيلسِن، (***Alt Bleu Godt Betalt: Auktionen over Kierkegaard Søren*** (*indbo*) (هولكينفيلت، 3، 2000).

5 «*خشية أن يرغب عدد غفير من الأشخاص*»: انظر نيلز يورغِن كاپيلرون، يواكيم غارف وجوني كوندروپ، (*صور مكتوبة: عائدة لسورين كيركغارد*)، ترجمة بروس أج. كيرمسي (جامعة پرينستون، 2003)، ص. 19.

6 *عيّنَ محررًا سابقًا في إحدى الصحف*، أج. پي. بارفود: انظر م. س.، ص. 22 - 29. وجد بارفود قصاصة ورق أعرب فيها كيركغارد عن رغبته في أن يُحرر راسموس نيلسِن كتاباته ما بعد وفاته، بالاشتراك مع جينس جيودڤاد وإسرائيل ليڤِن، الأمر الذي سبب قدرًا كبيرًا من القلق لبارفورد.

7 المجلّد الأول من (*أوراق ما بعد موت سورين كيركغارد*) ظهر: م.س. ص. 53 - 56.

8 *مقطع شعري من ترنيمةٍ تعود للقرن الثامن عشر من تأليف برورسون*: انظر كريستوفر بي. بارنيت، «هانس أدولف برورسون: أعظم كاتب ترنيمات في مجال التُقَوية الدنماركية»، في كتاب (*كيركغارد والنهضة الأوربية والتقاليد الحديثة. الجزء الثاني: اللاهوت*)، تحرير جون ستيوارت (أشغيت، 2009)، ص. 63 - 79؛ أندرو جَيّ. بورغيس، (كيركغارد، برورسون، والموسيقى الموراڤية»، في (*تفسير كيركغارد العالمي، المجلد العشرون: تمرين في العقيدة المسيحية*)، تحرير روبرت أيل. پيركنز (مطبعة جامعة ميرسر، 2004)، ص. 211 - 243. لا يوجد دليل وثائقي يكشف أنه أنشد هذه الترنيمات (أو أيّ ترنيمات سواها) / إلا إنه كان يعرف ترنيمات برورسون جيدًا وأشار إليها مرارًا في كتاباته.

9 «*قطعة الأرض - المَدفن كلّها*»: س. كيركغارد، (*رسائل ووثائق*)، ص. 26 - 27.

10 «*الجزء الأخطر من أفعاله*»: انظر (*لقاءات غير متوّقعة مع كيركغارد*)، ص.

130 – من (*Nor dog Syd*) [*الشمال والجنوب*]، 15 نوفمبر 1855.

11 «*جمهورٌ غفير في المماشي الكائنة بين كراسي الكنيسة*»: انظر م. س.، ص. 136 – من رسالة من هانس كريستيان أندرسِن إلى أوغست بورنڤيلليه، 24 نوفمبر 1855.

12 «*اليوم، بعد خدمة كبيرة في (كنيسة سيدتنا)*»: انظر م.س.، ص. 135 – من رسالة من أج. أيل. مارتينسِن إلى أيل غوده، 18 نوفمبر 1855.

13 حضر حشدٌ غفير: انظر (*لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد*)، ص. 132 – 133 – من رسالة من أف. سودرمان إلى بي. أم. بارفود، 18 نوفمبر 1855.

14 كلام هنريك *لوند بجوار القبر*: انظر (*لقاءات غير متوقعة مع كيركغارد*)، ص. 133 – 135 – من صحيفة (فيدريلانديت)، 22 نوفمبر 1855.

15 «*في رأيي، القضية كلّها هي صورة مشوّهة لسورين ك.*»: انظر م. س.، ص. 136 – من رسالة من هانس كريستيان أندرسِن إلى أوغست بورنڤيلله، 24 نوفمبر 1855.

16 *الأسقف مارتينسِن حرص على أن تُقام دعوى على لوند*: انظر كاپيلرون، غارف وكونديروپ، (*صور... مكتوبة*)، ص. 10.

17 احتفالات عيد ميلاد كيركغارد: سُجلت في (*Kristeligt Dagblad*) يوم الاثنين، 6 مايو 2013.

18 يواكيم غارف... قد تحدثت عن المهمة الفريدة: إني ممتنة إلى يواكيم غارف لأنه أراني نص محاضرته. من أجل فكرة أبكر كثيرًا عن ثيمات مُشابهة، انظر مقالة غارف، «عينا أرغوس: وجهة النظر ووجهات النظر المتعلّقة بمقالة كيركغارد «نشاطي كمؤلف»، (*كيركيغارديانا*)، 15، (ريتزل، 1991)، ص. 29 – 54.

سورين كيركغارد، من فلاسفة القرن التاسع عشر الأكثر إثارة، ويعتبر الآن أبو التيار الوجودي، إلا أن معاصريه اعتبروه فيلسوف القلب، ففي السنوات بين 1840 - 1850 تدفقت كتاباته في تحليل مشاعر الحب والمعاناة، الشجاعة والقلق، الاحتياج الديني ورغبة المواجهة، بالإضافة إلى سعيه نحو شكل فلسفي جديد متجذّر في عمق حالة الوجود الإنساني.

على الرغم من عذاباته بسبب ضغوط الشهرة، أصرّ على العيش وسط سكان كوبنهاغن، معروفا من قبل الجميع، إنما لا أحد يفهمه. وعندما سقط من فرط الإعياء في عمر 42 كان لايزال يسعى خلف سؤال الوجود: كيف يمكن لإنسان أن يحيا في هذا العالم؟

في هذه السيرة الجديدة والمؤثرة التي كتبتها كلير كارلايل تحكي لنا حياة كيركغارد الفريدة. تحكيها من وجهة نظره هو، «سقراط المسيحية».

❖ ❖ ❖

هذه السيرة المشوّقة تنقذ كيركغارد من الدراسات البحثية والأكاديمية وتوضّح لماذا يعتبر هذا الفيلسوف شخصية مثيرة للاهتمام ونموذجًا يستحق التأمل.

The Observer

سيرة جذّابة، استطاعت كارلايل عبرها إنجاز المهمة الصعبة في الكتابة عن حياة كيركيغارد بطريقة كيركغاردية.

Financial Times

هذه شهادة لصالح موهبة المؤلفة الفذّة، فقد استطاعت تصوير بطل روايتها بشكل حيّ ومشوّق.

Telegraph

كتبت كارلايل سيرة مؤثرة، أعدّتها بشكل احترافي، وقدمت لنا بطلها بصورة حيّة وصادقة.

Terry Eagleton- London Review of Books.

كلير كارلايل: أستاذة في كلية الفلسفة- قسم اللاهوت والدراسات الدينية، في king's college لندن. تكتب بشكل دوري في مواضيع فلسفية في كبريات الصحف البريطانية.


ISBN 978-614-472-214-5

